

حقائق المعرفة

في علم الكون

إعداد الأستاذ الدكتور

أحمد محمد عبد الحليم

مدرس في علم الكون

بجامعة القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٨٥

الطبعة الثانية ١٩٨٥

الطبعة الثالثة ١٩٨٥

الطبعة الرابعة ١٩٨٥

الطبعة الخامسة ١٩٨٥



مركز بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية

حَقَائِقُ الْمَعْرِفَةِ
فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

مُحَقَّقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

٢٠٠٣/٥١٤٢٤ م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة - صغاء - الدائري الغربي حوار الجامعة الجديدة

(ت: ٧١١٦٠٧٣١)

إخراج: خالد محمد محمد الزيلعي



مركز توثيق ودراسات إسلامية

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣ م

(٢٢٧)



مكتبة الإمام الزين العلي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صغاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email : info@izbacf.org

جمعہ داری شد

شماره اول: ۶۲۴۱۸

حَقَائِقُ الْمَعْرِفَةِ

فِي عِلْمِ الْكَلَامِ

کتابخانه
شماره ثبت: ۰۱۷۴۲۳
تاریخ ثبت:

تألیف

الإمام الموصَّلُ عَلَى اللَّهِ

أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى
الحق يحيى بن الحسين عليه السلام
(توفي سنة ۵۱۶ هـ في شهر ربيع الثاني)
رضي الله عنه وأرضاه

مراجعة وتصحيح

حسن بن يحيى اليوسفي
وفقه الله لما يحبُّه ويرضاه



موسسة الإمام الزيد بن علي الثقافية



المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وبعد :

فإن أول العبادة وأساسها هو معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ، قال الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) : (اعلم يا أخي - علمك الله الخير والهدى ، وجنبك المكاره والردى - أن الله خلق جميع عباده المكلفين لعبادته كما قال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، والعبادة تنقسم على ثلاثة وجوه :

أولها : معرفة الله.

والثاني : معرفة ما يرضيه وما يسخطه.

والوجه الثالث : اتباع ما يرضيه ، واجتناب ما يسخطه...

إلى أن قال : فهذه ثلاث عبادات من ثلاث حجج احتج بها المعبود على العباد وهي : العقل ، والكتاب ، والرسول.

فجاءت حجة العقل بمعرفة المعبود، وجاءت حجة الكتاب بمعرفة التعبد، وجاءت حجة الرسول بمعرفة العبادة، والعقل أصل الحجتين الأخيرتين؛ لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما فافهم ذلك^(١).

ويدل على هذا التقسيم الفريد قول الرسول الأكرم ﷺ للأعرابي عندما جاءه يلتمس منه غرائب العلم، فقال له رسول الله ﷺ: «وماذا صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غريبه؟» قال: وما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: «معرفة الله حق معرفته»، فقال يا رسول الله: وما معرفة الله حق معرفته؟ فقال رسول الله ﷺ: «أن تعرفه بلا مثل ولا شبه، وأن تعرفه إلهاً واحداً، فرداً صمداً، أولاً آخراً، ظاهراً باطناً، لا كقولك ولا مثيل»^(٢).

ويقول الإمام علي (عليه السلام) (أول الدلائل معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات

(١) رسائل العدل والتوحيد ١٢٤

(٢) أمالي الإمام أبي طالب (عليه السلام) ٢٠٩ برقم (١٤٩).

والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده»^(١).

ومن هنا ندرك أهمية المعرفة، وضرورة سلامتها من التمثيل والتشبيه والتجسيم الذي وقع في فخه كثير من المسلمين، ولا بد أن تكون هذه المعرفة منطلقة من التفكير السليم في عجائب المصنوعات وغرائب المخلوقات، بعيدة كل البعد عن التفكير في ذات الحق جل وعلا؛ لأن التفكير في الذات يؤدي إلى الإلحاد المذموم، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من تفكر في المخلوق وحّد، ومن تفكر في الخالق ألد)^(٢).

ولا بد أن يكون الاعتقاد المنبثق من تلك المعرفة مستقراً استقراراً أكيداً في النفس، يشعر المسلم من خلاله بالتوجه الكامل نحو الله تعالى بكل قواه وحركاته في الضمير والجوارح والحياة، ويعرف أنه عبد يعبد رباً يعبد، ولا تتأني هذه المشاعر إلا إذا كانت خالية عن التقليد الأعمى، قال رسول الله ﷺ: «من أخذ دينه عن التفكير في آلاء الله، والتدبر لكتاب الله، والتفهم لسنة، زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال، وقلدهم فيه، ذهب به الرجال من يمين إلى شمال، وكان من دين الله على أعظم زوال»^(٣).

(١) نهج البلاغة ٣٩-٤٠.

(٢) سبيل الرشاد ١٦.

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي ١١٥.

قواعد أساسية لفهم مسائل العقيدة

وهناك قواعد أساسية استقرأتها من خلال بحثي في أصول الدين، وأرى من وجهة نظري الفاصر أن تطبيقها والاسترشاد بها في أصول الدين يؤدي إلى التطبيق الفعلي للحديث النبوي السابق وهذه القواعد هي :

١- استعمال العقل باعتباره مناط التكليف، وأداة النظر:

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَبِثُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَنْبَثُوهَا وَأَدْبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ أَثَرٌ فَلَمْ يُخَذْ عَلَيْهِمُ الْحِسَابُ لَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْقَوْلَ فَبَتَحْتُونَ لَخْنَةً أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

ويعتبر بمثابة النور للإنسان يميز به بين الحق والباطل، وبين الممكن والمستحيل.

والقرآن يوصي كثيراً باستخدام العقل في مسائل الاعتقاد، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الاب: ٢٢] ، فالأخذ بالعقل في مسائل أصول الدين أخذ بالقرآن الكريم ، ولذلك انتهج المذهب الزيدي النهج القرآني في استخدام الدليل العقلي وجمع في الاستدلال على صحة معتقداته بين صحيح النقل ، وصريح العقل ، ولذلك لم تأسره ظواهر الألفاظ المتشابهات ، كما أسرت بعض المذاهب التي عطلت العقل ، وحصرت دوره ، وقصرت فهمه وإدراكه على فهم من قلده تقيداً أعمى ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبْعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) : (معرفة الله عز وجل - وهي عقلية - منقسمة على وجهين وهما : إثبات ونفي ، فالإثبات هو اليقين بالله والإقرار به ، والنفي هو نفي التشبيه عنه تعالى ، وهو التوحيد ، وهو ينقسم على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق حتى ينفي عنه جميع ما يتعلق بالمخلوقين في كل معنى من المعاني ، صغيرها وكبيرها ، وجليلها ودقيقها ، حتى لا يخطر في قلبك في التشبيه خاطر شك ولا توهم ولا ارتياب ، حتى تُوحّد الله سبحانه باعتقادك وقولك وفعلك ، فإن خطرت على قلبك في التشبيه خاطرة شك فلم تنف عن قلبك بالتوحيد خاطرها ، وتمط باليقين البت والعلم المثبت حاضرها ، فقد خرجت من التوحيد إلى الشرك ~~ومن اليقين إلى الشك~~ ؛ لأنه ليس بين التوحيد والشرك ، واليقين والشك ، منزلة ثالثة ، فمن خرج من التوحيد فإلى الشرك مخرجه ، ومن فارق اليقين ففي الشك موقعه .

الوجه الثاني : هو الفرق بين الفعلين حتى لا تصف القديم بصفة من صفات المحدثين .

والوجه الثالث : هو الفرق بين الفعلين حتى لا تشبه فعل القديم بفعل المخلوقين ^(١) .

(١) رسائل العدل والتوحيد ١/١٢٦ .

٢- الاعتماد على الحجج القرآنية وإرجاع متشابه الكتاب إلى محكمه.

من المعروف أن القرآن يحمل في طياته القواعد الأساسية، والأصول العامة لكل ما يحتاجه الإنسان من عقائد وقوانين وأحكام وأنظمة وآداب، وهو الأصل الأول الذي يجب الاعتماد عليه، وإما قدمنا الحجج العقلية للتدليل على وحيات تأويل صواهر النصوص التي توحى بالتشبيه والتجسيم، وهي بهد لا تلغي دوره أو تنقص من شأنه، وإما تقودنا للعمل به وفقاً لما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ مُّخَكَّمَاتٌ لِّئَلَّا تُكْفَرَ عَنْهُ الْغَوَاةُ وَكُلُّ الْعَالَمِ يَسْحَبُونَ مَا تُثَابِتُهُ مِنَ الْبَقَاءِ الْيَقِينِ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ الْغَايِبِينَ﴾ (البقرة: ١٧٠) فالحكم هو أصل الكتاب (المتشابه) هو فرع، ويجب رد التشابه إلى المحكم ولن نستطيع رده إلا باستعمال العقل في ضوء اللغة، والسياق، والمراد الإلهي، وما صعب يجب إرجاعه إلى الراسخين في العلم ليوضحوا صعوبته ويكشفوا عامضه.

ولو لم يستخدم أهل العدل والتوحيد هذه القاعدة الصحيحة لاستفحل داء المجسمة والقدرية والمرحنة والمحررة، وصعب دواؤهم؛ لأنهم يوردون الآيات المتشابهة التي تحمل أكثر من معنى ليبرروا صحة عقائدهم المنحرفة التي وصفوا الله من خلالها بصفات غير لائقة، وقد وضع الله مقاصدهم وكشف أستارهم، وأبان زواغ قلوبهم من خلال ما يستدلون به من الآيات المتشابهات مع تركهم

للآيات المحكمات، وفي هذا الصدد يقول الإمام الهادي إلى الحق
 يحيى بن الحسين (عليه السلام): (اعلم أن لقرآن محكم ومتشابه، وتنزيل
 وتأويل، وناسخ ومسوخ، وخاص وعام، وحلال وحرام، وأمثال
 وعبر، وأخبار وقصص، وطاهر ودس، وكل ما ذكرنا يصدق بعضه
 بعضاً، فأوله كآخره، وطاهره كسايطه، ليس فيه تناقض، وذلك أنه
 كتاب عزيز على بدي رسول كريم، وتصديق ذلك في كتاب الله
 حيث يقول: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَسْنِيَةً
 مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة الحديد: ١١٢]، ويقول: ﴿تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ سَجِيدٌ ۖ فِي لَوْحٍ
 مَقْشُورٍ﴾ [الروح: ٢١، ٢٢]، ويقول: ﴿أَمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ خَيْرٍ
 اللَّهُ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢].

فالمحكم كما قال الله: ﴿وَكَمْ يَكُنْ لَهُ حُكْمٌ أَحَدٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢]، و﴿لَنْ يَسْ
 حُكْمُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢]، و﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
 يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢]، وغير ذلك

والمتشابه مثل قوله تعالى: ﴿وَجُزْءٌ يُوَفَّىٰ ذَاقِرًا ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا
 نَاطِلَةٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢]، معناها يسعد أهل العلم، وذلك أن تفسيره
 عندهم أن الوجوه يومئذ نضرة مشرقة ناعمة، إلى ثواب ربها منتظرة،
 كما تقول: لا أنظر إلا إلى الله وإلى محمد، ومحمد غائب، ﴿وَلَا يَنْظُرُ
 إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٧]، معناه لا يشرهم برحمته ولا يبذل لهم ما
 أنال أهل الجنة من الثواب^(١).

(١) رسائل العدل والتوحيد ١٠١/٢ - ١٠٢

ويقول جده الإمام القاسم بن إبراهيم (عليه السلام): (وقد أنكرت الحشوية^(١) رد التشابه إلى المحكم، ورعموا أن الكتاب لا يحكم بعضه على بعض، وأن كل آية منه ذبته واحب حكمها بوجوب تشريحها وتأويلها، ولذلك وقعوا في التشبيه وجادلوا عليه؛ لما سمعوا من متشابه الكتاب فلم يحكموا عليه بالآيات التي جاءت بنفي التشبيه، فاعلم ذلك^(٢)).

٢- مراعاة سياق الآيات

ولا بد عند الاستشهاد بآيات الكتاب من مراعاة سياقها، سواء أكانت الآيات دالة على مسائل التوحيد أم مسائل العدل، أو ما يتعلق بالعقيدة بشكل عام، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الحديد ١٩٩)، استدلت بها بعض الفرق على أن الله خلقها وخلق ما نعمله من الأعمال حيرها وشرها، ولو رجعوا إلى السياق لوجدوا ريف قولهم وفساده، فاسياق هو هكذا: ﴿فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۚ مَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۚ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ۚ قَالَ أَأَنْتُمْ مَن تَعْبُدُونَ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النص ٩١-٩٦)، فالآية مقترنة بما قبلها والمراد بها أن الله خلقكم وخلق هذه المادة التي تعملون منها الأصنام فكيف تعبدون ما تنحتونه مما خلق؟^١

(١) الحشوية هم المشبهة والمجسمة وأهل الطاهر ليس لا يسلكون سبيل التأويل للمتشابه من آيات القرآن الكريم وسُموا حشوية، لأن كلامهم حشو لا مطلق فيه ولا عقل

(٢) رسائل العدل والتوحيد ١/ ١٢٦

٤- تحديد معنى المصطلحات

وبما يعين على فهم الكلمة المطلوبة حصر معانيها اللغوية ومواردها في القرآن الكريم، وكذلك شواهدا من أشعار العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فلا مانع من الاستشهاد بكلماتهم في إيضاح معاني الكلمات، ومن الأمثلة على ذلك ما أجاب به الإمام الهادي إلى الحق (عليه السلام) على أحد المجبرة الذي رعم أن الاغفال من الله واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْبَبْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [التكوير: ١٢٨]، فقال الإمام الهادي (عليه السلام) - موضحاً فساد قوله، وزيف اعتقاده: (وأما ما سأل عنه من قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَحْبَبْتَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، فقال: أخبرونا عن هذا الذي أغفل الله قلبه عن ذكره، هل أراد الله أن يطيقه؟ فتوهم - ويله وعوله إن لم يتب من الله ويحبه -!! أن الله تبارك وتعالى أدخله في العفلة، وحال بينه بذلك وبين الطاعة، فليس كما توهم، ألا يسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾؟ فأخبر سبحانه أنه متبع في ذلك لهواه، ضال عن رشده، تارك لهداه، ولو كان من الله لم يكن العبد متبعاً لنفسه هواه، بل كان داخلاً لله فيما شاء وارتضى، وسنفسر معنى الآية إن شاء الله والقوة بالله وله: إن الله تبارك نهى نبيه عن طاعة من أغفل قلبه عن أثر هواه على هداه، وأما معنى ما ذكر الله سبحانه من الإغفال فقد يخرج على معنيين. والحمد لله. شافيين كافيين:

أحدهما: الخذلان من الله، والترك لمن اتبع هواه، وآثره على طاعة مولاه، فلما أن عصى وضل وغوى وترك ما دل عليه الهدى؛

اسوحب من الله الخذلان لما كان فيه من الضلال والكفران، فغفل
وصل وجهل إذ لم يكن معه من الله توفيق ولا إرشاد، فتسرّب
سربال الغي والفساد.

وأما المعنى الآخر: فينبغي في لسان العرب موجود، معروف عند كلها
محدود، وهو أن يكون معنى قوله: «أَضَلَّنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي:
تركنا من ذكرنا، والذكر هو التذكير من الله والتسديد والتعريف
والهداية إلى الخير والتوفيق، فيقول سبحانه: تركنا قلبه من تذكيرنا
وعونا وهدايتنا بما أصر عليه من لإشراكنا والاجترأ علينا، تقول
العرب: يا فلان أغفلت فلاناً، ويقول القائل: لا تعملني أي تتركني،
ويقول العرب: قم مسي، [أي قم عليّ]، وخلف بعض حروف
الصفات ببعض، وتقيم بعضها مقام بعض، قال الشاعر:

شربنا بماء البحر ثم ترفعت

لدى لجح حضر لهن نبيح

فقال: لدى لجح، وإنما يريد على لجح، فذكر السحاب وشربها من
البحار، واستقلالها بما فيها من الأمطار، وقال آخر:

أغفلت تعلب من معروفك الكاسي

فخلت قلبك مهم مفضاً قاسي

فقال: أغفلت تعلب من معروفك، أي تركتها من عطائك ونوالك
ومستك وأوصالك، ثم قال: فخلت قلبك منهم معصياً قاسي، فقال:
منهم، وإنما يريد عليهم غصباً، فأقدم حرف الصفة وهو (من) مقام
أختها وهي (على)، وأقام (مهم) مقام (عليهم)، فهذا معنى الآية

- إن شاء الله - ومخرجها ، لا ما توهم الجهال على ذي المعالي والجلال من الجبر لعباده والإضلال ، والظلم والتجبر بالإفعال^(١).

٥- فهم الأحاديث النبوية في ضوء القرن

وإذا أردنا عبودية عقائدية صادقة ، فلا بد أن تكون وفق الصفات الثلاثة بالله تعالى ، ومن المستحيل أن يتناقض الوحي في هذه الصفات سواء في الكتاب أو السنة ، فاما الكتب فقد تقدم كيفية التعامل معه ، وأما السنة فلا بد أن يكون الحديث المستدل به منها في أمر العقيدة قطعياً متواتراً ، وما لا يتعارض مع القرآن الكريم بوجهه أو بآخر ، ويلزمنا عدم المجازفة في الرد والقبول.

وقد أكد الرسول ﷺ على قاعدة العَرَضِ على القرآن الكريم فقال : «سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قلبي فما أتاكم عني فأعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو ممي وأنا قلته ، وما خالفه فليس مني ولم أقله»^(٢) ، وبالرغم من المحاولات التشكيكية في هذا الحديث من قبل الحشوية فإنه يزداد صحة يوماً بعد آخر ، وأبسط مثال على ذلك أن عائشة زوج الرسول ﷺ طفقته على أحاديث كثيرة ، ومنها حديث : «إن الميت ليعذب بكاء أهله»^(٣) ، فقالت : إنه يتعارض مع قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤).

(١) رسائل العدل والتوحيد ٢/٢٤٦-٢٤٧

(٢) أورده الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ٢١/١ ، وأخرجه أبو الفتح الديلمي في أول الرهان - ح - وهو في كنز العمال ١٧٦٠ ، ومجمع الزوائد ١٧/١ ، وفي الجامع الصغير ٧٤/١ ، وهو من الأحاديث الصحيحة والمعتبرة عند أهل البيت (عليهم السلام)

(٣) رواه البخاري ، فتح ٣/١٥١-١٥٢ ، ومسلم في صحيحه ٢/٦٣٨-٦٤٢

قال النووي : (وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله - رضي الله عنهما - وأكرته عائشة، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأكرت أن يكون النبي ﷺ قال ذلك، واحتججت بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِدُْوا آيَةَ وَلَا تَزِدْوا آيَةَ﴾ [النساء: ١٦٤]، قالت : وإنما قال النبي ﷺ في يهودية أنها تعدب وهم يكون عليها، يعني تعدب بكرها في حال بكاء أهلها لا بسبب الكاء) (١).

ويقول الشيخ الغزالي : (إنها ترد ما يخالف القرآن بحراً وثقة، ومع ذلك فإن هذا الحديث المرفوض من عائشة ما يزال مثبتاً في الصحاح بل إن (ابن سعد) في طقائه الكبيرى كررها في بضعة أسانيد!!.. وعدي أن ذلك المسلك الذي سلكتم أم المؤمنين أساساً لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٢).

وهكذا تتوالى الاعترافات من هنا وهناك، وتؤكد صحة قواعد أهل البيت في كيفية التعامل مع الأحاديث النبوية.

ثم لماذا ترفض الحشوية هذه القاعدة النبوية، وتقبل قواعد أصحابها؟! وبقطع النظر عن صحة حديث العرض من عدمه فإن القاعدة صحيحة ومطلوبة، ولذلك لما تركوها وقعوا في إشكالات كثيرة وتلونات عديدة لم تستوعبها مصطلحاتهم وقواعدهم.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٨/٥

(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ١٦، ١٧، ١٨.

يقول الإمام القاسم بن محمد معقلاً على قبولهم لحكم الشيخ من مشائخهم في الحديث بالصحة أم بالضعف، ورفضهم لحكم كتاب الله فيه: (وناهيك أن يكون كتاب الله - أعزه الله تعالى - كأصول الخطابي والذهبي، أو كحكم شيخ حكم بصحة الحديث، أو عدمها مع أن المعلوم عدم عصمة ذلك الشيخ في حكمه، ومع عدم صحة ما حكم في نفس الأمر، وهم يوجبون رد ما يخالف أصولهم وما خالف ما حكم به شيخ من مشائخهم، وهل هذا إلا الضلال؟!)"

وكم .. وكم من الأحاديث الإسرائيلية^(١) التي تسربت بطريقة أو بأخرى إلى الأحاديث السوية، فلذا يلزم التنبيه لها والتحذير منها حتى لا يقع الناس في فخ التعسيم والتشبيه، ووصف الله بما لا يليق بحلاله، وحير وسيلة لكشفها هو عرصها على القرآن وفقاً للأسس المذكورة، مع استعمال طرق التضعيف الأخرى المعتبرة.

٦- اتساع نهج آل محمد عليهم السلام

وخصوصاً ما أجمعوا عليه، باعشارهم أحد الثقلين، الذين تركهم رسول الله ﷺ لأمته، وأوصاهم بالتمسك بهم، فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض» وهذا الحديث من الأحاديث المجمع على صحتها، رواه المؤلف والمخالف بالاتفاق في الصحاح والمعاجم والمسانيد والأماليات.

(١) الاعتصام ٢٤/١

(٢) للعريد راجع كتابها (علوم الحديث عند الربيعة والمحدثين)

وقد يقول القائل : أليس اتباع نهجهم من التقليد المنهي عنه ؟
أقول : لا والذي بسط الأرض ورفع السماء ، بل هو من التقليد المأمور
به ؛ لأن التقليد المنهي عنه في العقيدة هو اتباع قول الغير من غير حجة
ولا بينة ، أما أهل البيت (عليهم السلام) فهم حجة ، ألم يقرنهم الرسول ﷺ
بالحق ؟ وهم لا يذكرون مسألة ، لا ويذكرون حجتها كتاباً وسنة ،
وإجماعهم حجة الإجماع ، ولهم مؤلفات عديدة ، ومقالات فريدة في
جميع أبواب العقيدة ، ألحموا فيها كبح كل مشبه متحيل ، أو مجري
متحيل ، وشرحوا فيها الصفات الثلاثة بذي الحلال والإكرام .

هذا الكتاب

ومن مؤلفاتهم العظيمة في أسواب العقيدة هذا الكتاب الذي بين يديك، ألفه الإمام الصوام اقوام، لتوكل على الرحمن، أحمد بن سليمان (رحمه الله)، وهو أحد أئمة الزيدية الدعاة، وكتابه هذا من المناهج المعتمدة في مدارس الزيدية وفي حوزاتها العلمية المختلفة، وقد سلك فيه مسلكاً رائعاً، حامعاً في الاستدلال على مسائله بين العقل والنقل، داخضاً شهاث المحسمة والمشبهة والمجسرة والقدرية، موضعاً الحق في كل مسألة من حلال الكتاب العظيم والسنة النبوية المطهرة - على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتم تسليم - وقد قام السيد العلامة حس اليوسفي بمقابلته وتصحيحه على أمهات النسخ المعتمدة، ودفعه إلى التقديم له والترجمة لمؤلفه، فنزلت عند طلبه رغبة في الثواب، وحرصاً على نشر هذا الكتاب؛ ليستفيد منه العلماء وطلاب العلم والباحثون عن الحق.

وقد طلبت منه أن يوصف النسخ التي اعتمدها في التصحيح والمقابلة، فكتب ما يلي:

تعريف بالمخطوطات التي اعتمدنا عليها عند المراجعة

١- نسخة (أ): وهي التي ابتدأ النقل عليها، وهي قطع متوسط، والخط فيها متوسط وإلى الضعف أقرب، حتى أن بعض الكلمات لا تتحقق إلا بالرجوع إلى نسخة أخرى، وفيها أخطاء ونقص، باعتبار غيرها من النسخ، وأخطاء إملائية، قال في آخر ورقة منها: (كان الفراغ من نساحته ليلة الإثنين بعد العشاء ثامن شهر القعدة سنة ١٣٧٧هـ، بقلم مالكه الحفير علي بن حسين الحذينة وفقه الله تعالى).

٢- نسخة (ب): وهي أصح النسخ، وحطها حيد، ومراعى فيها الفوائد الإملائية، وسطورها منظمّة، وهي قطع صغير، وهي سليمة من الأخطاء والنقص، قال في آخرها ما لفظه: (وافق الفراغ من نساحه هذا الكتاب أجليل يوم الأحد: ٢٨/شهر رجب سنة ١٠٧٠هـ محروس شهارة، بقلم حسن بن محمد المهلا وفقه الله تعالى).

٣- نسخة (ت): هذه النسخة قطع صغير، والخط فيها متوسط، وفيها بعض النقص، وأخطاء، وفيها إصلاحات لبعض النقص والأخطاء، قال في آخرها: (تم نقل هذا الكتاب المبارك في شهر محرم سنة ٩٦٦هـ، بقلم الفقير إلى ربه محمد بن عبد الله بن إبراهيم - عفر الله له ولوالديه.. آمين، وذلك بهجرة شهارة المحمية بالله تعالى والصالحين من عباده).

٤- نسخة (ج): هذه النسخة من القطع الكبير، وهي في (٢٢٠) صفحة، خطها مستقيم، وفيها أخطاء، إلا أنها سليمة من النقص، مجهولة التاريخ والنسخ.

٥- نسخة (د): هذه النسخة من القطع المتوسط، والخط فيها مقري، غير مراعى فيه القواعد الإملائية، فيها بعض أخطاء، قال في آخرها ما لفظه: (تمت ساحة هذا السفر المبارك في شهر ربيع سنة ١٣٥٧هـ، وذلك حال هجرتنا بمسجد التوت بمدينة صعدة، بقلم أفقر الوري محمد حسن الحولاني وفقه الله).

٦- نسخة (ع): هذه الساحة قطع متوسط، عدد صفحاتها (٣٥٠) صفحة. خطها مقارب، وفيها أخطاء كثيرة، قال في آخر صفحة منها: (وكان تمام ساحة هذا الكتاب يوم الخميس وقت العصر، آخر يوم من شهر القعدة، سنة ١٣١٥هـ، بقلم أفقر عباد الله وأحوجهم إليه، الراجي عفوره ومغفرته السيد حامد بن صلاح الداعي البحيوي، وذلك بهجرة صحيان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

٧- نسخة (ل): النسخة في القطع لصغير، وقد أثرت الأرضة في قدر عشر ورق من آخرها، إلا أن في أول ورقة منها ما لفظه: (شرعنا في قراءة هذا الكتاب عند سيد القاضي العلامة عبد الله بن محمد العيزري حفظه الله وأبقاه).

٨- نسخة (م): هذه النسخة الخط فيها جيد ومنظم، ولكن فيها نقص وأخطاء، قال في آخرها ما نصه: (كان تمام نساجة هذا الكتاب في آخر شهر شعبان، أحد شهور سنة ١٣٠٠هـ، وذلك بمدينة صعدة

مسجد الذويد، بقلم الفقير إلى عفو ربه عبد الله بن محمد المساوي
الزبيدي والعدلي مذهباً واعتقاداً - وفقه الله لصالح الأعمال - بحق
محمد وآل محمد (عليهم السلام).

٩- نسخة (ص). هذه السححة من القطع الكبير، عدد
صفحاتها (٢٣٠) صفحة، والخط فيها صعيص جداً، وفيها أخطاء
ونقص، وقد جرى عليها بعض إصلاح لبعض الأخطاء، وفي
آخرها ما لفظه: (كان الفراغ من نقل هذا الكتاب المبارك الجليل
وقت الصبح في يوم الأحد، الثالث من شهر شوال، سنة
١٢٤٠ هـ، بقلم مالكة علي بن قاسم الثقيل، وذلك بهجرة
ضحيان)

١٠- سححة (س). هذه السححة من القطع الصغير عدد
صفحاتها (٤٠٠)، والخط فيها متوسط، وفيها بعض نقص،
وسليمة من كثرة الأخطاء، وقد جرى بعض إصلاح لبعض
النقص، قال في آخرها: (كان الفراغ من زبر هذا الكتاب في آخر
شهر الحجة من سنة ١٢٤٥ هـ، وذلك في المشهد بحوار الإمام
أحمد بن سليمان (عليه السلام)، وذلك حال قراءتنا ومحررتنا، بقلم
مالكة، أسير الدنوب، الراحى رحمة علام العيوب، علي بن
أحمد دهمش وفقه الله تعالى).

١١- سححة (ش): هذه السححة قطع ثلث، الخط فيها مقري،
وسليمة من النقص، وفيها بعض أخطاء، قال في آخرها ما لفظه:
(تم الكتاب بعون العزيز الوهاب، وله الحمد لا حصر، ثناء عليه

كما هو أثبت على نفسه . وذلك التمام بقدرة من له المن والإنعام ،
قُبيل الظهر ، يوم السبت ، ١٣ شهر شوال ، سنة ١٣٤٢ هـ ،
بالمسجد الأعلى بهجرة فنلة - حرسها الله بالصالحين - بقلم الحقيقير
إلى مولاه العلي ، عبد الله بن علي بن أحمد الشاذلي - ثبته الله وعفا
عه ، ووفقه وحشره في زمرة لني وآله مع الناحين يوم الدين -)

١٢ - نسخة (ي) . هذه النسخة قطع متوسط ، الخط فيها جيد ،
وسليمة من النقص والأخطاء . إلا أن في أولها نقص لثمان ورق
أو نحوها ، وليس فيها تأريخ سحتها ، ولا اسم كاتبها ، إلا أن في
آخر ورقة منها : (تم لنا قراءة هذا الكتاب النفيس ، على سيدنا
العلامة محمد بن أحمد البشير - حفظه الله وأبقاه - وحرر شهر
محرم ، سنة ١٣٦٠ هـ ، المؤير إلى ربه ، طالب العلم الشريف ،
محمد بن عبد الله بن سالم شيبان - وفقه الله -)

انتهى ما كتبه في تعريف النسخ لني اعتمدها في التصحيح والمقابلة ،
وهذه ترجمة للإمام أحمد بن سليمان (رحمته الله) كتبها وحاولت أن
أختصرها قدر الإمكان ، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله
الطاهرين .

وكتب

عبد الله بن حمود العزي

اليمس - صعدة

١٤٢٤/٢/٢ هـ الموافق ٢٠٠٣/٤/٤ م

المؤلف

سببه

هو الإمام المتوكل على الله ، أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام أجمعين

قوم بهم وبمحمد نوحوا النجاة مع الفلاح
وصلوا السيوف بحطوهم سبأذا المنع كالمباح
جبريل خادم جدهم أولاد (حي على الفلاح)

مولده ونشأته

ولد (عليه السلام) سنة ٥٠٠ هـ ، ونشأ في ظل أسرة علوية هاشمية كريمة ، تحب العلم ، وتشغف مكارم الأخلاق ، يقول المؤرخ الشهيد حميد المحلي ، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ : (وآبأؤه (عليه السلام) من الصفوة الأكارم ، والخيرة من الأعراب والأعاجم ، مناقهم شهيرة ، وفضائلهم كثيرة ،

ورياض فصلهم ممطرة الأرهبر، وفوائد علمهم حلوة الشمار، وما
عسى أن يقول فيهم المادح وإن أكثر، وقد أثنى عليهم المليك الأكبر،
ورسوله المصطفى الأطهر، غير أن لذكرهم في اللسان حلاوة، وعلى
الكلام بمدحهم طلاوة، والله القائل:

قوم إذا املوح الرجال على

أفواه من داق طعمهم عذبوا

أنوار الهداية إذا اعتكست دياحير ظلم لإشكال، وشموس الهدى
الكاشفة لخنادس الصلال، وما أحدرهم بقول من قال:

متى يستجر قوم بقل بمنزواتهم

هم ميتنا لهم رضى وهم عدل

هم جندوا أحكم كل مصلحة

من الحكم لا يلقى لأحكامهم فصل

وأمه (عليها السلام) الشريفة الفاضلة مبيكة بنت عبد الله بن القاسم بن
أحمد بن أبي الركات، واسمه سماعيل بن أحمد بن القاسم بن
محمد بن القاسم بن إبراهيم بن سماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وكان أبوه سليمان بن محمد من عماد الله الصالحين، بل كان يصلح
للإمامة، ويرجى منه القيام بصرة دين الخيف، فرأى في حال حمل
امراته بولده الإمام (عليه السلام) أن قثلاً يقول:

بشراك يا ابن الطهر من هاشم

بما جد دونه محمد

بأحمد المصور من مثله

بورك فمن اسمه أحمد

وأما جده المطهر بن علي بن الناصر عليهم السلام، فإنه كان عالماً
مصنفاً، له التصانيف في الشريعة على مذهب حده الهادي إلى
الحق (عليه السلام)، وخرّج على مذهب الهادي أشياء كثيرة، من جملتها: أن
الترتيب بين اليمين والرحلين في الوصوء لا يجب.

وكان شاعراً فصيحاً مما يروى له (عليه السلام):

لحاني في الهوى لاح مصوح

فغالب سقودي رأس جموح

فقلت له وفي الخليلين مني

خديوة حدها الدمع السروح

أنطمع أن تربع إلى تسو

وأن يسى النوى قلب حريح

بروحي من يرى روحي فأعجب

بروح كيف منه داب روح

سأركب كل هول أو أراني

أميع ولا أراني أستميع

ولا ألوي على وطن فتضحى

مفلته على خدي تلوح

فسح في الأرض واطلب المعالي

فكم من سيد فيها يسبح

فلولا أن فيمن ساح خيراً

يفوز به لما ساح المسيح

وتوفي (عليه السلام) بذي جيلة سنة خمسة عشر وأربعمائة^(١).

مشائحه وإحاراته

أما مشائحه فمنهم الإمام الحسن بن محمد من ولد المرتضى، والعلامة الفاضل العباس بن علي بن محمد، والحافظ إسحاق بن أحمد بن عبد الباقي، والقاضي عبدالله بن علي العنسي الواصل بكتب آل محمد سنة ٥٠١ هـ، وقد قرأ (عليه السلام) عندما سأله جماعة من العلماء أن يصحح لهم نقل الأخبار التي جمعها في (أصول الأحكام). (فأنا أذكر ما حصلني من ذلك، فأما كتاب (الأحكام) فأخذه من الشيخ الأجل إسحاق بن أحمد بن عبد الباقي مناوله وهو بخطه، وأما كتاب (المنتخب) فهو عدي لما كان بخرابة الإمام الباصر أحمد بن يحيى، وفيه خطوط المتقدمين من بني الهادي إلى الحق (عليه السلام)، وأخذت الشرحين (شرح التجريد) - خ - للإمام المؤيد بالله (عليه السلام)، و(تعليق القاضي زيد) من طريق الشريف الفاضل أبي محمد الحسن بن محمد من ولد المرتضى وكتبه وحطه بيده، ومن طريق القاضي العباس بن علي بن محمد بن العباس، قال: حدثه به والده علي بن محمد، قال: حدثه به عبدالله بن علي العنسي، ولقيت عبدالله بن علي العنسي، فسأته عن ذلك، فقال: سمعته علي بن محمد،

(١) الخدائق الرردية: ٢١٩-٢٢٠

وأحاز لي أيضاً، أما روايته عنه إجازة من غير سماع ولا مناولة ولكن إجازة، وكان وصل بكتب الشروح من الديلم، وذكر أنها له سماع ممن يثق به، وأحسب أن رواية الشريف الحسن بن محمد من طريق إبراهيم بن إسماعيل البصري، وأطللت على كتب من كتب العامة وهي كانت للناصر بن الهادي (عليه السلام)، مكتوب في كل كتاب بحزاة الناصر أحمد بن يحيى، منها كتاب أبي جعفر الطحاوي^(١)، وهو من أجل الكتب^(٢).

ابتداء دعوته

وقام بأعمال الإمامة ~~أحمد~~

(مسند سليمان بن عمار)

يقول المؤرخ المعاصر أحمد محمد الشامي في كتابه (تاريخ اليمن الفكري): (كان ابتداء دعوته - وهو في الواحد والثلاثين - في بلاد الجوف، ونرح منها إلى حل (برط) فبايعه بعض أهلها، ثم سار إلى (أملح) ثم إلى (الجران) في أول المحرم سنة ٥٣٢هـ فبايعه أهلها، وطل يدعو الناس إلى الرشاد وينهى عما كان قد ظهر من المباحث، ثم انتقل إلى (صعدة) وبعث رسله وعماله إلى بلاد وادعة وسنحان وخولان الشام، ثم إلى (صعاء) وأعمالها، واشتهر أمره، وذاع صيته، وكان من أقوى الأصوات التي أيدته مؤلف (شمس العلوم)

(١) يعني كتاب (شرح معاني الآثار) للطحاوي

(٢) طبقات الزيدية الكبرى - ١٣٢ - ١٣٤

الشيخ العلامة الشاعر نشوان بن سعيد الحميري ، وقد كان يخصصه
على النهوض من (صعدة) إلى البلاد الجنوبية التي يسمونها (اليمن) ،
وهي الأصقاع الجنوبية من صنعاء مثلما يسمون ما شاملها (الشام) وما
قاله نشوان في ذلك :

دع (برسماً) والمهاتي واقصد (اليمن)
فأفقر الناس من يابن الكرام سنى
فأت تصلح للرايات تعقدها
وللمواكب تحيي الدين والسنا
وللمنابر تثش فوقها خطاً
تعيي الليب الحبيب العالم الفطنا
ما كان جدك حراً فقلحاً
بل مرسل قدامى بالوحي مؤتمناً
ما زال في عمره مستفتحاً بلداً
أو قاسماً مغنماً ، أو مالكاً مدناً

وكم هي عجيبة بعض الصدف التاريخية التي يرتها القدر ، وكأنه
يوقعها لحناً سماوياً نغماته تسبي العقول ، وتهز المشاعر ، فقد قدر أن
تموت الملكة أروى بنت أحمد بن لصلحية في مدينتها (دي جبلة)
سنة ٥٣٢هـ وهي تاهز الثامنة ولثانين ، وانتهى بموتها ملك
آل الصليحي ، كما أن الداعي سبأ بن أبي السعود صاحب (عدن)
مات في نفس العام ، وتمزقت أصقاع اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً

وغرباً شدر مذر، وفذر لهذا الشاب التقى الشاعر حفيد الأئمة
والشعراء، أحمد بن سليمان أن يصغي إلى صوت الواح في ضميره
ووجدانه، وأن يستجيب لدعوة الحق التي تلهج بها ألسنة علماء
الريدية وفقهائها، وفي مقدمتهم العلامة القاضي نشوان بن سعيد
الخميري، فأعلن الدعوة لنفسه، وقد عاش بعد إعلانيها، ومبايعة أهل
الحل والعقد له إماماً، أربعة وثلاثين عاماً كلها جهاد وصراع وكفاح،
وعرق ودموع، وشعر وتآليف، ومناظرات ومحاورات، وصداقات
وخصومات، وأحيراً أسر وسجن، ثم غرلة وعمى! لم يختزن مالاً،
ولا نى قصراً، ولم يحلف غير كنه وأشعاره

صوت اليمن والإسلام

لقد كان صوت أحمد بن سليمان يمثل بحق (صوت اليمن) العربي
المسلم بين ضحيج شظايا (آل نجاح) وحشرجات الممالك والعبيد،
تحاصره وتطاردهم صرخات (بن مهدي) الجزار الغشوم في (ريد)،
وتمنعات وزمزمات آل (زريع) في (عدن) و(روامل) مشايخ (جب)
ترعب (ذمار) ومخاليقها، وأشعار وأراحيف (آل حاتم) تقلق (صنعاء)
وأعمالها، حتى حدود بلاد الأهنوم، حيث (أولاد القاسم العياني
وأحفاده) يتحطرون في عباد، ما بين (شهرة) و(الشرفين) و(مسور)،
ويتقارعون مع (آل أبي الحفظ) سلاطين (حجور) و(أحفاد الهادي) في
(صعدة) يتأبرون، و(الأشراف) في (المخلاف) يتشاجرون مع الجميع

وصوت هذا الشاب العالم الشاعر الزاهد الشجاع يدوي بين كل تلك (التشويشات) في صفاء ويقين وعزم وتصميم. لقد كان بحق (صوت اليمن) العربية المسلمة^(١).

ويقول شيخنا السيد العلامة الحجة محمد الدين بن محمد - أيده الله تعالى - مترجماً للإمام أحمد بن سيمان (عليه السلام) : (اجتمع لديه من سلالة الوصي ثلاثمائة رجل من أهل البسالة والعلم، ومن سائر العلماء ألف وأربعمائة رجل، منهم: القاضي العلامة إسحاق بن أحمد بن عبد الباغي، المتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة رضى الله عنه - واستعاض علي جميع اليمن، وحطت له بينه وبينه وحبر، وانفادت لأحكام ولايته الجبل والديلم، ودخل إلى جهات صعدة في قدر عشرين ألفاً من فارس وراجل).

ومن ملاحمه العظام التي هت به أركان الملحد الطغام، وقعة في اليمن انجلت عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير، وكانت حيلة في هذه الوقعة ألفاً وثمانمائة فرس، وقد كن أشرف أصحابه على الهلاك، فمد الإمام يده إلى السماء، وقال: (اللهم إله لم يبق إلا نصرك)، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفاً، فاستقبلت وجوه القوم، فحمل الإمام وحمل أصحابه، وانهزم أعداؤه، وقد أشار إلى هذه الوقعة الوصي (عليه السلام) وإلى الموضع الذي وقعت فيه^(٢).

(١) تاريخ اليمن العسكري ١٥٦-١٥٧

(٢) التحف شرح الرلف: ١٠٧

معاركه مع المتصدين

١. وقعة الشرزة

وهذه الواقعة التي أشار إليها شحبا . حفظه الله تعالى . هي وقعة (الشرزة) التي وقعت سنة ٥٥٢ هـ وقد فصلها المؤرخ الشهيد حميد المحلي . رحمه الله تعالى . قال : (ومن أيامه عليه السلام العرب المحجلة يوم الشرزة ، وذلك أنه عليه السلام جمع أبا وثمالة فارس من قبائل يعرب ، ومدحج ، وحب ، وعسر ، ورييد ، في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وبهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان ، وحب ، وسحان . في تسعمائة فارس كلها معدة ، وعشرة آلاف ، راحل فيها ثلاثة آلاف فارس . فممن يكن راحل الإمام عليه السلام إلا قليل ، فرتب عليه السلام عسكره . بالمينة والميسرة ، وكان في القلب ومن معه من الأشراف والشيعة ، فتبارر الناس ، وقاتل عليه السلام قتالا شديدا وصار يقصده جماعة من الشجعان لأنه بغيتهم ، فقال عليه السلام عند ذلك . (اللهم إنه لم يبق إلا نصرتي) ، وقال في نفسه : إن ظفر القوم اليوم با ظهر مذهب الباطنية ورتفع في جميع البلاد وهدم الإسلام والمسلمون . فعند ذلك أرسل الله تعالى ريحا عاصفا من الشرق ، فصابت وحوه أعدائه فاستشر لإمام عليه السلام وقال : إنها ريحهم فاحملوا ثم حمل من بهجه ، فاهزم القوم ، فأعطى الله النصر ومنح القوم أكتافهم . فلم يرل لطرده فيهم واقتل الذريع حتى انحلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير وقريب من ذلك ، ولم تزل الهزيمة في همدان إلى صغاء . ثم انهزموا من صنعاء

وتغلقوا الحصون، وعاد الإمام (عليه السلام) بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين، ثم تقدم الإمام (عليه السلام) إلى نحو صنعاء، وقد كان آمن أهلها فحط بالقرب منها، ولم يدخل بالمسكر خوفاً من معرفتهم بأهل المدسة، ثم أمر بخراب درب غمدان الذي عمره حاتم بن أحمد، وكانت فيه عناية أكيدة جداً فعفيت آثاره، وبعد هذه الواقعة خضعت له (عليه السلام) الملوك الأكابر، ودلت له غيوث القساور، وأقام (عليه السلام) في ناحية بيت بوس، حتى بدلت فيه الأموال الجلييلة من حاتم بن أحمد إلى مائة ألف من محمد بن ساء صاحب عدن سوى الأطنان وغيرها، فسلم الله من مكرهم...^(١)

وقد سجل الشاعر القاضي محمد بن عبدالله الحميري - رحمه الله - أحداث هذه المعركة في أبيات أرى من الضرورة إيرادها لما لها من أهمية في وصف المعركة، إضافة إلى هذا كونها من شاعر شارك فيها برمح وسيفه:

بهني بك الأعياد إذ أنت عبدها	وإذ أنت منها بدرها وسعودها
سقت إلى غايات كل فصيلة	بعلياء نديها لنا وتعيدها
أقمت مار الدين يا ابن محمد	وصرت كمثل الشمس بار عمودها
فأشرقت الأفاق منك بعرة	كثير لرب العالمين سجودها
ألست الذي أحييت دين محمد	وأسيافه مذكّل منها جديدها
ألست الذي ذكرتنا وقعاته	وبيض الليالي قد محتها وسودها
بجران والغيل الشهير وصعدة	وصنعاء والجوفين باقي شهودها

(١) الخدائق الوردية: ٢/ ٢٤٠-٢٤١

ويوم نهضنا من دمار بجلنا
كنايب من جنب بن سعد ومنح
يهزون أطراف الوشيح كأنما
فلما وصلنا نجد شيعان أقلت
وظنوا ظوناً في الحلاء كنهم
ولما أطل الموت واشتحر القبا
ركزت لهم صدر القاة كأنما
وقلت لمر النفس صراً فهذه
فإن لم يكن نصر ولا شهادة
وواساك من أهل الديانة عصابة
فليت قوراً بالمدينة بليز
صعقنا عليهم صعقة مدحجية
فيا للأكام السود لولا صعودها
فحمر منين حُرّ مها وريدها
وطاروا إلى روس الحال شلائلاً
وسرنا لغمدان المنيق فأصحت
وأضحى ابن عمراو المتوج حاتم
وأنت بنفس لا يرال نفسه
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له
إذا طلبت همدان منك إقالة
فعد لهم بالصفح منك وبالرصي

وزيد بن عمرو يوم ذاك عبيدها
تعاذي بهم خيل خفاف لبودها
عليها سيوف فارقتها غمودها
عليها الأعادي كهلهما ووليدها
أليس عن الأخياس تحمي أسودها
ودارت رحاها واشتت وقودها
حال ثير ثم أرسا ركودها
حياض الردى حقاً وأنى ورودها
تكون خلاصاً لي فتلك أريدها
كثير إذا شئت قليل عديدها
عليها فعلت من بعد حين جنودها
فكادت لها تلك الجال ثميدها
لقد كادت الأبطال جمعاً تييدها
وحمر منين ثقلتها قيودها
من الخوف فيها حافقات كودها
دوائبه في السرب ثاوي مشيدها
يصول ألا عفواً فليست أعودها
إلى كل مجذر أو طعان يقودها
سوابق مجذر ليس يحصى عديدها
وسحان يوماً واستقام أويدها
فلن يبلغ العايات إلا عبيدها

وحاشاك أن تنسى الواثق منهم
أتعلم أن الحق قام بنصره
وتعلم قحطان وهمدان إن عصت
فقد جمعها يا ابن النسي إلى الهدى
فما اجتمعت حبل الطعان بشهد
ولا اعتركت حبل وخيل طعائن
ولا اجتمعت يوماً نزار ويعرب
وليك للمصور من آل هاشم
وكل أناس أعرصوا عنك وامثروا
فدمت مدى الدنيا لأمة أحمل

وما فعلته في القيود جدودها
إلى الآن قحطان ابن هود وهودها
مقالك إن الله وهناً يزيدها
فليس بقود القوم إلا رشيدها
تكون به إلا وأنت وحيدها
بحر القنا إلا وأن تحيدها
مجمع إلا وأنت تسودها
وما بعدها من غاية تستزيدها
فما هم من الإسلام إلا يهودها
شهد لها أركانها وتشيدها^(١)

٢. معركة غيل حلاحل

ومن معاركه المشهورة معركة (غيل جلاجل) وكانت بينه وبين جماعة من (وادعة الحائق) ادين تطهروا مذهب الباطنية، واستحدثوا المنكرات، يقول المؤرخ زبارة: (في رجب سنة ٥٤٩هـ تسع وأربعين وخمسمائة، كانت وقعة (غيل حلاحل) بالخائق من بلاد (وادعة) الشام، وكان قد تظاهر منهم ومن (يام) بمذهب الباطنية، وأحيوا بعدة ليلة الإفاضة التي يجتمع فيها الرجال والنساء معهم، ويفضي بعضهم إلى بعض بعد إطفاء مصابيحهم، وربما وقع الرجل منهم على ابنته أو أخته أو أمه، ولم يلع الإمام ذلك غضب، وسار إلى بلاد الشام

(١) الحدائق الوردية: ٢/٢٤١-٢٤٣

من جهات صعدة، فوصل إلى بلاد (بني شريف) و(سنحان الشام) ودعاهم إلى جهاد أهل (وادعة) و(يام) ثم أقبلت إليه قبائل (نهد) و(جنب) و(خثعم)، وقصد بهم وادعة و (يام)، ووقع القتال الشديد، والمعارك العظيمة التي مجلت بانهزام (الباطنية) وفرار من نجها منهم إلى نجران، وقال الإمام في ذلك قصيدته التي منها:

الله أكبر أي نصر عاجل	من ذي الجلال نفتح «غيل جلاجل»
كم مئة منه علي وعمه	وسعادة تترى، وفضل فاضل
كفرت به (يام) و(وادعة) معاً	وتجبروا، وتمسكوا بالباطل
وأثروا من العحشاء كل كبيرة	معللاً وقولاً، فوق قول القاتل
دانوا بدين الباطنية وهو سي	يرى المجوس وفوق جهل الجاهل

ومها:

إني لحرب (الباطنية) قائم	وأنا لهم صمدٌ ولست بغافل
كم قد طمرت بهم فلم أظلم، وكم	جاشت بحرب الكافرين مراحلي
إني دمار الفاسقين ودمارهم	للطالين كمثل سم قاتل
وعلى يدي هلاكهم، ودمارهم	آتي عليهم بالقضاء النازل
يرجون أن حصونهم تنجهم	وحصونهم لهم ككفة حائل
ولسوف أنصهم بعون إلها	حقاً، وأحقهم وراء السباحل
يا قوم فاعتبروا بذلك وأشروا	فلقد طفرتم بالإمام العادل
ما بعدهما عسايتموه شبيهة	لمميز في أمره أو عاقل

٢. معركة زبيد

ومن معاركه الحاسمة معركة وقعت يوم قصد زبيد سنة ٥٥٢ هـ يقول المؤرخ الشهيد حميد المحلي - رحمه الله تعالى - المتوفى سنة ٦٥٢ هـ بمثل عنها: ومن أيامه المحجلة الحسان يوم قصد زبيد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، فلما وصلها (عليه السلام) أقام فيها ثمانية أيام، وكان أميرها يومئذ فاتك بن محمد بن جياش، وكان فاسقاً خبيثاً يغلب عليه الخنا والفساد في نفسه، حتى روي أنه كان له بريمان في بطنه كالمرأة، فعني الإمام (عليه السلام) في هلاكه بعد بذل مال جليل في سلامته فأقسم بالله لو أعطى ملك يريد كله ما أفداه، وذلك أنه قلبه حداً، قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» فراوده أصحابه على أحد ابائهم، وقالوا إنه لبیت المال، فقال: قد برهت نفسي عن الطمع عند أهل زبيد، وقد كنت قلت لهم: إني لا أسألكم عليه شيئاً وتلوت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَنْتُمْ فَرَحِلْتُمْ إِنِّي أَخَافُ الْإِلَهَ﴾ [١٧]، ثم بهض بهم، وكان القواد يعطون العساكر كفايتهم، فقال الإمام: أما أنا فلا أقبض منكم شيئاً كفاية ولا غيرها، وكان معه ومع أصحابه زاد، فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشترى له الطعام ويأمر من يطبخه، وكانت حاشيته مقدار ستين رجلاً وولى على زبيد والياً من جهته، وعاد مسلماً منصوراً قد أرضى الله سبحانه عز وعلا، ولم يزل (عليه السلام) في جهاد بعد جهاد وجلاد عقيق جلاد، حتى أشمخ الحق قباباً، ومد له أطياباً.

شَيدَ للإسلام في الأرضِ العربَ بيّناً، وأَعنى له أركاناً، وكانت كثير من وقعاته على الباطنية المُلحدة أقماهم الله تعالى حتى دمرهم تدميراً، وأنزل بهم ويلاً وثبورا، بعد أن كانت قد تسعرت نارهم، وسطع شرارهم، فطمس الله بحميد سيعه (عليه السلام) ربوعهم، وفرّق جموعهم، وكانوا بين قتيل وطريد تصديقاً لقول النبي (ﷺ): «إِنْ عَدَّ كُلُّ بَدْعَةٍ تَكُونُ مِنْ بَعْدِي يَكَادُ بِهَا الْإِيمَانُ وَلِيًّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، مُوَكَّلًا بِعَلْنِ الْحَقِّ وَيُنُورُهُ، وَيُرَدُّ كَيْدُ الْكَائِنِينَ»

فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله^(١).

من أوائل الداعين إلى وحدة السن شمالاً وحنوباً

وقد سعى الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) بكل ما أوتي من قوة إلى توحيد اليمن شمالاً وحنوباً، ودعى إلى القضاء على الدويلات والمشيوخ التي فصلت أحراء الوطن اليمني، يقول المؤرخ المعاصر أحمد الشامي: (وكان يريد أن يوحد اليمن ويقضي على الدويلات الطفيلية والمشيخات الجائرة، والسططات الطائفية، ولكن صرامته فيما يعتقده حقاً وصواباً وواحداً دينياً، قد حرّمت عليه البلاعب السياسي، والمبررات الماكرة، التي ربي تمكن به من الوصول إلى تحقيق ما يريد به ويهواه، لو كان ما يريد به ويهواه الحياء والسلطان وحطام الدنيا من مال وحصول، فقد أبسى أن يولّي سلاطين الجور على بلدانهم،

(١) الحقائق الوردية. ٢/٢٤٣-٢٤٤

ليضمن طاعتهم وحضوعهم له، وبذل الأتاوات والخراج، وكان يتشدد في إجبارهم عن التخلي، أو تنفيذ الحدود الشرعية فيهم إذا قارفوا إثماً، أو انتهكوا حرمة ديبة كما صنع مع (هاتك) الزبيدي، وبعض السلاطين الأشراف

ولما أراد في سنة ٥٤٧ أن يزحف على (عدن) بقبائل (جنب) و(مدحج) وغيرهما بهدف توحيد اليمس شمالاً وجنوباً تآزر السلطانان في (صعاء) و(عدن) من (آل حاتم) و(بني زريع)، صد الإمام، وبذلا أموالاً واسعة لتلك القبائل، وحذلاً عن ماصرة الإمام، وفشلت خطبه كما فشل بعده الملك عبدالنبي بن مهدي، عندما حاول القضاء على (بني زريع) في عدن عام ٥٦٨، وقد ألتحدوا بالسلطان علي بن حاتم وشببت بين الجميع حروب دمية مدمرة طاحنة سبق أن أشربا إليها وقلنا إنها مهدت السيل للسلطان ابن أيوب (توران شاه) وسهلت له الاستيلاء على معظم اليمس في وقت قصير^(١)

داعية عدالة اجتماعية

ويقول المؤرخ الشامي متحدثاً عن عدالة الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) الاجتماعية:

(ولقد كان الإمام أحمد بن سليمان من دعاة بث العدالة الاجتماعية وشرها، ومحاربة الإثراء المباحش لقائم على الاحتكار واستغلال

(١) تاريخ اليمس الفكري، ١/ ٤٦٦-٤٦٧

الجاه والمصب، وإقامة مجتمع إسلامي فاضل تسوده المساواة وحرية التفكير والتعبير في إطار مكارم الأخلاق، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيه العلماء وأهل الحل والعقد، وكان يكلف العلماء والمفكرين بوعظ الناس وإرشادهم، ومناظرة وحوار من يمحرون عما يراه صواباً، وكان من أكابر من يعتمد عليه في ذلك القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام وماتراته مع علماء المطرقة توحيه من الإمام مشهورة، وكذلك مع علماء الأشعرية، ولكنه كان شديد الوطأة على (الباطنية) والفجار والفساق، لا يحابي في ذلك ولا يجامل، وكان أحياناً ينكمش في محرنه على ضفاف (الخارد) ويشغل بالزراعة، ولما ظهر الفساد في صعدة ولم يتمكن الأشراف أبو الهادي من إقامة الشريعة وتنفيذ أحكامها، وطلبوا منه الهوض إلى صعدة أحابهم، وبعد أن أدى رسالته عاد إلى الخوف، ولم تحصلت بينه وبين السلطان حاتم المراسله وحبها إلى المصالحة ولتقيا في بيت (الحالد) كانت شروط الإمام عليه هي منع الحطة لسطية في صنعاء، وإظهار مذهب الهادي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعاد السلطان حاتم إلى (صنعاء) والإمام إلى (لجوف) سعيداً راضياً بأن (حاتم) قد نفذ الكثير مما تعاقدوا عليه، والتفت إلى محاربة القرامطة والباطنية في (وادعة) وغيرها^(١).

(١) تاريخ اليمن المكري، ٤٦٦

شعره عليه السلام

وأما الشعر والأدب فله فيه الباع الطويل ، والبيان الجزيل ،
وقد اقتطفت من شعره قصيدتين أحدهما قالها قبل بلوغه ،
وفيها طلب من الله تعالى أن يرزقه اليقين والتقوى وإكمال الفروض ،
وهي :

إذا أعطيت نفس الفتنى قوتها الذي
حاجها به رب العباد اطمأنت
وماتت ولم تغله إن كان عاقلاً
وعادت إلى التقوى وصامت وصلّت
وإن هي لم تعط الذي حيت ثم
من الرزق أمنت في الهموم وطلّت
وكان قصارى أمرها أن ترتعها
إلى جهلها قسراً ، وخابت وصلّت
وما تعبت نفس وهات وانصبت
وذلت لرب الناس إلا وعزّت
فيا رب فالرزقي اليقين فإنه
وتقواك رأس الدين ، واجعله عدتي
وأخر معاتي رب ، حتى تميتني
وقد كملت مني الفروض وتمت

وأما الأخرى فقالها وهو مقيم في بلاد (جنب) وقد حقق الله
له آماله ، واستجاب دعائه ، وهي زهدية رائعة ، اشتملت

على معانٍ عظيمة ودلالات قديمة:

دعيني أطفئ عرثي ما بدا ليا
وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكيا
لعل البكا يشفي من الوجد بعضه
إنما لم يكن للكل من ذلك شافيا
وأشفي غليلاً في فؤادي بالبكا !
وإن قال جهال من الناس ما ليا؟!
وليس عجيباً إن بكيت ولو دماً
وانهيب دمعني من بكاي المأقيا
وقدماً بكى قلبي رجاءاً تذكروا
رسوماً عمت عن أهلها، ومغايا
وقد مات (همكاً) كوعظ إمامه
وصادف قلباً للمواعظ واعيا
فلم لا إذا أبكى على ما جنت يدي
من الذنب لما أن تحققت داليا!
فهل من مداو للذنوب من الملا؟
فلم ألق للذنب العظيم مداوياً؟!
وهل لقروح في فؤادي مرهم
تداوي غليلاً كامناً في فؤاديا
وليس للذني من دواء سوى البكا
وتوبة ذي صدق، وعفو إليها

هينئني نسيبت الموت والبحث فينة
وما كان من علم الغيوب وراثيا
ألم أعتبر نفسيء ونقصان قوتيء
ولم ألك للموت المشاهد ناسيا؟
وكنيت امرءاً ذا قوة في شيتي
فأصيح محضر الشبية ذاوريا!
وبدلت نقصاناً بدا في جوارحي
وحاء نذير الشيب للنفس داعيا
فيا عجيباً من غافل غير عاقل
يحجّد من دنياه ما صار باليا!
وبعمر ما قد حارب الدهر قلبه
يحجّد تسويماً له وأمانيا
ومن هرم يرناد ضعفاً وقلة
وآماله يرمي بهنّ المراميا



رأيت (معين) الملك قد صار خاليا
فأورثني سقماً، وأوهى عظاميا
و(بينون) و(اليضاء) بادت وهكنا
(برافشها) والفصر قد كان عاليا
و(غملان) و(السوءاء) و(البون) عطّلت
منارلها، والكل قد صار خاليا

وفي (هرم) ما يهرم الطفل ذكره ..
 وفي (كما) ما كان للناس ناديا
 و(صروح) أو(روثان) للناس عبرة
 أباد الردى أسفاله والأعالي
 وفي كسل أرض مثلهن مآثر
 تزهد في الدنيا، وتنفي الدواعي
 فيا رب قبل كان فيهن مترف
 وذئ غثوة قد كان في الناس ساميا
 مضى ومضت أمواله ورجاله
 وقد كان موجوداً فأصبح حالياً،
 فكيف بطيب العيش للمرء بعدهم
 ويصبح هو الدهر للمرء صافياً؟



فيا أيها المعرور أقصر عن الهوى
 وأقبل إلى التقوى، ولا تك لاهياً
 وكن جاهداً في طاعة الله ربنا
 تفز بالذي تهوى، ولا تك عاصياً
 كفى بالبلاء والموت للناس زاجراً
 وبالشيب عن فعل المطالم ناهياً
 فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة
 ومن كان مهدياً، ومن كان هادياً

ولولا الترجي للشهادة والهدى
 وأضحى إلى الرحمن والدين داعياً
 وأعزاز دين الله بعد خموله
 لأشنع غرثاناً، وأكسو عرياً،
 وأنصر مظلوماً، وأقمع ظالماً
 وأنقذ مذهباً، وأفني معادياً،
 لما كنت بين الناس أنظر فعلهم
 وما كنت للجهال يوماً مدانياً
 وأغدو لمن عادى الإله معادياً،
 وأضحى لمن والى الإله موالياً،
 لما سرت إلا في طريق (أبى أدهم)
 وكنت (العمر بن العياد) مواسياً
 وكابن (جثيم) و(الحيد) أخي التقى
 فما كان منهم واحداً متوانياً
 ويئت أَرْضاً لا أرى الناس عندها
 وكنت لأصناف الوحوش مواخياً
 وقلت لأولادي وأهلي وأخوتي
 وأهل ودادي اليوم أن لا تلاقوا^(١)

(١) تاريخ اليمن الفكري: ٤٧٠-٤٧١

مؤلفاته

وأما مؤلفاته فهي كثيرة، ومنها:

١ - (كتاب أصول الأحكام في الحلال والحرام)، وعليه يعتمد أهل المذهب الشريف في أحاديث التحليل والتحريم بلا نزاع منهم، من زمانه (عليه السلام) إلى وقتنا، لتقدمه وشهرته، واستيفائه بحججنا وحجج المخالفين والرد عليهم، وحملة أحاديثه ثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنا عشر حديثاً، هكذا وصفه السيد العلامة الكبير صارم الدين الوزير في كتابه (الفلك الدوار). تحت الطبع . بتحقيقنا.

٢ (حقائق المعرفة) - أصول دين - مخطوط، مه سع سع في المكتبة الغرسة من (٤٧-٥٠) ورقم (١٢٤، ١٥٦)، وأخرى في (٣١٢) صفحة بمكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة، وهو الذي بين يديك الكريمتين.

٣ - (الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية). منه مخطوط سنة ١٠٥٤ هـ ضمن مجموعة ٨١ من ورقة ١٢٨ إلى ١٣٢ مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير، أخرى ضمن مجموع بمكتبة المولى الحجة محمد الدين المؤيدي

٤ - (الرسالة الصادقة في تبين ارتداد الفرقة المارقة) [أمة اليمن: ١٩٦].

٥ - (الرسالة العامة) [التحفة شرح الزلف: ١١٠١].

٦ - (الزاهر في أصول الفقه). مه نسخة ضمن مجموع بمكتبة الأسروزيانا رقم (g٤٧).

٧- (المدخل في أصول الفقه) (أئمة اليمن : ١٩٦).

٨- (المطاعن) (التحفة : ١١٠٠).

٩- (منهاج اليقين) منه نسخة خطية مصورة مع كتاب (الحكمة الدرية) في مكتبة السيد محمد عد العظيم لهادي، خطت سنة ١٣٥٤هـ.

١٠- (الهاشمة لأنف الطلال من مذاهب المطرفية الجهال) (أئمة اليمن : ١٩٦).

١١- (كتاب العمدة شرح الرسالة الهاشمة) (التحفة : ١١٠٠).

١٢- (ديوان شعر الإمام المتوكل أحمد بن سليمان). منه نذة ضمن مجموع مكتبة الجامع (الكتب المصادرة) برقم (٦١) (مصادر الحشي : ٥٣٦).

١٣ (قصيدته إلى شوان الحميري) - خ - ضمن مجموعة رقم (٣٧) الجامع (كتب مصادرة) أخرى ضمن مجموعة رقم (١١٧) بمكتبة الأميروريانا، أخرى باسم القصيدة العائقة والمطومة الرائقة، بمكتبة السيد سراج الدين عدلان ضمن مجموع - خ - سنة ١٣٢٠هـ.

وأما كتاب (الحكمة الدرية) فلم نذكره في مؤلفاته ؛ لأن شيخنا السيد الحجة مجد الدين المويدي حفظه الله قد شكك فيه ، حيث قال : (ولا وثوق بما في الحكمة الدرية ، فقد ثبت أنه قد دس فيها كثير على الإمام ، ولهذا لم نعدا في مؤلفاته) ، قلت : ولا يعني هذا التشكيك في جميعها إنما في أجزاء منها

وفاته

وبعد حياة حافلة بالعطاء، مليئة بالتضحية، توفي (رحمته الله) سنة ٥٦٦هـ، عن ست وستين سنة من مولده، وعن أربعة وثلاثين سنة من دعوته، وقبره في مديرية حيدان من نواحي محافظة صنعاء باليمن مشهور مزور، عليه سلام الله ورحمته وبركاته

مصادر ترجمته

- أعلام المؤلفين الزيدية: ١١٤-١١٦.
- تاريخ اليمن الفكري: ٤٥٦/١.
- الحقائق الوردية: ٢٤٠/٢.
- طبقات الزيدية: ١٣١/١-١٣٣.
- التحفة العنبرية - ج -
- اللآلئ المضيئة - ج - : ٢٧٠/٢-٢٢٣.
- مآثر الأبرار - ج -
- الأعلام: ١٣٢/١.
- مصادر الحبشي: ٥٣٤-٥٣٦.
- سيرة المتوكل أحمد بن سليمان / تأليف سليمان الثعني، ذكره زيارة في أئمة اليمن: ٩٤.
- الترجمان - ج -
- غاية الأمانى: ٢٩٥-٣١٨.
- تكملة الإفادة - ج -
- بلوغ المرام: ٢٥.

- الجامع الوجيز - خ -
- فرجة الهموم والحرن : ١٧٨.
- أئمة اليمن : ٩٥/١ - ١٠٨.
- إتحاف المهتدين : ٥٦.
- المقتطف من تاريخ اليمن : ١١٤-١١٥.
- التحف شرح الزلف : ٩٩-١٠٣.
- معجم المؤلفين : ١/٢٣٩.
- رجال الأزهار : ٤.
- المصباح المكنون : ١/٩١.
- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي : ١/٤٥٤-٤٧٣ ، ٥١١.
- الجواهر المضيئة . خ : ١٠.
- جاية الأكوع على ذخائر الهدائي : ٦٢.
- مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال : ٢٤٣.
- التراث العربي في مكتبة آية الله مرعشي : ٣/٤٢١.
- الشافي : ١/٢٤٢ ، الأنوار السالفة . خ -
- شرح الدامغة . خ -
- حكام اليمن المؤلفون : ٧٥-٧٩.
- الزيدية لمحمود صبحي : ٧٤٨.
- الموسوعة اليمنية : ١/٥٣.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی



النص



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين^(١)

الحمد لله الأول بلا غاية، الآخر بلا نهاية^(٢)، الذي لا تحويه
الأمكنة، ولا تضمنه الأزمنة، الذي دلّ على نفسه بما أظهر من
عجيب صنعه^(٣)، المنزه عن مشابهة خليقته، الذي ابتدأنا بالكرم

(١) في (ب) وبالله أستعين.

(٢) قال الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (رحمه الله)
في تحقيق أحمد ما لعظه الحمد هو الثناء بحسب الوصف الجميل على العصائل، وهي
العصاة الحميدة، والعواصل وهي النعم المبدقة كل ذلك مما يكون بالاختيار، كفضيله
العدم، والسحاء، والشجاعة، ومواصي العطاء، والإحسان، ولا يكون على غير الاختيار،
مثل حسن الوجه، وتمام الشكر، وبهاء الحجب، والمدح يكون على كل من الأوصاف
الاختيارية وغير الاختيارية، وكل نعم مدح، ولا عكس، ولا يرد على هذا ما أورده بعض
متأخري المفسرين من أنه يلزم ألا يصح إطلاق (الحمد لله) على صفاته الذاتية، لأنما لمترم
ذلك؛ ونقول: المدح لله تعالى بصفاته، ولا نقول: إنه يُحمد عليها بمقتضى اللغة العربية؛
كما أنا نقول: إنه يُحمد سبحانه على عواصل والعصائل الاختيارية، والمدح على
الاختيارية وغير الاختيارية، ولا يصح أن يُطلق الشكر له تعالى عليها؛ لأن الشكر يختص
بالعواصل، ولا يكون إلا عليها، وهي النعم المبتدأة إلى غير؛ وهي أحسن من الحمد والمدح
من جهة السبب، وإن كان أعمّ منهما من جهة المورد؛ لأنه يكون باللسان، والجنان،
والأركان، والحمد، والمدح لا يكونان إلا باللسان، فبينه وبينهما عموم وخصوص من
وجه، وهما فيما بينهما عموم وخصوص من كل وجه؛ لأن المدح أعم من الحمد في كل
وجه، والمدح والحمد أخوان من حيث كان كل حمم مدحا، وإن لم يكن كل مدح
حمدا انتهى.

وقال الإمام الشريفي في شرحه على الأساس: أعلم أن الحمد هو الثناء الحسن والوصف
الجميل، على العواصل والعصائل وقيل على العصائل الاختيارية، لا نحو: تمام الشكل
وحسن الوجه ولا يكون إلا قولاً باللسان، ولشكر لا يكون إلا على العواصل والعصائل
وهي النعم، ويكون بالجنان، واللسان والأركان انتهى.

(٣) في (ش): صمته.

والحدود، وأخرجنا من العدم إلى نوحود، وتمصل عليا بالعقول،
وأكد حجته عليا بالكتاب والرسول. ﴿لَعَلَّأَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِقَدَرِ
الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [آب، ١٦٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، وأن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب أخو رسول الله ووصيه، وحليته في أمته ووليّه، وأن
الحسن والحسين إمامان عادلان مفترضة طاعتُهُما، وواجبة على الأمة
نصرتهما^(١)، وأن الإمامة في دريتهما محصورة، وعلى غيرهم محطورة،
من سار منهم بسيرتهما واحتذا بمحدوهِما.

أما بعد ..

فإنه لما دُرِسَ الإسلام، وعُطِّلَت الأحكام، وعاض العلم لعدم
أهله^(٢)، وأدعاه من لا يعرفه بمهله، رأيتُ أن أُشرِّ^(٣) هذا الكتاب،
وأبين فيه الحق والصواب، وأذكر طرفاً من علم الكلام في الأصول
والمروع، والمعقول والمسموع، ليتعم به من يقف عليه، ويرجع من
شدَّ من الحق إليه؛ طالباً بذلك الثوب من الله، ومتعرضاً لرضاء الله
وقد اعتمدتُ في هذا الكتاب على الاختصار وعدلت عن الإطالة
والإكثار، وأما أسأل الله العصمة من الزلل، والإصابة للحق في
القول والعمل

(١) في (ش، ح): واجبة على الأمة نصرتهم

(٢) قوله: وعاض العلم، أي قل وعص قل في الصحاح غاص الماء بغير عيصاء أي: قل
ومض تحت

(٣) في (ص، ل، ش، ع): أن أنشي.

(ذكر تفاصيل المعارف وتسميتها)

المعارف ثلاثة عشر^(١) معرفة:

طريق الطر ووحوبه.

ومعرفة الصع.

ومعرفة الصانع.

ومعرفة التوحيد

ومعرفة العدل.

ومعرفة النعمة.

ومعرفة شكر المنعم.

ومعرفة البلاء.

ومعرفة الجزاء.

ومعرفة الكتاب.

ومعرفة الرسول.

ومعرفة الإمام.

ومعرفة الاختلاف.

(١) بي (ث)، ثلاث عشرة



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١) باب معرفة النظر

اعلم أيها السامع أن المكلف قد أُعطي آله يبلغ بها - إذا استعملها - ما يصلح ديه ودياء. أولها - وهو أشرفها وأكملها - العقل الذكي، ومنها - الخواص الخمس - ومنها - لسان المترحم لما يفهمه المستمع، ومنها - اعتدال الحلقة في بنية مخصوصة، ومنها - الحياة والروح، وغير ذلك من الآلة المركبة في المكلف لصالح ديه ودياء.

فصل

في الكلام في العقل

وإنما بدأنا بذكر العقل ، لأنه أكر الآلات وبه تعرف المعارف كلها، وجميع المعلومات وإنما سمي العمل عقلاً ، لأنه يعقل صاحبه عن المكرات ، وأصل العقل : لعلم ، وهو عَرَضٌ ومحَلُّ القلب. أجمع الموحَّد والملحدُ على أن العقل هو لعلم ، وأنه عرضٌ ؛ إلا فرقة من الريدية من أهل زماننا وهم أصحاب مطرّف بن شهاب^(١) ، فإبهم قالوا : (العقل)^(٢) هو القلب ، واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ فِيهِ

(١) إليه نسب الطرية ، والطرية فرقة من فرق الزيدية المنصلة عنها. نشأت في القرون الرابع البحري ، وتقرّصت في القرون السادس وكسب نحو في كثير من أقوالها منحنى الطيانية وقد ورد التعريف بهم ، وذكر بعض أقوالهم وتعبدها في شرحي (الأساس) للإمام أحمد بن محمد الشري رحمه الله تعالى

(٢) ساقط في (ص ، ع ، م ، ش)

قَلْبَكَ لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ ،
 وَنَسُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَنْظُرُونَ بِهَا
 أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْقِلُ الْأَصْوَارَ وَلَكِنْ نَقَّصْنَاهَا لِقُلُوبٍ أَلَيْسَ فِي
 الْعُثُورِ﴾ [ص ١٦] ، وقد فُسر الهادي إلى الحق (عليه السلام) ^(١) قول الله تعالى :
 ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ، قال : لمن كان له قلب يعقل به ، ولو كان العقل
 هو القلب ^(٢) ، لَمَا حُيِدَ العاقلُ عليه ، ولا دُمَّ بنقصانه ، ولا كان يزول
 عند النوم وشبهه ، إذ ليس كل من له قلب بعاقل ؛ كالطفل والمجنون
 والبهيمة ؛ وكل من له عقل فله قلب.

وقالت الفلاسفة . محل العقل الدماغ ، ودليلهم أنه عند فساد الدماغ

(١) هو الامام الهادي ، إلى الحق الميرزا الميرزا محمد بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن
 اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن
 أبي طالب (عليه السلام) ولد (عليه السلام) بالرس قرب المدينة المنورة سنة (٢٤٥هـ) بشا في بنت معروف
 باعظم والعمل والطهارة والزهو والورع ونفقت وأتته والعبادة

طلب العلم في صغره حتى صار ممررا في جميع العلوم ، حافلا بمطوفها والمفهوم ، صاحب
 المذهب الشريف ، وأصب المذهب والشريعة التي ظهرت في الآفاق ، وتحدثت بها الرفاق
 في مواطن الاتفاق ، وهو صاحب لتصانيف عاتقة ، والأشعار المصيبة الرائقة ، مفق اليقين
 من الضلال ، ومزلزل أركان البطل والجهل استدعاء أهل الحق لما اشتد بهم الظلم والجور ،
 فخرج من الرس إلى اليمن بآداء مهجته في رضاء رب يعلمي ، شاهرا سيمه على أهل الظلم
 وأهل الباطل والعباد ، وعاصده على أمره بعلماء الأنبياء من أهل مدنه وكانت اليمن في
 أشد الظلمات من تسلط الظلمه من جهة ، وشار مذهب الخيرية من جهة ثانية ، ومن جهة
 ثالثة وهي الطامة الكبرى ، وهي انتشار مذهب القرامطة بقيادة عبي بن العضل وأتباعه لعنهم
 الله تعالى ، فجاهد في سبيل الله وعلاء كلمة الله ، وبشر العدل والتوحيد في ربوع اليمن
 وأزال الظلم والجور ، وأصاحي والمجور وسبغ الأمن والأمان ، وقوى قواعد الإيمان ، ولا
 ان مجاهدا محتسبا ، وهو في علم وعمل ، مع زهد وورع ومن وعده وعمة وطهارة عن كل
 شهة في أمور دينة وديناء حتى توفي (عليه السلام) في شهر الحجة سنة ٢٩٨هـ وقره بمسجده بمدينة
 صنعاء مشهور مرور

(٢) في (ع ، ش) ولو كان القلب هو العقل

يزول العقل ولا حجة لهم في هذا؛ لأن المحبوب لا تثبت لحيته،
والفساد واقع بالجب^(١)، وموضع سات الشعر سالم، لكن هنالك مواد
من ناحية الموضع حب^(٢)، فلما انقطعت تلك المواد لم تثبت الشعر^(٣)،
فكذلك لا يمتنع أن يكون هالك^(٤) مواد من ناحية الدماغ إلى القلب،
وأيضاً فإنه جعل اللحية دليلاً على ذكر^(٥)، فإذا جب الذكر لم يكن
الله ليجعل دليلاً على غير مدلول عليه، فمن هنالك لم تثبت له
اللحية، إلا النادر من الناس الذي يُسمى (الكوسج) الذي دمه
أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: «لا يوجد في أربعين كوسجاً رجل حين».

والعقل على وجهين^(٦): ضروري واختياري؛ فالضروري من فطرة
الله تعالى، والاختياري فعل العبد^(٧).

فالضروري مثل: معرفة أمية حسبان الحسين، واستقباح القبيح،
وهذه^(٨) فطرة من الله فطر المكلفين عليها خاصة.

فأما استجلاب المافع، والنفار عن المضار فذلك عام في جميع
الحيوان، وذلك مُشاهد، ولا يُسمى عقلاً لعير المكلفين، بل هو إلهام
من الله تعالى (لهم)^(٩)، وهو سبب حياتهم؛ وإبلاغ من الله في النعمة

(١) في (ب، ص، ش، ع) وقع بالحب

(٢) في (ب). لم يثبت الشعر

(٣) في (ع، ص): هالك.

(٤) في (ب، ت). فإن الله جعل اللحية دليلاً على الذكر

(٥) في (ش). من وجهين.

(٦) في (ب). وهذا

(٧) ساقط في (ش، ع).

على المكلفين^(١) مثل ما ألهم الله تعالى التحل من فعل ما لا يتأتى لصاحب عقل^(٢).

وأما العقل الاختباري فهو نظر المكلف وتمييزه واستدلاله واستنباطه. قال القاسم بن إبراهيم (رحمته الله)^(٣) في جواب مسائل سأل^(٤) عنها ابنه

(١) في (ش، ل): وإبلاغ في التبعة من الله للمكلفين.

(٢) في (ب، د): لصاحب العقل.

(٣) هو ترحمان الدين، وعجم آل الرسول المصهرين، أبو الحسن، الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الملقب طاطا، والرسى أحد أقطاب الدين، وأحد عظماء أئمة الريضة، وأحد علماء أهل البيت (عليهم السلام) مولده سنة ١٧٠ هـ بأندلس المورة روى عن أبيه، وأبي بكر، وإسماعيل أبي ابن أبي أويس، وأبي سهل المقرئ، وأخرى، وعنه أولاده الأئمة العلماء، المعطاء محمد، والحسن، والحسين، وصبيحان، ودود، وغيرهم، وروى عنه حواري آل محمد محمد بن منصور المرادي، وأبو جعفر، سيروسي وغيرهم.

قال في طبقات الريضة كان عبوراً في أصناف العلوم، ومن أراد أن يعلم براعة في الفقه، ودقة نظره في طرق الاجتهاد، وحسن ترتيبه في انتزاع الأحكام، وترتيب الأحبار، وحسن معرفته باختلاف العلماء، فليظهر في آخره في المسائل كان بحر في علم الكلام وروى السيد أبو طالب في الإفادة، وعنه أن جعفر بن محمد ما جمع دخل على الإمام القاسم (عليه السلام) فجاءه في دفيق الكلام ونظيره فلما خرج من عنده قال لأصحابه أين يتأه بأصحابنا عن هذا الرجل والله ما رأيت مثله قال السيد أبو طالب وكان في مصر داعياً لأخيه محمد بن إبراهيم (عليه السلام)، فلما مات -أي محمد بن إبراهيم- بث دعائه في الأفاق فأجابه عوالم في بلدان مختلفه، ولبيت في مصر عشر سنين، ثم انتد عليه العتب من قبل عبد الله بن طاهر، فعاد إلى الكوفة، وكانت السنة الكاملة في بيت شامي آل الرسول (عليهم السلام) محمد بن منصور المرادي سنة ٢٢٠ هـ بايعه أحمد بن عيسى بن زيد، وموسى بن عبد الله وفقه الكوفة الحسن بن يحيى، وحواري آل الرسول (عليهم السلام) محمد بن منصور مرادي وآل أمره أن سكن امرس قرب الديرة المورة، إلى أن توفي (عليه السلام) سنة ٢٤٢ هـ وفي ثلاثين سنة ٢٤٥ هـ روى له كل الأئمة له كثير من المؤلفات، جلها ما ران مخطوط في مكتبات مصرية، ومعظمها في أصول الدين، وقد نشر بعض رسائله الدكتور محمد عمارة ضمن رسائل لعبدل والتوحيد، واستشرق الإيطالي حويدي نشر كتابه (الرد على ابن المقفع) ونسبى دع حويدي لشهره هو وفوقه على كتاب ابن المقفع (معارضه القرآن). انتهى.

(٤) في (ب): سأل.

محمد بن القاسم (عليه السلام) فقال: سألت عن العقل في الإنسان أطيع هو، أم مستفاد؟

قال (عليه السلام): (هو) ^(١) الحفظ والذكر، وأصل العقل: فطرة وخلقة.

وقال (عليه السلام): في جوابه للملحد: وما يُعرف بالعقل شيآن:

أحدهما: يُعرف ويُدرَك بيديته مثل: تحسين الحسن، وتقبيح القبيح، ومثل: شكر المنعم وحسن التفضل، وتقبيح كفر المنعم، والجور، وما جانسه.

والوجه الثاني ^(٢): وهو الاستدلال والاستنباط الذي ينتجه العقل، كمعرفة الصانع، وعلم التعديل، والتجويز، والعلم بحقائق الأشياء.

وقال محمد بن القاسم (عليه السلام) ^(٣) في شروط الإيمان المُجبي: لأن العقل مسكنه القلب، فيصح أنه غير القلب، وأنه حال فيه.

(١) ساقط في (ب).

(٢) في (ج، ش، ص، ع) الوجه الثاني.

(٣) هو الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن البطي بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شيخ آل الرسول والمقدم عليهم، والعابد التقى الورع الزاهد، أبو عبد الله، أحد عن أبيه، وعنه روى أخوه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، وعبد الله بن الحسين بن القاسم، وولده عبد الله بن محمد، وظاهر بن يحيى بن الحسين. قال الإمام القاسم (عليه السلام) صحبت بصوفية أربعين سنة، ودرت الشرق والغرب، فلم أر رجلاً أبين ورعاً من أبي محمد وقد كذب نفسه من الله تعالى، حريصاً مجتهداً على القيام بأمر الله تعالى، وبإيمانه كثير من اليمس والحجار ومصر ثم نكث عليه الأكثر فلم يتم له الأمر، حتى لزمه مرض أراد منه مرض القام ونوي (عليه السلام) سنة إحدى ومائتين من الهجرة النبوية انتهى.

وقال المؤيد بالله (عليه السلام) : فصارت الآثار أصلاً في أن كل عضو في الإنسان واحد نحو الأنف والدُّكر ففيه الدية^(١)، وما كان فيه اثنان كاليدَين والعينَين والرحلَين ففيه الدية ؛ وفي كل واحد منها نصف الدية ؛ وهكذا المعاني وإن لم تكن أعضاء، كالصوت والعقل والسمع والبصر، وهذا مما لا خلاف فيه ، ذكره في شرح التجريد.

وقال الهادي للحق (عليه السلام) في جواب مسائل الرازي ، وقد سأله عن عمل رسول الله ﷺ ، وعن عقل أبي جهل ؟

فقال (عليه السلام) : قد أعطى الله^(٢) أبا جهل (من العقل)^(٣) فوق ما يحتاج إليه ، فأما أن يُعطى مثل عقل رسول الله ﷺ فلا ، ولا كرامة

(١) هو الإمام المؤيد بالله أبو الحسن أحمد بن الحسين بن هارون بن محمد الإمام المؤيد بالله الكبير : كان عمراً لا يرف ، قال سيد الخلفاء إبراهيم بن القاسم (عليه السلام) : برز في علم النحو واللغة وأحاط بعلوم القرآن والشعر وأربع لفصاحة مع المعرفة التامة بعلم الحديث وعلمه والخرج والتعديل ، وهو إمام علم الكلام ومما أنعم الله عليه وعلى الحمله فلم ينق علم من علوم الدنيا والدين إلا وصرت فيه بصيب روي عن أبي العباس الحلي وقاصي القصاة عند الحارث بن أحمد وغيرهما ، وعنه السيد مائتكم والإمام الموفق بالله والقاضي يوسف وغيرهم ومن مصنفاته شرح التجريد والنبذة والبصرة - وهو كتاب لطيف - وكتاب إثبات السوءة (طبع) وتعلق على شرح السيد مائتكم ، وإعجاز القرآن في الكلام ، والأمالي الصمري (طبع) بحقيق العلامة عبد السلام الوحيه ، وسياسة المريد بن مولده (عليه السلام) بأمل طبرستان ٢٣٣٢ هـ ويوم له بالخلافة سنة ٣٨٠ هـ وتوفي يوم عرفة سنة ٤١١ من الهجرة النبوية ، وحلى عليه السيد مائتكم ودفن بطبرج وهي قرية متفرعة من عباس آباد بشمال إيران انتهى

(٢) في (ص) : وفي كل واحد منهما الدية

(٣) في (ب) : الله قد أعطى ، وفي (ش ، ع) : الله أعطى

(١) سابقه في (ب ، ش ، ع)

لأبي جهل. ومثل بمن أعطي شمعة، ومن أعطي شمعتين، وهو ما سأله عن المؤاد، وإلا كانت^(١) الزيادة في اللحمة.

وقال أيضاً (عليه السلام) في المسترشد في صفة الإنسان^(٢): ثم خلق في صدره قلباً، ثم ركب فيه لباً^(٣)، ثم جعله وعاءً للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل، وعلى هذا أجمعت العلماء: أهل العدل والتوحيد من الزيدية والمعتزلة ولم نعلم مخالفاً^(٤) بل قلنا من (العلماء)^(٥) المتقدمين.

قال عمرو بن بحر الجاحظ^(٦) في كتاب المعاد والمعاش: وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطوع والكرم العريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب، ومثلوا ذلك بالنار والخطيب، والمصباح والدُّهن، وذلك أن العقل العريزي آلة، والمكتسب مادة، وإنما الأدب عقل غيرك تزيد في عقلك

(١) في (ص). ولا كاب

(٢) في (ش): في وضعه في خلق الإنسان

(٣) في (ش، ع، ل): وركب فيه لباً

(٤) في (ض) ولم يُعلم مخالف

(٥) ساقط في (ب)

(٦) هو عمرو بن بحر الجاحظ بن محبوب الكاسي بولاء، البليبي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، من أئمة الأدب العربي، ورئيس العرف الجاحظية من المعتزلة، من أهل البصرة مولداً ووفاء، تعلم بها وببغداد، فيه في علوم الأدب ولغة، وأحاط بمعارف عصره، فلم يترك موضوعاً إلا وكتب فيه فخرت من الخلفاء والوزراء، إلى أن وصى المتوكل العباسي، وتكر للمعتزلة، فتواري الجاحظ وعاد إلى البصرة، ولارم مبره الذي أصبح مشوى الأدب، ومخط رحاله، وفتح آخر عمره، ومات ولكتاب على صدره، فقلته مجلدات من كتبه سقطت عليه، له مؤلفات كثيرة وشهيرة، ومشورة، ومطبوعة بأرقى الطحات. تم.

فصل

في الكلام في الحواس

اعلم: أن الحواس جعلها الله خمساً؛ لأن المحسوسات خمس،
فالحواس^(١): السمع والبصر وشم وذاق واللمس. والحواس
أجسام، وفعلها أعراض، وهو الحس.

والمحسوسات خمس وهي مسموع ومبصر ومشموم ومطعموم
وملموس، وهي أجسام وأعراض والأعراض: الأصوات والألوان
والطعم والروائح والحرارة والبرودة والآلام. والأجسام (هي)^(٢) محال
هذه الأعراض، وهي المصوت والمبصر والمطعموم والمشموم
والملموس. وعلى هذا جمع أهل العدل والتوحيد من الريدية
والمعتزلة، إلا المطرفية فإنهم قالوا: الحواس لا تذرك؛ لا الأجسام،
والأعراض عندهم لا تذرك إلا بالعلم، وقالوا: هي لا توهم ولا
تجل ولا تحل، فقصوا كلامهم وثبتوها ثم نفوها.

والعقل الضروري يحكم أن كل معلوم غير الله فهو حال أو محلول.
وعليه أجمعت الأمة، إلا ما قست المعتزلة في الإرادة، وسنذكر إن
شاء الله تعالى القول والاحتجاج عند ذكر الأجسام والأعراض في باب
معرفة الصنع وكانت هذه الحواس الخمس تؤدي إلى القلب، وكان
اللسان ترجماناً له مع سلامة البنية، وحصول الروح والحياة، فأمكن
النظر والتميز، وبلغ بالعقل صاحبه ما يريد من علم الحقائق
وسائر المعلومات.

(١) في (ش): والحواس

(٢) ساقط في (س، ش، ي)

فصل

في الكلام في وجوب النظر والاستدلال^(١)

اعلم أن العقل يحكم بأن العلم حسن وأن الجهل قبيح، ويحكم أنه يجب على العاقل أن ينظر ويميز، قد أعطي الله النظر والتمييز، ويحكم أنه إن لم ينظر ويميز لم يبلغ إلى استجلاب مفعة، ولا دفع مضرة، ولا يبلغ إلى إصلاح دين ولا دينا.

واعلم أن العقل هو أصلح المحجج؛ والكتاب والسنة تأكيد له، والدليل على ذلك، أن الكتاب والسنة ما عُرِفَ إلا بالعقل.

ومما يدل على وجوب النظر أن تعلم بحقائق الأشياء لا يتأتى إلا من وجهين، وهما: التقليد والنظر، والتقليد لا يعمل به^(٢) في الأصول، لأن المحو ليس بأولى من المبطل في أن يُقلد.

ويؤيد ذلك ما روي عن حديصة بسن اليمان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا بمعة^(٣) تقولون: إن أحسن الناس حسنا، وإن أساءوا أسانا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» فبب فساد التقليد، ولم يبق إلا النظر المؤدي إلى الصواب.

ويدل أيضاً على وجوب النظر قول رسول الله ﷺ: «ستمترق أمتي

(١) في (ب) فصل في وجوب النظر والاستدلال

(٢) في (ش)، لا يعمل عليه

(٣) الإمعة: هو الذي لا رأي معه ولا تدبير، وهو يكسر الهمة تحت

على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة» وما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا بنية إلا بإصابة السنة»، فوجب على كل عاقل أن ينظر ويختار (لنفسه) "مذهبا يشهد له به العقل والكتاب والرُّسل" والإجماع، وأن يجتهد في إصابة السنة، بالنظر والاستدلال والبيّنات.

وقد ندب الله تعالى إلى قبول الحق بالبراهين والحجج، وذم المعرّضين والغافلين عن معرفة الآيات والبيّنات؛ فقال عزّ من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ لِقُلِّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنَّكُمْ سَاءَ بِقِلَّةٍ قَوْمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٢٠)، وقال تعالى في ذم من اتبع الهوى، ومال إلى العجلة وترك النظر: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا هُمْ يَرُدُّونَ ۚ نَحْشُرُ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكُنْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمْ مَاذَا حَسِبْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٢-٨١)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الشَّعَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَهْمِلُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)، وقال عزّ من قائل: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (سورة البقرة: ١٢٨)، وقال تعالى وعزّ من قائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ لَا يَرْتَدُّونَ لِقَائِهِمَا وَذَمُّوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۚ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ (آية البقرة: ٨٧)، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس،

(١) ساقط في (ب، ح، ش)

(٢) في (ش)، والكتاب والرسول

فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض من بعدي، ويختلف الرجالان فلا يجدان من يفصل بينهما»، وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «جهد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله على قدر عقولهم، فأعلمهم بطاعة الله»^(١) أوفرهم عقلاً»، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب أحد مكتسباً مثل فضل العقل يهدي صاحبه إلى هدى أو يردّه عن ردى»^(٢)، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله»، وروي عن الرهري عن سالم عن أبيه عن علي بن عمر أن النبي ﷺ قال: «لكل شيء معدن ومعدن التقوي قلوب العارفين»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «الناس يعملون الخير ويعطون أجورهم على قدر عقولهم»، وروي عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل يكون من أهل الصلاة ومن أهل الصوم والزكاة والحج وما يجارى يوم القيامة إلا بقدر عقله»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «في حسد ابن آدم نقطة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(٣)، فصح ما قلنا.

(١) في (ص، ع): فأعلمهم بطاعة، وفي (ص): فأعلمهم بطاعة

(٢) في (ب، ش): ويرده عن ردى

(٣) في (ب) إن في جسد ابن آدم نقطة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد

ولا يبلغ العاقل درجة العقل إلا بنظر واستدلال. وهذا لا خلاف فيه. إلا ما روي عن داود الأصبهاني من قوله: بأن العقل ليس بدليل^(١) ومن طابقه من الحشوية أهل الظاهر بعدم دلالة العقول. فأنكر ذلك عليهم جميع العلماء وقال في ذلك ابن دريد يهجوهم:

قال داود ذو الرقاعة والجهل

بأن العقول ليست بحجة

ولعمري لعقله ذلك العقل

فما أن به يصاب محجة^(٢)

ثم أصحابه يعومون عوماً

من ضلالات جهلهم وسط

وقد تقدم الاحتجاج عليهم من العقل والكتاب والرسول والإجماع

واعلم أن في الكتاب محكماً ومنشأها، وناسخاً ومنسوخاً. ولا يُعلم المحكم من المنشأ ولا الناسخ من المنسوخ^(٣) إلا بنظر واستدلال عقلي؛ وكذلك السنة وأخذها من الرواة

واعلم أن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ على ثلاثة وجوه:

فمها: الخبر المشهور المستفيض الذي أجمعت عليه الأمة،

(١) في (ع) من قوله: لا اعتداد على العقول وفي (ش) من قوله: بعدم دلالة العقل

وفي (ص) من قوله: بعدم دلالة العقول

(٢) في (ض): فما أن به يصاب محجة

(٣) في (ب، ص، ش، ع): والناسخ من المنسوخ

وهو مثل: أن رسول الله ﷺ دعا إلى الله، وأن القرآن أنزل عليه^(١)، وأنه جاهد الكفار ومن عُدَّ عن الحق ومثل ما فعله وأمر به من الطهارة، والصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، وأشباه ذلك؛ وهذا يُعلم ضرورة؛ لأن الأمة على كثرتها واتساع مساكنها، واختلاف ألسنتها وأحوالها لا تتفق على كذب، ولقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

ومنها: الخبر المتواتر كقوله ﷺ: «عليّ مني بمنزلة هارون من موسى»^(٢) إلا أنه لا يبي، بعدي، وهذا يعلم ضرورة، وليس كالأول، فلأن أكثر الفرق^(٣) - فرق الإسلام - يروونه، ويعرفونه، ومنهم من رواه وتأوله، وهذا لا يتأتى فيه الكذب، ولا التواطؤ بين الرواة؛ لا خلاف أديابهم، وأحوالهم، وألسنتهم، أو تُعَدُّ أوطانهم

ومنها: خبر الأحاد وهو الذي يرويه الواحد، وهو يُقبل بحسن الاحتهاد، وتعليب الظن^(٤) في صدق راويه في الفروع والشرع. فأما في الأصول فلا يُقبل خبر الأحاد لكثرة الرواة، وأهل التدليس في الإسلام من المنافقين والباطنية، وغيرهم من أعداء الرحمن، ولتحريضهم^(٥) على إفساد أصول الدين على المسلمين كما قد رواه: «سترون ربكم كالقمر ليلة الدر لا تصامون في رؤيته».

(١) في (ب، ت) وأن القرآن نزل عليه

(٢) في (ب)، أنت مني بمنزلة هارون من موسى وفي (ص) «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى»

(٣) في (ب، ي)، ولأن أكثر الفرق

(٤) في (أ)؛ وتعليب الظن، وفي (ش)؛ وتعليب الظن

(٥) في (ب، ع، ش)؛ ونحوهم

والدليل على أن خبر الواحد يُقبل في الفروع إجماع الأمة على ذلك، وهو أنهم أجمعوا على أن النبي ﷺ كان يبعث العمال في البلاد فيقبل خبر العامل، مثل معاذ بن جبل حيث بعثه النبي ﷺ إلى اليمن وأنه كان يكتب إلى من هو مترشح عنه^(١) فيقبل كتابه، مثل ما روي عن عبد الله بن حكيم قال: كتب إلي رسول الله ﷺ قبل موته بشهر: «لا تتفعدوا من الميتة بلحم ولا عصب»^(٢). وأجمعت الصحابة على قبول خبر الواحد، كقولهم خبر عبد الرحمن بن عوف في جزية المجوس، وكقول خبر أبي بكر في عطاء الجذء السادس

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفسي الله به بما شاء، فإذا سمعته من غيره حلفته، فإذا حلف صدقته وأحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر.

وكقول خبر حمل بن مالك في جليل المرأة فصيح أن خبر الأحادي يُقبل في الفروع دون الأصول لما قدما وصح أن النظر أصل من أكبر أصول الدين، لأنه به عرفت الأصول.

وأما القياس فإنه لا يصح في الأصول، وقد يصح أن يقاس الشيء من الفروع بمثله، كما يقاس ما لم يُسم بما يُكال ثم أخرجت الأرض في وجوب الزكاة على مثله يُسمى، مثال ذلك: أن السَّمسم والدُّخن وأشباههما لم يُسم في الخبر عن النبي ﷺ فوجب أن يُقاس على ما سُمي من التمر والربيب والحنطة؛ لأنه روي عن النبي ﷺ

(١) في (أ): من هو مترشح عنه.

(٢) في (ب): يا عباد ولا عصب وفي (ش، ع): ألا تسمعون. الخ وفي (د): ألا لا تتفعدوا. الخ

أنه قال: «لا تجري الصدقة»^(١) في غر، ولا زيبو، ولا حنطة، ولا ذرة، حتى يبلغ الشيء منها خمسة أوسق^(٢)»، والوسق: ستون صاعاً، وإنما قلنا إنه مثله؛ لأنه وافقه في أكثر أوصافه، وذلك أنه مما أخرجت الأرض، ومما يطعم ويقتت، وأنه مكيّل، وليس كذلك قياس أبي حنيفة (في)^(٣) الحنل والبيد وسائر المائعات^(٤) على الماء، لأنه يخالف (له)^(٥) في كل أوصافه، إلا في الرقة والصفاء؛ وهو مخالف له في لونه وطعمه وريحه واسمه وحكمه، فهذا مما لا يجوز من القياس وقد أنكر عليه القياس العلماء في وقته وبعد وقته

وقد روي أنه دخل هو ومحمد بن أبي ليلى على جعفر بن محمد عليهما السلام وهو في المدينة، فقال لأبي حنيفة في كلام طويل، وقد دمّ قياسه الذي كان يميّسه، فقال له جعفر: يا نعمان، (إن)^(٦) أول من قاس إبليس أمره الله أن يستجد لآدم فقال: «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»^(٧)، ثم قال له: أيهما أكد عند الله الصلاة أم الصيام؟ قال: الصلاة، قل. فلم أمر الله الحائض تقصي الصوم ولا تقصي الصلاة؛ وهذا أكد من هـ؟ قال: لا علم لي، قال: أيهما أعظم عند الله القتل أم الزنا؟ قال: القتل، قل: فلم أمر الله في القتل شاهدين وفي الزنا بأربعة؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان،

(١) قوله: «لا تجري الصدقة» يعني لا ندرم وب (ص) لا تجري بإروى المعجمة تمت.

(٢) في (ش، ع)، خمسة أوساق.

(٣) ساقط في (ب، ت).

(٤) في (ش، ي) وسائر المائعات.

(٥) ساقط في (ش، ي، ع).

(٦) ساقط في (ش).

أيهما أجس البول أم الجسابة؟ قال: البول. قال: فلم أمر الله بالغسل من الجسابة وأمر بالاستنجاء من البول فقط؟ قال: لا علم لي. قال: يا نعمان، لِمَ جعل الله المرارة في الأذنين، والمُلُوحة في العينين، والرطوبة في المنحرين، والحلاوة في اللسان والشفتين؟ ولم جعل بطن المراحة لا شعر فيه؟ قال: لا أدري

فسأله ابن أبي ليلى عن تفسير ذلك، فقال: أما قضاء الصَّيَام: فلا يه شهر في سبتها، فأمرها الله أن تقضه لذلك. وأما الصلاة فإنها تُصلي في كل يوم وليلة سبع عشرة ركعة الفريضة، والتوافل تسع ركعات، لم يجب (عليها) القصء لأجل ذلك، يُريد من قيل كثرة الصلاة. قال: وأما القتل فإنه فعل واحد بمفعول به، فحكم فيه شاهدين، والزنا فعل فاعل فحكم لكل واحد بشاهدين، والبول يخرج من المثانة لا غيرها، فأمر فيه بالاستنجاء، والمنى يخرج من بين الصلب والترائب، فأمر فيه بالغسل ليعطيه به بدنه كله.

قال أبو حنيفة: أوليس هذا قيس؟ قال: لا، بل أخبرني أبي عن أبيه عن النبي ﷺ

قال: وأما مرارة الأذنين فليلاً تدخل^(١) الهوام في^(٢) خرواق الأذنين إلى الدماغ. وأما ملوحة العينين فلأنهما شحمتان، فأمسكهما بالملوحة لئلا يدوبا^(٣)، وأما الحلاوة في اللسان فلأن يجد^(٤) به طعم الأشياء

(١) ساقط في (ص، ع، س)

(٢) في (ع) فليلاً يدخل

(٣) في (ش)، إلى

(٤) في (ص) لئلا تدوبا

(٥) في (ش، ص): فلا يجد

وأما الرطوبة في المخربين فلأن يجد^(١) بهما ريح الأشياء، ولولا ذلك كانتا كسائر جسده، وجعل بطن الراحة لا شعر فيه ليحس اللمس، فاعلم.

فصح أن القياس لا يجوز إلا فيما ذكرنا وأمثاله.

واعلم أنه لا يقيس ولا يجتهد إلا من عرف الأصول، والفروع، والمعقول، والمسموع، لأنه إذا أفتى بغير علم زلّ، وضلّ بغير شك وأضلّ، وبسبب ذلك هلك أكثر الناس، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (خمس خدوهم عنى فلو رحلتهم المطي لانظمتوهم قبل^(٢)) أن تجدوا مثلهم: لا يحشى العبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، ومتزلة الصبر من الإيمان كمرلة الرأس من الحسد، ولأ إيمان لمن لا صبر له

واعلم أن ما ورد عن النبي ﷺ مطلقاً فإنه يقتضي الوجوب في الأمر، والتحریم في النهي، إلا ما خصّه الدليل، مثال ذلك في الأمر: قوله ﷺ: «من مسح سألفته أمين من الغل يوم القيامة»، فلما قاله على وجه الترغيب في الزيادة، ولم يأمر به مطلقاً، علم أن مسح الرقبة مع الرأس سنة

ومثله: قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك» فصح أنه سنة.

(١) في (ش، ص)، فلأنه يجد

(٢) في (أ، ض)، لانظمتوهم من قبل

وفي النهي قوله ﷺ : « لا تستقبلوا القلعة لغائط ولا لبول^(١) » وروي عن ابن عمر قال : « طُنِفَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (وهو) » يقضي حاجته محجوراً عليه بلبس^(٢) ، فرأيتُه مستقبلاً القلعة ، فصَحَّ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ غَيْرُ مُحَرَّمٍ

والدليل على صحة ما ذكره قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوا وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْهَوْا ﴾ [اسراء ١٧] ، وقوله عز من قائل : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [الباء ٨٠] ، والأمة مجمعة على هذا

والدليل على أن إجماع الأمة حُجَّةٌ قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ سَوَّاهُ مَا تَوَلَّى وَصَلَّى بِهِمْ وَصَّاهُمْ مَصِيرًا ﴾ [الباء ١١٠] ، وقول رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، فصَحَّ ما ذكرناه ووصَحَّ^(٣) جميع ما قلناه^(٤) ؛ من وحبوب النظر ، وطريق الاستدلال .

(١) في (ص) : للغائط ولا البول ، وفي (ش) : يغائط ولا بول

(٢) ساقط في (ص)

(٣) في (أ ، د) : بوصح .

(٤) في (أ ، د) : فصَحَّ جميع ما ذكرناه .

(٢) باب حقيقة معرفة الصنع

اعلم أن الصُّنْعَ إسمٌ للفعل ، وهو مصدرٌ من صَنَعَ يَصْنَعُ صُنْعاً ؛ وأصله فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلاً ، فصَحَّ أَنْ اسمه يدلُّ على أنه فعلٌ ، ولا يكون الفعل إلا من فاعلٍ ، ولا يكون إلا محدثاً لتقدُّم فاعله عليه .

ولا خلاف في أنَّ العالم يُسمَّى صُنعاً والعالمُ اسمٌ للهواء ، وما حوى من الأرض والسماء وما بينهما من جميع خلق الله العليِّ الأعلى والعالمُ اسمه مُوَحَّدٌ ، فإذا جمعت قلت : الْعَالَمِينَ ؛ قال تعالى : ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ، وهذا الفرق في الجمع والمُوحَّد في اللفظ ، وأما في المعنى ' فلا فرق بين الْعَالَمِ وَالْعَالَمِينَ ؛ لأنَّ الاسمين يُبيِّن عن معنى واحدٍ (٢) ، وسميَّ العالمُ ؛ لأنه عَلِمَ ودلِّل على صانعه

فصل

في الكلام في الهواء

من ذلك أنا نظرنا إلى الهواء وما فيه من السَّعة والرِّقَّة والصفاء ، وكونه مكاناً للكثيف واللطيف من الأشياء ؛ فإذا هو قد قُدِّرَ أحسن

(١) في سعة . فأما في المعنى

(٢) في (ع) . يبيِّن على معنى واحد . وفي (ش) : يبيِّن على معنى الواحد

تقدير، وجعل حياة للكبير من الحيوان والصغير، وجعل صافياً نقياً من الآفات والأكدار، وجعل لونه أخضر يميل إلى السواد لموافقة الأبصار. وقد قالت الأطباء: من ضعف بصره فليذهب النظر إلى راحة^(١) خضراء مملوءة ماء، فكان كما وصفت الأطباء^(٢)، وجعله يحمل الأصوات والروائح (والعبر)^(٣) ثم يفتح ويذول فيعود نقياً، فتحري فيه الرياح بالسحاب والدخان والعمار ثم يزول منه فيعود نقياً، ولو كان يبقى كل ما يحمله من الدخان والعمار والروائح والأصوات، لكان ذلك مؤدياً إلى الضرر وإباحة الأسرار، والتأدي بكثرة الأصوات والدخان والغبار وما جعل في سعة ورقته من الصلاح لصنوف المنافع وجولان الأنفاس فيه^(٤) والأرواح.

فلما وحدنا فيه أثر التدبير وجدناه قد وضع موضعه في صلاح الحيوان بأحسن تقدير؛ علمنا أنه يحدث قسوداً، ومخترع مصنوع^(٥)، علماً ضرورياً بالمشاهدة؛ إذ لا بد لكل مدبر من مدبر، وكل مقدر لا بد له من مقدر، وإذا ثبت أنه مصنوع ثبت أنه يحدث.

وقد قال أهل الدهر - وهم عبد الأهوية: الهواء هو ربهم لأنه يزعمهم محيط بالأشياء، فيه كل شيء، وهو مع كل شيء.

(١) في (ب). حامة وفي (ش): أجامه

(٢) في (ب، ش) فكان لونه كاللون ما وصفت الأطباء، وفي (ص)، فكان لونه كما وصفت الأطباء

(٣) ساقط في (ث)

(٤) في (ش، ع)، وجولان الأنفاس فيه

(٥) قوله: (علماً) هو جواب (لما)، وقوله: (علم ضرورياً) معمول علماً تحت.

قالوا: وجدنا فيه الحياة، وعقد نقطاعه الموت، فصح قدمه قبل كل شيء بزعمهم.

والحجة عليهم أنه مع كرهه ضعيف، ومع اتساعه لطيف، وصح من صعمه أنه لا يحدث في الشاهد صغيراً ولا كبيراً، ولا يغني نقيراً ولا قطعيراً، وأنه محدودٌ بسواء، منقطعٌ من غيره، متغيرٌ بغيره، وأنه يتغير بالأنوار، ويختلف باختلاف الليل والنهار، وأنه يتغير بالروائح والدُّحان والغبار، وبالرياح والسحب والأمطار، ويقطع وينقطع، ويضيق ويتسع، ويتحول^(١) منه القليل فيتحول، من ذلك هواء البشر إذا ذهبت انتقل الهواء الذي كان فيها وزال، وما جاز على القليل جاز على الكثير، وما جرى على الصغير جرى على الكبير. وأيضاً: فإنه لا يخلو من الحالتين الحادثتين وهما: الحركة والسكون.

وقد أجمع المتكلمون المتقدمون والمتأخرون على أن الحركة والسكون حالتان حادثتان، إلا أصحاب الاضطراب^(٢) وهم بعض أتباع بلعام فإنهم زعموا أن العالم لم يزل متحركاً بحركات لا نهاية لها، وقالوا: لو ثبت لها أول، أو آخر^(٣) لثبت حدوث العالم^(٤).

والحجة عليهم أن كونه متحركاً بعد أن كان ساكناً يسدُّ

(١) في (س، ش) ويحول

(٢) في (ص، ع، ش). إلا أصحاب الأسطون ري (١). إلا بعض أصحاب الأسطون.

(٣) في (ص، ش، ل): وآخر

(٤) في (ش): حدث العالم

على حدوث الحركة^(١)، وكونه ساكناً بعد أن كان متحركاً يدلُّ على حدوث السكون^(٢) بالمشاهدة والعلم الضروري.

وقال بلعام: العالم متحرك، وحركة الأخرى هي الحركة الأولى معادة وهذا إقرار منه بحدوث الحركة^(٣) وأن لها مُحدثاً؛ لأن كل ما كان له أولٌ وآخرٌ محدثٌ، وإذا كانت معادة فلا بدَّ لها من مُعيدٍ وقال: العالم قديمٌ وله مُدبرٌ، خلافة من جميع المعاني.

وقال أرسطاطاليس: العالم هَيُولِي قديمٌ وتعسير الهَيُولِي: هو أصل الأشياء، كما أن القطر أصل الثوب، والهَيُولِي هو المدبرُ

واختلف أهل الدهر في ظنونهم. وقالوا: العالم قديمٌ، ودليلهم على أزليته أنهم لا يُعَايِنُوا شَيْئاً إِلَّا مِنْ شَيْءٍ وقالوا: الطائر من البيضة، والبيضة من الطائر، واسطفة من الإنسان، والإنسان من الططفة. وقالوا: لم يزل العالم بصورة قديمة، ومهم من قال: لا ندري الإنسان كان قبل الططفة، أو الططفة قبل الإنسان؟ ودليلهم: أنهم لم يروا إنساناً إلا من بطفة، ولا نطفة إلا من إنسان.

وقالوا: العالم وما يتولد منه طبع قديمٌ، والصورة قديمة^(٤)، والخلق كامنٌ فيها، وأنكروا أن يكون كامن غير صورة^(٥) فتحتاج إلى مصور، وقاسوا العالم بالدُّولاب.

(١) في (ب، ح، ش): على حدث الحركة

(٢) في (ب): حدث العالم

(٣) في (ب، ج، ص، ش): بحدث الحركة

(٤) في (ب، د، ل): والصورة قديمة

(٥) في (ص): وأنكروا إن كانت غير صورة

وكل هذا من ظنونهم وخرصهم، وقد حكى الله قولهم، وذكر أن قولهم ظن، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا النُّجَا نَحْنُ وَمَا يُفْلِكُنَا إِلَّا الشَّعَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الأنبياء ٢١).

والحجة عليهم أن إقرارهم بالكمون، والصورة والدولاب، يلزمهم ويبطل قولهم؛ لأن كمون الصورة في الشيء^(١) يدل على الانتقال، والانتقال حركة، والحركة حادثة، فوجب أن تكون الصورة المنتقلة حادثة؛ لأنها لا تنعري عن^(٢) الحركة والسكون، وكل ما لا ينعري من الحوادث يحدث، وقد قدمنا الكلام في ذلك. والدولاب أيضاً مصوغٌ بالمشاهدة، فكذلك العالم.

ودليل آخر: أن الصورة قد علمنا محلاً ضرورياً أنها حادثة لكونها بعد أن لم تكن - بالمشاهدة^(٣)؛ لأن النطمة لا صورة فيها؛ ثم كذلك العلقه والمصفة، ليس فيهما صورة إنسان^(٤)، فحدثت بعد عدمها، فكان ذلك دليلاً مبيناً. وقد احتج الله عليهم، فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقًا مِمَّا قَرَّارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ سَنَةً مَخْلُقًا مُعَيَّنَةً فَطَلَقْنَا الْمُعَيَّنَةَ صَطًا مَكْسُورًا الطَّيَامَ لَحْنًا ۝ ثُمَّ أَشْنَانَا خَلْقًا لَعْرَ فَبَارَكِ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (الاسراء ١٦-١٨)، فلما كان له ابتداء وانتهاء كان محدثاً، وكذلك سائر المصنوعات، فصيح الحديث وانتفى القدم.

(١) في (ش) لأن كمون الشيء في الصورة

(٢) في (ب) من

(٣) في (أ، ح، ل) بعد أن لم تكن مشاهدة

(٤) في (ث) ليس فيها صور الإنسان، وفي (ص) ليس فيهما صورة الإنسان.

والرد عليهم في قولهم : العالم وما تولد منه حصل من الطبيعة^(١) الهولبية ؛ أن يقال لهم : الطبع فعل الماعل ، وهو غير الطابع والمطبوع ، كما أن الفعل فعل الفاعل ، وهو غير الفاعل والمفعول ، فصح أن الطبع في ذاته فعل الماعل ، وإذا صح أنه فعل الفاعل صح أنه يحدث.

ودليل آخر : أن الطبيعة لا تُد لها من أن تكون حية قادرة ، أو تكون غير حية قادرة فإن قيل : هي حية قادرة . قلنا : هذا مُحال ؛ لأن النحلة لو شق ساقها أو موضع الطلوع منها ، وحشي في جوفها رطب لم يخرج ذلك الرطب إلا بمخرج حي قادر غيرها ، فلو كانت النحلة حية قادرة لأخرجت ذلك الرطب من حوفها ، ولكانت تطلع في وقت خراجها ، وفي غيره . وأيضاً فإن هذا الرطب الذي في النحلة وجدناه بعد أن لم يجده ، ولا بُد من أن يكون أوجد نفسه وهو معدوم ، أو أوجده غيره فإن قيل : أوجد نفسه ، فلا بُد من أن يوجدها وهو موجود ، أو يوجد نفسه وهو معدوم ، وإيجاد الموجود مُحال ، وكذلك إيجاد المعدوم موحوداً مُحالاً ، فصح أنه موجود أوجده غيره ، وصح أنه يحدث ، وكذلك النحلة محدثة ، وما جاز في النحلة جاز في جميع العالم لما يوجد فيه من الزيادة والتقصان ، والتغيير والانتقال ، وأنه لا يتعزى من الحالتين الحادثتين ، فكلمنا وجدنا^(٢) للواحد منه ابتداء وانتهاء كذلك جميعه ؛ وما كان بهذه

(١) في (س ، ش ، ع) : حصل بالطبيعة

(٢) في (ص ، ش ، ع) : فكلمنا وجد

الصفات فهو محدث، علماً^(١) عقلاً ضرورياً. ومنهم من يثبت حدوث الصنع^(٢)، ويثبت له صانعاً قديماً، ويقول: إن الأشياء المصنوعة حدثت من الأصول الأربعة، أو الطبايع، أو العناصر^(٣)، على اختلاف عباراتهم في ذلك؛ وبه قالت المطرفية، وليس للكلام معهم معنى في أنه محدث، وأن له محدثاً قديماً؛ لأنا نحن وهم يجمعون على ذلك.

ولما الكلام معهم في قولهم: إن الأشياء حدثت من هذه الأصول بالتركيب لا بالقصد والعمد من القديم فيما يتولد من هذه الأصول فنقول: إن الأفعال لا تكون إلا لحي قادر، والجمادات ليست بحية ولا قادرة، فصح أنها لا فعل لها ولا تدبير.

ودليل آخر: فنقول: أحرونا عن الأصول الأربعة ما هي؟

فإن قالوا: الماء، والهواء، والنار، والرياح. قلنا: فهل هذه الأصول هي الفروع المتولدة منها، أو غيرها^(٤)؟

فإن قالوا: لا، أقالوا^(٥)، لأن ابن الإنسان غيره، فضلاً عن أن يكون ناراً أو ماءً أو ريحاً وهواءً، فصح أن الفروع غير الأصول وإذا ثبت ذلك وجب أن تكون الأصول التي ذكروا أنها تحدث الأشياء موجودة أو معدومة.

(١) في (ش): علماً

(٢) في (ب): حدث الصنع

(٣) في (ص، ش): والطبايع والعناصر وفي (ع) أو الطنائع والعناصر.

(٤) في (أ): أو هي غيرها

(٥) في (ب): فإن قالوا: هي أقالوا وفي (ش) فإن قالوا: هي هي أقالوا.

فَإِنْ قَالُوا: هِيَ مَوْجُودَةٌ قُلْنَا: أَيْنَ مَوْضِعُهَا؟ فَإِنْ قَالُوا: فِي الْعَالَمِ.
قُلْنَا: كَيْفَ يَكُونُ وُجُودُ الْأَصْلِ فِي الْفُرُوعِ. هَلْ يَكُونُ الْأَصْلُ كَامِنًا
فِي الْفُرُوعِ أَوْ ظَاهِرًا فِيهَا^(١)؟

فَإِنْ قَالُوا: هُوَ كَامِنٌ فِيهَا كَالنَّارِ. قُلْنَا: النَّارُ فَرَعٌ حَادِثٌ فِي الْعُودِ،
لَأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ وَالنَّارُ فِي الْعُودِ. لَأَنَّ احْتِمَاعَ الْمُتَصَادِفِ^(٢) لَا يَصَحُّ،
وَلَيْسَتْ النَّارُ عِنْدَمَا كَامَتْ فِي الْعُودِ، وَلَا فِي الْحَجَرِ^(٣).

وَعَبَّرْنَا بِقَوْلِ: إِنَّهَا كَامَةٌ فِيهِمَا كَكُمُورِ الزَّيْتِ فِي الزَّيْتُونِ، وَالذُّهْنِ
فِي السَّمْسِمِ. قُلْنَا: هُمَا مِنْ أَجْرَاءِ سَمْسِمِ الزَّيْتُونِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا
حَرًّا مِنْ الْأَشْيَاءِ^(٤) وَبَعْضًا مِنْهَا فَإِنْ قَالُوا: هُوَ ظَاهِرٌ فِيهِ، أَحَالُوا،
لَأَنَّ الْمَاءَ غَيْرُ النَّارِ، وَالنَّارَ غَيْرَ الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَلَوْ
كَانَتْ النَّارُ ظَاهِرَةً فِي الْمَاءِ لَأَطْفَأَهَا الْمَاءُ، وَلَوْ كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي الْعُودِ
أَوْ الْقَطْرِ لَأَحْرَقَتْهُ فَبَطُلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا أَنَّ الْأَصُولَ قَدْ عَدِمَتْ
وَبَطُلَتْ، وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّهَا قَدْ عَدِمَتْ، فَكَيْفَ يَتَهَيَّأُ لِلْمَعْدُومِ فِعْلٌ؟
وَكَذَلِكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَوَادِثُ الَّتِي^(٥) تَحْدُثُ الْيَوْمَ قَدِيمَةً،
إِذْ لَيْسَ الْمُتَقَدِّمُ بِأَوَّلَى مِنَ الْمُنَاحِرِ بِالتَّقْدِيمِ، فَبَطُلَ مَا قَالُوا، وَصَحَّ
أَنَّ الْحَمَادَاتِ لَا صَنْعَ لَهَا، وَقَدْ احْتَسَجَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عَزَّ
مَنْ قَائِلٌ: ﴿وَأَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۚ أَلَا هُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (الرَّاسَةُ ١٥٨، ١٥٩)،

(١) فِي (ض)، أَوْ ظَاهِرًا فِي الْفُرُوعِ

(٢) فِي (ب، ص، ش، ع). الْمُتَصَادِفَاتِ. وَفِي (ح، ل)، الْمَصْدِقِ.

(٣) فِي (ص، ي) وَلَا فِي الْحَجَرِ

(٤) فِي (ش، ي) مِنْ أَشْيَاءِ

(٥) فِي (أ، ص، ش): الَّذِي

ثم قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۚ أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الأنعام ١٦٣، ١٦٤]، وقال عز من قائل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٤١]. وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في الدليل الصغير: أما أوائل الأشياء فحُفِّقَتْ لا من شيء، وأما ما حدث بعد أوائل الأشياء فمهما ما حدث لا من شيء، ومنها ما أُحْدِثَ من شيء^(١).

وقال (عليه السلام) في موضع آخر في قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْنُونَ ۚ أَلَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٨، ١٥٩]، فالله هو الخالق ونحن المُنشُونَ، ليس لنا في ذلك - غير إيمانٍ المي^(٢) - من صم، ولا نقدرُ نَعْدُ لِمَا قَدَرِ بِنَا من الموت على منع، من تقديرِ صُنْعِنَا وتدبيره، وتبديل خلقنا إن شاء حالنا - وتغييره، إلا ما **لَمْ يُولَدْ** **لَمْ يَكُنْ**، وكان معه لا منا، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۚ أَلَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الأنعام ١٦٣، ١٦٤]، فالله هو الزارع ونحن الحارثون، ليس لنا في الزرع سوى حرثه من حيلة موجودة، ولا نقدر بعد الحرث على الإشياء منه لسنبلة مدمومة ولا بمحمودة، فقدرتنا^(٣) إنما هي على الحرث والأعمال، وعلى خلافهما من الترك والإغفال، وكذلك قَلِيلُهُ من القدرة بعدُ على إبطال الررع وإبلائه، مثل الذي كان له من القدرة على تثميره وإثمائه، ولا يقدر على أمرٍ إلا من يقدر على خلافه، وعلى فعل^(٤) ما كان

(١) في (ص) - ومنها ما حدث من شيء - وفي (ش) - ومنها ما أُحْدِثَ لا من شيء؛

(٢) في (ص، ل) - وليس لنا في ذلك غير الإيماء

(٣) في (ش) - وقدرتنا

(٤) في (ض) - ويقدر على فعل

من نوعه وأصنافه ، فمن لم يكن كذلك ويصبح صفته بذلك ، كان بريئاً من القدرة عليه ، وكان العجز في ذلك منسوباً إليه

وقال محمد بن يحيى ^(١) في كتاب الإيضاح : إن سأل سائل فقال : هل يصح للجملات فعل من الأفعال ، ويجوز ذلك في الاعتقاد والمقال ؟ قيل له - ولا قوة إلا بالله : لا يصح الفعل من الجمادات إلا على مجاز الكلام ، فأما الطبائع فمن ذي الجلال والإكرام ، لِمَا في ذلك من الفضل والإعظام ، لأن حيوانات إنما استقامت أرواحها بطائع الأطعمة والشراب ، وذلك من حكمة ربّ الأرباب ، ومصلح الأسباب بالأسباب : لأن الأغذية لا تُفعل أعاجيب التدبير ، ولا يُتم إصلاح الأمور وعجائب الحكمة والتصوير إلا الله العليم الخبير ^(٢) ألا ترى إلى ما صنع من غذاء الأشجار بما نزل من الأهوية من الأمطار ، وأجرى من العيون والأنهار في صلاح الحيوان والثمار ^(٣) ، وجعل في الأشجار مداخل للمياه تمرّلة الحقوق والأقواء ، فجعل لكل حبة

(١) هو الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي بن الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب ^(عليه السلام) ، الإمام المرتضى ، المسمّى حبريل أهل الأرض ، ولد سنة ٢٧٨هـ ، أحد عن والده مؤلفاته وغيرها ، وكان عالماً بالفقه وأصول الدين ، وله من المؤلفات في أصول الفقه كتاب الإيضاح ، والوارد ، وغير ذلك ، وله في علم الكلام مؤلفات ، وكان راهباً ورعاً ، قام بالإمامة بعد أبيه ثم تنحى عنها لأخيه الإمام ناصر أحمد ومئة انتصابه ستة أشهر ، وبعد اعتزاله أغلق على نفسه الباب ، واشتغل بالعلم والعبادة ، حتى توفي في شهر المحرم سنة ٣١٠هـ وصوّاه الله عليه

(٢) في (ع ، د ، م) : الأعلى الخبير وفي (ش ، ل) : العلي الخبير

(٣) في (ص ، س ، هـ) : وصلاح الحيوان والثمار

من الثمر مُستقى^(١)، وجعله^(٢) للماء طريقاً، وأحرى ذلك بلطفه في العروق، وجعلها بمنزلة الخُلُوق. وليس من طبع الماء أن يصعد علوًّا، ولا يَستُمُو إلى أعالي الشجر سُمُوًّا، وإنما طبع على الثقل، والانحدار، وعلى الثبات في الأرض واقرار، فلما رأياه يطلعُ إلى بواسيق الأغصان، علما أن ذلك من الواحد المتأن الرحمن.

وكذلك فعلُ سيدنا عيسى (عليه السلام) فيس منه، وإنما نُسبَ إليه، وإنما فعله. الحركاتُ والسُّكونُ والصُّميرُ، والتَّقلبُ للطين والتَّصويرُ، وذلك فلا يوجد^(٣) الحياة بعد الممات، ولا يُوحَدُ الأرواحُ في الجمادات إلى آخر الكلام. ولا خلاف في ذلك عند أهل العدل والتوحيد من الزيدية والمعتزلة، وهو إجماع الأمة.

فصل

في الكلام في الأنوار واحتلاف الليل والنهار

ونظرنا إلى تضادَّ الظلِّم والأنوار، واختلاف الليل والنهار، وما في ذلك من النعمة السابغة، والحكمة البالغة، فإذا هو أمرٌ عجيبٌ، ونفعٌ قريبٌ، وكذلك ما نشاهده من سماء الدنيا، من ارتفاعها^(٤) وصفائها،

(١) في (أ، ت)، من الثمر مستقى وفي (ش) من الثمرة مستقى وفي (ع، ل، م) من الثمرة مستفاه

(٢) في (ص) أو جعل

(٣) في (ش، ع) وذلك مما لا يوجد وفي (س، ت، ل) وذلك مما لا يوجد

(٤) في (س، ش). وكذلك ما نشاهد من السماء الدنيا وارتفاعها

وسَعَتِهَا وبِهَاثِهَا، وما فيها من اسْبِرَاتٍ -التي ملأ صياؤها ما بين الأرضين والسَّمَاوَاتِ- من الشَّمْسِ والقمر والنجوم المختلفة، فإذا فيها من عَجِيب الصَّنعة^(١)، وبديع الحكمة، ما لا يقدر مخلوق على وصف عَشِير عَشْرِهِ، لكن معرفة قبلة تجزئ عن معرفة كثيرة.

ومن ذلك أن الشمس قريب نفعها، بعيد ضررها، فإنها لما قُدِّرَتْ وجُعِلَتْ سراجاً -لمن في السماوات ومن في الأرض وما بينهما- وهُاجِجاً حُعلت بعيدة المكاز، لسلامة الأجساد منها والأعيان، ولدفع ضررها عن الأشجار والمياه والحيوان، ولو كانت قريبة منها لأتلف شعاعها الأبصار^(٢)، ولأحرق لبيها الأجساد والأشجار، ولأزال برْد الماء وأسر الأنهار وقُدِّرَتْ تَطْلُعُ حِيناً وتَغْرِبُ حِيناً لدفع هذه المضار، وإصلاح^(٣) الحيوان والأشجار، وتيسير ويسكن بعد معيها أهل الحرص في العمل والإكثار، وجعل القمر رَاقِيةً لبعض الصَّيَاء لمن أراد السُّرَى بالليل لبعض الأسباب، وليهتدي به عدد السنين والحساب^(٤)، وجُعِلت النجوم إذا غابت الشمس والقمر تَسَدُّ مَسَدًا لمن احتاج إلى الدَّهَاب، وليهتدي بها في البر والبحر أهلُ الاعتِراب، وجُعِلت البروج الإثنا عشر مقدرة، لا يختلف سيرُها، ولا يجتمع مفترقها، ولا يفترق مجتمعا، وجُعِلت الشمس تقطع البروج في سنة^(٥) من الحمل

(١) في (ش): من عجائب الصنعة

(٢) في (ش): لأتلف لبيها الأبصار

(٣) في (ت، ح، ل): وإصلاح

(٤) في (م): إلى عدد السنين والحساب وفي (ب) في عدد السنين والحساب

(٥) في (ش): في كل سنة

إلى الحمل؛ تقطع في كل يوم درجة، والبرج ثلاثون درجة، فالبروج كلها ثلاثمائة وخمسة وستون درجة^(١) كعدد أيام السنة. والقمر يقطع البروج كلها في شهر، يقطع (في)^(٢) كل يوم منزلة، والبرج منزلتان وثلاث. والزهرة تُقيم في الراج خمسة وعشرين نهاراً، وعطارد كذلك، ورحيل يُقيم في البرج ثلاثين شهراً، والمشتري يقطع البرج في سنة وشهر، والمريخ يقطع البرج في سنة ونصف^(٣). ومسير هذه النُّبَرَات السَّبع التي هي: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، ورحيل، والمريخ، وعطارد، إلى جهة المشرق، والملك يدور بها إلى المغرب، وذلك يتشأن لك في أسرعها سيراً وهو القمر فكذلك سائرهما، وقد مثل العلماء سيرها مثل ديب النملة في الرَّحَا، فهي تسير ذات اليمين والرَّحَا تدور بها ذات الشمال^(٤).

فلما رأينا هذه النُّبَرَات قد وَضَعَتْ مواضعها، وأعدت لصلاح الحيوان، ورأينا فيها أثر الصنعة والتدبير^(٥)، ودلائل الإنشاء والتقدير، علمنا أنها محدثة.

وقد قال قوم^(٦): شَيْئَانِ خَالِقَانِ قَدِيمَانِ^(٧): نورٌ وظلمةٌ، فخالقٌ خَيْرٌ وهو النور، وخالقٌ شَرٌّ وهو الظلمة، وقالوا: هما ممزوجان وغلبوا

(١) في (ش): ثلاثمائة وستون درجة فقط.

(٢) ساقط في (ش).

(٣) في (ب، ش): في شهر ونصف.

(٤) في (أ): أثر التدبير والصنعة.

(٥) في (أ): وقال قوم وهم الثوب بقوله: (وهي الثوب) يس من كلام المؤلف وإنما هو حشو

من الناسخ تمت

(٦) في (ش): شَيْئَانِ قَدِيمَانِ خَالِقَانِ

الظلمة على النور. قالوا: والدليل على ذلك أن الخير لما وُجد ثبت أن له فاعلاً من جنسه، أو أرفع منه مرتبة، وأن الشر لما وُجد ثبت أن له فاعلاً من جنسه، أو أبلغ منه منزلة.

والحجة عليهم أنا وجدنا النور والظلمة متضادّين، ووجدنا النور يُزيل الظلمة إذا حضر، وتغشى الظلمة إذا غاب، ورأينا أحدهما يزول بحضور الآخر، وبحضر برؤاى ضده، فثبت أنهما محدثان صعيقان عاجزان؛ لأن أحدهما يزول بحضور الآخر؛ ولأن أحدهما معبرٌ للثاني، وإذا عجز عن نفسه وكان الآخر مغيراً له^(١) فهو عن خلق غيره أعجز.

وتبين فساد قولهم أنهم قالوا: النور والظلمة ممتزجان، ومنهم من قال: هما منفصلان ومعهما ثالث معدّل؛ والانفصال والامتزاج يدلان على الحدث، لأن الانفصال هو الانتقال؛ وهو حركة، والامتزاج أيضاً المحاورة، وكل منقل أو مجاور محدث؛ لأنهما لا يتعريان من الحوادث

ودليل آخر: أن كل ما كان له أولٌ وآخر فهو محدث، والنور والظلمة لهما أولٌ وآخر، ولا يمتنعون من أن يقولوا: أولُ النهار وآخره، وأولُ الليل وآخره.

ودليل آخر: أن الظلمة التي قالوا: هي تغلب النور وهي تفعل الشر فإذا كان النور مغلوباً كان صعيفاً، والضعيف لا يكون خالقاً.

(١) في (ص): ورأينا أحدهما

(٢) في (ب، هـ): فكان الآخر مغيراً له (ش) فكان الآخر مغيراً له

وأيضاً فإننا رأينا في الطلعة خيراً كثيراً - وصلاًحاً للحيوان والأشجار - شهيراً، من ذلك: أن الليل يُبرّد حرارة الشمس، ويُعدّل الزمان، وفيه يستريح الناس ويهدؤون، ويأمنون ويسكنون، ولو كان النهار سرمداً إلى يوم القيامة لزال أصلاًح، وعدمت الراحة والفلاح. وإذا كان فعلهما لا يتم إلا بمُعدّلٍ كانا أيضاً عاجزين عن الخلق؛ لأنهما إذا عجزا عن التعديل، عجزا عن الخلق للدقيق والجليل^(١)، فطل ما قالوا

وقال قوم - وهم عبّاد النجوم، وهم بعض البراهمة: العالم قديم، والمدبّرات منه السبعة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، ورحل، والمريخ، وعطارد والبروج الإثني عشر: الحمل، والثور، والحوزاء، والسرطان، والأسد، والسُسلّة، والميزان، والعقرب، والقوس، والحدي، والدلو، واخوت، هي بزعمهم^(٢) المتحرّكات بالخير والشر، والحياة والموت.

والحجة عليهم أنها تنتقل وتروى، وتغيّب (وتُحوّل)^(٣)، ويغيّبها الأقول^(٤)، وبذلك عابها إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنها تجري بها الملك، وتحوبها الخُلُك، وتنقص، وتزيد، وتتحرك^(٥)، وهذه الحالات كلها

(١) في (س، ش): الدقيق والجليل

(٢) في (ش، ع، ل) وهي بزعمهم

(٣) ساقط في (ش، ع)

(٤) في (ث): ويغيّبها الأقول

(٥) في (ب، ص، س، ع): وتتحرك

محدثه، فوجب أن تكون هي في دتها محدثة؛ لأنها لا تتعري من^(١) هذه الحوادث.

ودليل آخر: أن أكبر هذه النيرات الشمس والقمر، فإنهما يُصابان في أنفسهما بالكسوف، فيدخلان في باب من يرمى بالمصائب والحوادث، وينقص القمر في كل شهر حتى لا يبقى منه إلا الأقل ثم يعود فيكون كاملاً، فلو كانا خالقيين، أو قادريين، أو مدبرين، لأزاحا عن أنفسهما الضرر، ولتحصنا عن نقصان والعيوب^(٢)، فلما كانت لا تملك نفسها^(٣)، ولا تدفع عنها شراً، ولا تدفع مكروهاً ولا ضرراً^(٤)، كانت عن ملك غيرها أعجز، وعلمنا أنها مصوغة مدووعة^(٥) لتغيرها واسقالها، وصنعها ونقصانها وزوالها، ولأنها بغيرها محدودة، وحالة ومتحركة ومحدودة^(٦)، وهذه الحقائق دالة على حدوثها، فبطل ما قالوا.

(١) في (ص) عن

(٢) في (ص، ي)، والتعير

(٣) قوله (فلما كانت لا تملك نفسها) يعني النجوم السبعة، وكلها فيما بعدها من الصفات هائلة عن النجوم السبعة، فلا يتوهم لها عناية عن الشمس والقمر فقط، فليتأمل تحت

(٤) في (ص) - ولا ضرراً

(٥) في (ص، م): مصوغة محدثة مدووعة

(٦) في (ص): ومحدودة

فصل

في الكلام في الأرض

ونظرنا إلى هذه الأرض ، وما فيها من الطول والعرض ، وكم عسى أن نصرف مما قد جعل الله فيها من العجائب ، والأمر البديع والعرائب . قد وضع كل شيء منها في مكانه ، وأعد كل أمر منها لشأنه .

وحملة الأمر أن كل شيء منها قد جعل لصلحة - عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها - من الحيوان والطين والماء والأشجار والحجارة - وما كان من جنسها - والنار . ونظربا فإذا هي بعيدة الأطراف ، ومتراكمة الأرداف^(١) ، ثقيلة طويلة ، عريضة عميقة ، ومن بُعِدَها أنه ما أحر أحد من الأممين أن يبلغ حدّها ، إلا ما حكاه الله من دي القربين^(٢) ، وكان ذلك معجزاً ، وكان له من الله تأييداً بسبب شيء كان معه . ومن عمقها أنه ما خرقها أحد ؛ وقد قال الله تعالى . ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَّخِذَ الْجِبَالُ سُوْلًا﴾ [سجدة ، ١٢٧] .

ونظربا فإذا هي على الماء مسروسة ، وفي الهواء معلقة موطئة . وتما دلنا على أنها على الماء مسروسة أن البحار بها محبطة ، وأنها تتفجر الأنهار من خلالها ، ويوحد الماء أيما حفر من سهولها ، وجبالها ، قريباً وبعيداً ، إلا في المواضع التي لا يمكن حفرها لشدتها ، ولبعدها مائها ، وارتفاعها ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مرد ١٧] .

(١) في (ص ، ع ، س ، ش) . متراكمة الأطراف

ومما يدل على أنها في الهواء معلقة موطاة أنها إذا وقعت فيها
زلزلة، أو تردت من حبالها صحرة عظيمة رجفت، وتحركت،
وأحابت.

ومما يدل أيضاً على أنها معلقة موطاة أنها وجدنا لها جهة واحدة^(١)،
وهي الجهة العليا، فعلمنا أن لها جهة سفلى؛ وهي حذوها الأسفل،
ولا يكون شيء له أعلى إلا وله أسفل، وقُدَّام وحلف، ويمين وشمال.
ونظرنا وإذا هي قد قُدِّرَت على أربعة معانٍ وهي: اللين،
والخشونة، والحسرة، والبرودة؛ وإذا هي لم تخل من هذه
الأربعة المعاني.

ونظرنا فإذا الزمان^(٢) على أربعة معانٍ صيف، وخريف، وربيع،
وشتاء. فالصيف حارٌّ يابس، والخريف باردٌ يابس، والربيع حارٌّ
رطب، والشتاء باردٌ رطب، ووجدنا الأجساد بُنيت^(٣) على أربعة
أمزاج: ميرة صغراء، وميرة سوداء، ودم، وبلغم. فالصغراء حارة يابسة
تكثر في الصيف، والسوداء باردة يابسة تكثر في الخريف، والدم حارٌّ
رطبٌ يكثر في الربيع، والبلغم باردٌ رطبٌ يكثر في الشتاء، فعلمنا أنها
محدثة مقدرة، بحكمة مدبرة، لظهور الصُّع والتدبير فيها.

ومما يدل على حدوثها^(٤) أنها لا تخلو من الريادة والنقصان،

(٢) في (ش، ي): عن ذي القربى

(١) في (ص، ع، س، ش): وحداً

(٢) في (ش): ولد الزمان

(٣) في (ش): بُنيت

(٤) في (ص، ع، ل): على حدوثها

والتغيير في الأحوال والأعيان ، وأنها لا تنفك من الأوقات والأزمان ،
وكما كان^(١) للأيام والليالي أول وآخر ثبت حدوثها^(٢) ، وإذا ثبت
حدثها^(٣) ثبت حدث^(٤) ما لا ينفك منها.

والزّمان هو وقت حركة العالم وسكونه ، وقالت^(٥) العلماء قبلنا :
الزّمان مقدار الحركة ، وقد أحسوا فيه القول. ألا ترى أن السّنة هي
مسير الشمس في البروج^(٦) من الحمل إلى الحمل ؟

وقال الجالينوس ومن قال بقوله من أهل الدهر : الأربع الطوائع
التي هي اللين ، والحشونة ، والحرارة ، والبرودة ؛ هي المدبّرة برعمهم ،
قالوا : والدليل على ذلك أن الإنسان لما كان لا يدرك إلا هذه الأربعة
الأشياء كانت مدبّرة قديمة.

وقالت الملاسفة : الطوائع الأربع قديمة ، وحامس معها هو حلافها ،
وأثبتوا الحركات ، وزعموا أن حركة قبل حركة . إلى ما لا نهاية له.

وقال بلعام بن باعورا : إن العالم قديم ، وله مدبر بخلافه. وأثبت
الحركات ، إلا أنه قال : الحركة الأولى هي الحركة الأخرى مُعادة.

والحجة عليهم أنهم قد أقرّوا بحدوث الحركات ؛ لأن قولهم^(٧) : (إن
حركة قبل حركة) دليل على حدوث الحركات ؛ لأنه إذا كانت الحركة

(١) في (ج) : فكما كان

(٢) في (أ ، س ، هـ ، م) . ثبت حدوثها

(٣) في (أ ، س ، هـ ، م) : ثبت حدوثها

(٤) في (أ ، س ، هـ ، م) : ثبت حدوث

(٥) في (ي) : وقد قالت

(٦) في (ش) : في البرج

(٧) في (أ ، ل ، م) . يحدث الحركات في قلوبهم

الآخرة قبلها حركة فهي محدثة لتقدم غيرها عليها، وكذلك سائر الحركات وكذلك قول بلعام: الحركة الأولى هي الحركة الأخيرة معادة، فهذا إقرار منه بحدوث الحركات^(١)، لأن كل شيء له أول وآخر فهو محدث. وقوله: (معادة) إقرار بأن لها مُعيداً. فلما كانت الحركة والسكون حالتين حادثتين، ثبت حدوث الطوائع، لأنها لا تخلو من أن تكون الحركة والسكون، أو تكون المتحرك الساكن. فإن كانت أجساماً متحركة وساكنة، فالحركة والسكون دليل على حدوثها؛ لأنها لا تخلو من الحركة والسكون، وإن كانت الأعراض الحركة والسكون فقد يتأ جدت الحركة والسكون، لأننا رأينا الشيء في زمان ساكناً ثم رأيناه في زمان متحركاً، ثم رأيناه متحركاً بعد السكون، فصَحَّ حدوث الحركة والسكون، وهذا مشاهد سَنَ لَا إِشْكَالَ فِيهِ^(٢)

ودليل آخر أن كل واحد من هذه الطوائع لا يخرج مما رُكِبَ عليه من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، وإذا كانت لا تخرج مما رُكِبَ عليه صحَّ أنها لا تملك نفسها فكيف تدبّر غيرها؟ وأيضاً فلها حدٌّ لا تتجاوزه، ولا تنقص منه، ولا تريد عليه، وبعضها ضدٌّ لبعضٍ ومُعَدِّلٌ لبعضٍ؛ فصَحَّ أنها لا تصنع شيئاً، وأن المصاد بينها والمُعَدِّل^(٣) لبعضها بعضٍ غيرُها، فثبت أنها مُقَدَّرَةٌ مُدَبَّرَةٌ، فبطل ما قالوا.

(١) ي (أ، ي) بحدوث الحركات

(٢) ي (ش) بلا إشكال فيه

(٣) ي (١) وأن المصاد بينهما المعدل وفي (ح) وأن المصاد منها والمعدل

ونظرنا إلى ما أُعِدَّ في الأرض من لنبات والماء، والمعادن والآلات، وما حوّل سُكَّانها من المنافع والأقوات، فإذا هي قد أُتقن خلقها، وأحسن رتقها وفتقها.

فصل

في الكلام في خلق الإنسان

فإننا نظرنا في^(١) خلق الإنسان، وبذ خلقه ابتداءً وانتهاءً في الدنيا، فرأيناه نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظاماً، ثم كُسيَت العظامُ لحماً، ثم طعماً، قد أُعِدَّ فيه جميع ما يُصلِحُ له دينه ودياره قبل حاجته إليه؛ فأُعطي عينين للنصر، وأذنين للسمع، وأنفاً للشم، ولساناً للدوق وللکلام^(٢)، وقمّاً لإدخال الغذاء، وسيلين لإخراج الأذى، ويدين للبطش واللمس، ورحلين للمشي، وأشياء^(٣) من دقائق الخلقة لا يهتدي واصفها، ولا يُحسنُ كشفها^(٤) من عروق مسوجة، ومعدة وأمعاء للأغذية، وعصير ودم، وجسد وشعر، وغير ذلك مما يكثر فيه الكلام. ورأيناه يزيد شيئاً فشيئاً، ويكبر قليلاً قليلاً، حتى يبلغ أشده، وقد أُعطي العقل الذكي فعمد ذلك يستنفع بجميع جوارحه، فيما يصلح دينه ودياره، وقل ذلك يستنفع بها فيما يصلح دنياه،

(١) في (ب) إلى

(٢) في (أ): للدوق والكلام

(٣) في (ب، د): إلى أشياء وفي (ص): إلى الأشياء

(٤) في (ب، ص، د، ح): لا يهتدي واصفها، ولا يحسن كشفها

فلما رأينا فيه أثر الخلقة، ورأيناه كان بعد أن لم يكن، علمنا أنه
محدث بالمشاهدة، والعقل الصروري، وأنه مخلوق مقدر،
ومصنوع مدبر.

ونظرنا إلى ما في الأرض من الحيوان من الدواب والطيور [مخلوقة]
لنافع الإنسان، فمها ما جعل نعمة، ومها ما جعل بليّة. فرأينا في
جميعها ما يدل على حدوثها^(١)، وأنها مصنوعة مصوّرة،
مخلوقة مقدّرة.

فصل

في الكلام في الحسم والعرض

اعلم أن الحسم سُمّي جسماً لطوله وعرضه وعمقه. والعرب تسمي
ما زاد في الطول والعرض والعمق جسماً^(٢)، يقول القائل منهم:
فرسي حسيّم، وجملتي أجسم من حمل فلان، يريد أنه بالغ فيما له
سُمّي جسماً، وهو الطول والعرض والعمق؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ
اللّهَ امْتَلَأَكُمْ فَتِيكُم وَزَادَهُ تَبَاطُةً فِي الْعِصَمِ وَالْجِسْمِ﴾ [سورة ص: ٧٤]، وقال الشاعر
- وهو عامر بن الطفيل -:

وقد علم الحسي من عامر بال لا درؤة الأجسام
وللجسم دلائل منها أن يكون صويلاً عريضاً عميقاً؛ ومها أن يكون

(١) في (ع، ش): ما يدل على حدوثها.

(٢) في (ب) جسماً

قائماً بنفسه، ومنها أنه يكون محدوداً^(١) بالجهات الست التي هي فوق وتحت، وقدام وخلف، ويمين وشمال. فما كان من المصنوعات بهذه الصفات فهو جسم، وما لم يكن بهذه الصفات فهو عرض، إذ لا يوجد شيء من المصنوعات ولا يُعَمِّم إلا جسماً أو عرضاً. وقد أثبت بعض المعتزلة جوهرراً لا جسماً ولا عرضاً، وقالوا: هو الأجزاء المتماثلة الشاغلة للمكان ومعنى المتماثلة عندهم: أن يسدّ الحزء مسدّ الجزء الآخر، وهذا شيء لا يعقل ولا يُعلم.

واعلم أن الغرض المقصود في ذكر الأحسام والأعراض هاهنا أن يفرق بين الجسم والعرض، وبين أفعال الله وأفعال خلقه.

وأما الأحسام فقد تكلمنا فيها بما فيه كفاية، وهذا موضع الكلام في الأعراض فقول:

إنَّ العَرَضَ سُمِّيَ عَرَضاً لِإِعْتِرَاضِهِ فِي الْأَوْهَامِ؛ وَلِأَنَّهُ لَا يُوَحِّدُ مُنْفَرِداً مِنَ الْأَحْسَامِ؛ وَلِأَنَّهُ يَضْعُفُ عَنِ الْقِيَامِ بِنَفْسِهِ، وَيَزُولُ بِضِدِّهِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ سَحَابَهُ وَتَعَالَى مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَرَضاً، لِضَعْفِهِ وَرَوَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَتَّبِعُونَ عَرَضَ السَّعَاةِ الْفُتُورِ﴾ [س. ١٠٤، ١٠٥]، فَلِذَلِكَ^(٢) سُمِّيَ الْعَرَضُ عَرَضاً وَهُوَ عَلَى وَجْهِينَ. ضَرْوَرِيٌّ وَإِخْتِيَارِيٌّ، فَالضَّرُورِيُّ فِطْرَةٌ مِنْ فِطْرَةِ اللَّهِ سَبِّحَانَهُ، وَالْإِخْتِيَارِيُّ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ. فَكُلُّ مَا كَانَ يُوجَدُ صَرُورَةً لَا يُمْكِنُ^(٣) لِإِنْسَانٍ رَدُّهُ فَهُوَ الْعَرَضُ

(١) في (ب): ومنها أن يكون محدوداً

(٢) في (ش، م، س). ولذلك

(٣) في (ش، م، ل): ولا يمكن

الضروري، وهو من فعل الله سبحانه، وما كان يمكن العبد فعله
ويمكنه تركه فهو العرص الاختياري.

والضروري على أفنان: وهو الألوان والطعوم والروائح،
والحركات والسكون في الحماطات، وقد يكون في الحيوان أيضاً مثل
ذلك كضربان العروق.

ومن الضروري أيضاً إلهام الله تعالى لجميع الحيوانات^(١) مصالحهم
الخاصة، من استحلاب المافع، ولقدار عن المضار، فهذا اشترك فيه
المكلف وغيره من سائر الحيوان. ثم راد الله تعالى المكلف جودة النظر،
والمعرفة لمصالحه العاجلة والآجلة. والريادة هاهنا التي هي من الله
فطرة، كاستحسان الحس، وإستقبح الفقيح، وأشبه ذلك، فهذه
الأعراض وما شاكلها مما لا يمكن الإنسان الإمتناع منها، فهو فطرة
من الله تعالى.

ومثل ذلك ما فطر الله عليه الخوس من الحس مما لا يكون اختياراً
للإنسان؛ من ذلك^(٢) أن الله تعالى قد فطر الأذن على سماع الأصوات
مما يريد الإنسان سماعه ومما لا يريد سماعه^(٣)، ألا ترى أن الإنسان
إذا لم يرد سماع صوت لم يمكنه ذلك إلا أن يسد أذنه أو يبعد عن
المصوت وكذلك البصر فيه لو فتح عييه وقبأله شيء^(٤) مما يرى

(١) في (س، ش) لجميع الحيوان

(٢) في (أ، ش). ومن ذلك

(٣) في (ش)، ومما لا يريد سماعه.

(٤) في (ش، ع)؛ لو فتح عييه وقاله شيء وفي (ب) لو فتح عييه قبأله شيء

بالأعيان لراه ولو لم يُرَدَّ بصره، ولا يجمعه من بصره إلا أن يغمض عينيه عنه؛ ولأجل ذلك أن الإنسان إذا فاجأه شيء مما لا يحل له نظره فظرفه مفاجأة فلا إثم عليه في النظرة التي لم يقصدها ولم يتعمدها، وكذلك الشم والذوق، هذا ما لم يكن للإنسان فيه صنع، فأما ما تعمده الإنسان وقصده من استعمال الحواس والقلب والجوارح، فهو عرص اختياري من فعل الإنسان.

والذي يدل على أن الحس عرض أن الإنسان إذا نام لم تحس حواسه^(١) شيئاً، وأيضاً فإن الحس لا يقوم بنفسه، فصح أنه عرض لبطالته ولكونه قائماً في سواء.

والاختياري أيضاً على أن جميع قائل القلب الاختياري الذي هو العقل المكتسب مثل النظرية والتمييز والاستنتاج، والنية، والاعتقاد، وأشياء ذلك، هذه أعرص من فعل العبد.

ومما يريد ما قلناه^(٢) قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الزمر: ١٦]، وقال عز من قائل -حاكياً قول أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الشَّجَرِ﴾ [الزمر: ١٧]، فلم ينفو عنهم القلوب، ولا العقل الغريزي؛ لأنه لو نفى عنهم العقل الغريزي لم يكن عليهم حجة، فصح أنه نفى عنهم العقل المكتسب، وذكر أن تركهم للمظر ذنب.

(١) في (ب، ج، س): جوارحه

(٢) في (ب، س، م): ومما يؤيد ما قلنا

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا بِذُنُوبِكُمْ فَسَتَافْتَحُ ابْوَابَ السَّعِيرِ﴾ [سورة ١١]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّاسُ يَعْمَلُونَ الْخَيْرَ وَيُعْطُونَ أَجُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ».

وَالْحَسُّ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَعَمَّدُهُ عَرَضٌ اخْتِيَارِيٌّ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ. وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَحُلِقَ لَهُ اللِّسَانُ^(١) وَالْأَدْوَاتُ وَالْأَنْفَاسُ وَاللَّهْوَاتُ. وَفِعْلُ الْعَمَلِ فِيهِ الْهَمَّةُ، وَتَصْعِيدُ الْأَنْفَاسِ، وَتَحْرِيكُ اللِّسَانِ. فَكَانَ لَصَوْتٌ وَظَهْوَرُهُ مِنْ تَصْعِيدِ النَّفْسِ فِي الْخَلْقِ. وَكَانَ الْكَلَامُ مِنْ تَقْطِيعِ اللِّسَانِ وَاللَّهْوَاتِ لِلنَّفْسِ، فَصَارَ حُرُوفًا وَكَلَامًا مَفْهُومًا

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ^(٢) إِذَا مَلَأَ الصَّوْتُ وَلَمْ يَحْرُكْ بِهِ لِسَانَهُ وَلَهْوَاتَهُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ كَلَامًا، وَقَدْ حَكَى اللَّهُ ذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة ١٦]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: فِيمَا حَكَى عَنْ أَهْلِ السَّارِ: ﴿وَقَالُوا لِيُخْلِدِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَطْلَقَ صَكُّنَ نَفْسٍ. وَلَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة ١٢١]، فَمِثْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ خَلَقَ الْأَدْوَاتُ^(٣) وَالْجَوَارِحَ وَجَمِيعَ الْأَلَاتِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّطْقَ بِالْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ: حِكَايَةٍ وَمُبْتَدَأٍ فَالْمُبْتَدَأُ، مَا يَنْطَقُ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيَتَدَعُهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَالْحِكَايَةُ مَا يَنْطَقُ بِهِ مِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ الْقِرَاءُ، فَمِثْلُهُ فِيهِ الْحِكَايَةُ إِذَا تَلَّاهُ،

(١) فِي (ب، ح، د)؛ فَعَلَى أَنَّهُ لَهُ اللِّسَانُ.

(٢) فِي (ش)؛ أَلَا تَرَى الْإِنْسَانَ

(٣) فِي (ش)؛ خَلَقَ الْأَدَاةَ

والمحكى هو فعل الله. وكذلك ما حكى من كلام المتكلمين ؛ فذلك الكلام لمن ابتدعه^(١)، وهو مفعول له لما حكاه، كما أن البناء والنجار (والنحات)^(٢) والصانع واستأخ فعلهم التأليف والحركة والسكون. وفعل الله الأجسام، وهي مفعول لهم، وكذلك القراءة لهم فعل والقرآن مفعول لهم وهو فعل الله وهو عرض.

واعلم أن العرض لا بد له من شبح ؛ لأنه لا يقوم بنفسه، وشبحه في حال الكلام المتكلم، وشبحه بعد ذلك الهواء ؛ لأن الله قد فطر الهواء على حمل الأصوات إلى الآذان السامعات ؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه ولا يقطع المسافة وكذلك المصوت لا يقطع المسافة أيضاً بنفسه ولا يدخل في أذن السامع^(٣) ولا ينتقل إليه، فلما لم يمكن^(٤) ملاصقة المصوت لأذن السامع ولا انتقاله إليه، ولم يمكن قيام العرض بنفسه من غير شبح ولا قطع لمسافة^(٥) ؛ لم يبق إلا أن الهواء هو الذي حمله وهو شبحه.

ومن هاهنا غلط قوم من الزيدية وهم المطرفية فإنهم قالوا: إن السامع لم يسمع الصوت، ولكنه يسمع المصوت^(٦) ولا يسمع عندهم - الكلام، وقالوا: لا يسمع القرآن وإنما يسمع القارئ. وقال بعضهم: ليس القرآن بحروف وإنما هو معنى في النفس.

(١) في (ب): لمن بدعه

(٢) ساقط في (ث)

(٣) في (ص) في أذن السامع. وفي (ش): في أذن السامع

(٤) في (ب، ل، ع): فلما لم يمكن

(٥) في (ص): ويقطع المسافة وفي (ش): ولا قطع مسافة

(٦) في (ج): ولكنه سمع المصوت

وقالوا: لم يفارق قلب الملك. وقنوا: هذا القرآن إنما هو حكاية عنه ودليل عليه

وعلتهم (في ذلك) ^(١) أن القرآن عرض، والعرض لا يجوز عليه البقاء، وأنه إحالة الألسن، وأنه لا يقوم بنفسه، ولا يقطع المسافة، وأن الحروف كانت قد حصلت مع الناس قبل بروله، فصح أن الحروف برعمهم هي الحكاية ^(٢) دون المحكي. واستدلوا على أنه لا يسمع الكلام، وإنما يسمع المتكلم ^(٣) بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ (ن عر ١٩٣)، ولقول الله تعالى ^(٤): ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الب ٩٠).

والحجة عليهم من العقل أنهم مجمعون معنا على أن حُجَجَ الله على خلقه ثلاث؛ وهي العقل والكتاب والرسول، وهم أيضاً مجمعون معنا على أن الله تعالى تعبد المكلفين بمعقول ومسموع.

فنقول: لا يخلو الكتاب المسموع كله من أن يكون الكلام أو المتكلم

فإن قالوا: هو المتكلم لنفسه ^(٥) أوحوا أن كل متكلم بالمسموع حُجَّة في ذاته، فيصير كل إنسان ممن يتكلم بالمسموع حُجَّة لله بذاته، فهذا ما لا يتكلم به عاقل ^(٦).

(١) ساقط في (ش، م، ل)

(٢) في (ب)، هي في الحكاية

(٣) في (ج، د)، ويسمع المتكلم

(٤) في (ت)، ويقول الله تعالى

(٥) زيادة في (أ)

(٦) في (ش)، فهذا مما لم يتكلم به عاقل

وإن قالوا: الحجة الملك الذي لم يفارق القرآن قلبه، أو القرآن الذي هو في قلبه لم يفارقه، قلنا: فليس مسموع^(١)؛ لأننا لم نسمع الملك، وإذا لم ينزل القرآن، ولم يفارقه فليس بحجة، فبطل أن يكون المتكلم حجة، إلا الرسول ﷺ، ونحن فلم نسمعه بذاته، لكن سمعنا كلامه، وما جاء به، إذ لم نشهده، فصح أن الحجة هو الكلام المسموع.

ومن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْزَلَ مِنْ عِنْدِ مَوْسَى﴾ [الأعداء: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ آتَيْنَا بِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وأمثال ذلك كثير في الكتاب.

وأيضاً فنقول لهم: أخبرونا عن الكلام الذي سمعه موسى من الشجرة، هل سمع الشجرة ولم يسمع الكلام، أو سمع الكلام؟

فإن قالوا: سمع الشجرة ولم يسمع الكلام. أحالوا وخالفوا جميع الأئمة والأمة، وهذا ما لا يقول به عاقل، ولأنه لو سمع الشجرة ولم يسمع الكلام لكانت الشجرة هي الحجة دون الكلام، وهذا ما لا يعقل^(٢)، وأيضاً ففي الكلام^(٣) الذي سمعه موسى من الشجرة: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاهْبِثِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]،

(١) في (س)، قلنا: ليس مسموع

(٢) في (ج)، وهذا بما لا يعقل

(٣) في (ص)، أيضاً هي الكلام وفي نسخة أخرى: وأيضاً وفي الكلام وفي نسخة أخرى: أيضاً وفي الكلام.

فهذا خطابٌ من الله لموسى، وحبرٌ وأمرٌ ونهيٌ، فلو كانت الشجرة مسموعةً والكلام غير مسموعٍ لكانت الشجرة هي: المخبِرةُ الأمرة الناهية. ولو كان الكلام معلوماً غير مسموعٍ وكان الجسم هو المسموعُ وكلامه معلومٌ لكان يُعلم الكلام من المتكلم ومن غير المتكلم، ولما كان للكلام معنى إذا لم يكن مسموعاً، وهذا جهلٌ كبيرٌ^(١) لم يقل به أحدٌ من الناس غير هذه الفرقة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فكم ما إن تمسكتُم به لن تصنوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

وقال ﷺ: «رَبُّوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَرِدُّ الْقُرْآنَ حُسْنًا». وقال ﷺ: «كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأَمِّ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ مَعَهَا» وفي بعض الأحبار: وثلاث آياتٍ معها - فهي حُدُجٌ. وقال ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ» وروى عن علي (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ الْكَثِيرَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّوْمِ الْكَثِيرِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَيَسْمَعِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ فِي لَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ يَنَامُونَ، وَفِي نَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَفِي حُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَفِي صَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَحُلُطُونَ، يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ تَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعَنَّ اللَّهُ وَلَا تَعَزَّزْ فَيَذَلَّكَ اللَّهُ، وَتَزَيَّنْ لِلَّهِ فَيَزِينَنَّكَ اللَّهُ،

(١) في (ج، د). وهذا جهل كثير

ولا تزين للناس فيضعك الله، انه أفضل لك من كل شيء هو دون الله، من قرأ القرآن فقد قرأ الله، ومن استخف بحق القرآن فقد استخف بحق الله، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده، وحملة القرآن يدعون في التوراة المخصوصين برحمة الله الملبسين سور الله^(١)، المعلمين كلام الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا^(٢)، ويدفع الله عن تاللي القرآن بلوى الدنيا والآخرة^(٣). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): آية من كتاب الله تركها الناس وهي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال ريد بن علي عليهما السلام^(٤): أما بعد

(١) في (ب): الملبسين سور الله

(٢) في (ش): بلاء الدنيا

(٣) زيادة في (أ)

(٤) هو الإمام الأعظم، والطود الشامح الأشم، شهيد أبو الحسين ريد بن علي زين العابدين ابن الإمام الشهيد سبط الرسول الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أحد عظماء الإسلام، وأحد أئمة العلم والعمل وجهاد، والتصحية والعداء ولد (عليه السلام) سنة ٧٥هـ على القول الصحيح، في المدينة المنورة، وبها نشأ الشاة الطاهرة، هي أنمة الإيمان، والعلم والفصل، والطهر والعماف، والرهف والورع، وعبادة والنقى. أخذ العلم عن أبيه السجاد زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، وأخيه محمد الباقر، ثم تلمذ للقرآن ثلاث عشرة سنة يقرأه ويستمعه، حتى لقب بحليف العرب، وأصبح بديراً مبراً في سماء العلم، والمعرفة، واتفق عمناء عصره على تقدمه في كل الميادين، وعسى تقدمه وتفصيله على سائر أقرانه. وأقام في المدينة المنورة الشطر الأول من عمره الشريف، ثم تنقل بين الحجاز والشام والعراق، يلتقي بالعلماء ويحثهم على الجهاد في سبيل رب العدين، وسابدة الظالمين.

ببيع له بالإمامة سنة ١٢١هـ وقام ودع وخرج محمداً في سبيل الله تعالى، ثائراً على الظلم، والفساد في ليلة ٢٢ من شهر محرم سنة ١٢٢هـ وصارع جيوش الأمويين ليالي متالية، مع عدم التكامل بين الجيشين، وتحلف أكثر وأغلب من بابيه عن نصرته

أصيب (عليه السلام) بسهم غائر غادر في جبهته، فلمحق بجده سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام)،

يَا قَارِئَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتْلُو الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، حَتَّى تَعْرِفَ الَّذِي حَرَفَهُ (أَوْهُوَ اللَّهُ تَعَالَى) (١) وَقَدْ لَقِيسَ بِنِ إِِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي مَدِيحِ الْقُرْآنِ: كِتَابٌ أَنْزَلَهُ الرَّحْمَنُ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، فَاقْرَأْ فِي أَرْضِهِ قَرَارَهُ، وَثَبَّتْ فِي عَمَدِهِ أَنْوَارَهُ...إِلَى قَوْلِهِ: سَمَاوِيٌّ أَحَلَّهُ إِلَهُهُ بِرَحْمَتِهِ أَرْضَهُ، وَأَحْكَمَ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ فَرْصَهُ. وَذَكَرَ قَوْمًا حَرَفُوهُ فَقَالَ: بَلْ حَتَّى كَادَتْ تَجْعَلُ فَاءَهُ أَلِفًا وَأَلِمَهُ فَاءً، لِلْجَهْلِ بِاللَّهِ (٢). وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: كَيْفَ بِمَا فِي حَوَائِمِهِ مِنْ غَرَائِبِ حِكْمِهِ، وَفِي طَوَاسِينِهِ مِنْ عَجَائِبِ مَكُونِهِ، وَفِي (ق)، وَ(طه)، وَ(يس)، مِنْ عِلْمِ حَمٍّ لِلْمُعَلِّمِينَ، وَمَا فِي (كهيعص)، وَالْمُرْسَلَاتِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ (٣) الْخَافِيَاتِ. فَبَرِئَ أَنَّهُ كَلَامٌ، وَأَنَّهُ فِي الْأَرْضِ حَالٌ، وَأَنَّهُ حُرُوفٌ، وَأَنَّهُ مَسْمُوعٌ، لِأَنَّهُ قَالَ فِيهِ: فَإِنَّكَ إِنْ تَسْمَعُ مِنْهُ بِأَدْنِ وَاعِيَةٍ ثُمَّ تَقْبِلُ عَلَيْهِ مَلِكٌ بِنَفْسٍ لِحِكْمَةٍ رَاعِيَةٍ (٤)، تَسْمَعُ صَوْتًا مِنْهُ بِالْهُدَى صَيِّتًا (٥)، وَتَعْرِفُ مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ حَيًّا مِمَّنْ جَعَلَهُ مَيِّتًا

وَالرَّكِبَ الطَّاهِرَ مِنْ أَهْلِ سِنَةِ، رَافِعًا رُبِيَّةً لِإِسْلَامٍ عَالِيَةٍ خَلْقًا، مَلْطُحَةً بَدَمَهُ وَدَمَاءَ الشَّهَدَاءِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَمْ يَكْتَفِ الظَّالِمُونَ بِقَتْلِهِ حَتَّى تَعَابَهُ بِأَنْ يَشَوْهُ مِنْ قَبْرِهِ، وَصَوْرَهُ، وَأَحْرَقُوهُ، وَدَبَّرُوا رَمَادَهُ فِي الْبَحْرِ وَأَخْبَرَهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَثِيرَةً، فَهُوَ إِمَامُ جِهَادٍ، وَمُؤَسِّسُ مَذْهَبٍ، وَمَجْدِدٌ لِدِينِ اللَّهِ وَنَحْيِي لَشَرِيعَةِ اللَّهِ وَمَا يُدْرَسُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ لَهُ عَدَدُ مَوْلَمَاتٍ، أَشْهُرُهَا الْمَجْمُوعُ الْعَقْدِيُّ، وَالْمَجْمُوعُ الْمَدِينِيُّ، وَفِي طَبْعَاءِ تَرْصِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. أَنْتَهَى

(١) رِيَادَةُ فِي (أ)، وَقَوْلُهُ (حَتَّى تَعْرِفَ الَّذِي حَرَفَهُ) يَعْنِي تَعْرِفَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَجَعَلَهُ حُرُوفًا، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَحْتِ

(٢) فِي (ص، ش) وَأَلِمَهُ - لِلْجَهْلِ بِاللَّهِ - د.

(٣) فِي (ب) مِنْ سَرَائِرِ الْعُلُومِ

(٤) فِي (أ، ش، د): بِنَفْسٍ لِحِكْمَةٍ رَاعِيَةٍ وَفِي (ص) بِمَنْ الْحِكْمَةُ رَاعِيَةٍ

(٥) فِي (س، ش): تَسْمَعُ مِنْهُ صَوْتًا بِالْهُدَى صَيِّتًا

وقال ولده محمد بن القاسم عليهما السلام في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الب. ١١٤] ، معى كلام الله لموسى (عليه السلام) عند أهل العلم به أنه أشأ كلاماً أحدثه كما شاء ، فسمعه موسى وفهمه ، ولم يجعل الله بينه وبين موسى ملكاً رسولاً ، وأسمعَهُ النداء فقال : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعمر ٢٠] ، ونداء غير المتنادي ، والمتنادي هو الله جل ثناؤه ، والنداء غير الله تباركت أسماؤه. وما كان غير الله فهو محدثٌ بعد أن لم يكن.

وقال الهادي للحق (عليه السلام) في كتاب الأصول : وإن القرآن أمره الله على بيته (عليهم السلام) ، وأشأ وحققه ، ووصله وفصله ، وألفه وأحدثه. وقال (عليه السلام) في مسائل الرازي - وقد سأل : كيف يأخذ جبريل الوحي من الله ، وكيف يعلمه ، وكيف السبيل فيه (١) حتى يفهمه ؟ - فقال الهادي للحق (عليه السلام) : اعلم هداك الله أن القول فيه عندما كما قد روي فيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه سأل جبريل عن ذلك فقال : «أخذه من ملك فوقي ، ويأخذه الملك من ملك فوقه ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : كيف يأخذه ذلك الملك ويعلمه ؟ فقال جبريل صلى الله عليه وآله وسلم : يُلقَى في قلبه إلقاءً ، ويُلهمه إلهاماً»

قال الهادي إلى الحق (عليه السلام) : وكذلك هو عندنا أنه يُلهمه الملك الأعلى إلهاماً. فيكون ذلك الإلهام من الله وحياً ، كما ألهم تبارك وتعالى النحل لما تحتاج إليه ، وعرفها سبيلها (٢).

(١) في (ش) : إله.

(٢) في (ش ، م ، س) : وعرفها سبيلها

وسأله : كيف كان الكلام من الله لموسى صلوات الله عليه ؟

فقال **عليه السلام** : كان معنى ذلك أن الله تعالى خلق له كلاماً في الشجرة سمعه موسى بأذنه ، كما كان يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي ربه ، فكان فهم موسى - صلى الله عليه - وسماعه لذلك الكلام الذي شاء الله إسماعه إيّاه لما أراد من كرامته واجتباته ، ففي ما هاهنا كفاية^(١).

ولم يقل أحدٌ مثل مقالة هذه بفرقة ؛ إلا أن قوماً من المحبرة قالوا في القرآن قريباً من قول هذه الفرقة ؛ في أن القرآن ليس بمسموع ولا هو كلامٌ ، ولا هو حروفٌ ، وقالوا : هو قديمٌ ، وهو معنى في النفس . فاحتج عليهم السيد أبو طالب **عليه السلام** في التبصرة في كتاب الهادي فقال : وأيضاً فإن كلامه تعالى لا يحلو من أن يكون من جنس الكلام

(١) في (م، ي) : لم يسمع ما هاهنا كفاية

(٢) هو الإمام الساطق بالحق ، أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن عطاء الإسلام ، وأتمه الريدية الكرام ، كان إماماً ، عالماً ، مجتهداً ، محدثاً ، حافظاً ، مجاهداً مولده بأمل طبرستان سنة ٣٤٠ من الهجرة النبوية . وشأ عن الطهر والعلم والصلاح ، فتسابق مع أخيه الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون على طلب العلم ، وكان شيخهما الحافظ الحجة أحمد بن إبراهيم المشهور بأبي العباس الحسني ، حيث أخذوا عنه علوم الريدية ، وأصبحا علميين مصنفين في شتى العلوم

فأم بأمر الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام المؤيد بالله سنة ٤١١ هـ ويومع له في بلاد الديلم ، فأقام عمود الدين ، وجاهد في سبيل الله ، وحكم بعدل ، حتى توفي - رضوان الله عليه - سنة ٤٢٤ هـ عن سبع وثلاثين سنة ، وله عدة مؤلفات ، منها : الأمالي ، وهي المعروفة بأمالي أبي طالب ، وقد رتبها القاضي جعفر بن عبد السلام رضي الله عنه ، وسمّاها (تيسير الطالب في أمالي أبي طالب) وقد طبع ، وله كتاب التحرير في الكشف عن بصوص الأئمة المحارير (طبع) ، والإفادة في تأريخ الأئمة السادة (طبع) وغير ذلك من المؤلفات النعيسة رضوان الله عليه . انتهى

المعقول فيما بيننا، وهو أن يتركب من جسد الأصوات والحروف، أو مخالفاً لذلك. فإن كان من جسد لأصوات والحروف وإلا لم يكن يدرك الأجسام والأعراض، فلا شبهة في حدوثه، وإن كان مخالفاً لذلك لم يصح أن يكون كلاماً وأن يفهم به شيء، فالمثبت لكلام مخالف للكلام المعقول فيما بيننا، فإنه في حكم من يُثبت جسماً مخالفاً للأجسام المعقولة فيما بيننا، ويثبت مع الله تعالى جسماً قديماً مخالفاً لساائر الأجسام. ومن يزعم أن الكلام معنى في النفس، وأن الحروف المسموعة دلالة عليه، فهو في التجاهل بمنزلة من يزعم أن الصوت معنى في النفس، وأن المسموع منه دلالة عليه؛ وأن اللون معنى في النفس، والمرئي منه دلالة عليه^(١)، فتبين جهل من يقول بهذه المقالة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرًا حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّفَقَ مَآفِقُهُ﴾^(٢) ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه سمع خفق نعل وهو يصلي، وهو ساجد، فلما كبر من صلاته قال: «من هذا الذي سمعت خفق نعلي»، فقال أنا يا رسول الله، قال: «فما صنعت؟» قال: وجدتك ساجداً فسجدتُ لمعك^(٣)، قال: «هكذا فاصنعوا، ولا تعتدوا بها. ومن وجدني قائماً أو راكعاً أو ساجداً فليكن معي على حالتي التي أنا عليها» فبين أنه سمع خفق النعل، وحقق النعل هو غير النعل.

وقول من يقول: إن كلام الله لا يُسمع مكذبٌ لكتاب الله، وقد قال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتاب المسترشد: فلما سمعت

(١) في (س، ش). والمرئي دلالة عليه

(٢) زيادة في (ش، ع، ل)

حاسة الأذن صوتاً علم السامع أنه له مُصَوِّتاً منه كان، ومن بعد خروجه من حلقه بأن لسامعه. وهذا عكس ما قالوا: من أن المتكلم^(١) يسمع ويعلم الكلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْفَىٰ مِنِّيْهِمْ شَيْءٌ سَمِيْعٌ بِمَا عَمِلُوا﴾ [السور ٢١]، فليس أن الجسم معلوم، وأن الصوت مسموع، وقد قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَخَذْنَا عِمَّتِي مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران ٥٢]، بمعنى سمع منهم الكفر، فصح أن الكلام محسوس، وفي هذا بيان لمن كان له قلب، ولا يمتنع أن نقول: سمعاً زيداً يتكلم، بمعنى أنا سمعنا الكلام منه، وأنه مُسْمِعٌ، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا مُدَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران ١٩٣].

فصل

في الكلام في الألوان والطعوم والروائح

اعلم أن هذه أعراض؛ وهي صفات ضرورية للأجسام، والدليل على أنها أعراض أنها لا تقوم بنفسها^(٢)، وأنها تبطل بأضدادها؛ وكذلك الضياء والظلمة، واللين والحسونة، والحرارة والبرودة. ومعرفة هذه الجملة فروع^(٣)، ومن تأول في الفروع فأخطأ لم يُحكم عليه باسم الكفر، ولا يُحكم عليه باسم الفسق، ولا يُحكم عليه بأنه مُعاقبٌ بذلك.

(١) في (ش): بأن المتكلم

(٢) في (ش، ع، ب): بأنفسها.

(٣) يعني أن هذه الجملة هي من المسائل الشرعية، فكما حكم معرفتها كحكمها تمت.

فأما الأصول فإن من تأولها فأخصاً فإنه معاقبٌ مأثومٌ. فإن كان في خطائه مخالفاً للمسلمين، موافقاً فيه للكافرين، فهو كافرٌ لموافقة الكافرين^(١) في قولهم، مثال ذلك: من زعم أن القرآن قديمٌ، ومن يزعم أن الله يُرى يوم القيامة (بالأعين)^(٢)، ومن يزعم أن الله أجبره على فعله^(٣)، وهؤلاء قد حالفوا المسلمين، ووافقوا الكفار في قولهم أما موافقة الكفار^(٤) فإن الكفار اثنوية ادَّعوا إلهين قديمين، وهؤلاء يقولون. القرآن قديمٌ مع الله، فاشتوا إلهين قديمين والذين يقولون: إن الله يُرى يوم القيامة وافقوا الكفار في توهمهم أن الله يُرى بالأعيان فقالوا: يا موسى (أرنا الله جَهْرَةً) ومن يزعم أن الله أجبره^(٥) على فعل القبيح والحس، فإنهم وافقوا الكفار في قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَصَكُنَا﴾ (١١٨: ١١٩) ووافقهم الكافرين أحالفوا المسلمين. ومن كان في خطائه وتأويله^(٦) موافقاً للقاسقين مخالفاً للمؤمنين فهو فاسقٌ، من ذلك: من يتأول خلاف الكتاب والسنة والإجماع وليس معه علمٌ من الكتاب والسنة والإجماع، فيكون فاسقاً لحكمه^(٧) بخلاف ما أنزل الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٧: ١٨).

(١) في (ب). لموافقة الكافرين.

(٢) ساقط في (ص، ش).

(٣) في (ش). جبره على فعله.

(٤) في (ب). أما موافقتهم الكفار.

(٥) في (ص، ش). أن الله أجبره.

(٦) في (ج، د، ل). ومن كان خطاؤه في تأويله.

(٧) في (ج). بحكمه.

فأما من تأول في مسائل الاجتهاد فأخطأ فلا إثم عليه إذا لم يجد المسألة في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا في الإجماع، وكان عالماً بالكتاب والسنة والإجماع.

ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فأجتهد رأيي لا آلو اجتهداً، فقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لِمَا وَفَّقَ لَهُ رسول الله». والصفات التي ذكرها^(١) هي من مسائل الاجتهاد، وليس في الكتاب ولا في السنة أن الله تعبد الخلق بمعرفتها. وقد اختلف فيها العلماء من العامة، وفي غيرها من الأعراف.

فقال أبو الهذيل^(٢)، ومعمري: ومن قال بقولهما بالأعراض وأثبتوا جوهرًا قابلاً للأعراض، قالوا: والدليل على الجوهر أنهم لما رأوا البصرة حصراء وعينها قائمة، ثم رآوها حمراء وعينها قائمة علموا أن ثم معنى وجوهرًا قابلاً للألوان، ومُحال أن يكون اللون والطعم جسمًا واحدًا، ومُحال أن يكونا جسمين في مكان واحد.

(١) ي (ش، ي) التي ذكرناها

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول - بعلادي، أبو الهذيل العلاف، شيخ البصرة، من المعتزلة، سمي بالعلاف لأن داره ببصرة عند سوق العلف ولد سنة ١٣١هـ، أخذ الكلام عن عثمان الطويل، وعثمان بن عيسى، وروى الحديث عن محمد بن طلحة، وأخذ عنه الكلام أبو يعقوب الشحام، وليس بذلك في الرواية

قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات، وهو من موالي عبد القيس، حسن الجدل، قوي الحجة، كثير الاستعمال للأدلة الإنشائية قال الحاكم: أسلم على يده سبعة آلاف نفس توفي بئر من رأى سنة ٢٣٥ من الهجرة النبوية، وقيل غير ذلك.

وقال هشام بن الحكم^(١) ومن قال بقوله، وأبو بكر الأصم ومن قال بقوله: ليس في العالم عرص^(٢) لأنه لا يُعقل إلا الجسم الطويل العريض الشاغل للمكان، ومُحال أن يكون ليس بشاغل، ومن ثم^(٣) تفوا الأعراض.

وقال بشر بن المعتمر^(٤) ومن قد بقوله: اللون والطعم والرائحة والصوت والحس وما أشبه ذلك أعراض وأن جوهرًا قابلاً لها، وزعموا أن الحركة ليست بأعراض ولا أحسام؛ لأن الأعراض تنقضي زمنين^(٥)، والحركة لا تنقضي زمنين ماضٍ وحال. قال: وقد كُفينا أبو الهذيل مؤنة مناظرتهم ذكر الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى عليهما السلام في كتاب النجاة^(٦): أنهما الهذيل ناظر حفصاً

(١) هشام بن الحكم الرافضي، من النخبة العجمية، أدرك برسم المأمون، الخليفة العباسي سنة ٢١٨ هـ وله أنواع يعرفون بالهشامية.

(٢) في (ث): ليس ثم في العالم عرص.

(٣) في (ج): فمن ثم.

(٤) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي، أبو عمرو، من النخبة السادسة، وكان رئيساً للمعتزلة في بغداد في عصره، وليل إليه من أهل الكوفة ومن تلاميذه ثمانية وبلغ الرشيد أنه شيعي فحبسه، فقال في الحبس شعراً، ثم أفرج عنه انتهى.

(٥) يعني ماضٍ وحال.

(٦) هو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو أحد الأئمة الأعلام عالم، عامل، مجتهد، مجاهد، ورع، زاهد، عادل، سخي، شجاع، اجتمع فيه شروط الإمامة العظمى، فتولاها بعد اعتزال أخيه الإمام محمد المرتضى سنة ٣٠٣ هـ، وكانت حياته في جهاد واجتهاد، وعلم وعمل، حتى توفاه الله بصعدة سنة ٣٢٥ من الهجرة النبوية، وأخاره وفاقه كثيرة، وله مؤلفات كثيرة في كل العلوم، وإلى الآن لم يطبع منها إلا كتاب النجاة انتهى.

من أصحاب بشر بن المعتمر - وقد نعى الحركات، فقال له أبو الهذيل: أحبرني كم حدّ الزّاسي؟ قال حفص: مائة جلدة. قال أبو الهذيل: فكم حدّ القاذف؟ قال حفص: ثمانون. قال أبو الهذيل: فأحبرني هل الجلد هو الخلاد^(١)؟ قال حفص: لا. قال أبو الهذيل: فهل هو حنب المحلود^(٢)؟ قال حفص: لا. قال: فهل هو السّوط؟ قال: لا. قال أبو الهذيل: فأرني لا شيء، راد عني لا شيء عشرين فانقطع حفص ولم يجد جواباً.

وقال إبراهيم النّظام^(٣)، ومن قل بقوله: إن الألوان وما أشبه ذلك أحسام، وإنه ليس في العالم إلا جسم، إلا الحركات فإبها أعراض، قالوا: والدليل على ذلك أنه لما رُوي الجسم الطويل العريض العميق، فمن حيث ما رُوي الجسم واللون فيه فكان كذلك اللون جسماً طويلاً عريضاً عميقاً.

هذا ما علمناه من خلاف المتقدمين من أهل الإسلام. فأما أهل البيت (عليهم السلام) فلا خلاف بينهم في العرض وثبوته، وأنه مُدرَكُ إلا الحركات. وأن المُدرَك بالحواس تسعة: الألوان، والروائح، والطّعم،

(١) في (ش، ع) فأخبرني عن الخلاد هو الخلاد

(٢) في (ب، ح، د) فهل هو جث المحلود

(٣) هو إبراهيم بن سيار النّظام، المصري، أنور إسحاق، يقال هو مؤلف قال الإمام المهدي (عليه السلام) في شرح الملل والنحل: قيل إنه كان لا يكتب ولا يقرأ، وقد حفظ التوراة والإنجيل والربور مع نصبرها قد احاطت ما رأيت أحداً أعلم بالعقده والكلام من النّظام وهو من الطبعة السادسة من المترية انتهى وسمي نظاماً، لأنه كان ينظم الكلام، وقيل كان ينظم الحرر، ونوفي سنة بضع وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية. انتهى

والحرارة، والبرودة، والرطوبة، وليوسة، والأصوات، والآلام،
وسنورد أقوالهم في ذلك في موضع الاحتجاج - إن شاء الله تعالى -
على مخالفهم.

وقالت المطرفية: الأعراض كلها تعلم ولا تدرك بالحواس، وقالوا:
هي لا تحل ولا تحل ولا تتوهم، وثبتوها شيئاً لا يرى.

وقالوا: لا يرى اللون ولكنه يعلم، ولا يسمع الصوت لكنه
يسمع الجسم المصوت، ولا يدرك عندهم الطعم، ولا الرائحة،
ولا الحرارة، ولا البرودة، ولا الآلام، لكس تدرك الأجسام
وتعلم الأعراض

فأول ما يحتاج به عليهم من العقل أن الله قد خلق للإنسان، وغيره
من الحيوان خروقاً في حسده إما يدخل ويخرج. فمما ما خلق إما
يدخل ويخرج لصالح العبد وهو: الفم والمنخران، فالداخل هو
المطعم، والمشروب، والرائحة، وما يستشق من الهواء. والخارج:
الأنفاس، والقيء، وشبهه. ومنها ما خلق إما يخرج وهو السيلان.
ومنها ما خلق إما يدخل وهما الأذنين، ولا خلاف في ذلك.

فنقول لهم: أخبرونا عن هذا الداخل في الأذنين ما هو أجسم
أم غرض؟

فإن قالوا: جسم قلنا: وأي الأجسام هو؟ أقولون: هو المتكلم
على الكمال، أو جزء من جسمه؟

فإن قالوا: هو الإنسان على الكمال، فالخرق ضيق لا يسه.

وأيضاً فلم يتنقل من موضعه الذي يتكلم فيه^(١) إلى أذن السامع.

وإن قالوا: الداخل هو جزء منه. قلنا: هذا باطل من القول أن يكون الإنسان بعصه مستقراً وبعصه متقللاً^(٢)، فبطل^(٣) دخول الجسم من هذا المعنى، وصح أن الله تعالى ما جعل خرق الأذنين إلا طريقاً للأصوات دون المصوتين

فإن قالوا: فإذا قلتم: المرص مسموع فكيف يدخل العرض في أذن السامع، والعرض لا يقوم بنفسه؟ قلنا: إنا قد بينا الكلام فيما تقدم أن الهواء هو الذي يحمل الأصوات، وقد فطره الله على حمل الأصوات، والدخول بها في الأذان السامعات، وهو شبحها بعد انقطاع كلام المتكلم، والمتكلم شبحها في حال كلامه.

ومما يدل على أن الهواء هو الذي يحمل الأصوات: أن المصوت إذا كان مترجاً من المستمع، لم يسمع المستمع الصوت عند نطق المصوت به، بل يلبث على قدر بعده، وذلك مشاهد فيمن يصر بربرة في حجر أخوف أن المستمع له من مكان بعيد يراه عند ما يهوي بالزبرة إلى الحجر، ولا يسمع صوت الزبرة هوي للضرب، بل يسمعه بعد، فلما كان الصوت يلبث شيئاً، علمنا أن الهواء هو الذي يلبث به، وقطع به المسافة^(٤)، ومما يؤيد ذلك أن الرياح ترد إذا قابلته.

(١) في (ب): الذي تكلم به

(٢) في (ش، ل): وبعصه متقللاً

(٣) في (ص): فبطل. وفي (ش) وبطل

(٤) في (ص): قطع به المسافة

ومما يُبين لك أنَّ الهواء هو الذي يحمل الأصوات أنَّ المُنادي قد ينادي في عسكرٍ كثيرٍ يكون فيه أُنوفٌ من النَّاسِ، فيسمع كلُّهم صوته، فلم يكن المصوتُ ينقسم بين أُنوفٍ من الآذان فصح أن الهواء هو الذي يحمل الصوت^(١)

ودليل آخر: أنه لا يُعلم الكلامُ من غير طريق السمع، ألا ترى أن الأصمَّ، ومن يَسُدُّ أذنيه لو رأى إنساناً يُحرِّك لسانه وشفثيه بغير كلام أنه لا يفرق بينه وبين من يتكلم، فبطل قولهم: أن المتكلم يُسمع ويُعلم الكلام. وقد قدما الاحتجاج عليهم من كتاب الله^(٢) في هدا، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، ومن أقوال الأئمة الهادين^(٣)

فأما قولهم: إنَّ العرض شيءٌ لا يُوهَم^(٤) ولا يُجَلُّ ولا يُخَلُّ، وهو يُعلم ولا يُحسُّ؛ ولأنهم يقولون في العرض: كونه قنأه، فإنهم لو نفوا العرض ولم يثبتوه^(٥) شيئاً معلوماً لكان أصلح لهم وأوفق لهم من أن يصفوه بصفات الله تعالى؛ لأن الله شيءٌ يُعلم ولا يُجَلُّ^(٦) ولا يُخَلُّ ولا يُحسُّ ولا يُوهَم، وقد غلطوا في هدا غلطاً كبيراً؛ ولأنه إذا لم يكن حالاً في الجسم فليس هو في الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء، وإذا لم يكن في الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء

(١) في (ب، ت): الأصوات

(٢) في (ش، م، س): الاحتجاج من كتاب الله عليهم

(٣) في (ه): إنَّ العرض لا يُتوهم

(٤) في (ش): ولم يثبتوا

(٥) في (ش، ع): لا يجل

فعدمه ووجوده (على) "سواء"، ولا معنى له ولا نفاعه فيه

وإذا لم يكن أيضاً محسوساً، ولا مؤهوماً، لم يكن مشابهاً للأجسام
ولا للأعراض^(١)؛ وكان متزهاً عن لقصان والأعراض^(٢).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرة اليتيمة: (ما تُحِيلُ فالتشبيه له
مُقَارَنٌ، وما تُوهَمُ فالتنزيه له مَبِينٌ) وهو يريد بذلك أن الله تعالى لا
يُتَخِيلُ، ولا يُتَوَهَّمُ. فإذا كان العرض بهذه الصفة، فالتشبيه له مَبِينٌ،
والتنزيه له مُقَارَنٌ، ولم يقل أحد بمش هذه المقالة^(٣) غير هذه الفرقة
ولأنهم أقرُّوا بالعرض ثم نفوه؛ فقلوا: الجسم هو الهواء وما حوى
من الأرض والسماء وما بينهما من جميع الأشياء، فإذا لم يكن في
الهواء، ولا في الأرض، ولا في السماء، ولا بينهما، ولا هو من
الأشياء التي بينهما، فليس هو بشيء يعلم^(٤) فمن هاهنا نفوه.

واعلم أن هؤلاء القوم قد أصل لهم مشابيحهم في الكلام أصولاً،
وبسوا عليها، وعرفوها وأنكروا سواها، وصارت ديناً لهم لا يرون
الخروج منه أصلاً، ولا يقبلون فيه حجة محتج عليهم^(٥)، بل يسبون
من قال بغير قولهم إلى الجهل والخطأ، ولا يرون أن تنقض أصول

(١) زيادة في (ب، ت، ع، م)

(٢) في (ي) للأجسام والأعراض وفي (ص) للأجسام ولا الأعراض

(٣) في (و)؛ والأعراض

(٤) في (ب، ص، س، ش) بهذه الصفة

(٥) في (ج)؛ فليس هو شيء يعلم

(٦) في (ب، ت)؛ حجة من يحتج عليهم

مُشَايخَهُم الَّتِي أَصْلَوْهَا، وَلَوْ كَانَتْ نَاقِضَةً لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ^(١)، وَلَا يُلْزِمُهُمْ مَا يُحْتَجُّ بِهِ^(٢) (عَلَيْهِمْ)^(٣) (مِنْ كِتَابِ اللَّهِ)^(٤)، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ حَلَقَهُ اللَّهُ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ، وَلَيْسَ يَتَعَلَّقُ بِحَيٍّ وَلَا مَحَلٍّ، وَفَتَحَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ^(٥) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فَقَالَ: هَذَا فَرَعٌ، وَقَامَ وَلَمْ تُلْزَمْهُ حُجَّةُ الْقُرْآنِ^(٦)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ^(٧) اسْتَكْثَرُوا عِلْمَ نَفْسِهِمْ^(٨)، وَاسْتَقْلَوْا عِلْمَ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمُ الدِّينِ هُمْ فِي عَصَرِهِمْ، وَجَهِلُوا عِلْمَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. وَإِذَا عَلِمُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ مِنْ أَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْهَادِينَ شَيْئًا يَنْقُضُ عَلَيْهِمْ أَصُولَهُمْ تَأْوَلَوْهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُمْ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ لَصَادِقٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أَنَّ سُذِيرًا الصَّيْرَفِيَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا الْاِخْتِلَافِ الَّذِي نَسْمَعُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْحِلَّةِ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَكَيْفَ اخْتَلَفُوا فِي أَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَالسُّنَّةَ، وَأَنْتَ بَيْنَ طَهْرَانِيهِمْ، وَأَمْثَالِكَ مِنَ الْأَئِمَّةِ؟ فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا سُذِيرُ، أَمَا قَوْمٌ رَدُّوا مَا سَمِعُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ

(١) فِي (ل). وَلِسَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(٢) فِي (ص، ع): مَا يُحْتَجُّ بِهِ

(٣) سَاقَطَ فِي (ص، ع)

(٤) سَاقَطَ فِي (ش).

(٥) فِي (ع): فَانْصَحَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ

(٦) فِي (ص): وَلَمْ يَلْتَزِمْ بِحُجَّةِ الْقُرْآنِ. وَفِي (ن): وَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمْ حُجَّةَ الْقُرْآنِ.

(٧) فِي (ب، ش، ع): وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ

(٨) فِي (ع): عِلْمَ أَنْفُسِهِمْ

إلى مقاييس عقولهم استصغاراً لكلام أئمتهم، واستكباراً لأنفسهم^(١)،
وإني لأحدث أحدهم بالحديث من العلم، فلا يخرج من عندي حتى
[يكون] قد تأولته وفسره على محبوب نفسه، وقاسه بتمييزه وفكره،
ويزعم أن لذلك باطناً غير ظاهره، وأن الباطن هو الذي كُلفَ
معرفته، حتى كأن الله عز وجل قد وكل جميع الخلق إلى
نظره وتمييزه).

ومن أصولهم التي أصّلوها أنهم قلوا: إن العرض شيء موحود،
وقالوا: ليس بحال في الأجسام، ولا هو يؤهم ولا يُحس. وقالوا:
إنهم يسمعون المتكلم سماع حس، ويسمعون الكلام سماع علم.
وقالوا: ليس يُسمع القرآن، وإنما يُسمع القارئ، وهذه الجملة لا
خلاف عندهم فيها. وإما احتلّموا في نزول القرآن، فقال بعضهم:
ليس هذا الذي مع الناس القرآن، وإنما هو دليل عليه
وقال بعضهم: هو القرآن، لكنه لا يُسمع^(٢)، وإنما يُسمع القارئ،
ويُعلم القرآن.

وقالوا جميعاً -إلا الأقل منهم: نقرآن في قلب الملك الأعلى حالة
له، صفة ضرورية لا يفارقه. والعرض الصوري عندهم هو الذي لا
يفارق شححه.

ثم نقضوا هذه الأصول فقالوا: العالم هو الهواء، وما حوى من
الأرض والسماء وما بينهما من جميع الأشياء، فنقوا العرض بعد ما

(١) في (ص، ش): واستكباراً لأنفسهم

(٢) في (م): لكنه لم يُسمع

أثبتوه، إذ جعلوا جميع العالم وما كان فيه جسماً، فنقضوا قولهم: (إن العرض شيء موجود)، وقالوا: القرآن في قلب الملك واللون في الملون، فأثبتوا حلول العرض في الجسم ونقضوا قولهم: (إن العرض لا يحل في الجسم). وقالوا: إن الله تعبد خلقه بمعقول ومسموع، فنقضوا قولهم: (المسموع هو السمع)، ولأنهم لا يقولون: إن الله تعالى تعبد خلقه بسمع.

ومن الرد عليهم في قولهم: ليس العرض بحال في الجسم: من كتاب الله تعالى قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْذُوظٍ﴾ [الزمر ٢١، ٢٢]، وقوله: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَصَحَابِ مَسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ [الطور ١-٣]، وقال: ﴿هَلْ لَّهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي شُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْعَلُ آيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [المجاد ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ هَكَّرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحِيتَةَ حِيتَةً بُجَائِبَةً﴾ [الص ٢٦]، وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة ١٠]، وقال: ﴿فَلَيْسَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الص ١٨]، وقال: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ﴾ [النمل ١٢]، فدللت هذه الآيات على أن العرض يحل في الجسم؛ لأن كون العرض في الجسم يوجب حلوله فيه؛ لأن (في) حرف يوجب التضمن، وحل الشيء في الشيء.

وقد اسدلت المشبهة على قولهم: (إن الله في مكان) بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَلُورُ﴾ [سك ١٦] وتأويل هذه الآية عندنا: أم أمتم إله من في السماء. وتأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزمر ٨٤] أنه إله من في السماء، وإله من في الأرض. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لأن الصفة على نفسها تدل وفي غيرها تحل). وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في القرآن: سَمَوِيٌّ أَحَلَّهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ أَرْضَهُ. وقال لهادي إلى الحق (عليه السلام) في صفة الإنسان: ثم علق^(١) في صدره قلب، وركب فيه لباً، وجعله وعاء للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل.

وأما قولهم: ليس العرض يوهم ولا يحس، وإنما يحس الجسم ويُعلم العرض، فمن الرد عليهم: أن الهائم عندما وعندهم لا عقول لها تعلم بها وتميز، وقد رأياها بشاهدة تسمع الأصوات. وقد حكى الله تعالى أنها تسمع الدعاء قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَذِينَ هَكَرُوا صَكَّاهُ الَّذِي يَتَّبِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا أَهْوَاءَ وَهْوَاهُ مِنْهُمْ هُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة النمل: ١٧١]، فص الله على أنها تسمع الدعاء والنداء، والدعاء غير الداعي، والنداء غير المبادي بالإجماع، فصع أنها تسمع الأصوات وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَى وَلَا تَسْمَعُ الْعَهْمُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُتَبَرِّينَ﴾ [سورة النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الْعَهْمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْتَوُونَ﴾ [سورة النمل: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿فَتَنَا لَحْسَ عِيَسَى مِنْهُمْ الْكَفَرُ﴾ [سورة النمل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَنْ نَحْسَ مِنْهُمْ مِنْ أَصْدِ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [سورة النمل: ٩٨]. وقال المؤيد بالله. وروي عن القاسم عليهما السلام أنه قال: الرُّكْزُ: الصوت، ذكره في جواب مسائل سُئِلَ عنها وسُئِلَ (عليه السلام) عن قول الله: ﴿وَحُشِّنَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [سورة النمل: ١٠٨]، قال^(٢): الهمس هو حس الأقدام، الذي ليس معه

(١) في (ص): ثم خلق.

(٢) في (أ): وقال وفي (ص) فقال

صوتٌ ولا كلامٌ وقال المؤيد بالله - قدس الله روحه - في شرح التجريد: الرُّكْرُ الصوتُ الحميُّ، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُونَ حَسِيتَهَا﴾ [الب، ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُونَ بِهَا لَقَوْا وَلَا تَأْتِيَا إِلَّا فِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الرحمة ٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا بِهَا سَيْئَرًا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ [الك ٧]، وهذا في القرآن كثيرٌ إذ كان يلزمهم

وللهادي إلى الحق (عليه السلام) في استرشاد أقوال تبيين أن الأعراض تُحسُّ، أعني: ما كان منها محسوساً مثل الأصوات والروائح والذوق واللون وتدل على أن العرض يحلُّ في الجسم، وتدل على أن الصوت يُسمع ويُعلم المصوت، بخلاف قول المطرقيّة، وتدل على أن العقل غير القلب، وأنه حالٌ في القلب. فمن ذلك قوله (عليه السلام) في صفة العيسير: جعلهما الله - حلَّ إجلاله غيري أن يحويه قولٌ أو يناله - شحمتين اختصَّ أوساطهما بالسواد إلى قوله: (فلو كان مكان سواد أطاقهما ناصعاً بياضاً بطاقهما لقصرنا عن بلوغ مناظرهما)، فصرح أن للسواد مكاناً، والمكان محلٌّ، فصح أن اللون يحلُّ في الجسم ثم قال (عليه السلام): (ثم جعل فيهما - من بعد إتقان تدبيرهما - شعراً مُسنوداً طاهراً عليهما، ليزيد سواده في قوة نظرهما)، فبين أن السواد مرئيٌّ. وقال (عليه السلام) في صفة الأنف: (وجعله هواءً معتدلاً سواءً، ولولا ما دبّر فيه، وركّب^(١) من الإحكام عليه لم يُؤدَّ بلطف اعتباره، ودقيق اختياره^(٢) المحسوس إلى قراره) فبين أن الرائحة مدركة بحاسة الأنف.

(١) في (ت): وركّبه.

(٢) في (ي): ودقيق اختياره

وقال (عليه السلام) في ذكر الطعم، وحاسة الذوق: (وأجرى فيه عذوبة ريقه ليميز بين مختلف ذوقه)، فيبين أن الذوق مدرك بحاسة الفم.

وقال (عليه السلام) في صفة السمع: (والسن لفي^(١) أرجاء السمع أذنناً لاستقرار جَوْلَانِ الوَحْيِ في مجاله، وإزاحة الشك النازل به وإبطاله، ثم عطف سبحانه أطراف غضروفهما على المواطن من خروقيهما لِلْحَقِّ جَوْلَانِ الأصوات، ولسولا ذلك لعجزت عن إدراك المقالات^(٢))، فيبين أن الأصوات مدركة بحاسة الأذن، وصرح بالقول فيه بخلاف قول المطرفية

وقال (عليه السلام): (فلما سمعت حاسة الأذن صوتاً، علم السامع أن له مَصَوْتاً)، فنصر وصرح بالقول بأن الصَوْت يُسْمَع وأن المَصَوْت يُعْلَم، بخلاف قولهم.

وقال (عليه السلام) في صفة القلب: (ثم علق في صدره قلباً وركب فيه لباً ثم جعله وعاءً للعقل الكامل، وحصناً للروح الجائل)، فدل على أن العقل غير القلب، ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي قول الأئمة^(٣) الهاديين (عليهم السلام)، وهو إجماع أهل البيت (عليهم السلام)، وإجماع الموحدين من المعتزلة، وغيرهم من المسلمين.

وأما قول الله تعالى: ﴿بَلِّغْنَا سُبْحَانَكَ يَا مَلِكُ الْإِيمَانِ﴾ [المرج: ١٩٣]، وقوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ يَذْكُرُهُمْ﴾ [الب: ٦٠]، فالمراد به بأنهم علموا

(١) ريادة في (أ)

(٢) في (ب). عن درك المقالات

(٣) في (هـ، ي)؛ وفي أقوال الأئمة

المُنَادِي، وسمعوا النداء، كما قل الهادي إلى الحق (عليه السلام): فلما سمعت حاسة الأذن صوتاً علم السَّمْع أن له مُصَوِّتاً.

وأيضاً فإن في القرآن^(١) دلائل كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ سَرَقْنَا إِلَيْكَ حَبْرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الشعراء: ٢١]، وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [المر: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا صَكَّابًا أُنْزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ مُوسَى﴾ [الشعراء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ لَمَّامًا بِهِ﴾ [المر: ١٣].

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جوابه لابنه محمد بن يحيى عليهما السلام^(٢) -وقد سأله عن النوبة والإمامة- فأجابه عن ذلك ثم قال: (إن الله سبحانه تعبّد عباده بمعقول ومسموع، فالمعقول ما أدرك بالميمير والظفر بالعقول، والمسموع^(٣) فهو ما يُسمع بالأذان^(٤) من المسموع المؤدّي عن نبي أو وصي أو إمام مهتدٍ، وإذا كان فرضُ الله وتعبّده لخلقهِ بالمسموع، وكانت حاجة السامع إلى تأدية المسموع^(٥) لازمة، إذ كانت^(٦) حاجة الاستماع على المستمع واجبة، فيس أن المسموع غير المُسْمَع؛ ولأنه ذكر المسموع والمُستَمِع والسَّامِع^(٧)، ويبيّن أن المسموع هو المؤدّي عن نبي أو وصي أو إمام مهتدٍ فصَحَّ ما قلناه. وأما قولهم: إن القرآن لم يفارق قلب المنك، وأن هذا الذي معنا

(١) في (ل): وأيضاً في القرآن.

(٢) قد سبقت ترجمتهما.

(٣) في (س، ش): فهو ما سمع بالأذان.

(٤) في (ب، ش): إلى تأدية المسموع.

(٥) في (ش): إذا كانت.

(٦) في (ش، ل): والمستمع والسامع.

دليل عليه فتقول - هل حجة الله علينا الدليل أو المدلول عليه؟ فإن قالوا: الحجة المدلول عليه. قلنا: فلم يُرسل الله على زعمكم حجة، إذ قلتم^(١): القرآن لا يفارق قلب الملك؟

وإن قالوا: الحجة الدليلُ قلب. فقد وجدنا^{٢٠} فيه ما يدل على أنه هو القرآن؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (البر ٣٠)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفَعُ عَلى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ بِهِ يَحْتَسِبُونَ﴾ (البر ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (البر ١١)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ قَوْلٌ لَنْفَسٍ الْأَعْيُنُ حِكَايَا مُتَشَابِهًا مَشَابِي تَقْشِرُ عَنْهَا جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلْفُكُهُمْ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَبِذَلِكَ عَلَّمَهُ اللَّهُ بِنَافِثِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُعْتَزِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ حَادٍ﴾ (البر ١٢)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البر ١٤)، وقال تعالى: ﴿أَمَلًا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (البر ١٥)، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِّرَ فِيهَا الْبَيِّنَاتُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ (البر ٢٠)

وأيضاً فإن الكفار ححدوا نزول القرآن، وقد حكى الله قولهم، فقال تعالى: ﴿قَالُوا مَا آتَاهُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْهَمُ إِلَّا كَذِبُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠١]، وقال تعالى حاكياً قول الوليد: ﴿ثُمَّ ظَفَرَهُ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ قَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ

(۱) و (ش): إذا قسم

(۲) فی (سورۃ ل) : قل قل وجیدا

النَّشْرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿[النش ٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَذْنُكَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْتَلُوهُ قَرَاطِينَ تُشْرِقُهَا وَتُخْشُونَ حَكِيمًا رَحِيمًا مَا لَمْ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا آهَابُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَنُونَ ﴿[النم ١١]، ففي بعض ما هاهنا^(١) كفاية (وبيان)^(٢).

وقد روى القاسم بن إبراهيم عبيهما السلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سأل رسول الله ﷺ لم أنزلت ۝ الم ۝ لَحِيبَ النَّاسِ أَنْ يُعْرَضُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَلَهُمْ لَا يُلَاقُونَ ﴿[النكبر ٢٠]؟ فأجبر بذلك. ثم قال له: «فلا يكونن حصومك أولى بالقرآن منك، فإن من الملح في الدنيا أن يخالف حصمك سنة رسول الله، (وأن يخالف القرآن)» وجميع الأئمة، والأمة مجمعة على أن هذا القرآن الذي مع الناس، هو القرآن الذي أنزله الرحمن، على بيته ﷺ. إلا فرقة من فرق المخبرة فبإهم قالوا: إن القرآن معنى في النفس، وهذا دليل عليه فصَحَّ أن القرآن هو هذا الذي مع الناس، وهو مع الملك الأعلى، كما هو مع من يحفظه من الملائكة، وغيرهم من المكلفين المؤمنين.

فإن قال قائلٌ منهم: إذا كان هذا بقرآن هو فعل الله، فأجربوا عن الصلاة فعلٌ من هي؟ فإن قلتم: هي فعل الله، فكيف يُثيب على فعله؟ وأيضاً: فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمن ٢٠]،

(١) في (ش): هي بعض ما هنا

(٢) سقط في (ش)

ففسها إلى المؤمنين وإن قلتم. هي فعلكم وفعل الله، فقد صرتم
شركاء لله في فعله وإن قلتم: هي فعلكم أوجبتم أن القرآن فعلكم.
فنقول: الصلاة هي نيتنا وقيامنا وتكبيرنا وقراءتنا وركوعنا وسجودنا
وتسبيحنا وتشهدنا وتسليمنا، ويسر القرآن في ذاته بصلاة^(١)،
إدليس كل من قرأ القرآن عمداً، فصيح أن صلاتنا هي فعلنا
ولا يتم فعلنا الذي هو الصلاة، لا بقيامنا بفعل الله وقراءتنا له. كما
أن الزكاة فعلنا، ولا تتم إلا بحصول المركبي، وهو من فعل الله،
وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (التوبة: ٤)، فصيح أن الزكاة
فعلنا، وهي البية وإخراج ما أوجب الله في الأموال، وهو يسمى زكاة
على المجاز، وكذلك الصدقة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْعَقْرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ﴾ (سورة ١١٠)، يسمى المخرج صدقة ثم قال: ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ (سورة ١١٣)، فيبين أن الصدقة هي
الإخراج، فصيح أن الركة هي فعل المركبي على الحقيقة، وأن المخرج
يسمى ركة على المجاز وقد بوحد في كتاب الله أشياء تسمى بأسماء
على الحقيقة، وأشياء تسمى بأسماء على المجاز من ذلك قول الله
تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (سورة ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
النَّبِيِّ﴾ (الأعراف ٥٣)، والبيوت للنبي على الحقيقة، وبيوت سائيه على
المجاز وكذلك قال عز من قائل: ﴿أَمَّا السُّبَّةُ فَكَانَتْ لِمَصَاحِكٍ يَتَعَلَّمُونَ
فِي الْبَحْرِ﴾ (الكهف ٧٩)، ففسها إليهم ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

(١) في (ش) في ذاته صلاة

(٢) في (ش) تسمى باسم الحقيقة، وأسماء تسمى باسم المجاز

فِي الْخَيْرِ كَمَا أَهْلَامَ» [الرحم ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [العبس ١٠٩] ، وقال تعالى : ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَاكُمْ مَكْرَهًا﴾ [الأنفال ٢٨] ، فالملك لله على الحقيقة ، ولأن السيد^(١) يملك عبده وما ملك

ومما يدل على حلول العرص في الجسم أن الحركة والسكون لا يخلو العالم منهما ، وهما أكبر الحُجَج على حدوث العالم ، فلما ثبت أن الحركة والسكون حالتان قائمتان في العالم صحَّ أن لهما محلاً وشبهاً. ومما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرّة البيّنة : (كلُّ معروفٍ بنفسه مَصْنُوعٌ ، وكلُّ قائمٍ في سواءٍ معلونٌ) فثبت أن الأعراض حالة في الأجسام ، وبطل قولهم : إن العرص لا يحلُّ ولا يُحلُّ ولا يؤهم.

وأما الحقّة في أن الألوان شيءٌ فقولهم : لما رأينا الشعر الأسود في حالة أسود ، ثم رأيناه في حالة أبيض ، وعينه قائمة ، علماً أن البياض شيءٌ ، وأن السواد شيءٌ ، وأنهما ضدّان ، يَظُلُّ أحدهما بحضور الآخر ، ولا يكون العدم ضدّاً لغيره يطله ، ولا يكون أيضاً العدم يُحدث ويُظِلُّ ، فكذلك السُرة^(٢) تكون تارة خضراء ، وتارة حمراء ، وعينها قائمة ، فصحَّ أن اللون شيءٌ. ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافُ السَّيِّئَاتِ وَالْوَادِعَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم ٢٢] ، فذكر أن اللون من آياته ، فصحَّ أنه شيءٌ ؛ لأنه لا يكون شيءٌ من آيات الله عدماً. وأيضاً فإن الأمة مجمعة على ذلك ، فبطل قولهم : إن الصفة هي الوصف ، ولا صفة في الجسم غيره.

(١) في (ب) : وليس السيد

(٢) في (ش) : وكذلك البسرة

وثبت أن في الجسم صفة غير حادثة فيه^(١) غير الوصف. وقال علي بن الحسين عليهما السلام^(٢) في توحيده. (ضاد الظلمة بالنور، والجلالة بالثهم، والخشونة باللين، والصرد بالحرور).

والدليل على أن اللون يرى بالأعيان أن الأعمى لا يتأتى له أن يصف شيئاً بلوياً، وكذلك من لا يرى الشيء لا يصفه بلون، ولا يوصل إلى معرفة اللون من طريق السمع، ولا من طريق الشم، ولا من طريق الذوق، ولا من طريق اللمس، فلما لم يكن يوصلنا إلى معرفة اللون من أي هذه الطرق^(٣)، وكانت تحصل معرفة اللون من طريق النظر؛ علم أنه يرى بالأعيان.

ودليل آخر: أن السرة لما رأيناها خضراء، ثم رأيناها حمراء، ثم رأيناها صفراء، وعينها قائمة، فلو كان اللون يعلم ولا يرى لما فرق

(١) في (ش). صفة غير حادثة فيه

(٢) هو الإمام السجاد علي بن أحمد السبط بن الإمام عبي بن أبي طالب (عليه السلام) الهاشمي العلوي الحسيني، أبو محمد، زين العابدين، سمعناه، وابن عباس، والسنن بن عجرة، وأبا رافع، وعائشة، وصفيه، وآخرين، وعنه أولاده محمد وعبد الله وريد وعمر والحسين وعلي، والقطان والزهرى، وآخرون من القطان هو أفضل هاشمي رأيت بمدينة، وقال الزهرى ما رأيت أفضل منه وأخلف في موته، فصل. في سنة خمسين، وقيل: في آخر خلافة عثمان، وقيل غير ذلك، قال البربر بن نكار كان عمره يوم الطلح ١٣ سنة قال السيد الخافظ: فصائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى، أو يحيط بها الوصف وقال الخافظ في كتابه الذي صنعه في فضل بني هاشم أما عبي بن الحسين، فلم أر الخارجي إلا كاشعبي، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أر المعتزلي إلا كهاشمي، ولم أر الهاشمي إلا كالحاشمي، ولم أر أحداً يجرى في فضله وقد صنف بهمي في مناقب زين العابدين كتاباً انتهى بولي (عليه السلام) في سنة أربع وتسعين من الهجرة النبوية، وقيل غير ذلك وقبره بالسقيع

(٣) في (ش): فلما لم يوصل من أي هذه الطرق

فعرّفهم الله بداتها، وبجميع صفاتها، فكان مما وصفها به اللون، فصَحَّ
أنّه شيءٌ وأنه مرثيٌّ، إذ لو لم يروا لونها لما زالت عنهم الشبهة،
ولَبِّقَتِ الجُهالةُ، ولو لم تكن الصفرة مرثيةً لما فرقوا بين الصفرة
وغيرها من الألوان، فلم وصفها الله بالصفرة، وببالغ في صفتها
بالفقاعة - فلم يكونوا يلعبون إلى معرفة هذه الصفة إلا بالطر - صحَّ
إنها مرثيةٌ.

ويكفي من هذا الاحتجاج أن لأعشى لو لمس البقرة لما عرف
لونها، فسقط قولهم: (إن اللون يُعلم ولا يرى) وأيضاً فإن الله أرسل
موسى (عليه السلام) إلى فرعون وملائته معجرتين إحداهما^(١) حسمٌ، والأخرى
عرصٌ، فقال تعالى فيما حكى عنه: ﴿مَّا لَئِي ضَعَاءٌ إِذَا هِيَ تُتَمَنَّى
مِثْلُهَا وَتَزْعُمُ إِذَا هِيَ تَعْنَاءُ لِلطَّافِرِينَ﴾^(٢)، والحسمُ الثعلبُ،
والعرصُ بياض اليد، فيسبّأه مرثيٌّ بقوله: ﴿إِذَا هِيَ تَعْنَاءُ لِلطَّافِرِينَ﴾،
فمن قال: (إن اللون لا يرى بالأعيان) فقد أكذب القرآن، وكفر
بعض آيات الله، ومن كفر ببعضه فقد كفر بكلها، وقد قال تعالى في
آية أخرى: ﴿لِذَٰلِكَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَنْ يَفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيَقُولُوا نَحْنُ بَيْنُكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَنَكْفُرُ بِمَا يَدْعُونَ أَنْ يَخْلُقُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾^(٣)، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَاتَّقُوا النَّارَ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، وَاتَّقُوا الْعَصَبَ، فَإِنَّ جَمْرَةً يَتَوَقَّدُ فِي
قَلْبِ ابْنِ آدَمَ^(٤)، ألا ترون إلى شَفَاحِ أَوْذَاجِهِ، وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ»

(١) ي (ص) أحدهم

(٢) ي (ش): فيما حكى عنه

(٣) ي (ب، ت، ل). ي جوف ابن آدم

فصح أن الحمرة تُرى، وإجماع الأمة أيضاً (يُحجُّهُم) ^(١)، فإن الأمة أجمعت على رؤية الألوان.

ويدل على رؤية الألوان قول القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في المسترشد في الرد على من زعم أن الله يُرى يوم القيامة: (ويقال لهم: هل يدرك البصر إلا لوناً، أو شخصاً؟) وكرّرنا القول برؤية اللون مراراً، وإجماع الأمة أيضاً (يُحجُّهُم) ^(٢). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي وصف فيها الطاووس: (وإذا تصفحت شعرة من شعرة ^(٣) أرتك حمرة وردية، وتارة حضرة زبرجدية، وأحياناً (أرتك) ^(٤) صفرة عسجدية. وقال (عليه السلام) في خطبة التوحيد: وكلُّ سميع غيره يخفى عنه عمض الأصوات، وبصمة كثيرها، ويذهب عنه ما بعد منها، وكل بصير غيره، يغمى عنه ^(٥) حمى الألوان ولطيف الأجسام.

وأجمعت الأمة على رؤية الألوان إلا من نعى الأعراض أصلاً، وهو ^(٦) هشام بن الحكم، وأبو بكر الأصم، فإنها عندهم أحسام، ولا يكرّون رؤيتها ^(٧).

واختلف أهل الكلام في لون الداء فقال قوم: لونه أبيض. وقال قوم: لونه أسود. وقال قوم: ليس له لون، وهو يتلون مع الأشياء.

(١) ساقط في (ش)

(٢) ساقط في (ث)

(٣) لعل نهج البلاغة: (من شعرات فصو)

(٤) ساقط في نهج البلاغة، وفي (ب، ش) وأحياناً يريك

(٥) في (ص): يغمى عن

(٦) في (ش): وهم

(٧) في (ش): لا يكرّون رؤيتها وفي (ب) فإنها عندهما أجسام، ولا يكرّان رؤيتها

واستدل من قال: (هو يتلون مع الأشياء) أنه إذا جعل في أجابة خضراء^(١) رُؤي أحضر، وإذا كان في بيضاء رُؤي أبيض وأشبه ذلك. وقال من زعم أن لونه أسود: إنه لما رُؤي الكثير منه أسود، كالذي يكون في العدير العظيم، والحر، والنثر العميقة، عُلِمَ أن لونه أسود. واستدل من يقول^(٢): (إن لونه أبيض) بأنه إذا رُمي به في الهواء أنه يُرى أبيض. فلما كان كل هؤلاء لا يستدلون عليه إلا بالنظر عُلِمَ أنه مرئي^(٣).

وللأنمة (عليه السلام) أقوال تدل على صحة ما ذهبنا إليه؛ منها قول القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في مناصرته للملحد: (فالبصر طريق الهبثات، والألوان) وقال في رده على المجرة: والعقل روحاني الطيف لا يُرى بالعيون، لأنه ليس بشبح ولا لون ولا جسم. وقال (عليه السلام) في رده على الملحد: على أنا نجد الصور والهبثات والألوان والصفات بعد أن لا يحدها فيها، ووجود الشيء بعد عدمه أدل الدلالة على حدوثه، فحدثني عن الصورة^(٤) من أي شيء حدثت؟

فإن قلت: إنها قديمة أحلت، وذلك أنها لو كانت قديمة لكانت في هذا المصور الذي ظهرت الصورة فيه أو في عنصره الذي يُسمونه هيولي^(٥). فإن كانت في هذا المصور بان فساد قولكم ودعواكم،

(١) في (ج): في أجافة خضراء

(٢) في (هـ): واستدل من قال

(٣) في (ت): على جذته، حدثني عن الصورة

(٤) في (ش): الذي تسمونه هيولي

إد قد نجد على خلاف هذه الصورة، وإن كانت في الذي تسمونه هيولى فلا بدّ إذا ظهرت أن تكون قد انتقلت عنه إلى هذا.

فإن قلت: انتقلت أحلت، لأن الأعراض لا يجوز عليها الانتقال، على أن في الصورة ما يرى بالعين^(١)، فإن كانت متقلة فما بالها حفيت عند الانتقال، وظهرت عند البث.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتب المسترشد: (فلما أن وجدت العقول^(٢)) والخواس أحساماً مثلها، مصورات في الخلق كتصويرها، وأعراضاً لا تقوم إلا بغيرها، استدللت على الماعل بفعله) فدلّ كلامه هذا على أن العقول والخواس تُتركّ الأحسام والأعراض، لأنه عطف الأعراض على الأحسام بواو التثنية، وإعرابها إعرابها. وقوله: (أحساماً مثلها مصورات في الخلق كتصويرها) يريد أنها مثلها في الحدث؛ لأنه احتج على أهل التشبيه بأن العقول والخواس لا تقع إلا على مثلها في الحدث، ولم يُردّ أنها أجساماً مثلها^(٣)؛ ولأن العقل غير الجسم

وقد بين في المسترشد وفي مسائل الرازي أن العقل ليس بجسم، وكذلك في الأحكام قال: (والنوم مزيل للعقل ينقض الطهارة) فصحّ أنه غنى به العرض، لأن القلب لا يزول بالنوم، فثبت أنه أراد أنها مثلها في الحدث^(٤) لا أنها جسم^(٥)

(١) في (م): ما يرى بالاعيان

(٢) في (ج): فلما وجدت العقول

(٣) في (ص): جسم مثلها

(٤) في (ش، ي): أراد بها مثلها في الحدث

(٥) في (ث)، لأنها جسم وهو خطأ

وأما قوله : (مصورات في الخلق كتصويرها) ، فهو يُريد به الأجسام خاصة ، ثم عطف العرض على الأجسام بأنها مُدركة ، وأنها مثلها في الحدث لا أنها جسم^(١) . ويوضح صحة ما ذهبنا إليه قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرة اليتيمة قـ : (لأن الصفة على نفسها تدل وفي مثلها تحل).

قوله (عليه السلام) : (وفي مثلها)^(٢) يريد في الحدث لا أنها مثل الجسم في الجسمية^(٣) . وقوله : (تحل) " يدل على أن الأعراض تحل (الأجسام)^(٤) " .

وقال السيد أبو طالب (عليه السلام) ردّاً على من اعتقد الرؤية فقال : لأن الرائي بالنظر إنما يرى الشيء إذا كان مقابلاً له ، أو في حكم المقابل ، كما يرى وجهه في المرآة ، أو كان حالاً فيما قبله ، كما يرى السواد في الجسم الأسود إذا كان الجسم مقابلاً له .

وقال في شرح كتاب الباع المدرك^(٥) في الأعراض : (إنها تختلف في أنفسها ، وتُدرك في أبنيتها)^(٦) خلافاً لبعض أهل الكلام من المعتزلة

(١) في (ث) : لأنها جسم . وهو خطأ

(٢) في (ث) . وفي مثلها تحل

(٣) في (ث) . لأنها مثل الجسم في الجسمية وهو خطأ وجه الخطأ في المواضع الثلاثة أن المراد (لا) لا الباع : لأن فصح أن لأعراض محدثة مثلما أن الأجسام محدثة لا أن الأعراض مثل الأجسام في الجسمية تحت

(٤) ساقط في (ث)

(٥) ساقط في (ث)

(٦) كتاب الباع المدرك : للإمام البدي إلى حق يحيى بن الحسين عليهما السلام انتهى .

(٧) في (م) : وتُدرك في أمّها

وغيرهم من العوام، وقد بينا فيما خالعوا. فصَحَّ أن جميع الألوان مرئية بالأعيان؛ وكذلك النور والظلمة^(١) القياس واحد فهو سواد وبياض. (والشعاع جسم لطيف يرى بالأعيان)^(٢)

وأيضاً فإنه رُوي عن ابن عباس أن عبد المطلب بن هاشم مرُّ بولده عبد الله على يهودية يقال لها: فاطمة بنت مَرْثَةَ الحثعمية، وأن نور النبوة في وجهه^(٣). الخبر، فدلَّ على أن النور يُرى ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور» وهذا معروف عند الناس، يقول القائل: رأيت ضياء القمر، ورأيت ظلمة الليل؛ قال الشاعر:

أيها العبد كن لما لسدِّ رجوت
من شعاع الخلق لما أنت راح
إن موسى مضى ليقتبس ناراً

من ضياء رآه والليل داج

يقول: إنه لما رأى الضياء حسب ضياء نار، فمضى ليقتبس من النار.

وقد قال القاسم بن إبراهيم عليهم السلام في رده على ابن المقفع: وقد ترى الأبصار إن^(٤) أشرقت الأنوارُ فحينئذ ترى الأشياء، وترى الظلمة والضياء وهو سواد وبياض، والشعاع جسم يرى بالأعيان.

(١) في (ش): وكذلك لون النور والظلمة

(٢) ساقط في (ث)

(٣) في (ص): ورأت نور النبوة في وجهه

(٤) في (ج)، إذا.

وقد قال القاسم بن إبراهيم عيهما السلام: والحجة عليهم في أن
الريح شيء غير المشعوم أبا شاهد لأثرجة في حال غضاضتها لها ربح
ثم تطيب فيبطل ذلك الريح، ويحدث لها ربح غيره، وعينها قائمة،
فصح أن الذي بطل وأن الذي حدث عرص في الأثرجة غيرها.

والحجة عليهم^(١) من كتاب الله قوله عز من قائل فيما حكى عن
يعقوب (عليه السلام): «إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسخن^(٢) الأرض، وفي هذا
بيان وكفاية وهو مدرك بحاسة الأسف، والهواء هو الذي يحمله إلى
الأنف، كما يحمل الكلام إلى الأذن.

وأما ما كان يتجزأ ويقوم بنفسه كالدخان والبخار وشبهه، فهو
حسم وله رائحة ولم تختلف الأمة في أن الريح يُدرك بحاسة الأنف،
بل هم يجمعون على ذلك.

ومن المعقول المشاهد أن الهائم تعرف أولادها بالريح، وتفرق بين
أولادها وبين أولاد غيرها^(٣). وكذلك الساع تدرك ما جعل الله لها
فيه متاعاً بالريح من مكان بعيد، وهذا فيه كفاية وبيان^(٤). والطعوم
أعراص كالروائح، ألا ترى أنك تجد ريح الأثرجة وتجد لها طعماً في
ابتدائها؟ ثم تجد لها طعماً غيره في انتهائها؟ وكذلك سائر الكرم فإنك
تجده في ابتدائه حامضاً، وبعد ذلك ممتزجاً، ثم تجده عند انتهائه
حلواً، وعينه قائمة، فصح أن هذه الصفات التي تحدث وتبطل شيئاً

(١) زيادة في (هـ)

(٢) في (ش): وتفرق بالريح بين أولادها وأولاد غيرها

(٣) في (ب، د) وفي هذا كفاية وبيان

غيرها وأنها مُدْرَكَةٌ بالفم، ولو كانت الحموضة والحلاوة وأشباههما وصف الواصف لا غير لَمَا كَانَ أَحَدٌ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَلْوِ وَالْحَامِضِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُدْرَكًا بِحَاسَّةِ الْفَمِ لَكَانَ الْإِنْسَانُ يَجِدُ طَعْمَ الشَّيْءِ وَيَعْلَمُهُ بِغَيْرِ الذَّوْقِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ لَمَسَ جَسَدٌ أَوْ بَطَرَهُ أَنَّ ذَلِكَ^(١) لَا يُوْدِي إِلَى عِلْمِ الطَّعْمِ، وَلَمَّا كَانَ يَجِدُ طَعْمَ الشَّيْءِ إِذَا ذَاقَهُ عَلِمَ أَنَّهُ أَدْرَكَهُ بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ، فَصَحَّ أَنَّ الطَّعْمَ عَرَضٌ قَائِمٌ فِي الْمَطْعُومِ وَمُدْرَكٌ بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ^(٢)، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَهَازِ مِنْ لَمَنِ لَمْ يَنْتَهِزْ طَعْمَهُ﴾ (ممد ١٥)، فَصَحَّ أَنَّ لَهُ طَعْمًا سِوَاهُ؛ وَلَآئِذَا قَدْ يَتَعَيَّرُ الطَّعْمُ وَاللَّيْنُ بِحَالِهِ فِي لَوْنِهِ وَحَنَسِهِ وَاسْمِهِ

والحرارة والبرودة أيضاً حالَتَانِ يَقَعُومَانِ الْجِسْمَ، تَحْدُثُ حَالَةً وَتَنْطَلِ أُخْرَى وَالْجِسْمُ قَائِمٌ بِعَيْنِهِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مُدْرَكَةٌ بِالْمَسِّ، وَقَدْ قَالَ الْقَاسِمُ (عليه السلام) فِي جَوَابِ الْمَلْعَدِ: (اعْلَمْ أَنَّ طَرِيقَ الْعِلْمِ بِالْأَشْيَاءِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالْحَسِّ، وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالنَّفْسِ، وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ، وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالظَّنِّ وَالْحِسَابِ).

فَأَمَّا مَا يُعْرَفُ بِالْحَسِّ فطرقه خمسٌ: سَمْعٌ، بَصَرٌ، شَمٌّ، ذَوْقٌ، لَمَسٌ، فَالْسَمْعُ طَرِيقُ الصَّوْتِ، وَالْبَصَرُ طَرِيقُ الْهَيْئَاتِ وَالْأَلْوَانِ، وَالذَّوْقُ طَرِيقُ الطَّعْمِ، وَالشَّمُّ طَرِيقُ لِرَوَائِحِ، وَاللَّمَسُ طَرِيقُ اللَّيْنِ وَالْخَشُونَةِ... إِلَى قَوْلِهِ: وَلَوْ حَاقَلْتُ كُلَّ عِلْمٍ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ لَعُسُرَ

(١) فِي (ض)؛ عِلْمٌ أَنَّ ذَلِكَ

(٢) فِي (ل، م)، مُدْرَكٌ بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ

عليك^(١)، وكنت كمن طلب علم الألوان بالسمع وعلم الدّوق بالعين).

فأما أحوال الأجسام فبما طريق المعرفة بها من جهة البصر، والبصر يؤدي إلى الإنسان؛ لأن الأجسام لا تخلو من هذه الصفات، فصح بيان ما قلنا في الأعراس والقرآن عرصاً وشبحة قلوب الحافظين له والمصاحف والقارئ له، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «القرآن يوحّد في ثلاثة مواضع: في القلوب محفوظاً، وعلى الألسن متلوّاً، وفي المصحف مكتوباً»^(٢). وفعل الإنسان فيه هو: الكتابة والتلاوة والحمط؛ وفعل العبد لهذه^(٣) احتباري إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله، وفعل الله الذي هو ذات القرآن ضروري لا يجوز عليه الطلّان وإنما تبطل أعمال الناس فيه، وهذا مراد الموقد بالله قدس الله روحه بقوله في الإهادة: (والقرآن عرصاً لا يجوز عليه النقاء)، يريد أنه لا يجوز (عليه)^(٤) البقاء على الحكاية، فأما المحكي فلو كان يبطل لبطلت حجة الله وقد قال الهادي إلى الحق (عليه) في المسترشد: (ولو بطل من القرآن يسير لبطل منه كثير، ولو بطل بعضه لأشبهه الباطل كله بل هو يؤكد بعضه بعضاً، فلن بطل منه حرفاً أبداً، وكيف يبطل أو يتناقص ما أحكمه ذو الجلال والإكرام والسلطان، وحفظه من كل سوء الرحمن، ألا نسمع كيف يقول: ﴿وَأَنَّهُ لَكَتَابٌ غَيْرٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

(١) في (ش) تمسّر عليك

(٢) في (ب، ش) وفي المصحف مكتوباً

(٣) في (ش) وفعل العبد في هذا

(٤) ساقط في (ب، ش، س)

مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ» [سجدة ٤١-٤٢]؟، وقال . جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَكْشُوفٍ﴾ [البروج ٢١، ٢٢] ، كيف يتناقض^(١) أو يبطل ما حفظه الكريم ، وحاطه من كل باطل أو دنس دميم وحيم ، ومنعه وحجره من الشيطان الرجيم كَذَبَ الْعَادِلُونَ دعه ، وضلوا ضلالاً بعيداً).

فصح أنه لا يبطل في ذاته وإنما تبطل حركات العباد فيه كما تبطل حركاتهم في مفعولهم من الأجسام ، والأجسام باقية ، كما تبطل حركات الساء^(٢) (التي هي التأليف ، والقل ، والوضع)^(٣) ، والحجر والمدر باقيات ، فصح ما قلنا ، ووضح ما إليه ذهننا . وأما الحركات فإنها تعلم ولا ترى بالإجماع ، فاعلم ففهم بعض ما هنا كفاية .

فصل

في الكلام في الروح

اعلم أن الروح جسم لطيف مجنس للهواء .

والدليل على أنه جسم أنه قائم بنفسه بل لا يعلم الحيوان ولا يقدر إلا به ؛ ألا ترى أن الدواب تحمل الأثقال ، فإذا زایلها الروح لم تحمل أنفسها فضلاً عن حمل غيرها ، فصح أنه جسم ، ولو كان عرضاً

(١) في (ب ، ش) . فكيف يتناقض

(٢) في (ش) . حركة البناء

(٣) ساقط في (ش) .

لضعف عن القيام بنفسه، ومن الحمل لغيره، وقد قال القاسم (عليه السلام) (١) في جواب مسائل سُئل عنها: وسألته عن الروح الذي يكون في الحيوان، فقال: هو المتحرك الذي به يحيى الحيوان، ويذهب، ويقبل ويدبر، ويعرف ويكر، وهو شيء لا يُعرف بالعين، وإنما يُعرف بالدليل واليقين.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جواب مسائل الرازي: وسألت عن الروح، وهو شيء خلقه الله وصوره واعتطره بحكمته، وجعله تحيا به الأبدان والأعضاء تعيش به مما جعل الله في الأبدان من الأشياء، به تبصر الأعيان المصرة، وبه تسمع الأذان السامعة، وبه تطلق الألسن الباطقة، وتشم الأنف، وتطش الحكمان، ويميز القلب، وتمشي الرجلان، وجعله قواماً (٢) لما حملت الأبدان، ودليلاً على قدرة الرحمن. إلى قوله. ولم يوصف الروح بغير ما وصفنا، ولم يستدل عليه بغير ما دللنا؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [اسراء: ٨٥]

وقال المؤيد بالله -قدس الله روحه- في تعليق شرح الإفادة: الروح والهواء جسمان لطيمان، والعقل عرض، قال: واختلف العلماء في الروح. فقيل: يبقى بعد مفارقة الجسد حتى يمسي عند أرفق القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [نجم: ٢٦]. وقيل: لا يكون حياً بعد مفارقة الجسد.

(١) في (ب) وقد قال فيه القاسم (عليه السلام)

ونقول: إنا لم نكلّف حقيقة معرفته لقول الله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (البقرة، ٢٥٥)، والذي علينا، أن نعلم أنه شيء من خلق الله، وحكمته وعمته، ولولا هو ما كان شيء من الحيوان يعلم شيئاً، ولا يقدر على شيء فاعلم (ذلك)^(١) فيه كناية

(٢) في (ش): جعله الله قوَّاماً

(١) ساقط في (ث)



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(٣) باب حقيقة معرفة الصانع

اعلم أما لما وجدنا هذا العالم، ووجدنا فيه أثر الصنعة، ووجدناه محدثاً - وقد دللنا على حدوثه^(١)، وبيننا ذلك فيما تقدم - علمنا أن له صانعاً، وهو الله حلّ وعلا، إذ لا يكون صنع إلا من صانع، ولا مبدوع إلا من بادع، وفي المشاهد أنه لا يوجد محدثاً^(٢) إلا وله محدث.

واعلم أن مثل هذا العالم كمثل بيت قد أُعِدَّ فيه كل ما يحتاج إليه، ووُضِعَ كل شيء منه في موضعه؛ فبالسما سقفه، والأرض فراشه، والشمس والقمر مثل الشمعتين في البيت، والنجوم مثل القناديل، وما أُعِدَّ في الأرض من العيون والفواكه والزروع والمعادن مثل ما يكون في البيت من الآلة وامتاع والدحائر؛ والعبد كالمخول فيها ذلك البيت وما فيه، والعقل الضروري يحكم أنه لا يوجد بيت فيه أثر البناء وعلامة الصنعة إلا وله صانع، فكما لا يكون بناء إلا وله بناء، ولا كتابة إلا من كاتب، علمنا أن لهذا الصنع صانعاً مبتدئاً بادعاً وهو الله أحسن الخالقين.

(١) في (ب، ش)؛ على جذبه.

(٢) في (ش)؛ لا يوجد محدث

فصل

في الكلام في أن الله تعالى شيء

اعلم أن أعم الأشياء قولنا: شيء، وهو ما يُعلم أو يُدَلُّ عليه، أو يُشاهد أو يُخبر عنه، فكل هذه لأشياء تستحق اسم الشيء. وما لم يكن يُعلم أو يُدَلُّ عليه أو يُشاهد أو يُخبر عنه فليس يستحق اسم الشيء وهو معدوم، والعدم لا شيء، ولا منزلة ثالثة (تكون) غير الشيء الموحود وغير المعدوم الذي ليس بشيء، فعلمنا أن الله تعالى هو شيء لا كالأشياء، وقد سَمِيَ نفسه شيئاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَيْءٌ﴾. ﴿آيَةُ (١٤٣)﴾.

وقدنا إنه شيء لا كالأشياء لإثبات الموحود ونفي التشبيه، لأنه لو لم يكن شيئاً لكان منقياً لا يحكم له، ولو كان كالأشياء لكان مشبهاً للمحدثات، وإذا كان مشبهاً للمحدثات كان مُحدثاً، وإذا كان مُحدثاً كان مصوعاً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فصَحَّ أن الله شيء لا كالأشياء.

ولا يلزم على هذا قول من يقول: إنه جسم لا كالأجسام؛ لأن الجسم هو الطويل العريض العميق، لشاغل للمكان، وإذا كان بهذه الصفة^(١) كان جسماً، وإذا كان جسماً كان مُحدثاً؛ لأن جميع الأجسام لا تتعزى من الأحوال احدثثة التي هي الحركة والسكون

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (س، م، ن): وإذا كان بهذه الصفات

والزيادة والنقصان، وإذا كان كذلك كان محدثاً. وإذا لم يكن طويلاً عريضاً عميقاً محوياً بالجهات شاعلاً للمكان لم يكن جسماً، فبطل تعلق من تعلق بهذا^(١)، وصح أن الله ليس بجسم ولا عرض.

فصل

في الكلام في أن الله حي قادر

اعلم أنا لما رأينا المصورات في لشاهد على ضربين: فمصورٌ حيٌّ قادرٌ، ومُصورٌ غيرُ حيٍّ ولا قادرٍ ورأينا المصورات غير الحيوان التي ليست بحية ولا قادرة لا تتم ولا تقع إلا من حيٍّ قادرٍ، ورأينا الأموات^(٢) وجميع الحمادات^(٣) لا فعل لها، فعلمنا أن الله أولى بأن يوصف بالحياة والقدرة من الذي ليس في فعله حياة ولا قدرة، فصح أن الله حيٌّ قادرٌ.

ودليل آخر: أنا لما رأينا هذا نصنع دائم التدبير حسن الصورة والتقدير، استدللنا بذلك على حية اللطيف الخبير.

فإن قيل: فإذا كان الله حياً قادراً، وكان العبد حياً قادراً، فما الفرق بينهما؟

قلنا: إن الله تعالى حيٌّ لنفسه قادرٌ لنفسه، والعبد^(٤) حيٌّ بحياته

(١) في (ش، هـ، ل) من يتعلق بهذا

(٢) في (ب، ت، ي): ورأينا الأموات

(٣) في (ج، د): والحي

هي غيره، قادرٌ بقدرته هي غيره وهي الاستطاعة، وليس العبدُ يُسمَّى حياً قادراً إلا على المجاز في بعض الوجوه، وإما هو مُحيا ومُقدر؛ لأن الله تعالى جعله حياً قادراً، وجعله سميعاً بصيراً، ألا ترى أنه خلق له آلة السمع والبصر، قال عز من قائل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَسَبِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الاسد ١٦)، والله سميعٌ بصيرٌ على الحقيقة، حيٌّ قادرٌ على الحقيقة.

وحياة العبد، وقدرته ناقستان، لأن حياته تعود إلى الموت، وقدرته ترجع إلى العجز. ألا ترى أنه لو اجتمع الخلق، وتظاهروا على أن يخلقوا بعوضة، أو أن يحييوا ميتاً، ويدفعوا الموت عمَّن أراد الله موته ما قدروا ولا استطاعوا ذلك، فليضح أن الله الحيُّ القادرُ على الحقيقة، وغيره حيٌّ قادرٌ على المجاز في بعض الوجوه، فهذا الفرق البين

لحل

في الكلام في أن الله عالم حكيم

اعلم أنا لما رأينا هذا العالم قد قُدِّرَ وجُعِلَ كلُّ شيءٍ منه في موضعه، وأُعِدَّ كلُّ أمرٍ منه لشأبه، ورأينا هذا الصُّنْعَ المشاهد حسن التقدير، مُحْكَمَ التدبير، لا خلل فيه ولا تفاوت، علمنا أن صانعه عالمٌ حكيمٌ.

ونظرنا في خلق الإنسان، ورقه، من ابتدائه إلى انتهائه، فإنه عندما

(١) ي (ش): ويحيوا ميتاً زى (مر). وأن يحيوا ميتاً

تحمله أمة ينقطع عنها الحيض ليكون الدم ررقاً له، كما يكون مع البيضة^(١) رزقاً للفرخ في وسط البيضة المحضونة، فإذا ولد أحدث الله له رزقاً في ثدي أمه لم يكن من قبل، ويولد وقد جعل الله له آلة لا يستعملها في الحال، ولا يستغني عنها في المال، فدل ذلك على أن صانعه عالم حكيم.

ودليل آخر: أنا نظرنا إلى الأدميين، وإلى ما يملكون من الحيوان، فإذا هم لا يشتبه بهم الناس في صورة الوجوه^(٢) ولهجة الأصوات، وكذلك لا يشتبه من الأنعام والخيل والدواب اثنان، على كثرتهم وسعتهم

وسان العلم في اختلافهم أن الله لما كان عالماً بكل معلوم لم يشتبه من الناس اثنان، ولا يشبه بما يملكون من الحيوان اثنان^(٣)، قال عز من قائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سجدة ١١).

ووجه الحكمة أنه لو اشتبه من الناس رجلان أو امرأتان لوقع الفساد؛ لأنه لو غاب أحدهما فأتى شبيهه إلى امرأة الغائب لأفسد في زوجته وماله، وكذلك لو اشتبه امرأتان لأشكلا أمرهما على زوجيهما، ولما عرف أحدهما زوجته من روجة الثاني. وجعل الله اختلاف صورة الوجه للنهار، وجعل اختلاف الأصوات لليل، وكذلك فرق بين الهائم، ولو اشتبه اثنان من الثمانية الأزواج،

(١) قوله - (مع البيضة) هو بالميم، ودعاء المهسة، وهو الصغار الذي وسط البيضة تمت.

(٢) في (ب) في صورة الوجه

(٣) في (ش) ولا اشتبه ما يملكون من الحيوانات ذلك

ثم أخبرنا الله تعالى بنظر إبراهيم خليله واستدلّاه عليه بمخلقه ومناطرتة لنفسه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ لِإِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ مَكَرَ صَاحِبَيْهَا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِيلَافَ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْتَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْفَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة ٧٥-٧٩)، فصَحَّ أنه ما عرف ربّه إلا بمخلقه، ولا استدلّ عليه^(١) إلا بصنّعه، وقد قيل في قول إبراهيم (عليه السلام) ﴿هَذَا رَبِّي﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: أنه قال هذا ربّي في ظنّي، لأنه في حال تعليل ظن واستدلال.

والثاني: أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربّه في الوقت الذي لم يعرف الناس يعبدون إلا الأصنام، فرأى البيرت أشرف من الأصنام؛ وهو قول ابن عباس.

والثالث: أنه قال ذلك في حال اطفولية والصغر؛ لأن أمّه ولدته في مغارة حذراً من النمروود عليه^(٢)، فلما خرج منها^(٣) قال هذا القول قبل قيام الحجّة عليه.

والرابع: أن يكون قال ذلك على وجه الإنكار لعبادة الأصنام،

(١) في (ب، ت): وما استدلّ عليه

(٢) في (ب، ش): في مغارة حذراً عليه من النمروود

(٣) في (ب، ش): خرج منه

إذ كان^(١) الكوكب والشمس والقمر لم يصنعهن ولا عملهن بشر، فلم تكن معبودة لزوالها، والأصنام التي هي دونها أولى أن لا تكون معبودة.

والخامس: أنه قال ذلك توبيخاً للمشركين، على وجه الإنكار الذي معه ليكون^(٢) ألفاً استفهام، وتقديره: أهذا ربي؟ ومثله موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا حويلد لم ترع

فقلت وأنكرت الوجوه: هم هم

أراد: أ هم هم.

ولا يجوز عندنا أن يقول ذلك اعتقاداً لما لو قال ذلك اعتقاداً لكان ذلك شركاً، وهو بريء من الشرك ومن أهله.

فأما الأقوال الأربعة^(٣) فيحوز أن تحمل الآية على أحدها، إذ ليس في أيها ما يوجب الشرك عليه. وأقربها إليّ أنه قال ذلك في وقت صغره وقبل بلوغه على وجه الاستدلال وتغليب الطن؛ ولأن في الآية ما يدل على ذلك؛ وهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، فصيح أنه دعا إلى ربه أن يهديه إلى معرفته، وقطع على نفسه أن الله إن لم يهده ل يكون من الضالين.

(١) في (ث): إنا كان

(٢) زيادة في (ب). وفي (ش) الذي يكون معه

(٣) في (ش): فأما الوجوه الأربعة

من القوم الضالين، وهو في وقت دُعائه ونظره واستدلاله قد علم أن لهذا الصُّنع صانعاً، وأنه لا يجوز عليه صفة نقص. فنظر في الشمس والقمر والكواكب فكانت أشرف المصنوعات، فلما رآها لا تخلو من صفات النقص رَفَضَهَا، وَعَلِمَ أن الله لا يُدْرَكُ بالأبصار، ولا يُشَبَّهُ شيئاً، ولا يُشَبَّهُهُ شيءٌ، ويؤيد ذلك ما حكى الله عنه من قوله: ﴿أَرَبِي كَيْفَ تُخْبِرِي الْمُؤَكَّنِّي قَالَ أَوَلَمْ تَلْمِزْ أُنَاسًا تَقَالِبُهَا لِيَذْهَبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُكَلِّمُ بِحُجَّتِهِ ذُكُرًا وَأُنثَىٰ كُلًّا لِّبَلَاغٍ فِي أَمْرٍ لَّكِنَّا فَكَّرَ وَجَدَ أَنَّ أَعْيُنَ النَّاسِ لَعَالَمٌ لِّأَبْصَارِهِمْ لَهَا وَهُمْ أَلَّا يَعْلَمُوا جُزْءَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا عَالَمٌ قَلِيلٌ﴾ (البقرة: ٢١٠)، فصَحَّ أنه كان في وقت النظر والاستدلال

ونقول: إن من وُلِدَ على فطرة الإسلام أنه يجب عليه أن ينظر ويُمَيِّرَ ويستدل على معرفة ربه بما أوجد من صعه، حتى ترسخ معرفة ربه في قلبه، ويعرف ذلك معرفة حَقِيقَةً، لا يُجْزئه الإقرار باللسان، لأن معرفة الله تعالى عقلية، والمسموع غير للعقول، فصَحَّ ما ذكرنا من وجوب النظر في صنع الله والاستدلال به عليه^(١)، وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَغَنِ التَّدَبُّرِ لِكِتَابِهِ، وَالتَّعَمُّقِ لِسُنَّتِي، زَالَتِ الرُّوَاسِي وَلَمْ يَزَلْ، وَمَنْ أَخَذَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ^(٢)، وَقَلَّدَهُمْ فِيهِ، ذَهَبَتْ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ يَمِينٍ إِلَى شِمَالٍ وَكَانَ مِنْ دِينِ اللَّهِ عَلَى أَعْظَمِ زَوَالٍ»

(١) في (ب، ش): والاستدلال به على الله تعالى

(٢) في (ث): عن أفواه الرجال

فصل

في الكلام في صفات الله والفرق بين الأسماء والصفات

اعلم أن الله تعالى يُوصَفُ بصماتٍ راجعةٍ إلى ذاته، ويُوصَفُ بصماتٍ راجعةٍ إلى فعله. ولصمات الراجعة إلى ذاته هي التي لا تضاد ولا تنافي^(١) كقولك: الحي، القادر، العالم، القديم، فهذه وما كان من صفات العظمة لا تضاد ولا تنافي؛ لأنه يستحيل أن نقول: يعلم ولا يعلم، ويقدر ولا يقدر.

وأما الصفات الراجعة إلى الفعل فهي كقولك: الرزاق، الخالق، ولا يستحيل^(٢) أن يدخل عليها انتزاع والتنافي؛ لأنك تقول: يخلق ولا يخلق، ويرزق ولا يرزق. وجميع هذه الأسماء يثبت لله معانيها وينتفي عنها أضدادها.

فينتفي عن الله الموت بالحياة، والجهل بالعلم، والعجز بالقدرة، والحدث بالقدم ومعنى قولنا: به حياة، بمعنى أنه حي، ومعنى قولنا: إن له قدرة، بمعنى أنه قادر، وأن له مقدوراً ومعنى قولنا: إن له علماً، بمعنى أنه عالم، وأن له معلوماً. فهو حي لنفسه^(٣) لا بحياة هي غيره، وهو عالم لنفسه^(٤) لا بعلم هو غيره، وهو قادر لا بقدرة هي غيره. وذهب قوم

(١) في (ب، ش): التي لا تضاد ولا تنافي

(٢) في (ش): لا يستحيل

(٣) في (ص): بنفسه.

(٤) في (ص): بنفسه

من المشبهة القائلين بقدم المعاني - وتسميهم العلماء الصفاتية - أن الله عالم بعلم هو غيره، وقادر بقدرته هي غيره، وحي بحياة هي غيره، وهذه المعاني عندهم هي قديمة.

فيرد عليهم^(١) أن الله تعالى لو وُصفَ بمعانٍ هي القدرة والعلم والحياة، والسمع والبصر والقدم، لم تحمل هذه المعاني من أن تكون قديمة أو محدثة أو معدومة، ولا يجوز أن تكون معدومة لأن العدم لا يُوجب حكماً، ولا يجوز أن تكون محدثة لأنها لو كانت محدثة لوجب أن يكون الله تعالى قبل حدوثها غير قادر ولا عالم ولا حي ولا سميع ولا بصير، ولو كان كذلك لم يصح منه إحداث هذه المعاني، ولا يجوز أن تكون قديمة لأنها لو كانت قديمة لوحب أن يكون مع الله قديم سواء؛ لأن كونه قديماً من أحسن أوصافه، وما يشارك الشيء^(٢) في أحسن أوصافه يجب أن يكون مثله، فبطل ما قالت الصفاتية، وصح أن الله تعالى قديم لنفسه، عالم لنفسه، حي لنفسه، سميع بصير لنفسه.

ولما ثبت أنه عالم لنفسه ثبت أنه عالم بجميع المعلومات، وقد دلّ الله على ذلك بقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾ (سورة البقرة، ٢٧٦)، فأخبر^(٣) أن كل عالم بعلم فعلم الله فوقه. ومعنى قوله تعالى: ﴿أَدْرَاكَ عِلْمِهِ﴾ (سورة البقرة، ١٦٦)، أي أنزله^(٤) وهو عالم به.

(١) في (ش): قادر بقدرته.

(٢) في (ص): فرد عليهم.

(٣) في (ص): وما شارك الشيء.

(٤) في (ش): وأخبر.

(٥) في (ب): أنه أنزله.

ومعنى قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، يريد من معلوموه ، ولو كان علمه هو هو لكان منقسماً ، فبعضه يُحاط به وبعضه لا يُحاط به ؛ لأنه استثنى شيئاً منه فقال : ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ، فصَحَّ أن علم الله ليس هو الله.

اختلف الناس من أهل التوحيد في صفات العظمة على قولين : فقال قوم : الصفات هي لله ، وقال قوم : هي الله . وعندنا وعند المعتزلة : هي لله^(١).

وعند فرقة المجبرة وهم الذين قالوا^(٢) : القرآن معنى في النفس ، وعد (أصحاب)^(٣) مطرف بن شهاب : أنها هي الله ، فإنهم قالوا : اسم الله هو هو.

والرد عليهم^(٤) بأن نقول : أخبرونا هل الله مستحق لهذه الأسماء أو غير مستحق لها ؟ فإن قلوا : ليس بمستحق لها حرجوا من العقل والإجماع والكتاب والسنة . وإن قالوا : هو المستحق لها صح أن المستحق غير المستحق ، وثبت أنه له ، فإذا استدلوا^(٥) على قولهم بقول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرعد: ٢٨] ، ويقول : ﴿سُبْحَاحَ اسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الرعد: ٢٩] ، ويقول : ﴿سُبْحَاحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ، ويقول : ﴿يَسُبُّوا اللَّهَ أَنْ تَرْفَعَ وَتَذَكَّرَ بِهَا اسْمُهُ﴾ [سور: ٣٦] . قلنا : إن معنى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ هو تبارك ربك ،

(١) في (ب ، ث ، ي) : أنها لله تعالى

(٢) في (ن) وهم الذين يقولون

(٣) ساقط في (ج)

(٤) في (ب ، ش) يُرد عليهم . وفي (ص) مرد عليهم

(٥) في (ش ، ي) فإن استدلوا

وسُبِّحَ ربك، ويذكر فيها الله^(١)، والاسم هاهنا صِلَةٌ. ومثل هذا موجودٌ في لغة العرب، قال طرفة بن العبد:

إلى الخول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

أراد: ثم السلام عليكما.

ونقول لهم: أخبرونا عن أسماء الله^(٢) هل هي موجودة في الكتب وفي صدور العارفين؟ أم ليست في صدور المؤمنين^(٣) ولا في كتب رب العالمين؟

فإن قالوا: ليست في صدور المؤمنين، ولا في كتب رب العالمين. حالفوا الإجماع والعقل والكتاب والسنة، فإن أقرروا بها وقالوا: هي توجد في الصحف وسائر الكتب^(٤)، وفي صدور المؤمنين، صح أنها غيره وأنها له، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى﴾ [الحشر ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِقُونَ بِالْأَسْمَاءِ﴾ [الزمر ١٨٠]، وقد تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الزمر ١١٠]، فصح أنها له؛ لأنه لم يقل: وهو الأسماء الحسنى، ولا قال: فادعوها^(٥).

(١) في (ن) قلنا إن معنى قوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك﴾ هو تبارك ربك، ومعنى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك﴾ هو سبح ربك، وكذا معنى قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك﴾ هو سبح ربك، ومعنى قوله تعالى ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ هو يذكر فيها الله.

(٢) في (ص) ونقول: أخبرونا عن أسماء الله تعالى.

(٣) في (ش): أم ليست موجودة في صدور المؤمنين.

(٤) في (ي): ولي سائر الكتب.

(٥) في (ب، ش): ولا قال فادعو به.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الدرة اليتيمة: له سبحانه من أسمائه معناها، وللحروف مجراها، إذ الحروف مبدّوعة، والأنفاس مصنوعة. وروى عنه (عليه السلام) أنه قال: من عبّد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبّد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبّد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن حقاً.

وقال (عليه السلام) في الدرة اليتيمة: إن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت: قل، فالقل بعده، وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلقه.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: (فأسماءه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة) فصيح أن التعبير بحرف المعبر عنه وقال (عليه السلام): ليس مدّ خلق استحقّ اسم الخالق، ولا بإحداثه التّرايا استحقّ البراءة^(١).

وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في جواب مسائل سُئل عنها: معنى «أقرأ باسمك» [سورة الفاتحة]، وإنما اسمُ ربّه الذي أمر أن يُقرأ به «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الذي قدّمه في صدر كل سورة. وقال (عليه السلام) في معنى قول الله تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» [سورة الفاتحة ١٨] - وسؤال الملحد: هل شهد الاسم للمسمى، أو شهد المسمّى للاسم؟ - فقال: الشاهد هو الله، أي علّم، والاسمُ فهو اسمُ الله، وما كان لله فليس هو الله، والله الأسماء الحسنى، والمسمى فواحد.

(١) يعني بل هما له، من قبل ذلك، انتهى

وقال ولده محمد بن القاسم عيهم السلام - في كتاب الشرح والتبيين في صفة الله تعالى: لم يزل الجود له صفة، وإن كان من يجود عليه غير موجود، وكذلك كن رحيماً ولا مرحوم بالقوة التي يرحم بها المرحوم إذ خلقه، ورضاه الرحمة، وإنها عنده محمودة من فعله له مدحه^(١)، ولا يجوز أن يقال: إن الله لم يزل لهذه المخلوقات فاعلاً^(٢) قبل فعلها، ولكن يقال: كان خالقاً بالقوة إذا أراد أن يخلقه، وعالم وإن لم يكن معلوم، ورحيم لرضاه بالرحمة، وإنها من صفته وإن لم يكن مرحوم، وحكيم بقدرته التامة على الحكمة، ولا محكمات قبل خلقه لها، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: ألا تعلمون أن العالم بالبناء القوي عليه بناء وإن لم يشهد وكذلك النحار والطيب والعالم والمارس إلى قوله. فسمي بهذه الأسماء إلهي واجبة له قبل وجود الأشياء).

وقال جعفر الصادق (عليه السلام) - في رده على صاحب الهليلة عندما قال له: كيف جاز للمخلق أن يتسموا بأسماء الخالق؟ - فقال: إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه أباح الأسماء، فقد يقول القائل للواحد من الناس: واحد وقوي، والله واحد وقوي. وصانع والله صانع، فمن قال: الله واحد، والإنسان واحد، فلم يشبهه في المعنى^(٣)، وإنما الأسماء هي دلالات على المسمى.

(١) قوله (من فعله له مدحه) المعنى غير ظاهر فيتحقق تحت

(٢) في (ث): فاعل

(٣) في (ص) - فلم يشبه في المعنى

وقال علي بن موسى الرضائي عليهما السلام^(١) في أحد مجالسه لعمران الصابي^(٢) عند المأمون: وكذلك^(٣) صار اسم كل شيء غير المسمى، وصفة كل شيء غير الموصوف.. إلى قوله: ألهمت؟ قال: نعم.

قال عمران: يا سيدي؛ وصفاته هي نفسه؟

قال الرضائي: إن أسماء وصفاته غيره، وهو غيرهما، ولا يخلو إذا كانت غيره من الدلالة عليه وعلى وجوده. وتحقيقه والمثل في ذلك والدليل عليه قولك: إني قلت: السماء؛ وإنما ذكرت خمسة أحرف.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتاب الأحكام محتجاً على من قرأ

(١) هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المعروف بالرضائي، الإمام الحجة، أبو الحسن، أحد عشر أبا، وعمومه، وابن أبي رافع، وصهر بن علي الجهمي، وعمه أحمد بن عامر الطائي، وداود بن سليمان العاري، نصحية. وهي المعروفة بصحيفة علي بن موسى الرضائي، وعمه ولده محمد، وعد السلام بن صالح البرقي.

صحة الشقي علي العاري وعن الدراستي أن ابن حبان في كتابه قال بهم ويخطئ وقال ابن طاهر يأتي عن آياته يعجائب فاطر بن كلام هؤلاء في هذا الإمام الذي هو شيع ومعه، ووجد عصره علماً وعملاً، ومضلاً وكذلاً، حتى قال أحمد في سب الحديث القدسي لمرئ هذا الإمام على مجنون ليرى من حخته، فكيف حالهم مع الشيعة، والاتباع وقال الإمام منصور بالله عبد الله بن حمزة، ولأصحابي دس عليه المأمون السُم فقتله، بعد أن كان قد عهد إليه بالخلافة، ولم يحتمل في قتله باسم، وإنما احتلف في الكيفية وكانت وقته (عليه السلام) بطوس سنة ثلاث ومائتين من الهجرة تحت

(٢) في (ث) عمران الصابي وفي (ص) - عمران الصابي

(٣) في (ش) فكذلك

في الركعتين الأخيرتين مُسرّاً فذكر فضل أم الكتاب وقال: هي السَّبْعُ
المثاني التي ليس في التوراة والإنجيل والرُّبُور مثلها. وروي ذلك عن
النبي ﷺ قال: وذلك أنها أم الكتاب^(١)، ولما فيها من أسماء
ربّ الأرباب وتوحيده جلّ جلاله. إلى قوله: وإنما جعل الله القرآن
منفعة لكل إنسان. وأمر نبيّه بتسنيته للعالمين، وإقراره^(٢) في
آذان السّامعين.

وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في مسائل الرازي - وقد سأله - عن
الفرق بين الاسم، والمُسَمَّى - فقال (عليه السلام) الفرق بينهما أن ما رأيا
الاسم الواحد، ينتقل في المُسَمَّين، علمياً أن الاسم غير المُسَمَّى،
وأنه دلالة على المُسَمَّى وعلامة له، ليس بـ **يَه** ولا هو بها، وهذا فأتين
ما يكون، ولن يعلط في الفرق بين الاسم والمُسَمَّى حتى يقول: إن
الاسم المُسَمَّى: إلا حاهلٌ غمبيّ، وضالٌّ أبلةٌ غويّ.

فصح ما قلنا من أن أسماء الله له، وأنها ليست هو. وأي حجة أبهر
من كتاب الله، ومن إجماع أهل بيت رسول الله ﷺ، وقد قال
رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما بين يديّكم من كتبكم ما لم تأخذوا به لن تضلوا من بعدي
أبدأ، بكتاب الله وعترتي أهل بيتي... الخ»^(٣).

(١) في (ب، ش، ي) لأنها أم الكتاب

(٢) في (ب، ل): وإقراره

(٣) يعني بشمعه، وهو - (إن اللطيف خير بياني بهما لن يشرقا حتى يرثي عليّ الخوص).

(٤) باب حقيقة معرفة التوحيد

اعلم أنه لما ثبت أن لهذا العالم صنعا (صعته)، وأنه حي، قادر، قديم، عالم، سميع، بصير، وجب أن يكون واحداً؛ ولأنه لو كان معه إله غيره، أو آلهة (معه) (١) لجاءتنا كتبهم ورسولهم، ولتبين لنا صنعهم وعملهم، إذ لا يُحكم بشيءٍ لغير مُدَّعٍ، فلما لم تصلنا الكتب والرسول إلا لواحد علمنا أنه لا رب سواه ولا إله غيره.

ودليل آخر - أنا لما رأينا هذا العالم على غاية من التدبير، والصنع المتقن والتقدير، فرأينا شمساً وقمره ونجومه قد قدرت على غاية من الصلاح، ورأيانا لا يفترق مجتمعها، ولا يجتمع مفترقها، ولا تفاوت فيها ولا غيار، ورأينا الهواء (٢) وما شاهد من السماء والأرض وما فيهما قد وُضِعَ كل شيءٍ منها في موضعه، وأُعِدَّ كل شيءٍ منها لشأنه، قال الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّهُمْ كَافِرٌ بِهِ﴾ (٣)، فعلمنا أن صانع هذا الصنع ومدبره واحد، ولو كان معه غيره لم يخلُ من أن يُريد أحدهما صنع شيءٍ ويريد الآخر خلافه، كأن يُريد أحدهما حياة زيد، ويُريد الآخر موته،

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ض): لرأينا الهواء.

ولو كان ذلك كذلك لوحب انتصاد والتمانع، ولفسد الصنع ولما اتسق وانتظم إلا للمدبر واحد.

وقد دل الله تعالى على ذلك في كتابه على لسان نبيه ﷺ فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَاقَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الأنعام: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَخْتَهُمْ كُنُّوا إِلَيْهِ بِمَا خَلَقُوا وَلَعَلَّكُمْ تَعْتَهُمْ عَلَى بَعْضِ﴾ [الأنعام: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿فَنُوحِوا لَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَكُّوا أَحَدٌ﴾ [الأنعام: ١٧١].

واعلم أن الكفار افرقوا على مقاليتهم:

فرقة نموا الصانع نقياً محضاً. وقد حكى الله قولهم حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا أَعْيَانُ النَّاسِ انْتُمُوتُ وَهِيَ تَحْيَا وَمَا يُقَالُ إِلَّا الشُّكْرُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وهو باطن الباطنية واعتقادهم الذي^(١) لا يُطْلَعُونَ عليه إلا من استخلفوه واستوثقوا منه؛ ولأنهم جمعوا بين الفلسفة والشرعية، فأقروا بالإسلام واعتقدوا الكفر، وزعموا أن لكل ظاهر باطناً، ولزموا مسائل من متشابه الكتاب. وقالوا في توحيدهم: لا يقال إن الله موجود، ولا يقال غير موجود، ولا عالم ولا غير عالم، ولا حي ولا غير حي، ولا قادر ولا غير قادر.

قالوا: لأنك إذا قلت: إنه موجود حي قادر عالم، فقد شبهته

(١) في (ث): الدين

بما سواه ؛ وإذا قلت : ليس كذلك فقد نفيتَه و غرضهم بهذا القول التوصل إلى الكفر. وإذا لم يكن موجوداً فهو معدوم بلا شك ؛ لأنه لا منزلة ثالثة تُعلم ؛ وكذلك إذا لم يكن حياً فهو مواتٌ ، وإذا لم يكن قادراً فهو عاجزٌ ، وإذا لم يكن عالماً فهو جاهلٌ ... تعالى الله لعن ذلك^(١) علواً كبيراً.

وقد بينا الفرق بينه ، وبين من سُمي^(٢) حياً قادراً عالماً موجوداً من خلقه فيما تقدم.

وقالت فرقة من الملحدة وهم من الفلاسفة : الهواء هو الله. ووصفوه بأنه مع الأشياء ومحيط بالأشياء^(٣) ، وأنه بعيدٌ قريبٌ ، وقد قدمنا الرد عليهم.

وقال قوم : التور والظلمة الصانعان ، وقد قدمنا الرد عليهم.

وقال قوم من الفلاسفة بإثبات الصانع ، وزعموا بأنه فاعلٌ في ما لم يزل ، وأن العالم ظهر منه كظهور ضياء الشمس من الشمس ، وحرّ النار من النار. وقال قوم من الفلاسفة : بقدَم^(٤) الزمان والمكان والهيولى والنفس.

وقالت النصراني بقدَم الأقاليم الثلاثة : أقنوم أب ، وأقنوم ابن ، وأقنوم روح القدس ، وقالوا. ليس الأقنوم الأول الأقنوم الثاني

(١) زيادة في (ض)

(٢) في (ش) وبين من يُسمى

(٣) في (ش، ح) : ومحيط بكل الأشياء

(٤) كلها في (ش، ت، ب، ي، ل) ، وفي بقية النسخ : يتقدم

ولا الثالث ولا غيرهما، وهذا القول ظاهر الفساد، إذ لا يكون شيء لا شيء ولا لا شيء.

وقالت الثوية بقدّم النور والطئمة، وعلّوا الظلمة على النور.

وأنت كفار العرب الصانع، وأشركوا بعبادتهم الأصنام، وقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وقد حكى الله ذلك فقال: ﴿وَلَعِنَ سَائِلُهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [النمل ٢٥] [النمل ٢٨]. ومنهم من قال: الحن شركاء لله^(١)، وقلوب الملائكة إناث، وجعلوا لله بنين وبنات، فقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ يَدْبَعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَمَّا يَكُونُ لَهُ يَوْمَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِّنْ شَيْءٍ مَّخْلُوقٍ فَحَسْبُكُمْ شَيْءٌ ۝ عَلِيمٌ ۝ فَلْيَكْفُرُوا ۝ لَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مَا تَعْلَمُونَ وَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَبِيدُ﴾ [الاسم ١٠٠-١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَأَسْأَلُهُمُ الْيَوْمَ الْقِيَامَ وَلَهُمُ الْيَوْمَ أَمْرٌ ۝ أَمْ خَلَقُوا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ نَاهِيُونَ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكُمْ أَنْفُسُ الْيَوْمَ ۝ وَلَهُمُ الْيَوْمَ لَكَاذِبُونَ ۝ أَمْ تَعْلَمُ الْيَوْمَ عَلَى الْيَوْمِ ۝ مَا لَكُمْ سُبْحَانَ تَعْلَمُونَ ۝ أَمْ لَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۝ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَجَعَلُوا يَمِينَهُ وَتَمَنَّى الْجِنَّ نِيسًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّ أَنَّهُمْ يُخْفَرُونَ ۝ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الاسم ١١٩-١٢٠]، فأخبر الله تعالى بقولهم. ثم قال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي حجة وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّ أَنَّهُمْ يُخْفَرُونَ﴾

(١) ي (أ، ص) الحن شركاء الله

يقول: لقد علمت الجنة^(١) إنيهم لمُعَذَّبُونَ، ثم استثنى المؤمنين منهم، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ومحضرون هاهنا بمعنى معذبين^(٢) قال الله تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ لَفَرِحِينَ ۝ وَلَوْلَا هَٰذِهِ رَأَيْتُ لُكُوتًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً ۝ إِنَّهُمْ لَمُنْكَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [المعات ٥٦، ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِي جُزْأً إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ۝ أَمْ أَتَّخَذَ بِنَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَمْتًا كُمْ بِالنَّبِيِّتِ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا حَزَبَ لِلرَّحْمَنِ مَعْلًا طَلَّ وَجْهَهُ مُسْتَوْكًا وَهُوَ حَكِيمٌ ۝ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُوا التَّلَاقَ الدِّينَ لَهُمْ عِبَادَ الرَّحْمَنِ إِنْ تَأْتِيهِمْ سُلُوكُهُمْ شَهَادَتُهُمْ وَتَأْتِيهِمْ ۝﴾ [مرسود ١٥، ١٦]، فاحتج الله عليهم بحجة بالغية، وأي حجة أهدى من حجة الله بأن قال: ﴿أَمْ أَتَّخَذَ بِنَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَمْتًا كُمْ بِالنَّبِيِّتِ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا حَزَبَ لِلرَّحْمَنِ مَعْلًا طَلَّ وَجْهَهُ مُسْتَوْكًا وَهُوَ حَكِيمٌ﴾، يقول: إن أحد هؤلاء الكفار إذا بُشِّرَ بالأشئ اغتم وتعب، وإذا بشر بالذكر فرح واستبشر، فهل يكون الله اختار لهم الذكور، ويأخذ الإناث له؟ وقد عابهم^(٣) بقوله: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [مرسود ١٨]، عز الله عما يقول الكافرون.

فأما عباد الأصنام والأوثان فإن الرد عليهم ظاهر قريب، وذلك أن الحجارة والأصنام موات لا حياة فيها، ولا قدرة، ولا علم،

(١) في (ش): ولقد علمت الجن

(٢) في (أ) بمعنى معذبون

(٣) في (ش): وقد عابهم

ولا تنفع، ولا تدفع، وقد بين الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَلَا يَسْتَلْزِمُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صَفْحَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج ٧٣]، يريد أن الذباب لو أخذ من الصنم شيئاً لم يستفدوه منه، ضعف الصنم والذباب.
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلُ بَيْتٍ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الاحد ٥]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الصَّكْبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَمَّا وَإِنَّ أَوْهَنَ الشَّيْءِ لَكَيْتَ الصَّكْبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الصكوت ١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الرعد ٣٨]، وقال تعالى حاكياً قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَعْبُدُونِ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ١٦٠]، يريد: يا حجارة التي تعبتون

ومن الكفار من ادعى الربوبية كالمرود، وفرعون، وغيرهما من الملحدين. وقد ذكر الله احتجاج إبراهيم عليه السلام حين قال إبراهيم: ﴿رَبِّیَ الَّذِیْ یُحْیِیْ وَیُمِیتُ﴾، ﴿قَالَ﴾ الذي كفر: ﴿أَنَا الْخَیْرُ وَأُمِیتُ قَالَ إِبْرَاهِیمُ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِیْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِیْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ سَمِعْتَ الَّذِیْ هَكَكَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الضَّالِّینَ﴾ [البقرة ٢٥٨] فثبت حُجُجُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَعَلِمَتْ أَوْلِیَاءُ اللَّهِ، وَأَهْلِکَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَقَدْ أوردنا من الحجج على جميع فرق الكفار ما فی بعضه کفایة.

فصل

في الكلام في أصل التوحيد وحقيقته

اعلم أن أصل التوحيد وحقيقته هو إثبات الصانع، ونفي كل صفة نقص عنه. وقد قدمنا الكلام في إثبات الصانع، وهذا موضوع نفي صفات النقص عنه^(١)، فنقول:

إن كل صفة نقص لا تجوز على شيء لا في دنيا ولا في آخرة؛ لأنه إذا كانت فيه صفة نقص كان عاجزاً، وإذا كان عاجزاً لم يكن قادراً حكيماً، والله يتعالى عن ذلك.

فمن صفات النقص أن يكون والدًا أو مولودًا، أو يكون له صاحب أو صاحبة أو حد^(٢) أو ضد أو يلد، أو يكون معه سواء في القدم، أو يكون في مكان، أو يكون محالاً أو محلولاً، أو يكون له جوارح وأعضاء من يدين وجنس، وروح وعينين، أو أنه يرى في دنيا أو آخرة، أو يذكر بحاسة أو وهم أو ظن، وإذا كان بهذه الصفات كان مشبهاً للمحدثات ولم يكن مستحقاً للمدح، فتعالى الله عن ذلك، بل تمدح بأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣)، فلو كان والدًا لكان مولوداً، وإذا كان مولوداً ثبت أنه محدث، وإذا كان محدثاً كان مصنوعاً.

ولو كان له صاحبة لكان محتاجاً، ولو كان محتاجاً لم يكن غنياً،

(١) في (ع): وهذا موضوع نفي الصفات عنه.

(٢) في (ث): أو جد - بالجيم المعجمة

وإذا لم يكن غنياً كان عاجزاً، وإذا كان عاجزاً كان مصنوعاً. وإذا كان له صدق كان له مانعاً عما يريد^(١)، وإذا كان له مانع كان ضعيفاً، وإذا كان ضعيفاً كان مصنوعاً، وإذا كان له ندم كان له شبيهاً^(٢)، وإذا كان له شية لم يكن صانعاً للعالم وكان مصنوعاً. وكذلك لو كان معه غيره في القدم لكان له شبيهاً^(٣)، ولو كان في مكان لوجب أن يكون مخوياً، ولو كان مخوياً لكان مصنوعاً^(٤)، ولكن بعض المواضع منه حالياً، وإذا كان في مكان دور مكن كان عن المكان الذي ليس هو فيه غائباً، وإذا كان عنه غائباً كان له ولما يحدث فيه جاهلاً، وإذا كان عن شيء جاهلاً كان عاجزاً

ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْزَمْنِي بِشَيْءٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزمر ١٨٤]، أنه إله من في السماء، وإله من في الأرض؛ كما يقال: فلان أمير في بلد كذا، وبلد كذا وإن لم يكن فيهما ساكناً. وقوله تعالى: ﴿وَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّتْ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَهُوُّ﴾ [الحج ١٦]، أراد أأمنت من إله من في السماء؛ ولأنه تعالى كان ولا مكان، ولو كان المكان الذي يكون فيه قديماً لوجب أن يكون له في القدم شبيهاً^(٥)، ولو كان المكان الذي يكون فيه محدثاً لكان منتقلاً، وإذا كان منتقلاً كان محدثاً؛ لأن الانتقال دليل الجِدْث.

(١) في (ص، ح): مانع عما يريد

(٢) في (ع) فكان له شية

(٣) في (ع) فكان له شية

(٤) في (ع) لوجب أنه مخوئ يحدث، ولو كان مخوياً محدثاً لكان مصنوعاً وفي (ش): لوجب أن

يكون محدثاً ولو كان محدثاً لكان مصنوعاً

(٥) في (ض) شية

ونقول: إنه ليس بخارج من الأماكن، كخروج الشيء من الشيء، ولا بعائيد منها، ولو كان كذلك لأدى ذلك إلى الانتقال والجهل... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولو كان حالاً أو محلولاً لكان جسماً أو عرضاً، ولو كان جسماً أو عرضاً لكان محدثاً، ولو كان محسوساً أو موهوماً لكان محدثاً ضعيفاً، لأن المحسوس والموهوم لا يكونان^(١) إلا حالاً أو محلولاً، ولا يكون الحال والمحلول إلا جسماً أو عرضاً، ولا يكون المدرك بالحواس والوهم إلا مقابلاً - أو في حكم المقابل - كمن يرى وجهه في المرآة، أو حالاً في الجسم كالألوان؛ وإذا كان كذلك كان صعيماً عاجزاً، وإذا كان عاجزاً كان مصنوعاً. ولو كان يرى في الآخرة لوجب أن يرى في الدنيا، ولو كان يرى لزال عنه المدح ووجب له النقص^(٢) لأنه تعالى يقول: **لَا تُتْرَكُ الْأَبْصَارُ وَلَوْ يَتَرَكُ الْأَبْصَارُ** (الأنعام ١٠٣)، فمدح نفسه بذلك، فلو جاز أن يرى في الآخرة لزال عنه المدح، ووجب له النقص^(٣) كما أنه مدح نفسه بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم، فلو جاز أن تأخذه سنة في وقت من الأوقات لزال المدح، ووجب النقص، والله يتعالى عن ذلك. ولو كان له جارحة يد أو وجه أو جيب أو عين لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان مصنوعاً. والأعضاء والجوارح لا تكون إلا مصورة، والصورة لا بُد لها من مصور؛ ولو كان كذلك لكان هذا غاية التشبيه والإلحاد وخلاف التوحيد.

(١) في (ب، ش، ع) لا يكون

(٢) في (ب)؛ ووجب عليه النقص

(٣) في (ب)؛ ووجب عليه النقص

فأما ذكر الوجه - في القرآن - واليد والعين والجنب، فإن الوجه هو الدات، والعين هو العلم^(١)، واليدين البسط والقبض^(٢)، والجنب السبيل وهذا موجود في لغة العرب لأن القرآن نزل بلغة العرب، قال الشاعر:

وقد يهلك الإنسان من وجه أمته

وينحو بإذن الله^(٣) من حيث يحذر

وتقول العرب: لفلان علي يد^(٤) أي نعمة. والعين عند العرب قد تكون الحديقة، وقد تكون عين الماء، وقد تكون عين الركبة، وكذلك العلم فقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [مريم: ٦٤]، أي بعلمنا، وقوله تعالى: ﴿يَلْحَظُّنَا عَلَى مَا قَرَأْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٦٥] أي في سبيل الله، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُحِيقُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة: ١٠٤] يريد نعمته وبيئته، وقوله: ﴿وَنَسِئَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [مريم: ٦٧] أراد ويبقى ربك^(٥) ذو الجلال والإكرام

والدليل على أن وجهه ذاته وأنه لا حارحة له قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [مريم: ٨٨] فأوجب الهلاك على الجوارح واستثنى الوجه وهي لا تكون إلا شيئاً، فكيف تهلك الجوارح ويبقى الوجه؟ فصح أنه لا جارحة له، وأن وجهه ذاته وقد روي عن رسول الله ﷺ

(١) في (ص) هي العلم

(٢) في (أ): والدان: البسط والقبض

(٣) في (أ، ي) ويجو بأمر الله

(٤) في (ع): لفلان على فلان يد

(٥) في (ث): أراد ويبقى ذات ربك

أنه قال: «خمسٌ لا يُعذرُ بجهلهنَّ أحدٌ: معرفة الله سبحانه، لا يُشبهه بشيءٍ، ومن شبه الله بشيءٍ، أوزعم أن الله يُشبهه شيءٌ»^(١)، فهو من المشركين... الخبر. فصَحَّ أن الله تعالى مُنزهٌ عن صفات النقص غير مُشبهٍ بشيءٍ^(٢)، ولا شيءٌ مُشبهٌ له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، تأويله أن اللقاء في كتاب الله هو يومُ الحساب والموقف، والعربُ تُسمي الاجتماع والحشد لقاءً، ولما كان الله هو الذي جمعهم سُمي لقاء الله^(٣)، ألا ترى أن الأمير لو أمر بلقائه ولم يُر فيه، أن القائل يقول: كنا في لقاء الأمير. واللقاء الجراء والثواب؛ يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فَمَا تَعْلَمُ لَهُمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَظُوا وَبِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: ١٧٧]، ولأن المشبهة مجمعة على أن أهل النار لا يرونه.

وروي عن الناصر^(٤) أنه روى بإسناده أن رجلاً

(١) في (ض): أوزعم أن الله يشبه شيئاً

(٢) في (ن): غير مشبهٍ بشيءٍ

(٣) في (ع): سُمي بلقاء الله

(٤) في (ب، ش): وروي الناصر، هو لإمام البصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن ريس العابدين بن السبط الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الملقب بالأطروش والناصر الكبير، والناصر الحق أحد أتباع الزيدية الأعلام، وأحد عظماء الإسلام، كان عالماً مجتهداً، زاهداً، ورعاً نقيباً، شجاعاً شجاعاً، أدبياً بارعاً، عظيم القدر مولده (عليه السلام) سنة ٢٢٠ هـ ونشأ في طلب العلم وقرأ من الكتب السماوية بصحة عشر كتاباً، وقام في أرض الديلم سنة ٢٨٤ هـ بدعو إلى الله تعالى عشرين سنة، ودخل طبرستان سنة ٣٠١ هـ وأسلم على يديه ألف ألف م بين رجل وامرأة وتوفي بآمل في ٢٥ شهر شعبان سنة ٣٠٤ م من الهجرة النبوية قال الطبري لم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته، وإقامته للحق له مؤلفات كثيرة انتهى

أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أتصدق بشيء من مالي أريد به وجه الله، وأجبت أن أذكر بالخير، فأنزل الله هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [النجم: ١١٠].

فصل

في الكلام فيما اتفق عليه أهل القبلة وما اختلفوا فيه من التوحيد

فاتفق الشيعة والمعتزلة والصدئية والخوارج والحشوية على أن الله تعالى لا مثل له. وأجمعوا على القول بأنه يرى ولا يرى، وهو بالمنظر الأعلى. وانفقوا في أنه لا تدركه الأبصار في الدساء وانفقوا على أن الله تعالى عالم فيما لم يرل ولا يزال، ويجب ذلك له ويستحيل عليه^(١) خلافه. واتفقوا في أن القرآن تنزيل الله، ووحية.

واختلفوا فيما له كان الله عالم. فقالت الزيدية، والمعتزلة: إن الله تعالى عالم لذاته^(٢)، وعالم لنفسه؛ ومعنى عالم لذاته: أنه تعالى عالم يجب ذلك له، لا شيء سوى ذاته، وكذلك قالوا في أن الله تعالى حي، قادر، قديم، سميع، بصير، ولم يثبتوا قديماً سوى الله تعالى، وسبوا من أثبت معه قديماً (أو قداماً)^(٣) إلى الكفر وقالوا: هو مذهب الصابري قد دس في الإسلام. وأن لقرآن محدث.

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (أ) عالم يجب ذلك لذاته

(٣) ساقط في (ث)

وقالت الصفاتية من الكلائية والأشعرية: إن الله تعالى عالم بمعنى سموة عالماً، وقادر بمعنى سموة قدرة، وحي بمعنى سموة حياة. وروي عن بعض الأشعرية مثل قولنا. وقد قدمنا الاحتجاج عليهم فيما تقدم.

ولم يختلفوا^(١) في أن القرآن قديم، واختلفوا في هذا المثلو، فقال قوم: إن القرآن المثلو ليس هو كلام الله تعالى على الحقيقة بل هو عبارة عنه، وكذلك قالوا في التوراة والإنجيل والزبور، وقالت الحشوية منهم: إن المثلو هو القديم.

فنقول: إذا كان الله قديماً (والصوت قديماً)^(٢) فقد اشتبهها في القدم، وصارا قديمين اثنين، وكذلك إد[كان له شيء يقدر به^(٣) وكان قديماً كان مُشابهاً له، وأشبه ذلك قول النصاري في الأقانيم الثلاثة [أنها] جوهر واحد. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَفَّفٍ إِلَّا عَكَاؤُنَا عَنْهُ تَفْرِحَتٌ﴾ [سجدة: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَفَّفٍ إِلَّا اسْتَمْتَعُوا بِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ قَلْبِهِ كِتَابٌ يُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ الآية [الحج: ١٢].

وأيضاً فقد أجمعت الأمة على أن في الكتاب مُحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥]،

(١) أي الصفاتية تمت.

(٢) كذا في الأصل، والجملة ساقطة في أكثر النسخ.

(٣) في (ش): بقدرته.

وقال: ﴿مَا صُنِعَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَةٍ قَامَتْ بِحُجْرَتِنَا أَوْ يَطَّلِعُهَا﴾ (البقرة ١٠٦)، فإذا ثبت أن فيه ناسخاً ومنسوخاً ثبت أن الناسخ بعد المنسوخ، وأن المنسوخ قبله، وإذا صح أن الناسخ بعد المنسوخ ثبت حدث الناسخ، وإذا كان بعضه محدثاً وجب أن يكون البعض الثاني محدثاً

وأيضاً فإنه أنزل على لغة العرب، وفيه الماضي والمستقبل، فيخبر عن الماضي بما يحسن وقوعه في أمر، ويخبر عن المستقبل بما يحسن وقوعه في غيب، قال عز من قائل: ﴿الْم ۝ طُهِيتِ الرُّؤْمَ ۝ فِي أَكْثَرِ الْأَرْضِ وَلَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيَّتِهِمْ سَتِيلُونَ﴾ (الروم ١-٢)، وقد أجمعت الأمة على أن القرآن لم يرسل على النبي ﷺ جملة واحدة في وقت واحد وإنما نزل متفرقاً، فكان ينزل بحسب الحاجة إليه عند الباردة التي تنزل والحادة التي تحدث، ولا يُقدَّم الشيء ويدحره ويعدّه^(١) قبل الحاجة إليه إلا العاقر الذي يخشى أن يطلب الشيء عند حاجته إليه فيتعذر عليه، والله تعالى لا يتعذر عليه شيء ولا يعجزه شيء، فصح أن الله تعالى أحدثه (في^(٢)) وقت حاجة المكلفين إليه.

وأيضاً فإن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام من الشجرة لا يحلو من أن تكون^(٣) الشجرة محلاً له، أو يكون الله محلاً له نطق به كما ينطق ذو الآلة.

فإن قالوا: الشجرة محل له خلقه الله فيها، فهذا قولنا،

(١) في (ع). ولا يتقدم الشيء ويدحره ويعدّه

(٢) ساقط في (ب، ش، ع)

(٣) في (س، ش، ي)، إما أن تكون

وهو يدل على أنه مُحدثٌ ؛ لأن الشجرة محدثة^(١) ، وإذا كان المحلُّ محدثاً كان الحالُّ محدثاً ، ولا يصح أن يقال : إن الشجرة قديمة ، ولا أن كلام الله الذي سمعه موسى قديمٌ فيها ، ولا يجوز أن يكون الكلام في غير محل.

وإن قالوا : الله هو الذي نطق بالكلام ، كما ينطق ذو اللسان ، فقولهم : نطق يدلُّ على الحدث ، لأنه بمعنى : فَعَلَ ، وخرج من أن يكون قديماً.

وإن قالوا^(٢) : هو المتكلم فيما لم يزل. قل : هذا يدل على العبث ، والهديان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وإن قالوا : هو ينطق حيناً **وَيَصْمُتُ** حيناً قلنا : وهذا دليل على الحدث ، حدث النطق والتباطؤ ، لأنه يكون متحركاً حيناً وساكناً حيناً ، وقد صحَّ أن السكون بعد الحركة محدث ، وأن الحركة من بعد السكون محدثة ، فصح أنه مُحدثٌ ، لأن فيه دليل الحدث

وأيضاً فإذا كان ينطق بالة لم تكن الآلة إلا مُصورةً ، وإذا كانت مُصورةً ثبت أن لها مصوراً ، فبطل ما قالوا من أن الله ينطق ، وأن كلامه قديمٌ ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «ما خلق الله شيئاً أعظم من آية الكرسي ، وما خلق الله شيئاً أحبَّ إليه من سورة الإخلاص» فدلَّ على أن القرآن محدث.

(١) في (ع، ل، ي، هـ). ولأن الشجرة محدثة

(٢) في (ب، ش) : فإن قالوا

فإن قالوا: إذا لم يكن متكلماً وجب أن يكون أخرس. قلنا: إن
الأخرس آفة في اللسان، والله ليس بذئ لسان ولا جارحاً، تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً.

وأما قول من يقول: إن القرآن، مُتْلَوْ ليس هو القرآن على الحقيقة، وإنما هو عبارة عنه. فنقول: إن الله تعهد المؤمنين بهذا المتلوة، ولم يتعهدهم بقرآن غيره، وتحدى الكافرين بأن يأتيوا بسورة من هذا المتلوة، ولم يتحدّهم بقرآن غيره، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَءُوا مَا تَسْرِمْنَ الْقُرْآنَ﴾ [الاسراء: ٢٠]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَصْغُوا لَكُمْ فَزَحْزَحُونَ﴾ [الاعراف: ١٧٠]، وقال: ﴿هَٰؤُلَاءِ حَبِثَتْ بَيْنَهُ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [الاعراف: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ لَئِن آتَيْنَاهُم بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ لَيُنَّ كَاذِبُونَ﴾ [الاعراف: ٢٢]، وقال: ﴿لَئِنْ لَحِثَّتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الاسراء: ٨٨]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ مَا نُنَزِّلُ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [الاسراء: ٢٨].

وقول من يقول: (إن هذا المثلوة عبارة عن القرآن)، يُشبه قول السُّوفِسْطَائِيَّةِ الذين نفوا الحقائق؛ لأنه إذا كان هذا المثلوة لا حقيقة له؛ أمكن في كل الأشياء أن يكون لا حقيقة لها، فبطل قول من يقول: إن المثلوة عبارة عنه. ولا فائدة في شيء لم يقف عليه المكلفون، ولا تُعْبَدُوا به.

وأما احتجاجهم على قِدَم المعاني بقول الله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

ويقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة التين: ١-٣]، ويقول الناس: انظروا إلى قدرة الله^(١). فإن معنى قوته: ﴿أَذْكُرُهُ بِطَاعِهِ﴾ أي: أنزله وهو عالم به. وقوله: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ أي: من معلوماته، وقوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ معناه: لقوي المتين. وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠]، المعنى: سبحان ربك العزيز. وقد تكون العزة لله اسماً وحكماً غيره تفني عنه اسم اللذة وحكمها^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصفوة: ٨]. وأما قول الناس: انظروا إلى قدرة الله؛ فالمعنى: انظروا إلى اقتدار الله؛ لأنهم لا يقولون ذلك إلا إذا رأوا خلقاً من خلق الله عظيماً، قال الله تعالى: ﴿وَحَسْبَانَ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ رَأَوْا خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، قال الله تعالى: ﴿وَحَسْبَانَ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ رَأَوْا خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأنعام: ١٣٨]

وقالت الصفاتية: يصح أن يرى الله تعالى من طريق العقل، ونراه في الآخرة قطعاً، وإنما يراه المؤمنون دون المعاقبين، ومنهم من جوز أن يراه أهل البار، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَجُزْءٌ يَوْمَئِذٍ فَاحِشَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الأنعام: ١٢٢، ١٢٣]، وبما روي عن النبي ﷺ^(٣) قال: «سترون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر».

والرد عليهم -من طريق العقل- أن المرئي يحتاج إلى شروط يصح أن يرى لحصول الشروط، وهي امقابلة أو ما يكون في حكمها، كمن يرى وجهه في المرآة، أو أن يكون المرئي حالاً في المقابل كحلول

(١) في (ض): انظر إلى قدرة الله.

(٢) في (ض): أو حكماً غيره تفني عنه اسم اللذة وحكمها.

(٣) في (ث): وبما روي عن رسول الله ﷺ.

السَّواد والبياض في الجسم، وهذا اعتلالُ أهل العدل^(١) والتوحيد من الزيدية والمعتزلة، وإذا كان الله مُقبلاً، أو في حكم المقابل، أو حالاً في المُقابل، احتاج أن يُرى^(٢) بالحاسته، ولو جاز أن يُرى بغير هذه الشروط لاستوى في ذلك الأعمى والصير، وهذا هو التشبيه - جلَّ الله عن ذلك، وتعالى علواً كبيراً.

ومن الشروط ألا يكون بين الرئي، والمرئي حائل، يمنع من نظره.

ومن الشروط أن تكون آلة الرائي صحيحة.

ومن الشروط أن لا يكون المرئي لطيفاً تمتع لطافته من الرؤية

ومن الشروط التحديق إلى المرئي وفتح العين وتقليب الحدقة.

وهذه الشروط كلها توجب أن المرئي محدود (في مكان)^(٣) وأنه حالٌ أو محلولٌ أو في حكم الحال، أو جسمٌ أولوئ، وإذا كان بهذه الصفات كان محدثاً مصنوعاً - تعالى الله عن ذلك.

وأيضاً فإن الله تعالى تمدح بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، والآية تدلُّ على التمدح من قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: ١١٧]، وإذا رآه مُوجبُ التمدح وجب النقص. وقد مدح نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا يظلم العباد. فلو جاز أن يفعل

(١) في (ج): وهذا عد أهل العدل

(٢) في (ع، ش): احتاج إلى أن يُرى. وفي (ن). لم أن يُرى.

(٣) ساقط في (ص).

شيئاً مما نفاه عن نفسه في وقت من الأوقات لزال التمدح ووجب النقص، وكذلك الإدراك والرؤية^(١).

وأما معنى قول الله تعالى: ﴿وَجُودَ يُؤْمِدُ صَاحِرَةً ۝ إِلَى رَهَا نَاطِرَةً﴾ [الشمس ٢٢، ٢٣]، فهو أن يكون النظر إلى الله بالعقل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَمْلَةٍ كَيْفَ مَدَّ لَظَنَ﴾ [الشمس ١٠]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ مَدَّ لَظَنَ رَمْلَةٍ بِأَحْتَاكِ الْبَيْلِ﴾ [الشمس ١١]. وفي آخر الآية ما يدل على هذا التأويل، وهو قوله: ﴿وَجُودَ يُؤْمِدُ صَاحِرَةً ۝ لَظَنَ أَنْ يُفَعِّلَ بِهَا فَاقِرَةً﴾ [الشمس ٢١، ٢٢]، فعلق ذكر الظن بالوجه، والظن لا يتعلق بالوجه^(٢)، فوجب أن يكون المراد بها^(٣) العقل ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَى رَهَا نَاطِرَةً﴾ أي منتظرة، قال الله تعالى: ﴿فَظَرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة ٢٨٠]، والمعنى: أفاضل إلى ميسرة. وقال تعالى حاكياً قول بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَبَاطِرَةً بِمَ تَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل ٣٥]، أي منتظرة، ومثل ذلك موجود في لغة العرب، قال الشاعر:

وحوة يوم بدر ناظرات

إلى الرحمن يأتي بالخلأص

وقال غيره:

وكنا ناظريك بكل فج

كما للبعث يتطير الغمام

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِلَى رَهَا نَاطِرَةً﴾ أي إلى رحمة ربها

(١) في (ش): فكذلك الإدراك والإرادة

(٢) في (ب): فالظن لا يتعلق بالوجه، وفي (ن) و (ط) لا يتعلق بالوجه

(٣) في (ع، ش)، المراد بهما وفي (ن) المراد به

بالجهات، وكان مُدَوَّراً بصورة مخصوصة، فهل هو إلا جسم مشبه للأجسام، فكيف يكون التشبيه غيره هذا؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فصَحَّ أنه ليس من رسول الله ﷺ.

وإن قال^(١) قائل مستغيد: ما تقولون لو كان صحيحاً، ما يكون تأويله؟ قلنا: ليس هو بصحيح، وإن صحَّ فمعناه: تعلمون ربكم علم ضرورة كما تعلمون القمر علم ضرورة بالمشاهدة؛ لأن المشاهد يُعلم^(٢) علم ضرورة، والله تعالى يُعلم في الدنيا علم استدلال، ويُعلم في الآخرة علم ضرورة بغير مشاهدة، ولأن الاستدلال يسقط في الآخرة لأنه تكليف وبحث وإزالة تشبيه، وقد سقط في الآخرة التكليف، فصَحَّ أنه يُعلم في الآخرة علم ضرورة^(٣) ولأن العبد عندما يرى صدق الوعد والوعد، يعلم به علم ضرورة، وقد سأل موسى ربه أن يُريه آية من آيات الآخرة حتى يعلم ربه، علم ضرورة، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَطْرُقَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنُظِّرْ إِلَيْكَ إِلَى الْعَمَلِ إِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ﴾ [الأنعام ١٠٣]، ويحتمل أن يكون سأل ربه^(٤) أن يبين له بفي الرؤية إذ سأل قومه الرؤية، فقال: ﴿لَنْ نَرَاكَ﴾. و(لن) عند أهل اللغة للقطع والتأييد، قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُوفُهَا...﴾ الآية [الجم ٣٧]، وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [البقرة ١٧٧]، ولأن الله عاقب الذين سألوا موسى أن يُريهم الله ولم يعاقب موسى، ولو كان موسى سأل

(١) في (ب، ع، ش): وإن قال

(٢) في (ع) لأن المشاهد تعلم وفي (ص) لأن المشاهد يعلم

(٣) في (أ)، علم ضروري وفي (ص) علماً ضرورياً

(٤) في (ش): ويمكن أن يكون سأل ربه

كسؤالهم لكان معاقباً مثلهم. وقد حكى الله عن موسى (عليه السلام) أنه نسب ذلك إلى بعض قومه، ونمأه عن نفسه بقوله: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وأما توبة موسى فيها من سؤاله البيان قبل الاستئذان. والأنبياء لا يُقيمون على صغيرة ولا يسألون ربهم حتى يستأذنوه؛ قال الله تعالى حاكياً عن نوح: ﴿وَدَاخِلَ نُوحٌ مِلَّةَ رَبِّهِ إِذْ أَنبَىٰ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْعَقْبَىٰ وَأَدَّتْ لِحَاظِكُمُ الْغَايِبَاتِ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِطْتُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَّكِلَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ١٠-١٢]، فاستغفر ربه من سؤاله^(١) قبل استئذانه. ولو كان موسى سأل ربه أن يُرِيه نفسه، كما سأل قومه، لأصابه ما أصابهم من العقوبة، ولَمَّا قَالَ: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ وقد حكى الله قولهم فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُرِيَنَّكَ لَكَ خَفَىٰ ذَرَىٰ اللَّهِ جَهَنَّمَ مَلْعَلِكُمْ الْعَصَافَةُ﴾ [أنعام: ١٠٠]، وقال عز من قائل: ﴿لَنُيَبِّتَنَّكَ﴾: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ قَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ قَلْبِكَ قَالُوا آتِنَا اللَّهُ جَهَنَّمَ...﴾ الآية، ب. ١٠٠٢، فلو كان يجوز أن يُرى^(٢) في وقت من الأوقات، لَمَّا عَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا يَجُوزُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ. ألا ترى أن العبد يسأل ربه وهو في الدنيا المغفرة والجنة والثواب فلا يُعَاقَبُ فِي ذَلِكَ. وقد سأل قوم عيسى صلى الله عليه وآله وسلم عليه المائدة فلم يُعَاقَبُوا بِسُؤَالِهِمْ ذَلِكَ قَبْلَ وَقْتِهِ؛ فبطل قول المشبهة.

وقد وردت الأخبار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تعارض خبر المشبهة،

(١) في (ص): عن سؤاله

(٢) في (ش): فلو جاز أن يُرى.

وتوافق العقول والقرآن، منها قوله ﷺ أنه قال: «إياكم لن تروا الله في الدنيا ولا في الآخرة». وروى عن عائشة عن النبي ﷺ مثله.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المصوِّرون لن يدخلوا الجنة»^(١)، قيل: يا رسول الله، ومن المصوِّرون؟ قال: الذين يُصوِّرون الله بعقولهم» وروي عنه ﷺ أنه قال: «من شبه الخالق بالمخلوق فقد كفر، ومن شبه الله بمخلقه فقد كفر» وعن علي (عليه السلام) في خطبه^(٢) ما يدل على ذلك.

وأما استدلال الحشوية بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَوْا فَخُتِلُوا﴾^(٣) فإن قالوا: الزيادة هي الرؤية. فهذا غلط من وجوه
مها أن الريادة لا تكون أربع من المريد عليه

ومها أن الريادة لا تكون إلا من جنس المريد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَوْا فَخُتِلُوا﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِمُ الْجُودَ﴾^(٥) وقوله ﷺ: «فَخُتِلُوا»^(٦).

ومها أنه قد روي أن الريادة قصر في الجنة، فلا تعلق لهم بهذا.
فإن قال قائل (منهم)^(٧) متعنت أو مستعبد: إذا لم يكن يرى ولا تدركه الأبصار، فهل هو يرى نفسه^(٨)؟ قلنا: إن كنت تعني

(١) رياده في (ع)

(٢) في (ب، ص) أنه قال ((لن المصوِّرون لن يدخلوا الجنة))

(٣) في (ع): في خطبه

(٤) رياده في (ع)

(٥) في (ث): كما يرى الواحد ما معه

بقولك: يرى ذاته، أي يعلمها فكذلك نقول^(١). وإن كنت تقول: يرى نفسه كما يرى الواحد منا نفسه فلا؛ لأننا قد بينا أن ذاته غير مرئية، فلا يجوز أن يرى نفسه، كما يرى الرائي المرئي^(٢).

وإذا قيل^(٣): إذا لم يكن جسماً، ولا عرضاً، ولا حالاً، ولا محلّولاً، ولا تدركه الأبصار في دنيـا ولا في آخرة^(٤)، فكيف يتصوره المكلف في نفسه؟

قلنا: لا يجوز أن يُتصور القديم تعالى؛ لأن الصورة لا تقع إلا على ما له مثل يُشاهد، فيتصور على حسب ما شوهد من مثله. فلما كان الله تعالى لا مثل له، عمنّا أنه لا يجوز أن يتصوره المتصورون^(٥)، ولا يُتصور إلا بما يجب عليه الحدث، ويلحقه النقص، فصَحَّ أن الله لا يُتصور، ولهذا سَمِيَ نفسه لطيفاً باطناً، وسمى نفسه طاهراً قريماً، فقال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُبْصَرُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَيْبُ﴾ [الأنعام ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حِلِّ الْوَيْدِ﴾ [الأنعام ١١٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَكَيْنَ لَا تُعْصِرُونَ﴾ [الزمر ٨٥]، وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَائِسُهُمْ وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [الحديد ١٧]، فدلَّ على أنه طاهر باطن، قريب بعيد.

(١) في (ع): فذلك نقول

(٢) في (ب): كما يرى الراءون المرئي

(٣) في (ج): فإن قيل

(٤) في (ب، ع، ش): ولا يدرك بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة.

(٥) في (ش): أن يتصور المتصور

فمن رام إدراكه بالعقل، أو بالحواس، أو بالوهم، أو بالظن أو بالتصور، فهو أبعد ما يكون، ولن يبلغ إلى شيء مما طلب، بل ترجع الأبصار حائرة^(١) والعقول والأوهام حائرة. ومن طلب معرفته واستدل عليه بصنعه فهو أقرب من كل قريب وأكبر من كل موجود، فهو الظاهر القريب بما أوجد^(٢) من صنعه، وهو الباطن، البعيد، اللطيف من أن يدرك أو يتوهم^(٣) أو يتصور، وقد قصرت الأبصار والحواس والعقول عن صفة جسم مرئي بصورة مخصوصة - وهو الشمس - فلم يقف على حقيقتها، فكيف من خلقها وصورها؟! فإذا قصرت عن صفة حقيقية جسم مشهدة^(٤) فهي عن ذلك صانعه أقصر. وقد حكى عن أهل الحوم وأهل الطبر والفلاسفة أنهم اختلفوا في الشمس وحقيقة صفتها؛ فقال قوم: هي ملك أجوف مملوء ناراً، له فمٌ يحبس بهذا الوهج والشعاع؛

وقال قوم: هي اجتماع أجرام نارية، يرفعها البخار الرطب.

وقال قوم: هي سحابة ملتهبة.

وقال قوم: هي جسم زجاجي يرسل علينا شعاعه.

وقال قوم: هي صفوة لطيفة تصعد من البحر^(٥)

(١) في (ن) خاسرة

(٢) في (أ): لما أوجد

(٣) في (ع، ش) أو بوهم

(٤) في (ب) عن حقيقته جسم مشاهد في (ع) عن صفة حقيقة جسم مشاهد.

وفي (ش)، عن حقيقة جسم مشهده

(٥) في (س، ش، ع، ل) تنصعد من البحر

وقال قوم: هي أجزاء كثيرة مجتمعة من النار.

وقال قوم: هي من جوهر خمس سوى الجواهر الأربعة.

وقال قوم: هي بمنزلة صحيفة عريضة.

وقال قوم: هي كالجرة المدحرجة.

وقال قوم: هي مثل الأرض.

وقال قوم: هي أضعاف ذلك.

وقال قوم: هي أعظم من الجزيرة الكبيرة.

ذكر ذلك عنهم وحكاه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الدلائل وقال: ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم ينفوا على الحقيقة من أمرها. فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر، وتتركها الحس، قد عجزت العقول^(١) عن الوقوف على حقيقتها، فكيف باحد لما لطف عن الحس واستسر^(٢) عن الوهم.

فإن قالوا: لم استسر^(٣)؟ قلنا: لم يستسر^(٤) بحيلة يخلص إليها كمن احتجب عن الناس بالأبواب والستور. وإنما معني قولنا: (إنه استسر)^(٥) أنه لطف عن مدى ما تلعبه الأوهام كما لطفت الشمس وارتفعت عن إدراكها بالبصر.

(١) في (ع): فقد عجزت العقول

(٢) في (ش): استسر

(٣) في (ش): استسر

(٤) في (ش): لم يستسر

(٥) في (ش): أنه استسر

فإن قالوا: ولمَ لَطُفَ؟ - ونعالي عن ذلك - كان خطأ من القول^(١) لأنه لا يليق بالذي هو صانع كل شيء إلا أن يكون^(٢) فائتاً لكل شيء، متعالياً عن كل شيء.

فإن قالوا: فكيف يُعقل إن كان^(٣) فائتاً لكل شيء متعالياً عن كل شيء؟ قلنا: إن الذي يطلب معرفته من الشيء أربعة أوجه^(٤):

أولها: أن ينظر أهو موحود؟

والثاني: أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره.

الثالث: أن ينظر كيف هو وما صفته؟

الرابع: لماذا هو؟ ولأي علة هو؟

فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته سوى أنه موحود فقط فأما^(٥) ما هو؟ وكيف هو؟ فممتنع عليه كنهه وكمال المعرفة به^(٦)، وأما لماذا؟ فهو ساقط في صفة الخالق؛ لأنه جل ثناؤه صانع كل شيء، وليس شيء بصانع له.

ثم ليس علم الإنسان بأنه موحود يوجب له^(٧) أن يعلم ما هو؟

(١) في (ص): كان خطأ من القول.

(٢) في (ع): إلا إذا كان

(٣) في (ع): أنه كان

(٤) في (ه): أربعة وجوه

(٥) في (أ) وأما

(٦) في (أ): فمتنع عليه كنهه وكمال معرفته

(٧) في (ب، ج، ش): بموجب له.

وكيف هو؟ كما أن علمه بوجوده ليس لا يوجب له أن يعلم ما هي؟ وكيف هي؟ وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة.

فإن قالوا: أفرطتم فيما تصفون، من قصور العلم عنه حتى كأنه غير معلوم. قلنا: كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه، والإحاطة به، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدلل عليه^(١) بالدلائل الشافية.

وقال أرسطاطاليس في الجوّ تشبيهاً بهذا القول^(٢) في كتابه الذي يُسميه بغذاء الطبيعة، فإنه وصفه بهذه الصفة فقال: هو قريبٌ بعيدٌ، لأنه من جهة كالواضح لا يحصى على أحد، وهو من جهة كالعائب لا يُدركه أحد، وكذلك العقل أيضاً ظاهراً بشواهد مستتر في ذاته.

فصل

في الكلام في الإرادة

أجمعت الأمة أن الله سبحانه يُريد ويشاء، واحتلّفوا في حقيقة الإرادة والمشية: فعندنا أن إرادة الله ومشيته في فعله: إرادة حتم وخلق وإحداث وحتر^(٣) وحكم ووعد ووعد، وأنه لا تسبق إرادته مراده، وأن إرادته خلقه^(٤)، وأن خلق الشيء هو الشيء،

(١) في (ع)، إذا استدلل به

(٢) في (ع): تشبيهاً بهذا القول وفي (ي): بما يشابه هذا القول

(٣) في (ش) وإحداث وخبر

(٤) في (ع)، فإن إرادته مراده

وفناء الأجسام هو هي، وليس هو غيرها، وأن إرادته في فعل خلقه: إرادة نهى، وأمر، وأن رضى الله ومحبتة [أعمالاً] رحمتة وثوابه، وأن سخط الله وكراهته وغضبه نقمته وعقابه، فمن رضى الله عنه وأحبه فقد حكم له بالرحمة والثواب، ومن سخط عليه وكره أفعاله^(١) فقد حكم عليه بالنقمة والعقاب، فهذه إرادة الحكم.

وقالت المعتزلة: لله إرادة غير المراد، وهي محدثة، وهي في غير محل، وقالوا لا يكون مُريداً لنفسه، لأنه لو كان مريداً لنفسه، لكان مُريداً لكل المرادات^(٢)، كما أنه لما كان عالماً لنفسه كان عالماً بجميع المعلومات.

قالوا: والدليل على أن إرادته الله غير مراده^(٣) أنه أمرٌ ومخيرٌ، ولا يكون الأمرُ أمراً إلا أن يُريد كونُ المأمور، ولا يكون مُخيراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَتَقْبَلَكُم مِّنَ الدِّينِ مِن قَوْلِكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَتَقْبَلَكُم وَاللَّهُ غَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ويقول: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَتَقْبَلَكُم وَاللَّهُ غَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ويقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وذلك كثير، وهذا مذهب الصريين مهم. فأما قول البغداديين فمثل قولنا.

(١) زيادة في (ج، د) وفي (ع): هي

(٢) في (ع، ش) فعالة

(٣) في (ش). لكل الإرادات

(٤) في (أ) - غير مراد.

والرد على المعتزلة أن الأمة مجمعة على أنه لا يكون شيء موجود غير الله - إلا في العالم. فإن كانت لإرادة في العالم فقد صار العالم لها مكاناً، وإن كانت في غير العالم فمداً غير العالم إلا الله أو العدم؟

فإن قالوا: هي في العدم، فيكون العدم باطلاً، فكيف كون شيء فيه؟^(١) فإذا لم تكن نية ولا ضميراً^(٢)، ولا كانت الخلق بنفسه، ولا كانت في مكان، فهل هي إلا عدم؟ ولا يعقل شيء موجود لا يكون حالاً ولا محلولاً إلا الله تعالى فبطل ما قلوا، وصح أن إرادة الله هي حلفه لا غير وقول الله تعالى: ﴿يَهْدِي﴾ بمعنى: يخلق، ويحكم، ويثبت، ويُعاقب وإنما خاطب الله لعرب بلغتهم وبما يعرفون، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِآيَاتٍ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [سورة القصص: ١٢٠]، فحاطبهم بما يعرفون. والله تعالى لا يتحسر؛ لأنه لا يتحسر على شيء إلا من فاته وأعجزه^(٣) والله لا يفوته شيء ولا يعجزه؛ ولأنه لو كانت إرادته غير مراده لم تكن إلا نية أو همة، أو مشهة للنية والهمة. وهم فلا يقولون هي همة ولا نية، إذا كانت^(٤) شيئاً غير المراد أشبهت النية المتقدمة للفعل، ولا يتقدم الفعل ويريد فعله قبل فعله إلا من يفعل بآلة، والله يتعالى عن ذلك

وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَادْنَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة القصص: ٤٠]، فإنهم مجمعون معنا أنه ليس ثم قول غير إيجاد الشيء

(١) في (ص، ع، ش) فكيف يكون شيء فيه

(٢) في (أ): فإذا لم تكن نية، ولا ضمير

(٣) في (س، م، ع) أو أعجزه

(٤) في (ش، ح، ي). وإذا كانت

كما لم يكن ثم قول غير إيجاد القول^(١)، كذلك ليس ثم إرادة غير إيجاد الشيء.

وإذا كان الكلام مع الصفاتية قلنا: إذا كان الكاف والنون غير الكائن كائناً قولاً، وإذا كان قولاً فلا يكون القول هذا إلا أمراً. فإذا كان القول لموجود فإيجاد الموحود محض، وإذا كان لمعدوم فمحال أيضاً أن يُؤمر المعدوم، فبطل ما قالوا، وصح أنه لا قول غير إيجاد الشيء. ومثل هذا موجود في لغة العرب قال الشاعر:

امتلأ الخوض وقال قطني

مهلاً رؤيداً قد ملأت بطني

والخوض لم يكن منه قول غير الامتلاء
وقال آخر:

وقالت له العيار سمعاً وطاعة

وحذرت كالدر لئلا يُثقب

ولم يكن من العينين قول غير تحذير الدمع.

وقالت الصفاتية: (الله مريد بإرادة قديمة)، كما قالوا: (عالم بعلم قديم)

والدليل على أن إرادة الله محدثة أنك تقول: الله يريد، ولا يريد، كما تقول: يخلق ولا يخلق، ويرزق ولا يرزق. فجاز أن تصفه بصفات الفعل وأضدادها وليس كذلك صفات الأزل. ألا ترى أن الله لما كان

(١) في (ص): غير إيجاد الفعل

عالمًا فيما لم يزل استحالة الجهل عليه، ويُريد ذلك أن الله إذا أراد حياة زيد ثم أراد موته، ألا ترى أن الإرادة التي هي الموت حادثة، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والرد عليهم في قولهم: (إن الله يُريد بهمةً ونيةً) أن الهمة والنية لا يكونان^(١) إلا لمن يعمل الشيء بآلة ومثال وجولانٍ فكري، وتصوّر للصنع وضمير، وهذه الأشياء كلها من صفات المحدثين - تعالى عنها رب العالمين - وهذه الأشياء (كلها)^(٢) تكلف وإدارة حيلة، ولا يتكلف ويحتال ويفعل الشيء بالمثال إلا عاجزٌ ضعيفٌ، والضمير والنية لا يكونان إلا عرضان^(٣)، ولا يكون العرض إلا محلاً في غيره، وإذا كان محلاً للعرض كان حسماً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فبطل قول المشبهة.

واعلم أن إرادة الله هي فعله، وهي تخرج على وحوه.

مها إرادة حتمٍ وجبرٍ كخلق السموات والأرض ومن فيهن وما خلق الله.

ومها إرادة أمرٍ ونهي، فهذه الإرادة إرادة تخير وتمكين وليست إرادة حتمٍ وجبرٍ؛ لأنه قد أراد من عباده الطاعة، فلو كانت الإرادة إرادة حتمٍ وجبرٍ لأنفذ ما أراد وأمضاه، ولَمَّا قَدَّرَ أَحَدُ (عليه)^(٤)

(١) في (أ)، لا يكون

(٢) ساقط في (ب، ع)

(٣) في (ي): إلا عرضاً

(٤) ساقط في (ص)

أن يخرج من الطاعة إلى المعصية، فصَحَّ أن هذه الإرادة منه إرادة تخيير وتمكين.

ومنها إرادة حكم ووعد ووعيد، وهي إرادة خَيْرٍ وليست إرادة حتم وخير؛ لأنها لو كانت إرادة حتم وخير لأنفذ ما أَرَادَهُ وأمضاه، ولكان قد خلق الوعد والوعيد والآخرة وما فيها، فصَحَّ أنها إرادة خير لا غير.

واعلم أن أُمَّمَ الْأَنْبِيَاءِ (عليهم السلام) قد اختلفوا مثل اختلاف أمة نبيِّنا محمد (صلى الله عليه وآله) من ذلك ما قالت اليهود وهم اعلى (١) ثلاثة أصناف: فقال منهم رأسُ الجالوت - وهو سلطانُهُم الذي يقولون: هو من ذرية موسى وهارون: إن إلههم أبيضُ الرأسِ واللحية، وقالوا: وجدوا في سفر شعيا: رأيت قديم الأديم قاعداً على كرسي حوله الأملاك (٢)، فرأيت أبيض الرأس واللحية.

وقالت العانية منهم بنفي التشبيه، وزعمت أن العزيز ابن الله على مثل قولك (٣): إبراهيم خليل الله.

وقالت الأصهبانية - وهم عامة اليهود - بنفي التشبيه، إلا أنهم قالوا: عزيز ابن الله على معنى القرية.

وقالت السامرية بنفي التشبيه، والاستطاعة قبل الفعل، وأنكرت نبوة داود، ولم تؤمن إلا بما في التوراة.

(١) زيادة في (ب، ت، ع)

(٢) في (ع): حوَّله الأملاك

(٣) في (ش): مثل قول

وقالت النصارى: إن الله ثلاثة أقانيم^(١):- أب وابن وروح القدس- جوهر واحد، وهذا منهم غلط في الحساب فضلاً عن خطائهم^(٢) في اعتقادهم: لأن ثلاثة في العدد لا تكون واحداً؛ ولو جاز ذلك في ثلاثة لجاز في أكثر منها؛ من أربعة وخمسة وعشرة وغير ذلك.

وإن كانت الأعداد الكثيرة شيئاً واحداً فهذا غلطٌ بين لا يغيب على عاقل ولا جاهل.

وقالت الملكاية منهم: [إن] الله اسمٌ لمعنيين: الماسح ومسوح^(٣). فالماسح هو الله، والمسوح هو الإنس^(٤)، وهو متحيز بالبدن، قالوا: والعلم غيرُه وهو قديم. وقالوا: كان عيسى (عليه السلام) ناسوتاً مصار لاهوتاً.

وقالت القولية منهم: قولك: (الله) اسمٌ لمعنى واحد، والعلم غيره، وزعمت أن المسيح ابن الله على وجه الرحمة، كما سُمي إبراهيم خليل^(٥). وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [ص ١٧٣].

واختلفوا قلنا في الاستطاعة، فقالت اليهود قولين:

(١) في (ث) - إن الله ثالث ثلاثة أقانيم

(٢) في (ع). على خطائهم

(٣) زيادة في (ع)

(٤) في (ث) الماسح ومسوح

(٥) في (ث): فالماسح هو الله، والمسوح هو الإنس

(٦) في (ع): خليل الله

فقال رأس الجالوت ومن تبعه : لا إرادة لله غير ما يستطيع العبد ،
ولا يستطيع العبد غير ما فعل .
وقالت العنانية : الاستطاعة قبل الفعل ، وإن شاء العبد صرف
استطاعته في طاعة أو معصية .

وقالت النصارى : الاستطاعة قبل الفعل

وقالت المجوس -لعنهم الله- والثوية والديصانية بالجبر كلها ،
فرعم المجوسي^(١) أن الله قضى عليه بنكاح أمه وإبنته وغيرهما من
المحرّمات ، وأنه لا يستطيع ترك ذلك ، وأنه لو استطاع غيره لتركه ،
وهذه علّة القدريّة من هذه الأمة ولذلك قال رسول الله ﷺ : «القدريّة
مجوس هذه الأمة» .

(١) في (ش) : فرعم المجوس



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(٥) باب حقيقة معرفة العدل

اعلم أن معنى قولنا: (إن الله عدلٌ) هو أنه مُزَّةٌ^(١) عن صفات النقص في أفعاله، وهو أنه لا يفعل القبيح، ولا يرضاه، ولا يُحبه، ولا يُريده، ولا يُجبر العبد عليه، ولا يكلف أحداً فوق طاقته، وأنه لا يمنع المكلف الاستطاعة، وأنه لا يجوز ولا يظلم أحداً، ولا يكذب، ولا يخلف الوعد والوعيد^(٢)

والدليل على أنه مُزَّةٌ عن هذه الصفات التي توجب النقص من طريق العقل أنه قد ثبت أن الله عالمٌ لنفسه، قادرٌ، حكيمٌ، عني^(٣)، فثبت أن العالمَ القادرَ الحكيمَ الفسي لا يفعل القبيح، ولا يرضاه، ولا يأمر به، والعقل يشهد^(٤) أن فعل القبيح قبيحٌ، وأن من أمر به أورضي بفعله يكون كمن فعل لقبيح. والعقل أيضاً يحكم ويشهد على أنه لا يفعل القبيح إلا من جهل قبحه، أو احتاج إلى فعل القبيح لشهوة داعية، أو غرض مؤذٍ، أو طمع فيما لا يجوز، أو سفاهة أو سخف رأي، أو استماع مشورة مُضلٍّ أو حاهلٍ.

(١) في (م، ش): بمعنى أنه مَزَّةٌ

(٢) في (ش، ب، ص، ع): ولا الوعيد

(٣) في (ت، ص، ع) أنه قد ثبت أن الله عالمٌ قادرٌ عني حكيمٌ لنفسه

(٤) في (م) والعقل يحكم ويشهد وفي (م) والعقل يشهد ويحكم

فَمَنْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الصِّمَاتِ لَمْ يُؤْمَسْ مِنْهُ فَعَلُ الْقَبِيحِ،
أَوْ الرُّضَى بِهِ، أَوِ الْأَمْرِ بِهِ^(١)، مَعَ أَنْ فَاعِلُهُ وَإِنْ كَانَ بِهِذِهِ الصِّمَاتِ
مَذْمُومًا بِفَعْلِهِ لِلْقَبِيحِ، أَوْ أَمْرِهِ بِهِ، أَوْ رِضَاؤِهِ بِهِ

وَكُلُّ مَكْتَلَفٍ مِنْ مُوَحِّدٍ أَوْ مُلْجِئٍ يَسْتَحْسِنُ فَعْلَ الْحَسَنِ وَيُحِبُّ أَنْ
يُذَكَّرَ بِهِ، وَيَسْتَقْبِحُ الْقَبِيحَ^(٢) وَيَكْرَهُ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَلْجُودَ لَوْ
رَأَى صَبِيًّا يُرِيدُ أَنْ يَتَرَدَّى فِي بَثْرٍ أَوْ فِي بَارٍ، أَوْ يَمُدُّ يَدَهُ لِيَلْزِمَ حَيَّةً، أَنَّهُ
يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَحْسِنُ مَنَعَهُ، وَيَسْتَقْبِحُ تَرْكَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِرَجْمٍ؟
فَإِذَا كَانَ فَعْلُ الْقَبِيحِ يَقْبَحُ بِالْعَبْدِ الْجَاهِلِ الْمَحْتَاجِ الضَّعِيفِ، فَكَيْفَ لَا
يَقْبَحُ مِنَ الْعَالَمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ؟ فَوَحِبٌ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيمُ تَعَالَى مُنْزَهًا
مُتَعَالِيًا عَنْ فَعْلِ الْقَبِيحِ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَالَمٌ يَقْبَحُ الْقَبِيحَ، وَلِأَنَّهُ غَيْرُ مَحْتَاجٍ
إِلَيْهِ، لَا لِيَجْرُ مَعَهُ إِلَيْهِ، وَلَا لِيُدْفَعَ ضَرْبُ رَأْيِهِ، وَلَا لِيَسْخَفَ رَأْيُهُ، وَلَا
لِيَطْمَعُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا لِيَشُورَةَ مُضِلٍّ أَوْ جَاهِلٍ. فَلَمَّا كَانَ مُنْزَهًا عَنْ
فَعْلِ الْقَبِيحِ^(٣)، وَكَانَ الظُّلْمُ وَالْحَوْرُ وَالْكَذِبُ وَخُلْفُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدُ،
وَفَعْلُ الْفَوَاحِشِ وَجَمِيعُ الْمَسْكِرَاتِ قَبِيحًا، وَالرُّضَى بِذَلِكَ وَالْأَمْرُ بِهِ،
صَحَّ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَرْضَى بِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ،
وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَدَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَصْرِ وَالذَّمِّ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَى
الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ عَالَمٌ لِدَاتِهِ، قَدِيرٌ لِدَتِهِ، وَالْعَبْدُ جَاهِلٌ مَحْتَاجٌ، فَكَانَ ذَمُّ
الْعَبْدِ أَقْلَ الْجَهْلِ وَحَاجَتِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَالَمَ الْغَنِيَّ مِنَ النَّاسِ إِذَا فَعَلَ
قَبِيحًا؛ كَانَ دَمُّهُ عِنْدَ النَّاسِ وَلَوْثُهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَمِّ الْجَاهِلِ الْفَقِيرِ إِذَا فَعَلَ

(١) فِي (ص) وَالرُّضَى وَالْأَمْرُ بِهِ

(٢) فِي (ع)؛ وَيَسْتَقْبِحُ فَعْلَ الْقَبِيحِ

(٣) فِي (ث)، مِنْ فَعْلِ الْقَبِيحِ

مثل فعل العالم؟ فصَحَّ أن الله تعالى لا يفعل ظلماً ولا جوراً، ولا يُجبر الخلق على فعل، ولا يُكَلِّف أحداً فوق طاقته، ولا يفعل قبيحاً، ولا يريده، ولا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به، ولا يكذب، ولا يحلف وعداً ولا وعيداً، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْعَتَاةِ وَالنُّكْرِ وَالْبَغْيِ يُطِيعُكُمْ أَلَمْ تَكُونُوا تَدْعُونَا﴾ [النمل ١٩٠]، فصَحَّ أن الله عادل، وأنه منزّه عن القبائح.

فإن اعترض علينا معترض في هذه الجملة فقال: إنه قد يوجد في خلق الله القبيح والناقص، كالسباع والهوام والقمل والدود والذباب والبق، وما لا صلاح ظاهراً في خلقه، وكالصورة القبيحة من الناس، وكمن يولد أعمى، أو أصم، أو مقعداً، أو ناقصاً في جوارحه، كأن يولد بغير يدين أو شبه ذلك.

قلنا: لا يلزمنا هذا الاعتراض، لأن فعل جميع هذه الأشياء حسن وليس بقبيح - وإن قُبِحَ عند الجهال. فاما من أنصف عقله^(١)، وفكر في حكمة الله، ونظر في دقائق التدبير فإن عقله يحكم بأن فعل هذه الأشياء التي يستقبح فعلها الجهال حسنٌ وصوابٌ في الحكمة والتدبير^(٢)، إما في الحال أو في المآل، وإما لها وإما لغيرها. فإنك إذا نظرت وفكرت في خلق السباع والحيات والعقارب؛ وجدت في خلقها وكونها مصالح للعبد؛ منها أنها تذكر بمصائب الآخرة وهوامها، ولعل عبداً موقناً^(٣) إذا رآها ذكرته العقاب ويوم الحساب فازدجر واتعظ.

(١) في (ع)؛ فمن أنصف عقله

(٢) في (ص)؛ من الحكمة والتدبير

(٣) في (ث)؛ ولعل عبداً موقناً

ومنها أن من نظرها وفكر في حلها علم أنها بليّة ابتلى الله بها العباد ليصغر الدنيا^(١) في أعينهم ويزهدهم^(٢) في نعمها، إذ لو كان فيها نعيم دائم لم يكن فيها هذه الأشياء

ومنها أن من أراد السرى^(٣) في ما لا يرضاه الله، وذكرها، امتنع من السرى من خوفها وهذه الأشياء تدلّ على أن فعل الله لها حسن وأنه غير قبيح. وكذلك التود والقمل ولقّ والبعوض والذباب^(٤) وجميع ما يؤذي الإنسان فيها مصالح، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها؛ وجعلتها البليّة والتذكير، وتصغير الدنيا في أعين الناس.

وأما قبح خلق بعض الناس والنقصان الذي يكون فيه فليس ذلك بمرح قطعاً وإن قبح في أعين الناس، بل هو حسن، وذلك أن الميقوص يتمتع بما نقص فيه في الحال وفي المال، أما في الحال فيمنعه النقصان عن ارتكاب المعاصي، وتصغر في عينه الدنيا، ويخفف عليه التكليف.

وأما في المال فإنه بليّة ابتلاه الله بها، فإن صبر عليها عوضه الله في الآخرة أفصل مما نقصه في الدنيا، من تمام الخلق والزيادة في الدرجات. وكذلك من يكون خلقه جافياً يستقبحه الناس، فإذا صبر^(٥) على البليّة عوضه الله أضعاف ذلك. وإذا رأى حسن الخلق الكامل

(١) في (ج، ض، أ): لتصغر الدنيا.

(٢) في (ص): وترهدهم

(٣) في (ع، ل): أراد أن يسري

(٤) في (ب، ع)، والذباب

(٥) في (ب، ت، ع): فإنه إذا صبر

قيح الخلق - أو الناقص - وشكر الله على حسن خلقه وتماحه زاده الله في الآخرة من الأجر والثواب^(١) ، فكأن نقصان نافعاً للمنفوس وغيره.

وكذلك جفا الخلق ألا ترى أن العبد الرّحى غليظ الخلق قوي البنية وهو مع ذلك راضٍ بخلق غير مستوحش من نفسه. فإذا نظر إليه الكامل العاقل المالك لنفسه علم أن الله قد فضله عليه وأتم خلقه وأحسن إليه، فإذا علم ذلك وشكر الله على ذلك استحق الأجر والزيادة بالشكر. وإذا صبر العبد وأطاع ربه حياءً أيضاً، وأعطاه عوض ذلك في الآخرة.

واعلم أن الدنيا دار هلية وامتحان، والله يتلي عباده بالخير والشر لعلمهم يرجعون.

وأيضاً فإن أكثر العبيد المملّك تولى ملكوا نفوسهم، وسلموا من الرق واستخدم الأحرار لهم يخرجوا من الحدود ولظهر مهم البطر والأشر والضرر ما لا يظهر من غيرهم، وهذه الأمور المؤذية موجودة فيهم إذا اجتمعوا في موضع مع الرق، فكيف لو ملكوا أنفسهم.

وأيضاً فإن في خلق الله كثيراً من الأشياء يدق علينا البطر فيها، ويخفى علينا كثير من معانيه^(٢)، بل إننا نقطع ونقول: إن الله حكيم، ولا يفعل الحكيم شيئاً إلا وفيه حكمة أو حكم. وقد يوجد في أفعال العقلاء^(٣) من المكلمين ما يدق ويخفى على أكثر الناس^(٤)،

(١) في (ع): راده الله في الآخرة والثواب

(٢) في (أ): كثيراً من معانيه

(٣) في (ص): في فعل العقلاء

(٤) في (ص، ع) ويخفى على كثير من الناس

وقد حكى الله ذلك من أفعال الأنبياء والصالحين ؛ من ذلك ما أخبر الله
 من أفعال الخضر (عليه السلام) حيث صحبه موسى (عليه السلام) وقدم إليه أن
 لا يسأله عن أمر حتى يُبينه له ، ففعل فعلاً استنكرها موسى وصدق
 عليه ولم يعلم معانيها ^(١) ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آفَارِهِمَا
 قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ جَبَابِهَا إِتَاهُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمَا وَغُلَّتَاهُ مِنْ لَدُنْهُمَا ۝ قَالَ
 لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُضِلَّنِي إِذَا ظَلَمْتُ لِنَفْسِي ۝ قَالَ إِنْ كُنْتَ تَصْطَلِحُ نَفْسِي
 صَبْرًا ۝ وَكَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَ ۚ لَكَ مِنْهُ
 ذِكْرًا ۝ فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا إِلَى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَغَرَقْتُهَا لِتُطْرِقَ أَهْلُهَا لَقَدْ
 جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّهُ لَنْ يَصْطَلِحَ نَفْسِي صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُولِجْنِي فِيهَا
 نَمِيمًا وَلَا تَرْفِقْنِي مِنْ أَمْرِي غَمْرًا ۝ فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَلَّهُ قَالَ أَمَلْتُ
 هَهُنَا وَصَكَيْتُهُ بِهِمَا فَهِيَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا ذَكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّهُ لَنْ يَصْطَلِحَ نَفْسِي
 صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا تَصَلِحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۝
 فَاصْلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّرُوهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ
 أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَذَا يَرْسُؤُكَ وَمِثْلُكَ
 سَأَلْتُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَصْطَلِحْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ
 فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مِلْكٌ بِأَعْيُنِ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا
 الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَصَبْنَا أَنْ يَرْثِيَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا
 رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زُكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ

(١) في (أ، ح) استنكره موسى ، وصدق عليه ولم يعلم معانيها وفي (ع، د) . ففعل أفعالاً ،

استنكره موسى ، وصدق عليه وجه الحكمة ، ولم يعلم معانيها

وَصَكَانَ تَحْتَهُ صَكْرًا لَهُمَا وَصَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّهُ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا صَكْرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَتَنَّا عَنْ أَثَرِي فَلَهُ تَابِلًا مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (الكهـ ١٦-١٨)، فكان هذه الفعـال بما دق^(١) على موسى (عليه السلام) ولم يعلمه حتى أعلمه الخضر (عليه السلام) بتأويله.

وكذلك فعل يوسف (عليه السلام) جعل السقاية في رحل أخيه، ثم أدن مؤذن^(٢): أيتها العبر إنكم لسارقون. وهم لم يسرقوا الصّواع، وإنما سرقوا يوسف (عليه السلام) والقوة في الحب، وقد قيل: إنهم أيضاً هم الذين باعوه بالدرهم المعدودة، وذلك أنه لما عرس السفّر^(٣) عند البئر، فأتى رجل منهم يرد الماء^(٤)، فأطلعه من البئر، وكان إخوة يوسف في جسر قريب منهم^(٥)، فلما رأوهم أقبلوا إليهم وقالوا: هو عبد، فباعوه إلى السفّر بثمن بخس - كما قال الله تعالى - فكان فعال يوسف (عليه السلام) ذلك من أمر الصّواع بما دق على الناس.

وكذلك فعل طالوت حيث بعثه النبي شموول، حيث مر على النهر فقال: من شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني؛ ولأنه لما خرج لجالوت وكثر جنده - وكان منهم الصادق والمنافق - فخشي أن يتواكفوا ويفشلوا^(٦) ويتنازعوا في الأمر فينكسروا، فينكسر^(٧) ولا يبلغون في عدوهم مبلغاً، فأراد أن يميز بعضهم من بعض

(١) في (ص، ع)، بما يدق.

(٢) في نسخة: لما عرض السفّر

(٣) في (شر): يُريد الماء

(٤) في (ي): قريب منهم

(٥) في (ع): أن يترافقوا ويفشلوا

(٦) في (ث): فينكسر

فامتحنهم بالنهر، وعَلِمَ أنه من صبر منهم على الظم فهو يصبر على الحروب والآقتل، ومن لم يصبر عن الماء^(١) لم يصبر في الحرب. وكان أيضاً لا يمكنه تغييرهم إلا بما فعل، ومثل ذلك كثير موجود في أفعال العقلاء، قال الشاعر:

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ صَاحِبُ

فَبَرُّكَ مَا يَحْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَى

فإذا كان في أفعال الناس ما يَدِقُّ على بعضهم - وكان ذلك حسناً

كان ذلك في فعل الله أولى

وقد جهل هذا المعنى أصحاب مطرف بن شهاب، فنفوا عن الله تعالى خلق بعض هذه الأشياء التي يستقبحها الناس، مثل نقصان الخلق، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سجدة: ٥]، وقالوا: لم يقصد الله الخشي لكونها خشي^(٢)، وكذلك من وُلِدَ أعمى، أو مُقْعِدٌ، أو أَصَمٌّ، أو بَعِيرٌ يَدِين، وقالوا: ذلك من العوارض وليس بقصد من الله وعمد، وكذلك خلق الدود وشبهه. وقالوا: إن الله قد فطر لأشياء^(٣)؛ تحيل وتستحيل، ونسبوا ذلك إلى المطرة والعوارض. وقد فُتِنَا الكلام في أن الجمادات لا فعل لها ولو صح ما قالوا لكات المطرة مشاركة لله في الصنع، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) زيادة في (ع، ي)

(٢) في (أ) على الماء

(٣) في (ش)، وكونها خشي

(٤) في (ج، ل): قد خلق الأشياء

وإذا كان العقلاء من الملائكة ^(١) والإنس والجن لو اجتمعوا وتظاهروا على خلق بموضع ما قدرُوا، ولا تم لهم ذلك، مع أنهم قد جعلهم الله عقلاً، أحياء ^(٢) قادرين، فكيف يصح للفقرة فعلٌ وليست بعاقلة ولا حية ولا قادرة؟!

وأما احتجاجهم بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فالمراد به الأعم والأكثر ^(٣)، ولم يُرد الكل بل خصّ ناساً دون ناسٍ، ومذهبنا ^(٤) ماء العام على الخاص، قال الله تعالى: ﴿وَالنَّصْرُ لِلَّهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَقَبَلُوا الْعِبَالَاتِ﴾ ^(٥) (سورة نصر ١-٢)، فلو أراد به كل الناس ^(٦) لكان الطفل من أهل الخسر، إذ لم يستثبه مع الذين آمنوا من الخسر فلا حجة لهم بهذه الآية. وأيضاً فقد قدمنا الحديث ^(٧) في أن الله لا يخلق قبيحاً وإن قبح في أعين الناس، ففعل ذلك المعنى دق عليهم علمه. ألا ترى أن الخشْي من أكثر الناس ^(٨) بليّة وحسرة، وأقلهم في الدنيا نعمة، لأنها ممنوعة من الكاح ومن مجالسة الرجال - إلا من يحرم عليها - لو كانت امرأة، ومن مجالسة النساء - إلا من يحرم عليه - لو كان رجلاً، فهذا من أكبر البلايا والمحن، فإذا صبر ^(٩) وقدر على منع نفسه عما حرّم الله عليه كان له في الآخرة عند الله

(١) في (ص): عقلاء أحياء

(٢) في (أ): الأعم الأكثر

(٣) في (ب، ش، ع): ومن مذهبنا

(٤) في (ع): كل إنسان

(٥) في (ب، ص، ط): وإنما قدمنا الحديث

(٦) في (ع): من أكبر الناس

(٧) في (ب، ع، ش): فإن صبر

منزلة رفيعة وأجر عظيم، ومن نظره أيضاً من أهل الكمال، فشكر فله أجر كبير^(١) على شكره، ومن جهل هذه الجملة فقد جهل خلق الله ونعمته وبليته، ومن جهل نعمة الله وبليته فقد جهله وجهل لِمَاذَا خلق الخلق، وكفى بالجهل لذلك ذنباً وخطيئة.

فصل

في الكلام في اختلاف أهل القبلة في العدل وذكر ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه

(فإنهم)^(٢) أجمعوا على القول: (أن الله عدل، وأنه مُنَزَّه عن صفة القصر) لأنهم جميعاً يقولون: **الله: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**^(٣). وتأويله التنزيه له من صفات النقص. وأجمعوا على أنه لا يظلم العباد، ولا يُحبب الفساد ولا يرضاه، وأجمعوا على أنه صادق الوعد، وأجمعوا على أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأن المؤمن مُخَلَّدٌ في الجنة، وأن الكافر مُخَلَّدٌ في النار.

واختلفوا في فعل العباد وفي الاستطاعة، وفي الوعيد وفي الإرادة، وفي الهداية والإضلال. فعندنا وعند المعتزلة: أن أفعال العبد له خالصة^(٤)، وأنها لا تُنسب إلى الله، وأنه لا يجبرهم على فعلها، ولا يأمر بالمعاصي، ولا يرضى بها.

(١) في (ص): فله أجر كبير على شكره.

(٢) ساقط في (ع).

(٣) في (ع، ل، ب): يقولون، الله سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ.

(٤) في (ص): أن أفعال العباد لهم خالصة.

وعند جهنم بن صفوان ومن قال بقوله من الصفاتية : هي أفعال الله خالصة ، وليس للعبد فيها صنع وإنما هو كالظرف والوعاء .

وقالت النجارية والأشعرية : إن الله وعده مشتركاً في فعل العبد ؛ فقالوا : إن الله يخلق أفعال العباد ، ويحدثها ، والعبد مع ذلك مكتسبٌ لفعله

وقالت النجارية : هي فعله على الحقيقة .

وقالت الأشعرية : هي فعله على المجاز ، وحجتهم قول الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر ١٦٢) ، وقوله : ﴿أَتَشْكُرُونَ مَا قَسَّيُونَ ؟ وَاللَّهُ خَالِقُكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت ٢٩٩، ٣٠٠) .

وقد قدمنا الرد عليهم من المعقول أن الله مُتَرَدِّدٌ عن صفات النفس ، وأي نقص أكبر من أن يكون فاعلاً لكل فاعلية ومنكراً ومعروفاً وحيراً وشرّاً ، ولو صحّ ذلك لكان جائراً ظالماً عابثاً ؛ لأنه إذا كان يُجبر العباد على أفعالهم كانوا مطيعين له كلهم ، وإذا أحير العبد على الكفر ثم أدخله النار كان جائراً ظالماً ، وإذا نهى العبد عن فعل شيء وجبره على فعله لكان عابثاً^(١) - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وكذلك إذا أمره بالإيمان ، وسلبه لاستطاعة عليه يكون أيضاً ظالماً عابثاً - تعالى الله عما يقول المشبهون .

ونردُّ عليهم من المسموع : أما احتجاجهم بقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهو خاصٌ فيما خلق الله^(٢) دون ما فعل العباد .

(١) في (مر) : لكان عابثاً . وفي (ن) : ك ، عابثاً

(٢) في (مر) : فيما فعل الله تعالى .

كما قال تعالى^(١) في بلقيس . ﴿وَأَوْثَقْتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المد ٢٣] ، المراد به خاص فيما يصلح لها ، ويكون لشهها في عصرها ؛ لأنها لم تؤت ذكراً ولا حية ، وقال الله تعالى . ﴿وَمُخَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَادَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقًا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [المد ١١١] ، المراد به من كثير من المواضع ، وليس من جميع الأماكن حتى لا يبقى مكان لا يأتيها رزقها منه ، فسقط تعلقهم بهذا .

واستدلوا أيضاً على قولهم بقول الله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [المد ٢٦] ، وتأويل الآية . أن الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وهو النوبة والرسالة والإمامة ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ أَهْلُ عِلْمٍ يَخْتَلِفُ رِسَالَتُهُ﴾ [المد ١٢٤] ، وينزع من عمل لا يستحقه^(٢) ، ويعز أوليائه ويذل أعداءه .

وأما ما حكى الله من قول إبراهيم . ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْلِقُونَ ۖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْمِلُونَ﴾ [الصافات ١٦٠-١٦١] ، فالمراد به . الله خلقكم وحلق ما تحسبون ، فسمى محل الفعل فعلاً ، والمراد به محل الفعل ، قال الله تعالى في عصا موسى (ع) : ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [المد ١١٧] ، وهي لم تلقف أفعالهم ، وإنما تلقف^(٣) محل الفعل .

ومما يبين أن أفعال العباد منسوبة إليهم قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ الْمُتَشَكِّكِينَ النَّاسُ أَشْعَاقًا لِيَوْمِئِذٍ أَهْمَانَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزال ٥-١٠] ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

(١) في (ع) : كما أنه قال تعالى

(٢) في (ص) (ع) . ويرعه من لا يستحقه

(٣) في (ب) ، (ت) ، (ع) : وإنما تلقف

شَرًّا بِهِ **﴿الزمر ٨٠﴾** ، وقال تعالى : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَدُيُفَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَسَمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الحج ٨-١٠] ، وقال تعالى : **﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَصَدَقْنَاهُمَا مَا مِيمَنَ مِنْهُمْ شَرًّا لِّلْجَوَا فِي سُلَاسِيهِمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾** [الأنعام ١٧٥] ، وقال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ حَكَّرُوا أَهْوَائَهُمْ حَكَّرَابٍ بِحِقَّةٍ بِخَسْبَةِ الظُّلُمَاتِ مَاءٌ ۝ لَّآيَةُ الْيَوْمِ ۝﴾** وقال تعالى : **﴿أَلَمْ يَأْتِ قُلُوبَهُمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِصِفَ اللَّهُ عُقُوبَهُمْ وَرَسُولُهُ بِسَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الرعد ٥٠] ، وقال تعالى حاكياً قول السحرة لفرعون : **﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّكَ إِنَّا كُنَّا بِهَاجِرَتِنَا خِلَافًا وَمَا أَصْحَرْنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [طه ٧٣] ، ولم يقولوا . وما أكرهنا عليه الله . وقال تعالى : **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا الشَّرَّعَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الزمر ٨٤] ، وقال تعالى : **﴿لَمَّا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [الرعد ٩] ، وقال تعالى : **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَلَعَوْلَا غِيًى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [سعد ١٧] ، وقال تعالى : **﴿إِنَّا نَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [سج ١٠٥] ، وهل يكون أحدٌ أكذب ممن يفعل الفاحشة ثم يُرَى نفسه ويُزهرها وينسبها إلى الله؟ وقد قال الله تعالى : **﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ اجْعَلْ لَهُ إِثْمًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾** [الب، ١١٢] ، وهذا كثيرٌ في القرآن ، وقد قال الله تعالى : **﴿بَرَاءةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [النساء ١] ، والله لم يتبرأ من خلقهم ولا من رزقهم ، فلم يبق إلا أنه تبرأ من أفعالهم ، فهو كان فاعلاً لها لئلا تبرأ منها .

وأيضاً فلو كان أفعال العباد من الله^(١) لما استحقوا عليها الشواب والعقاب في الآخرة، ولا المدح والدم في الدنيا.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «القدرية خصماء الله، وشهداء إبليس» ومعنى شهداء إبليس أن الله حكى عنه أنه قال: ﴿لَبِمَا أَفْرَأْتَنِي﴾ [المزاد ١٦]، فنسب الإغواء إلى الله، ولم يفعل كذلك آدم عليه السلام بل قال: ﴿وَكُنَّا ظَنَنَّا أَنهَنَا﴾ [المزاد ٢٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْقَدَرِيَّةِ خُصَمَاءُ اللَّهِ وَشُهَدَاءُ إِبْلِيسَ، فَتَقُومُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُخْرِجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ دُخَانٌ أَسْوَدٌ».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِصْمِنَا لِي سِتَّةً»^(٢) أصمّن لكم الحجة: لا تظلموا عند قسّم موارثكم، ولا تغلّوا غنائمكم، ولا تجبنوا عن قتال عدوكم، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، ولا تحملوا على الله ذنوبكم».

وروي^(٣) عن مكحول عن أبي هريرة أن رجلاً من خثعم قام إلى النبي ﷺ فقال: متى يرحم الله عباده؟ قال: «ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يزعمون أنها من الله تعالى، فإذا فعلوا ذلك انتزعت عنهم الرحمة انتزاعاً. قال الخثعمي: يا رسول الله، أبيضل الرجل وهو يقرأ القرآن؟ قال: إذا قال هذا القول طبع على قلبه».

(١) في (ث): أفعال العباد لله.

(٢) في (ع): اصمّنوا لي ستاً.

وروي عن أسر بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هلكت أمة حتى يكون الجبر قولهم».

وعن أبي ذر رحمه الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

واعلم أن القول بالعدل هو إجماع المهاجرين والأنصار، فمن ذلك: ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لما انصرف من صفين، قام إليه شيخ من أهل الحجاز، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما هبطنا وادياً ولا صعدنا ولا بقضاء من الله وقدر. فقال الشيخ: في الله احتسب عبادي أو مسيري، والله ما أحسب لي من الأحر شيئاً. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وفي مُقتلكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا بليها مصطربين.

قال الشيخ: كيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقان، وعههما كان مسيرنا؟

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لعلك تظن قضاء لازماً وقدرًا حتمًا؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، وما كانت تأتي من الله لائحة للذنوب ولا مخمدة للحسن، وما كان^(١)

(٣) في (د): وقد روي.

(١) في (ب، ص، ع): ولا كان

المُحْسِنُ أَوْلَى بِثَوَابِ الْإِحْسَانِ مِنَ الْمَذْنِبِ، وَلَا الْمَذْنِبُ أَوْلَى بِعَقُوبَةِ الدُّبُلِ مِنَ الْمُحْسِنِ، تِلْكَ مَقَالَةُ حِوَالِ لِشَيْطَانٍ، وَعَبْدَةُ الْأَوْثَانِ، وَخَصَمَاءِ الرَّحِمِ، وَشُهَدَاءِ الزُّورِ، وَأَهْلُ الْبَغْيِ وَالْفُجُورِ، هُمْ قَدَرِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجْهُوسُهَا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ تَخْيِيراً، وَنَهَى تَحْدِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَلَا يَبْعَثُ الْأَنْبِيَاءَ عَبَثاً، وَلَا أَرَى عَجَائِبَ الْآيَاتِ بِاطْلَاقِ ﴿قُلْ لَكُمْ ظُنُّ الدِّينِ فَكَّرُوا لِمَنْ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ٢٧] فَقَالَ: وَمَا ذَلِكَ الْقِصَّةُ الَّتِي سَأَلْتَنِي فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِدَلَالَةِ وَإِرَادَتِهِ لَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ: ﴿وَقَضَىٰ رُكْلَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [السورة ٢٣]

فهو الشيخ مسروراً عما يسمع وهو يقول:

أست الإمام الذي ترجو بطاعته

يوم سُورَ مِنَ الرَّحِمِ رِصَوَاناً

أوضححت من ديننا ما كان مُشْتَبِهاً

جزاك رُكْلَكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَاناً

وروي أن أبا بكر سئل وهو على منبر رسول الله ﷺ عن الكَلَالَةِ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئاً، وَسَأَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي -فَإِنْ أَصِيبْتُ فَاللَّهُ وَفَّقَنِي، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَاعْظُمُ مَنِي- وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِّئَانٍ^(١) -أَرَاهُ مَا خَلَا الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ- فَلَمَّا وَلِيَ عِمْرُ قَالَ: أَسْتَحْيِي أَنْ أَرُدَّ قِضَاءً، قَضَىٰ بِهِ أَبُو بَكْرٍ

(١) في (ب، ص): بَرِّئَانِ

وروي أن كاتباً كتب عند عمر: هذا ما أرى الله عَمَرُ، فقال عمر: امحه، واكتب هذا ما رأى عمر، فإن كان صواباً فمن الله، وإن يكن^(١) غير صوابٍ فمن عمر.

وروي أن ابن مسعود سئل عن امرأة مات عنها زوجها، ولم يفرض لها صداقاً فقال: أقول فيها برئتي - فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريان^(٢) - لها مثلُ صداقِ امرأة من نساءها، لا وكس ولا شطط، ولها الميراث، وعليها العدة.

وروي عن علي بن عبد الله بن العباس قال: كنتُ جالساً عند أبي، فقال له رجل: يا أبا العباس إن هاهنا قوماً يزعمون أنهم أتوا من قبل الله تعالى، وأن الله أحبرهم على المعاصي فقال: لو علمتُ أن هاهنا أحداً منهم لقبضتُ على حلقه فقصرتُه حتى تزهق نفسه.

وروي مثل ذلك في العدل عن جابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم، وهو قول أهل البيت (عليهم السلام) والمعتزلة.

وروي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن بن أبي الحسن البصري، وإلى واصل بن عطاء، وإلى عمرو بن عبيد؛ يسألهم عن العقوبة على أفعال الشر^(٣)، وهل هي من أفعال الله تعالى، أو من أفعال الفاعلين؟

(١) في (ب، ص، ع) فإن يكن وي (م). - فإن يك

(٢) في (ب، ص)، بريئان

(٣) في (ع). على أفعال البشر

وكتب إليه الحسن يقول: ما سمعتُ في ذلك إلا قول عليٍّ (عليه السلام)،
فإيه قال: (أترى الذي بهك دهاك؟ إنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله
بريء من ذلك).

وكتب إليه واصل بن عطاء: ما سمعتُ فيه إلا قول عليٍّ (عليه السلام)،
فإيه قال: (أبدلك الطريق ويلزم عليك المصيق^(١)) تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً)

وكتب إليه عمرو بن عبيد: ما سمعتُ في ذلك إلا قول عليٍّ (عليه السلام)،
فإيه قال: (إذا كان القضاء حتماً كنت عقوبة المأمور ظلماً^(٢)).

فلما وصلت الكتب وكنها مسددةً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال^(٣):
قاتلهم الله، لقد أخذوها من عيني صافية.

وروي أن أول من أظهر الحجة معاوية - لعنه الله، فروي عنه أنه
قام خطيباً بالشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا خائنٌ من حزان الله،
أعطي من أعطى الله، وأمنع من منع الله. فقام إليه أبو ذر فقال:
كذبت يا معاوية، إنك تعطي من منعه الله، وتمنع من أعطاه الله. فقام
عبادة بن الصامت فقال: صدق أبو ذر. فقام أبو الدرداء فقال: صدق
عبادة. قال: فنزل من المنبر وهو يقول: نعم إذا، نعم إذا.

ومعاوية ممن لا يُعتد بقوله^(٤)، لأن العلماء من الأمة والمضلاء
يجمعون على فسقه، ومنهم من يعدّه كافراً مرتدّاً، ورووا فيه أحباراً
عن النبي ﷺ.

(١) في (أ) أبدلك على الطريق، وبأخذ ويلزم عليك المصيق

(٢) في (م، د): كانت العموية ظلماً

(٣) أي الحجاج

(٤) في (ص، ع): ومعاوية لا يعتد بقوله.

روى عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان : كلهم يروون عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه» قال : فلم يفعلوا فاذلهم الله. وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا رأيتم معاوية يطلبُ الملك فاضربوا عنقه». وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «إن هذا يُريد الأمر من بعدي - يريد معاوية -^(١) وأشار بيده إليه ، فمن أدركه منكم وهو يُريده فليقر بطنه». وروى عن عبد الله بن عمر قال : تركتُ أبي يتهياً للمصطفى إلى النبي ﷺ فدحيتُ على رسول الله ﷺ فسمعته يقول : «ليدخلن علي رجل يكون عسى غير ملتي» فرهبت أن يكون أبي فما زالت عيني إلى الطريق حتى دخل معاوية». وروى أنه مات وفي عنقه صليبٌ فمن قبل هذا أنه لا يقتدى بقوله

فصل

في الكلام في الاستطاعة

اختلفوا في الاستطاعة قبل الفعل وبعده (ومعه)^(٢) :

فعندنا وعند علماء المعتزلة أن الاستطاعة قبل الفعل ، والاستطاعة الواحدة تكون على الشيء وضده ، وإن الله لا يسلب عبده الاستطاعة على شيء ثم يأمره بفعله.

(١) في (ع ، ب) ، يعني : معاوية

(٢) ساقط في (ع ، ب) وفي (ص) : قبل الفعل ومعه

وقالت المجبرة^(١) من التجارية والجهمية والأشعرية: الاستطاعة مع العمل، وقالوا: الاستطاعة على الكفر هي غير الاستطاعة على الإيمان، ولا تكون الاستطاعة على الشيء وضده، فمن كان مستطيعاً للإيمان لا يكون مستطيعاً للكفر^(٢)، ومن كان مستطيعاً للكفر^(٣) لا يكون مستطيعاً للإيمان^(٤)، ودليلهم أنهم قالوا: إنا محتاجون إلى الله في كل وقت ونحتاج فيه إلى الاستطاعة، فلما كانت حاجتنا إليه عند كل فعل، والتمكين منه عند كل شيء، علمنا أن استطاعتنا مع فعلنا. قالوا: ولأن أحدنا قد يريد العمل قبل أن يريد الحركة، فإذا فعل^(٥) تحرك، وإذا تحرك ففعل، فصح^(٦) الاستطاعة مع الفعل.

وقال أبو حنيفة^(٧)، ومن قال بقوله من المرجئة،

(١) في (ص): ثم قالت المجبرة

(٢) في (أ): مستطاع على الإيمان. وفي (ص): مستطاع على الكفر

(٣) في (ص): مستطاعاً على الكفر

(٤) في (أ): مستطاعاً على الإيمان

(٥) في (م): فإن فعل

(٦) في (ص، ع، د): وصح

(٧) هو النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة مولى بني تميم الله بن ثعلبة، فقيه العراقي، وعلمامة الدنيا بالانفاق، مولده سنة ٨٠ هـ رأى أسير بن ماث، وروى عن عطاء بن أبي رباح وطبقته، وتفقه على حماد بن أبي سليمان. وكان من أدعيه بني آدم، جمع الفقه والعبادة والورع والسجاء، وكان لا يقل جوائز الدولة بل ينفق ويؤثر من كسبه، له دار كبيرة يعمل الخمر، وعنده صنّاع وأجراء قال الشافعي: الناس عال في سمعه على أبي حنيفة، وقال الشافعي: من أراد الفقه فليأت أصحاب أبي حنيفة. وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وسمع رجلاً يقول: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل، وكان يحبي نيل صلاه ودعاء وتصرفاً واتقى بالإمام الأعظم زيد بن علي (عليه السلام) لما وصل الكوفة مدع، وسأله عن مسائل فأعجب به الإمام زيد. وقد عدّوه في الريدة ووصف الزمخشري في مسنده كتاباً سناه: شقائق النعمان في حقائق النعمان قيل: مات مسموماً قال الذهبي: سناه منصور الدوابي السّم لقيامه مع الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في شهر رجب سنة ١٥٠ هـ.

(وابن التّجار)^(١) وابن التّمار، ومن قل بقوله من الزيدية: الاستطاعة مع الفعل، والشّيء الذي يفعل به لإيمان هو الشّيء الذي يفعل به الكفر، وعلتهم: أنّ الكافر لما أمر بالإيمان، حول القوة والحركة التي كان يستعملها في الكفر.

وقال أبو حنيفة: الأمر مع الفعل.

وقال ابن التّمار: الأمر قبل الفعل، وهو مشغول مع الفعل، ودليله: أنّك لا تفعل فعلين في وقت واحد.

وقال صاحب الطّاق، وهشام الجواليقي: الاستطاعة قبل الفعل، ولا يكون الفعل إلا أن يشاء الله، وعلتهم: أن أحداً لا يفعل في سلطان الله شيئاً إلا أن يشاء الله ذلك.

وقال هشام بن حرول: الاستطاعة مثل القاس والدلو والإبرة.

وقالت الفضليّة - وهم أصحاب فضيل الرّقشّي - والشمريّة - وهم أصحاب أبي شمر - والميمونيّة - وهم صنف من الخوارج -: الاستطاعة قبل العمل، وإنما هي سلامة الخوارج.

وقال بشر بن المعتمر، ومن قل بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي عرض، وهي السلامة وحدها، قال^(٢) وعند الله عونٌ أعطاه أوليائه ومنعه أعداءه، ودليله قوله تعالى: ﴿لَنْ نَقْضَ عَهْدَنا مِنْ السَّما آيةً نَطَّلَتْ أَهْناهُمْ لَها حَاصِرَتٌ﴾ [سورة]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدا اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾ [الأنعام ١١٠].

(١) ساقط في (ص).

(٢) زيادة في (ع).

وقال أبو الهذيل العلاف^(١)، ومن قال بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي عرض من الأعراض، ودليله أن الاستطاعة لا تبقى زمنين لأنه إذا فعل الفعل كان غير محتاج إلى الاستطاعة يفعل بها الفعل الموجود.

وقال معمر^(٢): الاستطاعة قبل الفعل، والبدن مَوَاتٌ يفعل بالطبيعة، والإنسان يفعل بالاختيار.

وقال حفص الفرد^(٣)، وصالح فقه^(٤): الاستطاعة قبل الفعل، وهي مع الفعل.

وقال بعض الإمامية، منهم أبو مالك الحضرمي: الاستطاعة مع الفعل له، ولتركه، وقبل الفعل []

وقال صرار بن عمرو ومن قال بقوله: الاستطاعة قبل الفعل، وهي بعض الإنسان، ودليله على أنها بعض الإنسان؛ أنه لما رأى الإنسان لا يفتك من لون وطعم ورائحة ومنحة وسمع وبصر وقوة وعجز، فلما كان اللون بعضه كذلك كان عجز والقوة بعضه.

(١) سبقته ترجمته

(٢) هو أبو عمر محمد بن عباد السلمي، نهر مداهب، وهو من القدرية، وكان يميل إلى مذهب الفلاسفة، ومن تلاميذه عيسى بن صبح المردار، وانفرد عن أصحابه بمسائل، منها الأجسام والأعراض، وكلام الله، والحركة والسكون، فعل الإنسان إرادته، توفي سنة ٢١٥ هـ.

(٣) حفص الفرد، كان من المتقدمين في علم الكلام، وقد كتب (الأبواب) لعباد، وهو الذي أملاه أبو هاشم، وهو من الهجرة، ويكنى أبا عمر، وكان من أهل مصر، قدم البصرة، فسمع بابي الهذيل، واجتمع معه وباطنه، خطبه أبو الهذيل، وكان أولاً معتزلياً، وقال بخلق القرآن.

(٤) صالح فقه هو أبو جعفر بن محمد بن فقه، من متكلمي الشيعة، وهو من الطبقة السابعة، خالف الجمهور في أمور، منها كبر الترتيبات مع الله تعالى، وكون الإدراك معنى قمت.

وقال إبراهيم النظام: أنت مستطيعٌ قبل الفعل، وأحال أن تكون الاستطاعة غير المستطيع، وعلته أنه لو كانت الاستطاعة غيره لكانت مفسدةً عليه ولكانت غير مُعينةً له.

وللمتكلمين في هذا كلامٌ طويلٌ، ونحن عمدنا في كتابنا هذا [إلى] الاختصار.

ونحن نقول: إن الاستطاعة قبل الفعل، وهي جسمٌ وعرضٌ. فالجسمُ هو الخواص^(١) واللسانُ واليدانِ والرُجلانِ وسائر الجوارح، والعرضُ قوةُ النفس، وهي قبل الفعل، فإذا أراد الفعل تحركت له النفس.

وقوة النفس عَرَضٌ حالٌ في الجسم، يتناول بها المعصية كما يتناول بها الطاعة، والعمد قادر بها على الفعل، قادرٌ بها على تركه، ولأن الله قد جعلها في العبد وجعله مالكا لها ولم يجعلها مالكةً له، ومكنه بها على فعل الطاعة التي خلقه لها، وجعله مستطيعاً بها على فعل المعصية لِيَسْلُوهُ، ولولا ذلك ما استحق^(٢) الحمد والثواب على فعله للطاعات ولزوم نفسه عن المتكررات، ولما استحقَّ الذم والعقاب على فعله للمحرمات وتركه للواجبات. ولو كانت الاستطاعة مع الفعل، وكانت الاستطاعة على الشيء ولا تكون على ضده؛ كان الله قد كلف ما لا يُطاق، ولو كلف العبد ما لا يطيقه^(٣) لكان (ذلك)^(٤)

(١) في (ص): هي الخواص

(٢) في (ص): لما استحق

(٣) في (ص): ما لا يُطاق له

(٤) ساقط في (ع)

ظلماً وعبثاً. ألا ترى أنه لو كلف معاصي الطاعة وسلبه الاستطاعة ثم عذبه لكان ظلماً^(١)؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والدليل على أن الاستطاعة جسم وعرض أنه لولا الآلة لم يكن الإنسان مستطيعاً بقوة النفس، ولولا قوة النفس لم يكن مستطيعاً بالجوارح، وقد نكون الاستطاعة قوة النفس، والآلة مستطبعة.

وبما يدل على أن الاستطاعة قبل الفعل أن سلطاناً لو كلف محاراً، أو صائغاً^(٢)، أو حدّاداً، على عمل من الأعمال^(٣) وليس لأيهم شيء من آلات الصناعة، ولا قوة موسى^(٤)؛ أنه لا يتم لهم صنع شيء مما كلفهم عليه إلا أن تكون قد حصت لهم الآلة والقوة. ألا ترى أنه كلفهم ما لا يطيقون، وظلمهم في تكليفهم لهم المعسور. وكذلك الطفل إذا كلف عمل شيء يكون من يكلفه ما لا يطيق ظالماً

وكذلك إذا كلف الله عبداً عمل شيء، ولم يكن قد أعطاه الاستطاعة عليه يكون ظالماً في تكليفه للعد ما لا يطيق، وأعظم من ذلك: أن يسلب الكافر^(٥) الاستطاعة على الإيمان ثم يعذبه ويتوعدده^(٦) بأصناف العذاب إذا لم يعمل ما لا يطيق، فهل هذا إلا صريح الظلم وخلاف العدل؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَكُلِّفَ عَلَى النَّاسِ حِجُّ نَيْتٍ مِّنْ اسْطِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران ٩٧]

(١) في (ع، ش): ثم عذبه كان ظلماً

(٢) في (ص): أو صائغاً

(٣) في (ش، ع، ب): على عمل عمر من هذه الأعمال

(٤) في (ص، ل): ولا قوة النفس وفي (ش): ولا قوة موسى

(٥) في (ب، ص): إذا سلب الكافر

(٦) في (ص): ثم يعذبه، ويتوعدده وفي (ل): ثم يعذبه ويتوعدده

وقالت الحشوية، والمرجئة: لا يستحق أهل القبلة العذاب، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ لَا يَخْزُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَخْزُ مَا كُنَّ قُلُوبُهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سجدة: ١٨]، ونفوا المنزلة بين المنزلتين. وقالوا: الناس مؤمنون وكافرون، وحجتهم قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [الناس: ١٢].

وقالت المرجئة: يجوز أن يعذبهم، ويجوز أن يعفو عنهم، وهو قول بعض المعتزلة، وعلتهم أنهم قلوا: ليس العفو بقبيل،^(١) ألا ترى أن إسان لو توعد^(٢) عبده بالعذاب وأصرب، والحس ثم قدر عليه وعفا عنه أن ذلك لا يكون قبيلًا.

واستدلوا عليه بقول الشاعر:

وإسبي إن أوعدت^(٣) أو وعدت^(٤)

لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي^(٥)

وقد روي أن عمرو بن عبيد رحمه الله تناظر هو ورجل من المرجئة، فاحتج المرجئي بقول الشاعر:

لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي^(٦)

فاحتج عليه عمرو بن عبيد بقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤١].

(١) في (ع) إن ذلك لا يكون قبيل

(٢) في (ب، ع، ش) لو وعد. وفي (أ): ألا ترى أن الإسان لو أوعد

(٣) في (أ): لمُخْلِيفٍ إيمادي ومُصَدِّقٍ موعدي

(٤) في (أ): لمُخْلِيفٍ إيمادي، ومُصَدِّقٍ موعدي

وبقول الشاعر:

إن أبا ثابت لمجتمع الرأي شريف الأبناء واليستر
لا يخلف الوعد والوعيد ولا يصح من ثاره على فوت
وقال قوم من المرجئة: يُعَدُّهُ الله في النار ثم يخرجهُ استدلوا^(١) بما
روي: «يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره»^(٢).

فقول: إن من دخل الجنة لا يخرج منها أبداً، وهذا مجمع عليه؛
فكذلك^(٣) من دخل النار لا يخرج منها أبداً

فأما قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ نَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ وَمَا
نُزَعَرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَقْنُونٍ ﴿يَوْمَ نَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ عَنْهُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ شَقِيَ وَسَعِيدٌ﴾ فَأَمَّا
الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زُمْرٌ وَشِقَاقٌ ﴿حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ شَاعِلٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُجِنُوا فِي الْجَنَّةِ
حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ضَرَبَ
مَقْلُوبٌ ﴿١٠٣-١٠٨﴾، فإن الاستثناء ههنا من الحكم في الدنيا للشقي
باسم الشقاء^(٤)، وللسعيد باسم السعادة. وليست المشيئة بمستثناة من
الخلود، وإنما هي مستثناة عن حكم له في الدنيا باسم، ثم رجع عما
كان عليه. تقديره: فأما الدين حكمهم عليهم باسم الشقاء في الدنيا،
وفي النار حالدين فيها، إلا أن يتوبوا في الدنيا فهذا الاستثناء هو المراد

(١) في (ب، ع) واستدلوا

(٢) (لخر) بكسر الحاء المهملة، وقد تفتح، هو غماد والهيئة الحسة و(السبر) بكسر السين

المهملة، وقد تفتح، هو حسن الهيئة والخصر ثم يهيه

(٣) في (ص ي) وكذلك

(٤) في (ص): للاستثناء باسم الشقاء

بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وكذلك في الذين سعدوا تقديره: وأما الذين كُتِبَ لهم اسم السعادة في الدنيا، ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، إلا أن يخرجوا من الطاعة إلى المعصية في الدنيا. وهو المراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

ومما يؤيد ذلك أن الذين سعدوا لا يخرجون من الجنة أبداً إذا ماتوا سعداء بالإجماع. فلو جار خروج أحد من النار، جاز خروج من يدخل الجنة، لأن الاستثناء هاهنا في ذكر الجنة والنار. فبطل تعلقهم بهذه الآية.

وقد قبل - إن شاء الله - معنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ المراد به: وقت الحساب وأما الخبر الذي رُوِيَ عن النبي ﷺ وهو خير ضعيف؛ لأنه من خير الأحاد، وإن صح فالمراد به: من حُكِمَ له^(١) بأنه من أهل النار ثم تاب في الدنيا خرج مما حُكِمَ عليه به ويدل على هذا التأويل ما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه سمع مؤذناً^(٢) يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال ﷺ: «خرج من النار»

ونحن نعارضهم بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مَوْثِقاً مُّصَدَّقاً فَجَزَاءُ لَهُمْ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (الب، ٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَالنَّارُ الَّتِي أُورِثَ النَّارُ فِيهَا يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝

(١) زياده في (ب، ش، ص)

(٢) في (ص): من حُكِمَ الله له

(٣) في (ص) أنه سمع مادياً.

وَمَا لَهُمْ عَنْهَا بِغَاهِبَةٍ ﴿١١٤-١١٥﴾، وقال تعالى: ﴿مَا يَكُنُّ الْقَوْمُ لَدُنِّي وَمَا آثَا بِظُلَامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ (١٢٩)، وقال تعالى: ﴿لِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِمٍّ خَالِدُونَ﴾ (المرشد ١٧٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّحْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ خُذُوا لِحْظَةً نَّارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِمٌّ﴾ (سجدة ١٧)، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ حَسِبَ أَنَّ سَيِّئَةً فَأَخَذَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المرشد ١٨١)، ومعنى قول الله تعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّخُوبَ جَمِيعًا﴾ (المرشد ١٥٢) المراد به مع التوبة، لأنه ذكر عقيب^(١) هذه الإنابة بقوله: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ رُكِبْتُمْ وَأَسْلِمْتُمْ إِنَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ (المرشد ١٥٤)، فشرط التوبة. وروى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجُأُ بِهَا بَطْنَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُّخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُّخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَعًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا». وروى عن السيء^(٢) أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالزَّنا، فَإِنَّ فِيهِ أَرْبَعَ خَصَصَ: يُذْهَبُ بِالْبَهَاءِ مِنَ الْوَجْهِ، وَيَقْطَعُ الرَّقُّ، وَيُسَخِّطُ الرَّحْمَرُ، وَيُحْلَدُ فِي السَّيْرَانِ» وروى عن السيء^(٢) أنه قال: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعَمَمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُبَاهِيَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ لَمْ يُرَخَّ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ». وروى في الأخبار: «يَوْمَ» بالعالم الماسق إلى النار قبل عدة الأوثان. ويقال: ليس من يعلم كمن لا يعلم»

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: لا يقطع رجل حقَّ امرئٍ مسلمٍ

(١) في (ب): عقيب.

(٢) في (ب، ص): أنه يومر

بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار، فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: وإن كان سُواكاً من إراك». وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تُحرم الجنة على أربعة: المثان، والغيباب، والنمام، ومُدمن الخمس». فبطل ما قالوا.

فإن اعترض معترضٌ علينا فقال: ليس من العدل أن يعصي العبدُ عبد اقتراب أجله فيعذبه الله بمعصية واحدة صادفت موته، ويُخلد في النار^(١) ما دامت السماوات والأرض، وهو من أهل القبلة

قلنا: ليس هذا بلارم لنا، لأنهم مُجمعون معاً على أن إنساناً لو كفر وقت بلوغه - وهو من أولاد المشركين - ثم صادف ذلك موته، أنه يكون في النار خالداً مُخلداً فيها، مع أنهم قالوا: أطفال^(٢) المشركين في النار، ولنا نقول^(٣) به. فإذا كان هذا كفر عبد بلوغه قد دخل النار بكفره، فالذي يعصي ربه مع معرفته به وبالحلال والحرام أحق بالعداب والنكال، لِمَا روي^(٤): «يؤمر بالعالم القاسق إلى النار قبل عبده الأوثان». ويُقال: ليس من يعلم كمن لا يعلم.

ويؤيد ذلك أن الكافر يعصي الله وهو يظن أنه لا يراه، والمسلمُ العالمُ يعصي الله وهو يعلم أنه يره، فلا يحتشم منه، ولا يمتنع من فعل الفاحشة، ولو علم أن إسانه يراه - ربيعاً أو وضيعاً - لاحتشم منه، وامتنع من مواجهة الفاحشة. ألا ترى أنه لا يحتشم من ربه^(٥)،

(١) في (ص، ع)، فيخلده في النار

(٢) في (ع): إن أطفال

(٣) في (ص): بما روي

(٤) في (ب، ص، د): لم يحتشم من ربه

واحتشم من أشر خلقه^(١)، فجعل ربه أهون الناظرين إليه، فهذا^(٢) يخلد في النيران، ويكون حقيقاً بالخزي، والهوان.

وأما احتجاجهم بقول الله تعالى: ﴿لَنْ أَلْفِكَ بِمَا تُكَذِّبُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فإن المرد به الصفات، والتوبة أيضاً من الكبائر؛ والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّتَمُ لَكُمْ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة: ٢٢]، فأخبر أنه واسع المغفرة، لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش، وأنه لا يغفر الفواحش والكبائر، إلا لمن تاب لقوله تعالى: ﴿وَأَنِى لَّغَافِرٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة: ١٨٢]، وقوله: ﴿وَأَنِى لَّغَافِرٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة: ١٨٢]، المراد به إذا تابوا وأخلصوا، وذلك موجود في القرآن كثير.

فصل

في الكلام في المنزلة بين المنزلتين

فهمدنا، وعند المعتزلة أن الفاسق ليس بمؤمن، ولا كافر جحود، بل هو كافر نعمه.

وقال حسين النجار، ومن قال بقوله، والأشعرية: الفاسق فاسق بنفسه، مؤمن بإيمانه، والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب. وذهبت الخوارج إلى أنه مشرك.

(١) في (ص). من شر خلقه

(٢) في (ع، ش، ب): فهذا

وقال الحسن المصري : هو صادق ، واستدلوا بقول الله عز وجل :
 ﴿لَا يَسْتَلَاحَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَكَوْثَى﴾ [البقرة ١٦٠] ، وقد قال :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ لَسِيفًا بِطُرُفِهِمْ ذَارًا
 وَيَسْتَلْزِمُونَ سَبِيلًا﴾ [البقرة ١٨٠] ، فأوجب لهم السار ، وقد أخبر أنه لا يصلها
 إلا الأشقى الذي كذب وتولى ، فعلمنا أنهم مكذبون ، ولقوله : ﴿وَلَنْ
 يَجُوزَ لَهُمْ لَصِيفَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ١٨١] .

وحجة التحاريرة والأشعرية : أن إنساناً كافراً لو صدق بقلبه بالله
 وبكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر ثم مات أنه يموت مؤمناً .

فقول : إن اسم المؤمن منقول من اللغة إلى العرف ؛ لأن الإيمان في
 اللغة هو التصديق ، فنقل إلى اسم الدين ، فمن اعتقد بقلبه ما جاء به
 رسول الله ﷺ وأقر به بلسانه وعمل به كان مؤمناً ، فصار هذا الاسم
 منقولاً إلى العرف . ومثل ذلك : اسم الصلاة كان موضوعاً في اللغة
 للدعاء فنقلت إلى الصلاة المحصورة ، ومن ذلك الغائط ، والدابة ،
 وأمثال ذلك واسم الكفر في اللغة كان موضوعاً للتغطية ، فنقل إلى
 من جحد وكذب وكفر ؛ وكذلك اسم الفاسق ؛ كان في اللغة لخروج
 الشيء من موضعه ، كما يقال للفأرة إذا خرجت من حُجرها :
 فُوسِيقَةٌ . وإذا خرجت النواة من الرطوبة قيل : فسقت النواة ، أي
 خرجت ، فنقل إلى اسم العاصي المتهتك ، وكان في العرف اسم المؤمن
 مدحاً له ، ألا ترى أن من مدح إنساناً قل : هو مؤمن ؟ واسم الكافر
 ذمٌّ له ، وكذلك اسم الفاسق ويد على ذلك : أن الكافر والفاسق
 يغضبان إذا قيل لهما : يا كافر ، يا فاسق ، ويكرهان ذلك ،

وأن المؤمن يُحب أن يقال له: يا مؤمن، ويرضى به، فلما صح أن العاسق مذموم بفسقه، صح أنه لا يكون مذموماً محموداً في وقت واحد؛ ولأن المدح والدم ضدان، ولا يجتمع ضدان في وقت واحد ومحل واحد، كما لا يجتمع السواد والبياض في محل واحد.

فأما قول العرب والمتكلمين من العلماء في أن الفرس (إذاً) داخل فيه البياض والسواد واحتمعا سُمي أبلق، ولا يسمى أبلق بأحدهما؛ فإن مرادهم إذا كان بعض جسد الفرس أبيض وبعضه أسود؛ لأن السواد والبياض لو اجتماعا في موضع واحد لم يكونا سواداً ولا بياضاً، وكانا لوناً آخر، فصح أن العاسق لا يجتمع فيه الحمد والذم^(١) معاً، ولا يبقى له اسم الإيمان تماماً^(٢)، ولا يكون كافراً جاحداً بل يكون كافراً نعمة؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كُفِّرُوا﴾ [البرهم ٢٨]

والمؤمن عندنا من اعتقد بقلبه التصديق بالله وبملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وما جاء به رسول الله ﷺ، وأقر به بلسانه، وعمل ما أمر بعمله^(٣) من الطاعات، واجتنب ما نهى عنه من المنكرات^(٤)، فمن اجتماع فيه ما ذكرنا فهو مؤمن.

والدليل على ما قلنا من كتاب الله قوله عز من قائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ

(١) في (أ، ي). المدح والدم

(٢) في (ص): ولا يتناول اسم الإيمان كاملاً

(٣) في (ب، ص)، ما أمر الله بعمله.

(٤) في (ص): من المحرمات المنكرات.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْقَانِ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿الأنعام ١١٠-١١١﴾ وقال :
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ﴾ الآية (الأنعام ١٠٢) ، وقال
تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَخَلَعُوا وَجَاهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (سورة ١٧٤) ، وقال تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا
وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلْعَنَكُم
مِنْ أَغْنَالِكُمْ سَيَا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
لَمْ يَرْكَبُوا وَجَاهَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَهْبِهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
(سورة ١٥١) ، وقال تعالى : ﴿بَيْنَ الْإِسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (سورة ١١١) ،
وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبُ الْإِيمَانِ وَرِثَةِ فِي قُلُوبِكُمْ وَصَكْرَةُ إِلَيْكُمْ
الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْيَسْتَانِ﴾ (سورة ١٧) ، وقال تعالى : ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة ١١٠) ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِبَيْعٍ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا ۚ إِلَى قَوْلِهِ ۖ ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ
يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِخْدَاهُمَا الْآخَرَىٰ﴾ (سورة ٢٨٢) ، فأمر المؤمنين بالإشهاد ثم نهى عن قبول
شهادة الفاسق : فقال في من قذف ، ولم يأت بالشهداء : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة ١١) ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِنْ جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ فَأُولَٰئِكَ يَفْتَرُونَ مَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة ١٦) ،
وقال تعالى في صفة النبي ﷺ : ﴿خَرَجَ مِنْ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَوْفٍ
رَّحِيمٍ﴾ (سورة ١٢٨) ، وقال في صفة المؤمنين : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ﴾ (السجدة ٢٤) ، ثم قال في الراسي ، والراية : ﴿وَلَا تَلْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ

فِي دِينِ اللَّهِ إِنَّكُمْ تَزِمُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [البقرة ١٧٧]. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يرني الرائي حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، قالوا: يا رسول الله، كيف يفعل إذا وقع شيء من ذلك؟» قال: إن راجع التوبة راجع الإيمان^(١)، وإن لم يتب لم يكن مؤمناً.

وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سئل عن البغاة -أهل النهروان- فقيل له: أكفار هم؟ قال: (من الكفر هربوا)، فقيل: أمؤمنون هم؟ قال: (لو كانوا مؤمنين ما قاتلناهم، ولكمهم إخواننا بالأمس بعوا علينا)^(٢). فصنع أن البغاة ليسوا بمؤمنين ولا كافرين، وأن لهم منزلة بين المنزلتين.

وسئل: إيهام من أهل النار مخلدون فيها وعذاب الكفار أشد من عذابهم، ولا يُحكم عليهم باسم التعاقب؛ لأن المنافق مقرر في الظاهر، مستحل في الباطن، وحكم الفاسق في الدنيا حكم المؤمن إلا في الموالاة والمعاداة والشهادات وأمثالها، فإنه يجب أن يتبرأ منه ولا يُوالى، لكنه يرث ويورث، وينكح وينكح، ويدفن في مقابر المسلمين. وقد اختلف أهل البيت (عليهم السلام) في ذبحته؛ فمنهم من نهى عنها، ومنهم من أجازها، وأنا لا أريدها ولا أجعلها ميتة؛ لأنه ليس بمؤمن ولا بكافر جاحد، هذا إذا كان مقيماً للصلاة مؤتياً للزكاة غير مدمن خمر.

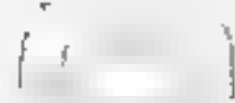
(١) في (ب): إذا وقع شيئاً من ذلك

(٢) في (ب): رجع الإيمان.

(٣) في (ث): بعوا عليها اليوم

وأما إذا كان مُتَهَتِكاً فذبيحته ميتة لا يجوز أكلها. وقد ذكر الهادي (عليه السلام) أنه لا بأس بذبيحة الفاسق ما لم يبلغ فسقه الكفر. وقال في مسائل الطبريين: وسألت عن رجل يعرف العدل والتوحيد، وهو يشرب الخمر هو وامرأته، أو يكذب، أو يستحل مال مسلم فقلت: هل يجوز أكل ذبيحته؟

واعلم رحمك الله أن من شرب الخمر أو استحل^(١) أموال المسلمين، فليس هو عند من عرف الحق من المؤمنين، ومن لم يكن من المؤمنين، فأفعاله كلها أفعال أضداد المسلمين، ومن كان ضدًا للمسلمين فلا يجوز أكل ذبيحته لأحد من المؤمنين.



فصل

في الكلام في الهداية والإضلال

اختلف الناس في الهداية والإضلال.

فذهب الدين قالوا: الاستطاعة مع العمل، وسائر المجبرة إلى أن الله أجبر المهتدين^(٢) على الهدى، وأجبر الضالين^(٣) على الضلال؛ واستدلوا بظاهر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَهْدِي اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) في (أ، ص): واستحل

(٢) في (ب، ص): جبر المهتدين

(٣) في (ب، ص): وجبر الضالين

وعندما وعند المعتزلة: أن الهدى من الله على ثلاثة وجوه^(١):

فهدى تفضل ابتداء الله به المكلفين، يستوي فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ وهو العقل الضروري الذي هو استحسان الحسن واستقباح القبيح. قال الله تعالى: ﴿يَا هَٰذِهِ السَّبِيلُ إِنَّمَا جَعَلْنَاهَا ذِكْرًا وَنَسِيًّا ۚ﴾ [الاسراء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَٰذِهِ السَّبِيلُ ۚ﴾ [الاسراء: ٨-١٠]، فهذا هو الهدى المتدا، وهو حجة الله على العبد.

وكذلك الكتاب، والرسول، هدى الله بهما الناس؛ قال تعالى في الكتاب: ﴿فَهَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّذِي أُنْزِلَ بِهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال في الرسول ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّاتِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَتُزَكِّيهِمْ وَلَهُنَّ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَإِنْ هَٰكُنَا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ لَهْدًى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فصح أنه هدى (أي القرآن) من الله تفصل به على جميع عباده، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٩].

والثاني: هدى جزاء وهو الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُعْطِيَ أَعْمَالَهُمْ ۚ سَيُجْزِيهِمْ وَكَفَالَهُمْ بِاللَّهِ ۚ وَكَفَالَهُمُ الْجَنَّةُ حَرْفًا لَّهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، ولأن الذين قاتلوا، قد قتل منهم في الحال قوم،

(١) في (ص): على ثلاثة أوجه

(٢) زيادة في (ب، ص)، وفي (أ). فصح أن هذا هدى

فصح أن الهدى الذي وعدهم الله في الآخرة ؛ لأنهم لم يبقوا لهداية الدنيا. وقد قرأ أبو عمرو : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية. وبما يؤكد هذا قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ، أراد به هدى الحزاء على الحقيقة ؛ لأنه لا يُشيب من أحب في الآخرة.

فلو كان المراد بالهداية هاهنا في الدنيا ، لكان هذا مخالفاً للكتاب والسنة ، ناقضاً للأصول ، لأنه قد هدى في الدنيا من أحب ومن لم يُحب ، وأثاب أيضاً في الدنيا من أحب ، فصَحَّ أن المراد : أنك لا تُشيب في الآخرة من أحببت ، وصَحَّ أن الحزاء يُسمى هدى^(١) ، وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ١٦٠] ، فهو يريد هداية الثواب ، لأنه قد هداهم في الدنيا فلم يهتدوا ، قال عمر بن قائل : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [الصافات: ١٦٧] .

والثالث : هدى زيادة في الثواب في الآخرة ، وتوفيق وتسديد في الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ احْتَمَوْنَا وَآمَنُوا بِهِمْ وَأَتَاهُمُ نَوَاحِلُهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [البقرة: ١٢٨] ، فصَحَّ أن الزيادة على الأجر تُسمى هدى. وقوله تعالى : ﴿وَأَتَاهُمُ نَوَاحِلُهُمْ﴾ يريد ثوابهم.

فأما التوفيق^(٢) والتسديد في الدنيا فهو مثل قوله : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ

(١) في (ص) : فصَحَّ أن الحزاء يُسمى هدى.

(٢) في (ب، ص، ع) - وأما التوفيق

إِيَّاكُمْ الْإِيمَانَ وَذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَفَرًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ ۝ فَتَلَا مِنْ اللَّهِ وَحْيَهُ ﴿المعرب ١٨٧﴾، فَبَيْنَ أَنَّهُ فَضْلٌ، وَالْفَضْلُ
غَيْرُ الْجَزَاءِ.

وأما الإضلال من الله تعالى، فلا يكون من الله تعالى إضلالاً
لأحد، إلا أن يكون جزاءً على معصية، قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ بِهِ
كَبِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَبِيرًا وَمَا يُعَذِّبُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَخُفُّونَ هَدَى اللَّهِ
مِنْ بَعْدِ بَيِّنَاتِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة ٢٦٩، ٢٧٠]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ
إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُلَ حَقٌّ وَجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران ٨٦]، وقال تعالى: ﴿سَكَلَتْ بَنَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [التفسير ١١]، فصَحَّ أَنَّ الإضلال مِلْكُ اللَّهِ حِزَاءٌ لِلْعَاسِقِينَ عَلَى
فَسَقِهِمْ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلُوبُ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَكَذَلِكَ فِي طَائِفَةٍ يَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران ١١٠]، وكذلك الطبع
والختم يكونان أيضاً^(١) من بعد الكفر والعسق جزاءً لهم على كفرهم
وفسقهم، قال الله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَدْلَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تَدْلِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ هُتَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الغرة ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا
مِنْ جُنُودِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْيْلَمَ مَاذَا قَالَ آيَاهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَأَبْصَرُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [مد ١١]، قَدْ عَلَى أَنَّهُ جَزَائُهُمْ لَاتِبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ^(٢).

وقد ذكر بعض مشائخ المعتزلة أن الطبع والختم سمة وعلامة

(١) في (أ) يكون أيضاً

(٢) في (ب، ع): باتباعهم لأهوائهم وفي (أ) أنه جرائهم لاتباعهم أهوائهم

جعلها الله في قلوب الكافرين وافسقين يعرفهم بها الملائكة ^(١) قالوا: لأن الختم والطبع في الشاهد لا يبع من الكسر.

وقال سائر المعتزلة: الإضلال من الله حكم، وكذلك الختم والطبع، وأنشدوا عليه قول الكميت بن زيد.

وطائفة قد كفروني بجمعهم ^(٢)

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

ومما يدل على أن الهداية من الله جزاء، وأن الإضلال من الله حراء ما روي عن رسول الله ^(ﷺ) أنه قال: «ألا إنه من رَهْد في الدنيا وقَصَر فيها أَمَلُهُ أعطاه الله علماً غير تعلم، وهُدًى غير هداية، ألا ومن رعب في الدنيا وأطال فيها أَمَلُهُ ^(٣) أَهَمَّ إِلَه قَلْبَهُ عَلَى قَدَرِ رَغْبَتِهِ فِيهَا»

والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الإضلال من الله لأعدائه هو الجزاء على عصيانهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّمِينَ فِي سُلَّالٍ وَسُجْرٍ ۖ يُؤْمَرُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ فُوقُوا مِنْ سَعَرٍ﴾ [النار ١٧-١٨] فصَحَّ أن الإضلال هو العذاب، وهو جزاء لهم بما فعلوا

وأما قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ مُنْقَطَعًا وَجْهًا﴾ [الأنعام ١٢٥]، فالمراد به ما ذكرنا من الجزاء، والزيادة في الدنيا للمؤمنين من سعة الصدور ^(٤)، واليقين والرحمة للمؤمنين.

(١) في (ص) قد أكرموني وفي (ب، ج) قد أكرموني بجمعهم

(٢) في (ع): وطال فيها أَمَلُهُ

(٣) في (ب، ص، ع): من سعة الصدر

ومن كفر أو فسق، وعَنَدَ عن الحق، جزاء الله على فعالة، وجعله ضيق الصدر. وليس جعل حتم وحبر، لكنه جعل حُكم وإرسال، وزيادة في الأعمار والأموال^(١) والأولاد وسلامة الأحوال.

والمراد بالآية أن الله وسع^(٢) صدر المؤمن للعالم^(٣) بالعلم، وترك الآخر على أصله؛ لأن أصله الجهل. وقد قيل: العلم سعة، والجهل ضيق.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَلْوَهُمْ أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ [نجم ٨٢]، والمراد به أنه أرسلهم وحلّاهم وتركهم.

ومما يدل على أن ذلك، ومثله جزاء من الله تعالى لهم على معصيتهم؛ قول الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَتَنَادَوْنَ بِاللهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمِمَّا وَهَمُّ النَّارِ وَهِيَ مَنُورٌ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران ١٥٦].

ومما يؤيد أن الله لم يضلهم^(٤) ابتداءً، بل أضلوا أنفسهم، وأضلهم بعضهم؛ فحكم الله عليهم باسم لضلال، وجزاهم به عذاب جهنم، قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ فَمَا يُعْثِرُونَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ لَقَدْ أَسْأَلْتُمُ عِبَادِي هَلْ آتَاهُمْ مِنْهُ السَّبِيلُ ۖ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ أَبَائَكُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [نجم ١٧-١٨]، فبان أن الله ما أضلهم، ولكن أضلوا أنفسهم،

(١) في (أ) وريادة في الأعمال والأموال

(٢) في (ع): إن الله يوسع

(٣) زيادة في (ش، ع)

(٤) في (ب، ص): ومما يدل على أن الله لم يضلهم.

وأضل بعضهم بعضاً؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْضُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۚ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۚ لَقَدْ أَهْلَبْتَنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خُنُوءًا﴾ [الزمر: ٢٧-٢٩]،
وقال: ﴿فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يس: ٢٢]، وقال تعالى حاكياً قول
إبراهيم (عليه السلام): ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَنُحْنِي أَنْ يَكُونَ
الْأَمْنَامُ ۚ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَهْلَكُنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى:
﴿وَأَهْلَتَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]، وقال: ﴿وَأَهْلًا فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]،
فبرأ الله نفسه من الإضلال، وسه إلى أعدائه.

وأما إغواء الشيطان وإضلاله للإنسان، فقد يكون الإغواء
والإضلال من شياطين الإس ومن شياطين الجن

فأما شياطين الإس فذلك ظاهر بين وأما شياطين الجن فقد يكون
بالمقاربة والمدانة من غير مباشرة، ولا بمناجاة، ولا مخالطة، ولا كلام.
وقالت الحشوية: الشيطان يمازج الإنسان، ويدخل في صدره ويخالطه.

فقول: لو كان يمازجه كما يقولون لكان الإنسان غير مخير،
ولا ممكن، ولو كان غير مخير ولا ممكن لكان الله قد كلفه ما لا
يطيق، وقد قدمنا الاحتجاج عليهم، ولو كانت نفس تدخل في صدر
نفس وتمازجها وتشاركها في فعلها لكان ذلك من أقبح ما يكون، والله
سريء من فعل القبيح^(١) وقد قال الله: ﴿إِنَّ جَهَادِي تُبْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٢]، وقد قل الله تعالى حاكياً ما يقول إبليس

(١) في (ص)، من فعل ذلك

يوم القيامة: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ الآية [سورة ١٢: ١٢٠]، ويوم القيامة موضع صدق، وليس كقوله في الدنيا: ﴿فِيمَا أَغْنَيْنِي﴾ [سورة ١١٦: ١١٦]، لأنه في الدنيا يمكنه الكذب، ويوم القيامة لا يقبل منه الكاذب، ولا يُقر عليه، ولا يصدقه أحد، ولا ينتفع بالكذب في شيء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْفُرُ كُلُّ مَنْ يَدَّ يَدَهُ لِلَّهِ حَيْثُ مَا يَخْلِفُونَ لَهُ صَكًّا يَكْفُلُونَ لَكُمْ وَتَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِلَهُكُمْ لَهُمُ الْكَافِبُونَ﴾ [سورة ١١٨: ١١٨]، يقول: يحسبون أن الكذب يفعلم في شيء، وأنهم يُصدقون كما كانوا إذا حلفوا في الدنيا صدقوا. فصح أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُ يَهْدِي لَكُمْ شَيْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَهْوَكُلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَهْوَكُلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة ٩٨: ٩٨-١٠٠]، فصح أنه ليس له إحسان^(١) في الدخول في صدر الإنسان. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ حَكِيمَ الشَّيْطَانِ كَانَ خَفِيًّا﴾ [سورة ١٧٦: ١٧٦]، ثبت أنه ليس له قوة على الإنسان ولا له حيلة في الدخول في صدر الإنسان، فبطل ما قالت الحشوية.

واعلم أن الأمة مجمعة على أن الشيطان يُضل الإنسان؛ وقد نطق بذلك القرآن. واختلفوا في كيفية إضلاله. فقالت الحشوية: بالممازجة، وقد قدمنا الكلام^(٢) والاحتجاج عليهم. وعندنا أن إضلاله بمعنى المدانة للإنسان والمقاربة؛ ولأنه يعرف في وحه الإنسان ما يدل

(١) في (ص): ليس له سلطان.

(٢) في (ث): وقد قدمنا القول.

﴿الفرع ١٥﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِئُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١٨٨]. وقال تعالى حاكياً عن صاحب موسى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكه ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَحْنُ إِلَّا إِذَا نُنْزِلَ الْقُرْآنُ فَهُوَ يَنْفَخُ فِيهِ فَتُنْفَخُ الْكُفْرُ وَالشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥ لِيُضِلَّ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ بُعْدَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥١-٥٢]، ومعنى ﴿نَحْنُ﴾ قرأ، وتأويل ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ﴾ المراد به في قراءته، وليس المراد به أنه يُلقى في قلب الرسول ولا على لسان الرسول، ولكن المراد (به أنه) ^(١) يُلقى في قراءة بعض من يقرأ ما يأتي به الرسول، وذلك الإلقاء مثل العلط والسيان، والزيادة والنقصان. وقد سئل القاسم بن إبراهيم ^(عليه السلام) عن تأويل هذه الآية فقال: تأويل ﴿نَحْنُ﴾ هو قرأ، وتأويل ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ﴾ تأويله ألقى الشيطان في قراءته. وقراءته ^(عليه السلام) هو ما ألقى من القرآن إلى أمته، وإلقاء الشيطان فيما يقرؤون من آياته هو إلقاء من الشيطان في أمنيته وقراءته. والإلقاء في القراءة من الشيطان ليس إلقاء ^(٢) في قلب الرسول، ولا فيما جعله الله له من اللسان، ولكنه إلقاء في القراءة من الشيطان، بزيادة منه في القراءة أو نقصان ^(٣). وقد رأينا نحن في دهرنا هذا بين من يقرأ آيات القرآن اختلافاً كثيراً في الزيادة

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ع): ليس الإلقاء.

(٣) في (ش): بزيادة منه في القرآن أو نقصان.

والنقصان، فما كان من ذلك صدقاً وحقاً فمن القرآن، وما كان منه كذباً وباطلاً فهو من الشيطان وفي أيدي الروافض والغلاة من ذلك ما قد سمعتَ وسمعاؤه. وقد أمر الله ﷻ بالاستعاذة من الشياطين^(١) وهمزاتهم فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [السور ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَرْبٌ فَأَسْتَمِعِ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

وقد جاء عن النبي ﷺ ما يُفوق الكتاب، من الأمر بالتعوذ من الشيطان الرجيم. وروى عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْحَشُوشَ مُحْتَضِرَةٌ فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَبِيثِ وَالْخَبَائِثِ». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُو بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ، فَإِنْ ثَالِهُمَا الشَّيْطَانُ»، وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَزَالُ إِبْلِيسُ هَائِبًا مَذْعُورًا مِنَ الْمُؤْمِنِ مَا حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَإِذَا ضَمِعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْعِظَائِمِ». وروى عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَأْتِيَ أَحَدَكُمْ فَيَفْخُ بَيْنَ إِيَّتَيْهِ فَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَجِدَ رِيحًا أَوْ يَسْمَعَ صَوْتًا». وروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان إذا دخل المخرج قال: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرَّجَسِ النَّجَسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

(١) في (ش): بالاستعاذة به من الشيطان

وقولنا: إن الشيطان يستدلُّ إذ نظر في وجه الإنسان على ما في قلبه ؛ ومثل ذلك قد يعرفه أهلُ العطنة من الناس في الغضب والرضا ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ إِلَىٰ وَجْهِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لَا يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [سج ٧٢] ، ولولا أن الإنسان يمكنه الامتناع من الشيطان وإضلاله لما أمر الله بالعود منه. وقد يمكن أن يكون إضلال الشيطان للإنسان بالإرسال من الله والتخليبة، عقوبة للإنسان على معصيته ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَلَمَنْ يَقُولُ لَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سج ١٢٧] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ لَكُمْ شِطَانًا فَهُوَ لَكُمْ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [فرج ٢٦-٢٧] ، ويحمل على هذا المعنى قول الله تعالى : ﴿ ذَلَّلْنَا لَهُم مَّا لَمْ يَكُن لَّهُمْ فِتْنَةً ۖ وَالْعَاشُ هُوَ الْمَسِيرُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، قال الشاعر :

متى تأنهم تعشو إلى ضوء نارهم

نجد حير نار عندها خير موقد



(٦) باب حقيقة معرفة النعمة

اعلم أنه لما ثبت أن المنعم حكيم، وثبت أنه لا يفعل قبيحاً^(١)، ثبت أن إظهار الحسن وإيجاده حسن، وإذا ثبت^(٢) أن إيجاد الحسن حسن، وثبت أن الله لا يفعل قبيحاً، ثبت أن إيجاد الله للعالم حسن.

ولما ثبت أن الله غني عن العالم، ثبت أنه لم يخلقه لنفسه بل خلقه لعباده نعمة منه وتفضلاً، فصح أن الله خلق العالم نعمة وتفضلاً، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة البقرة: ٢١-٢٢]، فيبين أنه ما خلقهم له، وأحرأه غني عنهم، وكذلك هو غني عن عبادتهم ونفعها لهم لا له، فلما أمرهم بالعبادة وأعطاهم الاستطاعة عليها قلَّ وجوب الأمر؛ ثم أتاهم عليها وصاعف لهم الثواب، صح أن التعبد نعمة وتفضل منه ابتداءً الله به عبده المكلفين، فصح أن الله ما خلق الخلق إلا نعمة وتفضلاً على عباده، فكان إظهاره^(٣) للحكمة ابتداءً منه بالنعمة

واعلم أنه لا يوجد شيء من خلق الله إلا وفيه نعمة لبعض

(١) في (ص): وأنه لا يفعل قبيحاً

(٢) في (ش، ي): فإذا ثبت

(٣) في (ص، ل): فصح أن إظهاره

خلق الله ، تفضل الله بها عليه ، وكذلك لا يُفْطَرُ العبد على فطرة
إلا وفيها له نعمة من الله تعالى ، ولا يُؤمر بأمرٍ إلا وله فيه نعمة ،
ولا يُنهى عن فعل شيءٍ إلا وفي تركه له نعمة معجلة أو مؤجلة.

فصل

في الكلام فيما خلق الله من النعم

من ذلك خلق الهواء ، وما جعل الله فيه من السَّعة والصفاء ،
وكونه مكاناً للكبير والصغير من الحيوان والجماد ؛ وما جعل الله فيه
للعباد من المنافع والمصالح والمواد. وجعل في الأمر أن من فارق الهواء
مات ، وبات عنه عند مفارقة الحياة ؛ فصيح أنه نعمة من النعم
الكبار ، على الكبار من الحيوان والصغار .

ومن ذلك خلق السماء ، وسعتها ، وبُعدها ، وموافقة لوبها
للأبصار. وما جعل الله فيها من لأفلاك والشمس والقمر والنجوم
لمصالح الحيوان^(١) ، وقد قدَّما لكلام فيها ، فهل هي إلا من
النعم الجسم ؟!

ومن ذلك خلق السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وما فيه من
المنافع والمصالح لو النعم^(٢) الجسم

(١) في (ع) : لمصالح الحيوان

(٢) زيادة في (ع ، ي) .

ومن ذلك إخلقاً^(١) الرياح وتسخير الله لها بين^(٢) السماء والأرض ليثير بها السحاب وتصلح بها الأجساد والأشجار، ويزيل بها^(٣) من الهواء العفونات والغبار، فهل هي لا من النعم الجسام؟!

ومن ذلك خلق الأرض وما جعل الله فيها من الطول والعرض وجعل جبالها أوتاداً لأن لا تميد بأهلها. وجعل الإنسان مخولاً^(٤) لحزنها وسهلها وبث فيها من كل دابة، وجعل فيها من الفواكه والكروم والرروع والنحيل والأعب، وصنوف المعاش والأرزاق؛ وجعل ذلك مادة ونعمة للإنسان.

ومن ذلك خلق الإنسان من الله خلقه من طين، وجعل نسله من سلاله من ماء مهين، ثم نقله في بطن أمه من حالة إلى حالة، ثم أحدث له رزقاً في ثدي أمه لئلا خالصاً سائغاً موافقاً للطفل، ثم أحدث الله له الرحمة في قلب أمه وقلوب أبيه رحمة من الله ونعمة. فإذا علم الله أنه قوي على أكل الطعام أحدث الله له أسنماً وأضراساً ولما علم الله أن البهائم لا تقدر على ما يقدر عليه الناس من تربية أولادهم؛ جعل أولاد البهائم بخلاف أولاد الناس؛ فإن البهيمة^(٥) تلد ولدها، وقام من ساعته يطلب صرع أمه وقد فطره الله من وقت ولادته على اجتلاب المنافع والنفر عن المضار رحمة من الله ونعمة

(١) زيادة في (ث)

(٢) في (ص)، لها ما بين

(٣) في (ج) وتزال بها وفي (س) يزول بها وفي (هـ) يزال بها وفي (د) يزيل بها

(٤) في (ص)، وجعل الإنسان مخولاً وهو خطأ

(٥) في (ص) فإن البهائم

وسأ الحياة المولود. ثم أنعم الله على العبد بنعم كثيرة لا يحصي عددها في نفسه ؛ فجعل له عينين ، ولساناً وشفقتين ، وأنفاً وأذنين ، ويدين ورجلين ، وغير ذلك من الآلة والبنية المخصوصة. وطُرق ما يدخل مما يتغذى به ، وطُرق ما يخرج وجعل له نفساً يستنشق به الهواء^(١) ، وهو سبب الحياة والنماء وجعل له طريقاً أحوف مفتوحاً لا يطق وهو الخلقوم ؛ وذلك لضعف النفس وكثرة تتابعه وجعل للطعام والماء طريقاً منطبقاً - وهو المريء - يفتح بالماء^(٢) والطعام. وجعل المعدة مستقرّاً للغذاء ، وجعل صفوه يقسم على جميع الجسد والأعضاء. وجعل المخارج ترمي بالثقل والأذى^(٣).

وقد ذكر عمرو بن بحر الخاطي رحمه الله مثل هذا ، ومثل فأحسن في كتاب الدلائل فقال : فكري في تقدير هذه القوى للحاجات إليها ، والمآرب فيها ، وما في ذلك من التلييز والحكمة ، فلولا القوى الجاذبة لما كان الإنسان يتحرك لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ، ولولا المسكة كيف كان الطعام يلتصق في الحوف حتى تهضمه المعدة ، ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ^(٤) حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ، ويسد خلله ، ولولا الدافعة لما كان الثقل الذي تخلفه الهاضمة يدفع ويخرج أولاً أولاً^(٥) أفلا ترى كيف وكّلت هذه القوى بالبدن ،

(١) في (م) : وجعل له أنفاً يستنشق بها الهواء.

(٢) في (ب ، ي) : يفتح بالماء.

(٣) الثقل هو ما يبقى من الطعام في المعدة بعد أن تخلص منه العائدة العادية تحت

(٤) في (ص) : كيف كان يصح.

(٥) في (ع ، ي) : ويخرج أولاً فاولاً.

والقيام بما فيه صلاحه، فصار البدن بمنزلة دار للملك^(١) فيها له حشم وصبية وقوامٌ موكلون بالدار، فواحد لاقتضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقص ما يرد وخزبه إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه في الحشم، وآخر لكسح ما في الدار من الأقدار وإخراجه منها. فالملك في هذا المثل هو الخلاق الحكيم، مَلِكُ العالمين، والدار هي البدن، والحشم هم الأعضاء^(٢)، والقوام هي هذه القوى الأربع، فهل هذا^(٣) إلا تفصل ونعمة من الله تعالى، بل هذه الأفعال التي تحدث حالاً بعد حالٍ أفعال الله سبحانه، يفعل ذلك في أوقات حدوثه لما يعلم^(٤) من مصالح خلقه، ولا يكبل ذلك إلى تدبير غيره، وإنما كان صرب المثل لتقريب ذلك إلى الأفهام.

ومما يدل على عظم هذه المواهب والنعمة أن العبد العقير المملوك الذي يكون من أدنى الناس منزلةً، وأقلهم نعمةً فإنه قد أعطي جميع ما ذكرنا من تمام الخلق، وحصول الآلة، والصحة والسلامة والعافية ألا ترى أنه لو قيل له: أتحت أن تُعطي ملكاً عظيماً في الدنيا، ويكون جراًء على أن تسلب مادةً من أحد المواد^(٥) التي وهبها الله تعالى له^(٦) كالسمع والبصر، أو قطع يده أو رجله، أو سلب (إحدى)^(٧)

(١) في (ب، ص، ع): بمنزلة دار الملك

(٢) في (ش): والحشم هي الأعضاء

(٣) في (ع): فهل هذه

(٤) في (ص): بما يعلم

(٥) في (ه، م): من إحدى أفراد

(٦) في (ث): التي وهبها الله لك

(٧) ساقط في (ص)

القوى التي ذكرنا ما أراد ذلك، ولو أعطي الدنيا بأسرها. ألا ترى أنه قد أعطاه الله من الآلة والسلامة، ما هو خير له من الدنيا وما فيها.

ويوضح صحة ما ذكرنا أن سلطاناً ممن له مالٌ كثيرٌ وهيئةٌ واسعة^(١) لو دخل عليه حصنه عدوٌّ له أو قرب منه أنه يهرب بنفسه إذا أمكنه الهرب، ويُحَلِّي حصنه وأهله وأمواله، ألا ترى أنه رأى نفسه خيراً له من ذلك؛ فهذا دليل على عظم النعمة وكبرها.

ومن ذلك: ما خول الإنسان من الأرزاق والمال والخدام، فإنه جعل للأحرار عبيداً من بني آدم لتبلغ النعمة وتظهر الحكمة، ولو جعلهم سواء لا يملك الأحرار الممالك، لدخل عليهم الضرر، ولأدى ذلك إلى أن يتولى الإنسان جميع الأعمال بنفسه السني لا يستعني بها، ولو كان كل إنسان يتولى خدمة نفسه لاشتغل كل إنسان بمصالح نفسه وقوته عن العلم^(٢) وطلبه وعن أعمال الآخرة وعن الجهاد، ولكان من أراد الاستشجار على الأعمال تستوعب ماله الأجرة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ إِذْ قُسِمَتْ إِلَيْهِمْ مِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَحْمَةً لِّقِيَّتِهِمْ فَتَرَاجَعَتِ لِيَمْعِدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَكْتُمُونَ﴾ [مرد ٣٢]، فأعزم الله على المالك بملك المملوك، وسخره له في دنياه، فإن صبر لعدو على هذه البلية، وأطاع ربه أعاضه في الآخرة^(٣)، وكان الثواب له نعمة آجلة، وملك سيده له

(١) في (ش) وهيئة واسعة

(٢) في (ص، ع)؛ في قوته من العلم. وفي (م)؛ وقوته عن العلم.

(٣) في (ع، ل). أعاضه الله في الآخرة

نعمة عاجلة، وأن النعمة الآجلة^(١) خير من النعمة العاجلة؛ لأن العاجلة فانية، والآجلة باقية، فصيح أن ملك المملوك نعمة للمالك والمملوك، فإن شكر المالك كان أفضل لقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى» ولأنه قد أعطي نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة على كُتبان المسك يوم القيامة: رجل تعلم القرآن وأم به قوماً يطلب به وجه الله وما عنده، ورجل يأتي كل يوم وليلة بخميس صلوات يطلب بها وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رقب الدنيا من طاعة ربه».

ومما خولهم أثمان الأشياء المبيعة، وهي الذهب والفضة، وكذلك اللؤلؤ والياقوت وأشياء ذلك. وجعلها قليلتم بعيدة التناول^(٢)؛ لأن في قلتها نفعاً، وفي كثرتها ضرراً أما النفع في قلتها فلأن تكون عزيزة عند الناس محسوبة؛ لأنها لو كثرت حتى تكون كالحجارة لَمَا بلغ أحدٌ بها غرضاً ولا قبلت منه ثمناً لشيء، ومن هاهنا أنها لو كثرت لكان في كثرتها ضرر؛ ولأنها لا تقتات، وصح أن الفاقة بسبب قلتها. فلو كانت تقتات بنفسها، لكان في قلتها ضررٌ كبير^(٣)، ولما كان ما يقتات ولا يُستغنى منه إذا قل وانقطع هلك الناس وتلفوا جعله الله كثيراً رخيصاً يمكن كل إنسان أن يطلبه^(٤) فمن له قدرة، ومن لم يكن له قدرة على طلبه سهله الله له.

(١) في (ع، ش): والنعمة الآجلة.

(٢) في (ح، ل): بعيدة التناول.

(٣) في (ع): ضررٌ كبير.

(٤) في (ب، ص، ع): يمكن كل إنسان طلبه.

ومما يوضح ما ذكرنا من حزيل النعم والكرم من الله والرحمة : أن كل ما كان لا حياة للناس إلا به أنه كثير ورخيص^(١)، من ذلك : الطعام والماء واللبن والصوف ولوتري، وليس كذلك الذهب والفضة والدّر وما كان من حسه، والمسك والعبر وما كان من جنسهما، والحرير والخمر، فلما كنت هذه الأشياء يوجد من دونهما ما يغني عنها، وكان عدمها لا يؤدي إلى هلاك الحيوان؛ كانت قليلة غالية، وكان في قلتها صلاح الناس. ألا ترى أن من كثرت هذه الأصناف عده، -أو بعضها- ولم يُعقها في سبيل الله أنها تدعوه إلى الأشر والظلم وظلم الناس والبغي في الأرض بغير الحق

ولما كانت حاجة الناس إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الطعام جعل الله الماء كثيراً وأرخص من طعام^(٢)، ولأنهم يحتاجونه للتطهر به والغسل والشرب وسقي الأراضي والبساتين، فمن هاهنا جعله الله أكثر وأرخص، نعمة منه وتفضلاً.

فإن قيل : لم جعل الله الرزق يقل ويكثر ويتيسر -وحيث يتعسر- وجعل أكثر الرزق في الضرب في الأرض والتكسب والطلب، والتجارة والصناعات، والمؤاجرة والحراث، وأصناف الطلب؛ ولم يجعله سهلاً يأكل الإنسان من فوقه ومن تحت رجليه^(٣)، وكان يكون أتم للنعمة؟

(١) في (ب، ع) : كثير ورخيص

(٢) في (ب)، ومن تحت رجليه

قلنا: لو كان ذلك كما تقول^(١) لأدى إلى وجوه من المضار.

منها أنه كان يؤدي إلى حب الدنيا؛ ولأنه من كان في (مثل)^(٢) هذه النعم لم يحب معارضة الدنيا، واصمأن إليها ورضي بها، وقد دم الله من رضي بالحياة الدنيا واطمأن إليها، فقال تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَائِلُونَ ۝ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة النازعات: ١٨٧]، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

ومنها أنهم لو كانوا يأكلون من فوقهم وتحتهم^(٣) لأدى ذلك إلى البطر^(٤) والأشر والعمى، ولتفرغوا بفساد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُذَّسَ اللَّهُ الرَّحْمَ لِيَعْبَادِهِ لَهْفُوا بِمِ الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْبَادُهُ مُخِصِّينَ﴾ [الندى: ٢٧].

ومنها أنه^(٥) لو كانت المعاش كذلك، وكان الإنسان يأكل من حيث نوحه لأدى ذلك إلى البطة والتحم، وكان أسرع لهلاك الناس^(٦).

وقد قال بعض أهل الطب: إن إدخال الطعام على الطعام هو الذي أهلك البرية، وقتل السباع في البرية.

(١) في (ب، ع) كما يقولون وفي (ص، ل) لو كان ذلك كذلك كما تقولون
وفي (م): كما يقول

(٢) ساقط في (أ)

(٣) في (ب، ص) ومن تحت أرجلهم

(٤) في (ض): إلى كثرة البطر

(٥) في (ب، ع): أنها

(٦) في (ب): لهلاك الإنسان

ومنها أنه لو كان الرزق موجوداً بغير سبب لم يكن له في قلوب الناس محبة كمحبتهم لما يكسبون والقليل أيضاً من المال محبوب، وقد أنزل الله على بني إسرائيل من والسلوى فلم يصبروا عليه، وسألوا موسى (عليه السلام) أن يدعو ربهم أن يدلهم به ما هو دونه، فقال تعالى - حاكياً قولهم : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدَ فَإِذْ أَخْرَجْنَاكَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَفُتِنَاهَا وَفُتِنَاهَا وَفُتِنَاهَا فَتَبَيَّنَّا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ١٠١﴾ (الفرقان ١٠١)

ومنها أن اكتساب الرزق في الدنيا دليل على الآخرة، فكما أن الدنيا يحصل الرزق فيها بالاكتساب والطلب، كذلك الآخرة لا تحصل للمكلف إلا بطلب واكتساب، فصح أن ذلك نعمة من الله وحكمة. ومما خول الله الإنسان الأكابر واليوت التي يسكنها ويأمن فيها من الحوف والحر والبرد والمطر

ومما خول (الإنسان) ١٠١. اللباس ليستر به سوءاته، ولينجمل به ١٠٢، والحس لينقي بها من الناس، وقد ذكر الله هذه النعم فقال : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَقْبَارًا وَمِمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ مَا يَرَى الْكَافِرُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ١٠٣﴾ (النحل ١٠٣) ولعلكم تعلمون ١٠٤ فإن تولوا فإنما

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (ص)، ولنحمل به صورته، وفي (ل)، ولنجمل به صورته

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الثَّابِتُ ۝ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا وَأَكْفَرُهُمُ
 الْكَافِرُونَ ﴿السر ٨٠-١٨٢﴾ وقال عز من قائل: ﴿يَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝
 وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
 تُرْجَعُونَ وَحِينَ يُسْرَخُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا نَسِيْقُ
 الْأُحْسَ إِنِّي رَأَيْتُمْ لَوُفَّ رَجِيمٍ ۝ وَالْحَبْلَ وَالْأَبْغَالَ وَالْخَبِيرَ لَعَزَّكَوْهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ
 مَا لَا تَحْصُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَسَدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاهِدٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَاكُمُ اجْتِمَاعُ ۝
 هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرَاتٌ لَكُمْ بِهِ
 الرِّزْقُ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّجِيلُ وَالْأَشْجَابُ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَعْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا فَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ
 حَبْلَ قَلْبٍ وَلَنْبُورًا وَكَرَىٰ الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَتَقْتُلُوا مِنْ فَنَائِهِ وَتَعْمَلُونَ ۝ وَالْقَمَرُ فِي
 الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يَقْبَلَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ
 يَهْتَدُونَ ۝ أَفَمَنْ يَخْلُقُ هَكَذَا لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
 لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿السر ٢-١٨﴾

فأخبر الله بمجمل من جزيل نعمه ثم أخصر أنها لا يُحصى لها عدد.
 وتبيين ذلك^(١)؛ أن كل ما تقلب فيه مكلف^(٢)، وما أعطي من النعم
 التوام، والأيادي الجريئة الحسام، لو أراد أن يعدّ تكرار نعمة واحدة

(١) في (هـ، د)؛ وبين ذلك وفي (م)؛ وبين ذلك

(٢) في (ب، ش)؛ الإنسان

مما أعطي، ما قدر على عذف وهي النفس، وما أحسب أنه يقدر (أن) ^(١) يعد أنفاسه يوماً وليلة، وإذا لم يقدر على ذلك، كيف يقدر على عد أنفاس عمره، وإذا لم يقدر على عد أنفاسه، وهي نعمة واحدة فكيف يعد النعم كلها، قل الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النمل ٥٣]

ومما أنعم الله به على المكلف: الكتاب والرسول، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [النمل ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ رَحْمَةٌ لِلشَّعِيقِينَ﴾ [النمل ٦-٣]



في الكلام في ما فطر الله عليه العبد

اعلم أن الله (قد) ^(٢) فطر الحيوان (كله) ^(٣) على استجلاب المافع العاجلة، والنفار عن امصار العاجلة، وفطر بعض الحيوان على الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم والجماع، وجعل للحيوان آلة يبلغ بها الأشياء رحمة منه ونعمة؛ وجعل ذلك سبباً لحياته وهي أفعال الحيوان وليس لله فيها فعل غير الإلهام، والاستطاعة التي أعطاه على فعل هذه الأشياء، والحاجة الداعية إلى فعل الأشياء إلا النوم

(١) ساقط في (ع، ل، م)

(٢) ساقط في (ح، ل)

(٣) ساقط في (ح، ل)

فإن الحيوان^(١) مضطراً إليه، وليس له فيه إلا التعرض له، وهو عرض ضروري يغشيه الله الحيوان ومما يبين لك أنه ضروري أن الإنسان قد يريد أن ينام ويتعرض لذلك في بعض الأوقات فلا يحصل له النوم، وقد أيضاً^(٢) يغشيه الله النوم ويريد أن لا ينام فلا يتم له ذلك في بعض الأوقات ويغله النوم، فصيح أنه ضروري، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَمْشِيكُمْ النَّاسُ أَتَمَّةً مِنْهُ﴾ [الروم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَافِعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣]، فلو كان اختياراً للعبد لم يكن آية من آيات الله

واعلم أن فيه مافع للعبد، وبعبارة^(٣) من الله سبحانه وتعالى.

منها: الاستراحة والسلوى^(٤)

ومنها: السكون لهضم الطعام

ومنها: أنه يشغل كثير^(٥) من الناس عن المآثم^(٦) والفساد.

ومنها: أنه دليل على الموت، ومثبة به^(٧)، ومذكر بالموت^(٨)، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَاجِبِهَا فَمِيسَكٌ إِلَيْهِ فَتَمِثُّهَا السُّورَةُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

(١) في (ب، ج) فإن الإنسان.

(٢) في (ث): وقد أبصاً يغشيه الله النوم

(٣) في (ص): وبعمة

(٤) في (ص) والسلوى

(٥) في (ش، م، س): يشغل كثيراً

(٦) في (ن، هـ) من المآثم

(٧) في (أ، ب، ث، ج): ومثبة للموت، وفي (ي): ومثبة له

(٨) في (أ): ومذكر للموت، وفي (ص) ومذكر به

باسم أبيه وأمه قبل أن يتلقن مثله^(١)، وكذلك سائر الكلام^(٢)، أعني معرفة أسماء الأشياء، وقول أبي علي من المعتزلة مثل قولنا، وقال أبو هاشم: معرفة الأسماء اصطلاح اصطلاح عليه الباس.

ومما فطره الله عليه الشهوة، والنَّفَر، والكراهة، والفرح، والسرور، والغم، والخوف، والأَمْس، والجوع، والشَّبع، والجهل، والعلم الضروري، والذكر، والنسيان، وهذه كلها موحودة في الإنسان، فطره الله عليها. وكذلك استعجال الخير وأشباه ذلك؛ فهذه كلها نِعَمٌ من الله وإحسان.

ومما يدل على أنها كلها نعم، أن أدونها وأضعفها النسيان، فإن الإنسان لو كان لا يسيى لكان ذلك مؤدياً إلى تعيص النعمة في كل وقت وحين؛ لأنه لو كان يذكر المصائب ولا ينساها، ويذكر الموت ولا يجهل وقت هجومه عليه في كل وقت لما طابت له نعمة، ولا فارقه هم ولا غم، وكان ذلك سيشعله^(٣) عن كثير من الأعمال المباحة والمستحبة^(٤)، ولربما أيضاً دعاه ذلك إلى الحزن المؤدي إلى الموت أو العمى، فقد عمي يعقوب (عليه السلام) من شدة حزنه على ولده يوسف (عليه السلام) قال الله تعالى حاكياً قول يعقوب (عليه السلام): «وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْنَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَيُّهُمُ عَيْنًا مِّنْ لَّحْزَنِ هَؤُلَاءِ كَظِيمٍ» (يوسف: ١٨٤).

(١) في (ص): قبل أن يُلَقَّن مثله

(٢) في (ع): فكذلك الكلام

(٣) في (ل، م): يشعله.

والدليل على أن الله فطر الناس على الجهل ؛ أن الإنسان يولد جاهلاً ، قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَصَدُّ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاهِلٌ﴾ [سورة ٩١] ، أراد : وعلى الله تبين قصد السبيل . وقال تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَلٍ سَأَلَكُمْ أَنْهَى فَلَا تَسْتَعِجِلُونَ﴾ [السجدة ١٢٧] ، أراد : فطر لإنسان على استعجال الخير ؛ لأن العجل فعل المستعجل ، ولم يُرد أنه خلق الإنسان من فعله الذي هو العجل^(١) . وليس قولنا : إن الله تعالى فطره على شيء من فعله ، بمعنى أنه خسر^(٢) ، ولكن المراد به : أن الله جعل له داعياً^(٣) إلى ذلك للنعمة والبلية .

فمنها : الحاجة الداعية إلى فمسل الشيء كالجوع والشهوة وأمثال ذلك .

ومنها : إلهام من الله تعالى كاستحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، وذلك هو أصل الدين الصحيح ، قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ فَلَكُمُ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٣٠] .

(١) في (ث) : والمستحسنة .

(٢) في (ل) : الذي هو العجلة

(٢) في (ث) : أجره

(٣) في (ب ، ت) : جعل له دواعي

فصل

في الكلام في أن ما أمر الله به العبد فهو له نعمة

اعلم أنه لا يُؤمر العبدُ بأمرٍ إلا وله فيه نعمة، عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة.

فمن النعمة العاجلة الأمر بالمباح كقوله تعالى: ﴿حَكِّمُوا مِنْ حَيْثُ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿حَكِّمُوا وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: ١٠٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وكقوله: ﴿إِذَا نُفِيتِ الصَّلَاةَ فَاهْبِثُوا إِلَى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَحْلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠]، وكقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا﴾ [البقرة: ١٢]، فهذه الأمور ليس بمُوجبٍ وإنما هو مُبيح^(١) بالإجماع. وبنعمة عاجل.

والأمر الذي فيه نعمة عاجلة وآجلة، وهو وأحب، فهو أكثر الأمر بالعبادة، وهو معرفة الله تعالى حق معرفته، ومعرفة أصول الدين وفروعه، والطهارة والصلاة، وبر لوالديه، وصلة القرابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، وأمثال ذلك، فإن الأمر بهذه الفرائض نعمة من الله، وللعبد في فعلها نعمة عاجلة ونعمة آجلة. أما النعمة لآجلة في التطهر فثواب الله^(٢)، وأما النعمة^(٣) العاجلة فالتطهر من الحاسات، والتزهد عن المنكرات.

وأما معرفة الله ومعرفة الأصول والفروع، فإن النعمة العاجلة

(١) في (ض): ليس واجبا، وإنما هو مباح

(٢) في (ح): ثواب من الله

(٣) زيادة في (ع، ل، ب)

الشَّرَفَ وَالرَّفْعَةَ الَّتِي جَعَلَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَالِمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ فَانْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ادْشُرُوا فَادْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ تَرَجَّاهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة ١٨]، وَأَمِ النِّعَةُ الْعَاجِلَةُ فِي الطَّهَارَةِ فَإِنَّهُ لَوْلَا التَّطَهُّرُ عَنِ السَّجَاسَاتِ وَالْوَضُوءُ لِلصَّلَوَاتِ لَكَانَ الْإِنْسَانُ أَقْبَحَ شَيْءٍ وَأَقْدَرَهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ هَجَرِ الْمَاءِ^(١) لِسَخَافَتِهِ وَكُسْلِهِ وَسَقَاظَةَ نَفْسِهِ أَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ مِنْ نَظَرِهِ عَلَى ذِنَائِهِ وَسُخَاعَتِهِ وَكُسْلِهِ، وَقَدْ يَتَطَهَّرُ وَيَتَرَهَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِخُشْيِ النَّارِ وَفَحِ الْحَسَةِ لَا لِرَجَاءِ ثَوَابٍ وَفِي التَّطَهُّرِ أَبْصَاحٌ وَحُوءٌ مِنَ الْبَعِ الْعَاجِلِ:

مِنْهَا أَنَّهُ يَمْسَحُ الصَّدْرَ، **(يُزِيلُ الْهَمَّ)**، وَيُطَهِّرُ سَيِّمَاتِ الصَّالِحِينَ، وَالْبَعِ الْعَاجِلُ فِي الْإِعْتِسَالِ مِنَ الْخَنَابَةِ أَنَّهُ يَشُدُّ الْخَسَدَ، وَيُذْهِبُ بِالْكَالِ، وَيُزِيلُ النَّجَسَ وَفِيهِ نَفَاعَةٌ أُخْرَى وَهُوَ^(٢) لَوْلَا خَوْفُ مَشَقَّةِ الْإِعْتِسَالِ وَخَوْفُ مُؤْتِهِ وَكُلْفَتِهِ^(٣) لَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ لَا يَكَادُ يَفْتَرُ مِنَ الْحَمَامِ فِي أَكْثَرِ وَقْتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَصْرُ بِهِ، وَيُضْعَفُ جَسَدُهُ.

وَالنَّفَاعَةُ الْعَاجِلَةُ فِي الصَّلَاةِ. أَنَّهَا عَلَامَةُ الْمُسْلِمِ، وَأَنَّهَا تُنْهِى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُسْكَرِ، أَيِ تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ، وَتُجَنِّهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ^(٤)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [البقرة ١٨٥].

(١) فِي (ط) أَوْ مِنْ يَهْرُ الْمَاءِ

(٢) فِي (ص) ع: وَهِيَ.

(٣) فِي (أ) وَكُلْفُهُ

(٤) فِي (ص): وَتُجَنِّهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ

والزكاة نفعها الآجل للمُعطي، ونفعها العاجل للمستعطي.

والصوم نفعه آجل، وربما كان فيه نفع عاجل، وهو أنه يُذلّ النفس ويُقوّي صاحبها عليها.

والحج نفعه آجل، وربما كان فيه نفع عاجل لمن طلب الإجارة والتجارة مع الحج، مثل أن يحج لغيره بالأجرة إذا كان قد حجّ عن نفسه، ومثل من يبيع ويشترى مع الحج إذا لم يكن البيع والشراء أكثرهما^(١).

وبر الوالدين وصلة القرابة، فالتمع العاجل فيه طاهر للوالدين والأقربين، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «صلة الرّحم تريند في العُمر»

(١)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفعه العاجل عام لجميع الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَابُغٌ وَيَبَغُ وَصَلَوَاتٌ...﴾ الآية [الحج ١٠]، فمن تمام النعمة أن الله أمر بما يستحسنه العقل، وينفع في العاجل. ثم وعد عليه الثواب الآجل، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [آل عمران ١٣]، وقد روي عن كميل بن زياد النخعي، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا سبحان الله ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يأتيه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فوالله لو كنّا لا نرجو جنة ولا ثواب، ولا نخشى ناراً ولا عقاباً لكان

(١) في (ح، م): أكثرهما

ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدلّ على سبيل النجاة)،
فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين، أسمعت هذا من
رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وما هو حبرمه: لما أتني بسايا طي وقعت
حارية حميًا، حواء، لفسًا، لعميًا، غبطاء، شماء الأنف، معتدلة
القامة، دَرَمًا الكعبين، حدلحة لساقين، لفا الفخذين، خميصة
الخصرين، مضمرة الكشحين، فتمّا رأيتها أعجبتُ بها، وقلت:
لاطلبنّ إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها في فيشي، فلما تكلمت نسيتُ
جمالها لما سمعتُ من فصاحتها^(١)، فقالت: يا محمد إن رأيت أن
تحلّي عني ولا تُشمت بي العرب وبني أمة سُراة قومي^(٢)، كان أبي
يفك العاني، ويقوّي الضعيف، ويقرّم الضيف، ويشبع الجائع،
ويصرح عن المكروب، ويطعم الطعام، وينقي السلام، وما ردّ طالب
حاجة قط، أنا أمة حاتم المظالم، فقال النبي ﷺ: «هذه صفات
المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًا لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباهما
كان يُحبّ مكارم الأخلاق، والله سبحانه يُحبّ مكارم الأخلاق».
فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله، الله يُحبّ مكارم الأخلاق؟ فقال:
«نعم، يا أبا بردة، لا يدخل أحدٌ الجنة إلا بحسن الخلق». فصيح أن الله
ما أمر إلا بمكارم الأخلاق^(٣).

(١) في (هـ، ي) إلى فصاحتها

(٢) في (ب، ع): سرّة قومي وفي (ص): سرّي قومي

(٣) في (ل). فصيح أن الله أمر بمكارم الأخلاق

فصل

في الكلام في أن الله نهى عن فعل ما يستقبحه العقل ويضر في الحال والمآل
فكما نهى الله عنه الظلم. والظلم مما يستقبحه العقل ويضر الظالم
والمظلوم في الحال والمآل.

ومما يدل^(١) على أن الظلم قبيح: أنك تستقبح أن يظلمك غيرك
ويصرك ذلك في الحال، فكما أنه قبيح من غيرك كذلك هو قبيح منك
واعلم أن الظلم على وجهين: فظلم يظلم العبد فيه نفسه لا
غيرها. وظلم يظلم فيه نفسه وغيرها^(٢) من المخلوقين.

فأما الظلم الخاص من نفسه^(٣) فهو معصيته لربه، مثل كفر
المجسود، وكسر النعمة، وقلة نصير على البلية، وترك العمل
بالطاعة، وما جرى مجرى ذلك، فهذا ظلم لقوله تعالى: ﴿لِنَّ الشُّرَكَاءِ
ظَلَمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الاحزاب: ١٣]، ولم يظلم به إلا نفسه. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَهْكَم يَظْلِمُونَ﴾ [السجدة: ١١٨]

والظلم الثاني الذي يظلم فيه نفسه وغيره من المخلوقين فهو ما
نقص به غيره من المخلوقين من عرضيه - كالغيبة - أو ماله - كالغصب -
أو دمه - كالقتل والجرح - أو حقه - كترك معاونة من أمر بمعاونته،

(١) في (س، ش): وما يدل

(٢) في (ش): وغيره

(٣) في (ص): فأما الظلم الخاص به وفي نسخة أخرى: فأما العلم لعمه

فهذا الظلم وأمثاله مما يضرُّ به مخلوقاً، فإنه فيه ظالمٌ لنفسه ولمن ضرَّه،
فصح أن الله نهى عما يُستفح ويَصْرُ في الحال والمآل.

ومما نهى الله عنه: الربا، وما يدل على قبحه ومضرته في الحال
أنك تكرهه وتستفحه من حرمتك، ويضرُّك ذلك في الحال، فكذلك
حرمة غيرك.

ومما نهى الله عنه: الخمر والميسر، وما يدل على قبح الخمر وضره
في الحال أن الإنسان يكون عاقلاً ثم يشرب الخمر فيسكر فيصير
سكراناً لا عقل له، ولا يدري ما يفعل به، فهل شيءٌ أضرُّ على
الإنسان وأقبح من أن يُزيل عقل نفسه بعد أن أكمل الله له العقل؟
والميسر أيضاً يشعل عن الطامعات، ويدلحو إلى الصغناء والعداوات،
قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُرَفِّعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيُغْضِبَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]،
فبَرَّ الله تعالى الحكم والعلة، فصح أنه مستقبح صار في الحال والمآل

ومثل ذلك: ما نهى الله عنه من أكل الميتة والدم والخنزير، فثبت
أن الله نهانا عن (فعل) الخبائث، وضح أن الله ما أمرنا إلا بما
يستحسنه العقل، وما نهانا إلا عما يستقبحه العقل، وهذا^(١) من تمام
العمية وكمال الرحمة، فالحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه
طاهرة وباطنة

(١) زيادة في (ض)

(٢) في (ع، ل) نهى

وأيضاً فإنه يمكن أن يكون فيما نهاها عنه أشياء من المضار العاجلة لا نعلمها، ويؤيد ذلك^(١) قول رسول الله ﷺ: «لا يفتسل الجُبُّ حتى يبول، وإلا تردّد فيه بقية النبي، فكان منه داء لا دواء له». وفيما ذكرنا دليل على ما لم نذكر.

ومن تمام النعمة أن الله أمر عباده بما تستحسنه العقول، وينفع في الحال، ثم أثابهم وأعطاهم الأجر الكثير في الآخرة على فعله ونهاهم عما يضرهم في الحال والمآل وتستقبحه العقول، وعاقبهم على فعله في الآخرة.

ومن كمال النعمة أنه ما كلف أحداً فوق طاقته بل أمر المكلفين بالإتيان ورغبتهم فيه، ونهاهم عن الإتيان الذي يضرّ بهم^(٢)، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَهْقُوا لَمْ يُسْتَرْهَوْا وَلَمْ يَنْتَفِعُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَوَاقِمًا﴾ [سورة ١٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُلَاقِكُ اللَّهُ هَاهُنَا إِلَّا وَشَهَا﴾ [سورة ٢٨٦]، وقال: ﴿يَرْبِطُ اللَّهُ بِكُمُ الْبُسْرَ وَلَا يُرِبِّدُ بِكُمُ الْبُسْرَ﴾ [سورة ١٨٥]، فالحمد لله على نعمه عدد نعمه.

(١) في (ع): يؤيد ذلك

(٢) في (ع): الذي يضرهم



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(٧) باب حقيقة معرفة شكر المنعم

اعلم أن العقل الصوري يحكم بوجوب شكر المنعم، وأن شكر المنعم حسن، وأن كفر النعمة قبيح.

وفي الشاهد أن إنساناً لو أنعم على ملحد وأحسن إليه أن الملحد يشكره ويثني عليه، فثبت أن شكر منعم في العقل واجب.

والذي يدل على وجوبه من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَكُمْ تَشْكُرِينَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتَّقِيَ اللَّهَ الَّذِي تَخْتَرِعُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَهُاءَ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتَّقِيَ اللَّهَ الَّذِي تَخْتَرِعُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لَهُاءَ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ رِزْقَكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أودع عُرفاً فليشكره، فإن لم يمكنه فليشره، فإذا نشره فقد شكره، وإذا كتبه فقد كفره».

واعلم أن الكفر هو الححد، وهو على وجهين: فكفر بالله، وكفر بنعمة الله، ومن لم يشكر الله فهو كافر بنعمة الله،

والكافر بنعمة الله فاسق، وهو من أهل النار، وإن الشكر^(١) ضد الكفر، قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْجِي لِعِبَادِهِ الْكَافِرِينَ تَشْكُرُوا يَرْجَى لَكُمْ﴾ [الرعد ٧]، وقال تعالى -حاكياً عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَتْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِيَ الْكُفْرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [السد ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَهَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الرعد ٧٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [الرعد ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا رَبُّنَا يُبَدِّلُ نِعْمَتَنَا لَكُفْرًا لَأَن يَكْفُرْتُمْ بِإِنْعَامِهِ﴾ [النحل ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد ١١١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [الزمر ٨].

في الكلام في حقيقة الشكر

اعلم أن أول ما يجب من شكر النعم أن تعرف النعم، وتعرف النعمة، فإذا عرفت النعم والنعمة وجب عليك أن تعرف ما أمرك به وما نهاك عنه، وتعرف أوليائه فتواليهم، وتعرف أعداءه فتعاديهم، فإذا عرفت هذه الجملة، وعرفت صدق الوعد والوعد، وجب عليك أن تعمل بما أمرك به^(٢) المنعم، وتجتنب ما نهاك عنه^(٣).

(١) في (ص، ش): ولأن الشكر.

(٢) ساقط في (أ، ل، م).

(٣) في (ص) ولتجنب ما نهاك عنه.

واعلم أن شكر المنعم على ثلاثة وجوه: اعتقاداً بالقلب، وقولاً باللسان، وعملً بالنفس والأركان.

فصل

في الكلام فيما يجب أن يعتقد بالقلب من الشكر

أما الشكر بالقلب فهو الاعتقاد والعلم؛ وهو أن تؤمن بالله، وتعرفه حق معرفته، وتفي عنه كل صفة نقص في ذاته وفي أفعاله، وأن تؤمن بملائكته وكتبه ورسله ومن تخلفهم من الأوصياء، والأئمة الأنبياء، واليوم الآخر، والبعث والحساب، والحمة والنار، والتصديق بالوعد والوعيد، وحلود أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وأن الله عدلٌ في جميع أفعاله، وأنه لا يكلف فوق الطاقة، ولا يسلب مكلِّفاً الاستطاعة ثم يعاقبه على ترك ما لا يطيق. وأن يعرف موجبات العلم وموجبات العمل، ويعلم علم الأصول وعلم الفروع.

واعلم أن موجبات العلم هي ما عرفنا الله ورسله، وحكم به العقل من معرفة الله، ومعرفة الأصول التي ذكرنا ومعرفة الفروع أيضاً، ومعرفة طاعة الله، ومعرفة معصية الله، ومعرفة ما كان من قصص الأولين، وما يكون في يوم الدين وأمثال ذلك وموجبات العمل هو الأمر بفعل الطاعات، والنهي عن فعل المحرمات.

والأصول هي التي سميناها في كتابنا هذا وهي ثلاثة عشر باباً وهي: معرفة النظر والاستدلال، ومعرفة الصنع، ومعرفة الصانع،

ومعرفة التوحيد، ومعرفة العدل، ومعرفة النعمة، ومعرفة شكر المعصم، ومعرفة البلاء، ومعرفة الخزاء، ومعرفة الكتب، ومعرفة الرُّسل، ومعرفة الإمامة، ومعرفة الاختلاف.

ولولا معرفة الاختلاف لَمَا عُرِفَت الفرقَةُ النَّاحِيَةُ، ولا تَحَقَّقَ وأَيُّضَ صاحبُ الحقِّ أَنَّهُ مُجَقُّ، فلَمَّا لم تكْمَل معرفة الأصول إلا بِهِ عُلِمَ أَن معرفة الوفاقِ والخلافِ هُوَ أَصْلُ مِنَ الْأَصُولِ وَهُوَ سَبَبُ الْوَلَاءِ وَالرَّاءِ، ولولا ذلك لَمَا عُرِفَ^(١) سُلُوبُ مِنَ الْعَدُوِّ.

واعلم أن هذه الأصول أجمع عليها جميع العلماء الصالحين^(٢) من الملائكة والمرسلين^(٣)، ومن كفة المؤمنين. ولم يُسَخَّ منها شيءٌ ولا يُدَلَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِياً لِلَّهِ خَيْفَا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاقِراً لَأَغْنِيَهُ تَعْتَابُهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ الْعَالِيَهُتِ ۝ ثُمَّ أَوْتَيْنَاهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ اتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَيْفَا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠-١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿نُرِيدُ أَنْ جَعَلْنَاكَ مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُوراً﴾ [سورة هود: ٢]، وقال تعالى عن نوح^(عليه السلام): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ أَهْبَثُوا إِلَيَّ وَالْقَوْمَ وَالْطُّغْيَانِ ۝ يَتَّبِعُ لَكُمْ مِنْ فُتُونِكُمْ...﴾ الآية [سورة هود: ٢-٤]، وقال تعالى: ﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

(١) في (ص). لا عرفت

(٢) في (أ): والصالحين

فِيهِ كُفْرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا قَدْ ظَاهَرَهُ إِلَهِهُ إِلَهُ يُجْعِلُ إِلَهِهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِلَهِهُ
 مَنْ يُدْعَى **«اليسع»** [السورة ١٢] ، وقال تعالى : **«أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
 وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَصْطُهُ وَرُسُلِهِ لَا تَهْدِيكُمْ أَعْيُنٌ مِنْ رُسُلِهِ
 وَقَالُوا مَبِيتًا وَأُطْعِمَا ضُرَاطَةً رِثًا وَالَّتِي الْمُصِيبُ»** [سورة ٢٨٥] ، وقال تعالى : **«وَلَقَدْ
 أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَتَعَذَّبْنَا بِمِيثَاقِهِمْ أَنِّي عَشْرَ نَفْسًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ
 أَقْبَضْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الرِّكَاعَ وَأَمْسَيْتُمْ يُرْسِلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...»** الآية [سورة ١٢] ، وقال تعالى : **«مَا لَقَاكَ إِلَّا مَا
 قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ»** [سورة ١٢] ، وقال تعالى : **«وَكُنْتُ حَكِيمَةً رِثًا صِدْقًا
 وَعَدْلًا لَا تُهْدِلُ لِكَلِمَاتِهِ وَلَهُ السُّبْحُ الْعَلِيمُ»** [سورة ١١٥] ، وقال تعالى : **«سُئِلَ اللَّهُ
 أَلَيْسَ قَدْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ أَفْعَدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَهْلِيلًا»** [سورة ٢٢] ، فصَحَّ مَا قُلْنَا مِنْ
 أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ لَمْ يُخْتَلَفْ فِيهَا **«وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهَا شَيْءٌ»** ، وليس يُقْبَلُ فِي
 هَذِهِ الْأَصُولِ خَيْرُ الْأَحَادِ ، وَلَا قِيَمًا بِقَصَصِهَا ، مِثْلُ مَا رَوَى أَهْلُ
 التَّشْبِيهِ وَأَهْلُ الْقَدَرِ وَالْعَلَاةِ وَغَيْرُهُمْ عَنْ دَسٍّ^(١) فِي الْإِسْلَامِ مَا
 لَيْسَ بِهِ .

ومما يجب^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ فِي الْقَلْبِ : مَوَالَاةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَمَعَادَاةُ أَعْدَاءِ
 اللَّهِ ، وَهُوَ أَنْ يُعْتَقَدَ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَبُغْضُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ : **«أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»** [سورة ٢٩] ، وقال تعالى :
**«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَشْرَى وَعَشْرًا كُفْرًا أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَهُكُمْ
 بِالْمَوَدَّةِ»** [سورة ١٠] ، وقال تعالى : **«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
 مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَكَوْ كُفَرًا أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ**

(١) فِي (ب ، ص ، ع) ، عَنْ دَسٍّ .

(٢) فِي (ص ، ع ، د) : وَمَا يَجِبُ .

صَكَّبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَلْبَسَهُمْ بَرُوحَ مِنِّهِ وَلِيَدْخُلَهُمْ خُتَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

ومما يجب أن يُعتقد بالقلب: النية والإخلاص لله، والذكر لله، والصدق والاستقامة والخشوع لله في جميع العبادات^(١)، قال الله تعالى: ﴿فَأَعِزِّدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الرعد ٣٠: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعَزُّ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الرعد ١١: ١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الرعد ١١: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الرعد ١١: ١٣]، وقال رسول الله ﷺ: «الأعمال بالنيات» وإنما لكل امرئ ما نوى.

وقال الله تعالى في ذكر الخشوع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [الرعد ٢٨: ١]، وروي عن رسول الله ﷺ: أنه نظر رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه». وقال الله تعالى في الصدق والاستقامة: ﴿وَرِجَالٌ سَلُكُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَحْطَى نَجْهَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا كَيْدِيلاً ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّائِقِينَ بِمَبْدِيهِمْ﴾ [الرعد ٢٣: ٢٤]، وقال تعالى في الاستقامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف ١٣: ١٣].

ومن واجبات القلب تعظيم أوصياء الله، وشعائر الله، وحرمات الله؛

(١) في (ص، هـ، د): في جميع العبادات

قال الله تعالى: ﴿وَتَقَاوَنُوا عَلَى الْمَرْءِ وَتَقْوَى﴾ [سورة ٢١]، وقال: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة ١٠]، وقال: ﴿وَمَنْ يُكْظَمْ غُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ دَرَكَةٍ﴾ [سورة ٣٠]، وقال: ﴿وَمَنْ يُكْظَمْ شَهَابُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة ٣٢].

وقال تعالى في الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْعُسْرَاءِ وَبِمَتِّ النَّاسِ﴾ [سورة ١٧٧]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة ٢٠] وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال (منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له).

ويجب بالقلب: اليقين والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هَذَا بِصَابِرٍ لِلنَّاسِ وَلِلْغَنِيِّ وَالْغَنَى يُؤْتُونَ﴾ [سورة ٢٠]، وقال: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَهُمْ مُوقِفَةٌ﴾ [سورة ٢١]، وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [سورة ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [سورة ١٦].

ويجب الذكر والتفكير في صنع الله بالقلب، قال الله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَذْكُرُونَ فِي سُلُوكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَتْ هَذَا بَاطِلًا لِيُحَاطَ بِهِمَا عَذَابٌ لَازِلٌ﴾ [سورة ١٩١].

ومن واجبات القلوب: التوبة، والتقدم، والتواضع، والمحبة والرحمة لأولياء الله، والبعض ولعداوة لأعداء الله، وإنكار المنكر فهذه الأصول والفروع يجب معرفتها بالقلب، ويجب نفي أضدادها عن القلب؛ فصد الإيمان الكفر، وهو ححد أو شرك أو شك، والجهل صد العلم، والشك صد اليقين، والرياء صد الإخلاص، والشكر صد الكفر، قال تعالى: ﴿مَنْ لَكَ لِيُصَلِّتَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَآهُمْ ۝ وَيَتَنَبَّهُونَ السَّاهُونَ﴾ [البقرة: ١٧-١٨] وروي عن أسر أنه قال: الحمد لله كما قال. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقل: (في صلاتهم ساهون) ذكره المؤيد بالله في الزبدة.

واعلم أن الرياء والمهاذبة بطلان الأعمال، وتفسدان الأفعال، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ مَا يُدْعَى رَحُلٌ حَمَّعَ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: عِبْدِي أَلَمْ أَعْلَمْكُمَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ فَيَقُولُ: بلى يا رب. فيقول: ماذا عملتَ فيما علمت؟ فيقول: يا رب كنت أقوم به الليل والنهار. فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذلك، إذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ثم يُدْعَى بِصَاحِبِ الدَّلِ فيقول الله تعالى: عِبْدِي أَلَمْ أُنْعِمْ عَلَيْكَ؟ أَلَمْ أَفْضِلْ عَلَيْكَ؟ أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ماذا عملتَ فيما آتيتك؟ فيقول: يا رب كنت أصل الرحم، وأنصديق، وأفعل؛ فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك، إذهب فليس لك اليوم عندنا

(١) في (ص): أصل به الرحم

شيء. ويدعى بالمقتول فيقول الله تعالى: عدي فيم قُتِلْتَ؟ فيقول: يا رب (قتلت) ' فيك وفي سبيلك فيقول الله له: كذبت بل أردت أن يُقال: فلان حرية فقد قيل ذلك، إذهب فليس لك اليوم عندنا شيء. ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك الثلاثة أول خلق يُسعر بهم في النار.

ومما يجب أن يُنهي من القلب: الكبر والحسد، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (س. ١٠١). وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِظُرٍ مَلُوفٍ أَلْفَاهُمْ لَنْ فِي مَشْجُورِهِمْ إِلَّا هَكِّزَتْ مَا هُمْ بِبَالِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (س. ١٠١)، وكان أول من تكبر وحسد إبليس لعنه الله فقُتِلَ الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ الآية (١١٢). وروي عن عبد الله بن سلام أنه مر في السوق وعلى رأسه حزمة حطب فقبل به، فقال: إني أردت أن أخلع الكبر^(١)، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال^(٢) حبة خردل من كبر».

ومما يجب أن يُنهي من القلب: الصر الكاذب، وتكذيب الصادق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَتَعَنَّ الظُّنَّ إِنَّمَا﴾ (س. ١٢)، وقال: ﴿إِنَّ يَتَبَيَّنُونَ إِلَّا الظُّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَهْوَى وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهَدَى﴾ (النجم ٢٣).

(١) ساقط في (ث)

(٢) في (ب): أدمع الكبر

(٣) زيادة في (ج، د)، وفي (س) مثل حبة خردل

ومما يجب أن يُنفى من القلب: الغفلة عن ذكر الله، وذكر الوعد والوعيد، وذكر الموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ هَانُوا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنعام ١٢].

وفي ذكر الموت ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أذكروا هادمُ اللذات» يعني: الموت.

ومما يجب أن يُبغى من القلب: كراهة الحق وأهله، قال الله تعالى: ﴿كَيِّبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ سُكْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ١٦٦].

فصل

في الكلام في واجبات اللسان

من ذلك الإقرار بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والنعمة، والبلية، والموت، والبعث، والحساب، والثواب، والعقاب، والخلود.

ومما يجب باللسان: التوحيد والعدل.

ومما يجب باللسان: قراءة ما تيسر من القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْعٍ...﴾ [الأنعام ١٢٠].

في الصلاة^(١).

(١) قوله (في الصلاة) يعني أنه يجب قراءه ما تيسر من نقرآن في الصلاة. تحت

ومما يجب باللسان: ردُّ السَّلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيْدٍ فَحَيَّوْا بِمَحْسَنٍ مِّنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (الب، ٨١)، ويجب باللسان الأذان على المنفرد والإقامة.

ومما يجب باللسان: تكبيرة الإحرام، وقراءة^(١) فاتحة الكتاب في ركعة وثلاث آيات معها، وما تيسر من لتسبيح، وقول المأموم: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ - في الصلاة - قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِثَّ تَسْبُحُونَ وَحِثَّ تَسْبُحُونَ ۝ وَلَهُ الْعِزَّةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحَسَبَتْ تَظَاهُرُونَ﴾ (الزمر، ١٨، ١٧)، وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْقَدِيمِ﴾ [البقرة، ١٧٤].

ومما يجب باللسان: التشهد الأخير مُشتملاً على الصلاة على النبيء وآله - صلوات الله عليهم جميعاً - والتسليم.

ومما يجب باللسان: التعلُّم أو التعليم^(٢) وسؤال العلماء، ودراسة كتب الأصول وكتب الشرع

ومما يجب باللسان: أداء الشهادة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (البقرة، ١٩٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [البقرة، ١٩٥]

ومما يجب باللسان: الإصلاَح بين الناس، والأمر بالصدقة والمعروف، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْزِيكَ كَثِيرٌ مِّنْ دَعْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (الب، ١١٤)

(١) في (أ): وقراءته

(٢) زيادة في (ج).

ومما يجب باللسان: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ [٢١٣ سورة آل عمران] وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»

ومما يجب باللسان: الدعاء إلى الله وإلى الحق على ما يستحق الإحابة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة هود ١٠٣].

ومما يجب باللسان: الدفع بما ياتي من أفساد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَاطَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة هود ١٢].

ومما يجب باللسان: الحكيم عن رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة هود ١٧].

ومما يجب باللسان: الحمد لله والشاء عليه، فإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لله رب العالمين قال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [سورة الإسراء ١١١].

ومما يجب باللسان: الإقرار بما يكون " على العبد من الحقوق متى سأله صاحب الحق.

ومما يجب باللسان: تعليم الحاضر - إذا سأل ذلك " ولم يكن يدخل

(١) في (هـ، ي): بما يجب

(٢) في (ص): إذا سأل عن ذلك

على المعلم مشقة كبيرة^(١).

ومما يجب باللسان: مناظرة المخالفين؛ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَمَقَامُ أَحَدِكُمْ فِي الدُّنْيَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَرُدُّ بِهَا بَاطِلًا أَوْ يُحْيِي بِهَا حَقًّا أَفْضَلُ مِنْ هِجْرَةٍ مَعِي».

فهذه واجبات اللسان؛ وما كان من جنسها مما ورد به الكتاب والسنة، وفيهما^(٢) بيان واجبات اللسان، وما يُستحب وما يُكره وما يُحرم.

ومما يحرم النطق به: القول بالجدان، والكفر، والشرك، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الزمر: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَاقُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مُبْتَلٍ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا أَخَرُ إِنَّهُ لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مُبْتَلٍ﴾ [الأنعام: ٥١].

ومما يحرم النطق به: الاستحفاف بحق الله وملائكته، ومثل النطق بالإثم والعداوة، ولعل الناطق بالإثم يكره أن يسمعه الناس، ويُسرّه منهم^(٣) أو من بعضهم استحياء لهم ورهبة منهم، ولا يستحيي من ربه وملائكته، ولا يرهب ربه، فهل يكون إثم مثل هذا؟! وقد قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْظَمُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَعْظَمُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]. وروي عن بعض الصالحين أنه رأى رجلاً يتكلم فيما لا يعنيه فقال: يا هذا إنما تُعلمي على حافظيك كتاباً إلى ربك.

(١) في (ع)، مشقة كثيرة.

(٢) في (ش)؛ وفيها

(٣) في (ع)؛ يكره ويسوء، ويزه منهم، وفي (ش)؛ ويرده منه

ومما يحرم النطق به: الافتراء على الله، والكذب عليه؛ بما يدخل^(١) عليه النقص، في داته أو في أفعاله^(٢) مثل قول المجبرة: إن الله يرى يوم القيامة. وقولهم: له جوارح وأعضاء، وهو في مكان. وقولهم: إنه حرهم^(٣) على أفعدهم، وكلف الكافر بالإيمان وهو لا يستطيعه ثم يُعذبه، فهذا^(٤) أكبر الكذب والفرية على الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سجدة ١٧]، وقال عز من قائل: ﴿أَطْرَفَ صَكِّفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَصَكَّي بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [سجدة ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ لَمْ يَأْتِ الْفِتْنَةُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ هَكَذَا هَكَذَا يُؤَفِّكُ الَّذِينَ مِنْ قُلُوبِهِمْ حَتَّى دَافَقُوا بِأَسَاقِلِهِمْ هَلْ عَنْكُمْ مِنْ عِظَمِ تُخْرِجُهُمْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَهَمُّ إِلَّا تُخْرِصُونَ﴾ [الأنعام ١١٨]

ومما يحرم النطق به: الكذب على رسول الله^(٥)، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»

ومما يحرم النطق به^(٦). الاستحداف بحق الإمام والعالم والمؤمن لما

(١) في (ص): بما يدخل

(٢) في (أ): وفي أفعاله

(٣) في (ث): به أحبرهم

(٤) في (ع) وهذا

(٥) في (ب) على رسول الله

(٦) في (ش): ومما يحرم من النطق

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا يستخفُّ بحقِّهم إلا منافقٌ يُننُّ النفاق: الإمام المُقسطُ^(١)، وذو الشبهة في الإسلام، ومعلم الخبيث». ويحرم الكذب على جميع الناس.

ويحرم من النطق: الحكمُ بغير ما أنزل الله

ومما يحرم النطق به: شهادة الزور، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (النور: ١٧)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ١٣).

ومما يحرم النطق به: محاصمة أهل الحق، والمجادلة بالباطل؛ قال الله تعالى: ﴿وَهَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ دَارٍ﴾ (الحج: ١٩)، وقال تعالى: ﴿مَا يَمْتَدِّجُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِلُ إِلَيْهِمْ فِي الْبِلَادِ﴾ (الرعد: ١٤)، ومن المجادلة في آيات الله قول من يقول: لم ينزل كتاب الله وقول من يقول: ليس يُسمع كتاب الله.

ويحرم على الجنب والنساء والحائض قراءة القرآن.

ومما يحرم النطق به: الغيبة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَنُو إِسْرَءِيلَ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ بَنِيهِمْ مِمَّا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (النحش: ١٢).

ويحرم النطق باليمين الكاذبة، وبالنميمة^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلِعْ عَلَى عَشِيرَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا مِنْكَ خَمْسًا﴾ (النحش: ١١)، وروي عن

(١) في (ص): إمام مقسط

(٢) في (ض): والسبحة.

رسول الله ﷺ أنه قال: «الغيبة ولصمة يُفْطِرَانِ الصائم، وينقضان الوضوء». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة قتات» والقتات النمام.

ومما يحرم النطق به: أذى المسلم، والقذف للمؤمنين والمؤمنات بغير بينة عادلة؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِفِتْنَةٍ مَا احْكَمْتُمْوهَا هَـذَا احْكَمْتُمْوهَا لَقَدْ كُنْتُمْ مِثْلَ مَا﴾ [٧٤: ٥٨].

ومما يحرم النطق به: الهرق، قال الله تعالى حاكياً عن قوم موسى حيث قالوا لموسى: ﴿أَصْحَبْتَ قَوْمًا قَالَ أَغْوَىٰ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [١٦٧: ١٦٧]، فسمى الهرق جهلاً، والجهل يجب الخروج منه.

ومما يحرم النطق به: العباء، وتلهوم والشعر بالأصوات الملهية، وذكر الحب والعجب^(١)، ولأنهم من اللهل^(٢) ومما يفوي هوى النفس فهذه الأشياء، وما كان من حملتها يحرم النطق بها والخوض فيها.

فصل

في الكلام في واجبات السمع

ومما يجب أن يُسمع^(١): كتاب الله قال الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢٠٤: ٢٠٤] وقال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ القرآن فأنصتوا».

ومما يجب استماعه: الأذان والإقامة.

(١) في (ط): والمحبوب.

(٢) في (ل، ه، م): أن يُسمع

ومما يجب أن يُسمع^(١) كلام رسول الله ﷺ، وكلام الأئمة الهادين، وكلام معلّمي الخير. وقد دّم الله تعالى الدين لا يستمعون كتابه، وما جاء به رسول الله ﷺ، قال عمر من قائل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنَى أُولَئِكَ لَمَّا تَوْنٌ مِنْ مَكَانٍ يَمِيدٌ﴾ [سجدة ١١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُقُتًا﴾ [سجدة ٧٢]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة ١١٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَلَمْ نَلْمَسْكُمْ﴾ [سجدة ٢١].

وتأويل قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ روي عن ابن عباس أن (راعنا) عند اليهود كلمة ذم، وهي عهد الحرب بمعنى أنظرنا، ويقول القائل منهم: أرعيني سَمْعَكَ والمعنى اسمع مني. فكانت اليهود يأتون إلى النبي ﷺ فيقولون: راعنا، وأرعنا سَمْعَكَ. وعرضهم السب له لسانهم، فإذا حلا بعضهم إلى بعض قالوا: قد كُنا سباً محمداً سراً، فقد صرنا نسبه علناً فانزل الله هذه الآية، وخاطب بها المؤمنون، لئلا يتشبه بهم اليهود^(٢) إذا قالوا: راعنا.

ومما يجب استماعه على القاضي: قول المدّعي، وقول المدّعى عليه، وقول الشهود، ويجب استماع حكم القاضي على الخصمين.

فهذه الأشياء، وما جانسها يجب استماعها

(١) في (ل، هـ، م): أن يُسمع

(٢) كُنا في الأصل، والصواب أن يقال: لئلا يشبهوا باليهود

ومما يحرم استماعه: اللهو والعناء، وصوت المرمار^(١)، والطنبور،
وجميع الملاحى، واللغو قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ
مُقَرَّبُونَ﴾ [الزمر ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَوْنَ الزُّهْرَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا صَكْرَاتًا﴾ [الزمر ٧٢].

فصل

في الكلام في واحبات البصر

ومما يجب بالنصر: النظر إلى عجب صنع الله، قال الله تعالى:
﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَكُونَتْ لَهُمْ قُرُوبٌ يَعْقُونَ بِهَا أُرَادَانِ يَتَشَوَّعُونَ بِهَا فَلَهَا لَا
تَحْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَحْمَى الْقُرُوبُ الَّتِي فِي الْمَشْهُورِ﴾ [سج ١٦]، وقال تعالى:
﴿أَمَّا لَا تَبْطُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُسِفَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِصَتْ ۝ وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [النساء ١٧-٢٠].

ومما يجب أن يظفره العبد كتب الله، وكتب الأصول، وكتب
الشرع، وما كان يؤدي إلى العلم والعمل، ويدل على الخير،
ويُجنب الشر

ومما يحرم لبصره^(٢): النظر إلى نعورات من الرجال والنساء، وحد
العورة من الرجل من السرة إلى تحت الركبة، وهو مفصل الفخذ من
الساق، لقول رسول الله ﷺ: «كل شيء أسفل من سُرَّتِهِ إلى ركبته
عورة»، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفخذ من العورة».

(١) في (ص): وصوت المرمير.

(٢) زيادة في (أ)

والنساء كلهن عورات، لا يحلُّ نظرهن إلا للزوج والمحرم؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْظُونَ فُرُوجَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْظُونَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور ٣١، ٣٢)، وقال رسول الله ﷺ: «النساء عي وعورات فاستروا عيهن بالسكوت وعوراتهن بالبيوت». فأما الزوج فإنه لا يحرم عليه نظر شيء من امرأته وأما من يحرم بكاحه على المرأة، من نسب أو رضاع، فإنه يحلُّ له أن ينظر إلى ما طهر منها، وهو الوجه، وما طهر من شعر الرأس، واليدان والقدمان، وقد يكون الذراعان مما ظهر^(١)، وكذلك أسفل الساقين، ويحرم ما وراء ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْظُونَ فُرُوجَهُمْ فَلِكُنَّ أَزْوَاجٌ لِهِنَّ إِنِ الشَّيْءُ خَيْرٌ بِمَا يَصْتَفُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْظُونَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا تَعْلَمْنَ إِلَّا مَا طَهَّرَ مِنْهَا وَلَهُنَّ خُصْرُهُنَّ عَلَى حُجُوبِهِنَّ وَلَا تَعْلَمْنَ إِلَّا لُحُوبِهِنَّ أَوْ آبَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَاتَهُنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ بَنَاتُهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ تِلْكَ الْأَشْخَاصُ الَّتِي مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا تَعْلَمْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَى مِنْ بَعْضِهِمْ وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ قِيَمٌ ۝﴾ (النور ٣١، ٣٢).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يريد لمن استثناه
بقوله: ﴿إِلَّا تَتَّبِعُوا﴾ إلى آخر الآية.

وقوله : «وَلْيَخْزَيْنَ فِيْكُمْ» وأوجب التقنع والتستر.
والجيب هو الفقرة من القميص والمدرعة.

(۱) فی (ب، ت، ج): نما يظهر

وقوله: ﴿إِلَّا لِعَوْنِهِنَّ﴾ فاستثنى بعولتهن؛ لأنه لولا الاستثناء هذا لكان من جملة من يحرم عليه نظر ريتهن، ومن حال الاستثناء أنه لولا هو لدخل المستثنى في جملة من لم يُسْتثنَ.

وقوله: ﴿أَوْ دَسَائِهِنَّ﴾ دليل على ما قلنا أنه لولا استثنى نساوتهن لحرم عليهن أن يُبدن زيتهن عليهن.

وقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يُريد من الإماء، دون العبيد الذكور، فإنه يحرم عليهن أن يبدن زيتهن عليهم وإنما استثنى الله النساء والإماء لأنه لولا هذا الاستثناء لحرم عليهن أن يبدن لهن ريتهن. وسائرهن: هن المسلمات، دون المشركات، وعلى هذا لا يجوز أن يُبدن زيتهن للمشركات والذميات؛

وقوله: ﴿أَوْ التَّائِمَاتِ طَهْرُ أُولَى الْإِثْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ والتابعون: هم ذوو الرضاعة: الابن من الرضاعة، والأخ من الرضاعة، وابن الإبن، وابن الأخ، وابن الأخت من الرضاعة، وأشياء ذلك؛ ولأن الرضاع يتبع السبب في التحريم، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام): «أما علمت أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

وقوله: ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِثْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ والإثبة هي الحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عُلْيَ غَيْمِي وَلِيٍّ فِيهَا مَا رَبُّ الْآخَرَى﴾ [طه: ١٨، ١٧] يريد حاجات أخرى^(١)،

(١) في (س)، آخر

والإربة هاهنا هي النظر^(١) للشهوة، دستنى الله من ينظر للشهوة من ذوي الرضاع^(٢)، ولم يستثن ذلك من ذوي النسب؛ لأن الرحم يلزم ما لا يلزم الرضاع، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليست له بمحرم، فإن ثالثهما الشيطان» إلا مع امرأة يحرم عليه نكحها من سبب أو صهر.

وقوله: «أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِلِ النَّسَاءِ» وهم الذين لم يدروا ما يطلب الرجال من النساء صفرهم، وهو يكون من ست سنين^(٣) أو سبع، أو قريباً من ذلك، ولله أعلم.

واعلم أن هذا النهي شاملٌ للساظر والمنظور من الرجال والنساء. ولا يحرم النظر إلى الصبية الصغيرة على هذا القياس إلا أن يكون يؤدي إلى الشهوة. وكذلك النظر إلى ما ظهر من الأمة المملوكة للغير لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم شهوة كشهوة النساء» فمن هاهنا يحرم النظر إلى أمة الغير إذا كان النظر إليها يؤدي إلى الشهوة. فإذا لم يكن يؤدي إلى الشهوة كالزنجية وشبهها فلا يحرم النظر إلى ما ظهر منها.

قال القاسم (رحمته الله): (يجوز أن تُصَيَّ الأمة بغير خمار) فصح أنها كالرجل في العورة، إلا ما ذكرنا مما يدعو إلى الشهوة.

(١) في (ب، ع). هي النظرة

(٢) في (ع): من ذوي الرضاغة

(٣) في (ش) وهو يكون ابن ست سنين وفي (ع) وهو يكون إلى ست سنين

فصل

في الكلام في واجبات اليدين

فإنه يجب أن يستعمل العبدُ يديه^(١) فيما أمر الله به من العمل باليدين؛ من ذلك: الطهارة ووضوءه، والكتابة في التعليم، والحج والجهاد، وأمثال ذلك.

ومما يحرم عليه باليدين^(٢): أخذ مال الغير، وبخس الميراث، وتطيف المكبال. ويحرم لمس ما يحرم نظره باليدين وبجميع الجسد.

ويحرم بسط اليد لقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ هَرَسٍ أَوْ فِسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَلْحَقًا فَكَأَنَّمَا أَلْحَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢٢: ١٧)، وكذلك يحرم بسط اليد إلى الغير للضرر، والجرح، وجميع أنواع الظلم.

فصل

في الكلام في واجبات النفس على الكمال

فإنه يجب على النفس الطهارة، والصلوة، والزكاة، والصوم، والحج، وبرُّ الوالدين، وصلة القرابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله.

(١) في (ص، ش). فإنه يجب على العبد أن يستعمل يديه

(٢) في (ب، ش، ع): ومما يحرم عمله باليدين

ومما يجب بالنفس^(١) : طلب العلم ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلُوا لَهُمْ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَلَذِّثُوا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة ١٢٢] ، وروى عنه عليه السلام ^(٢) أنه قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يخلعوا دياراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر». وروى عن المسيح عليه السلام أنه قال : (من عَلم وعمل بما علم^(٣) دُعي عظيماً في ملكوت السماوات) وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «فصل العلم خير من فصل العبادة وخير دينكم الورع».

ومما يجب على النفس : الورع فإنه رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الورع سيد الأعمال».

ومما يجب على النفس أيضاً : دفع الضرر^(٤) والظلم عن النفس والوالدين والأقربين والصاحب بالجنب والجار.

ومما يحرم فعله على النفس : الطعم ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والزنا ، وشرب الخمر ، وجميع ما يُسكر ويُفتر لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، ولما روي عنه ﷺ : «أنه نهى عن كل مُسكر ومُفتٍ».

(١) في (أ) : ومما يجب على النفس

(٢) في (ع ، ل ، م) : وروى عنه أيضاً

(٣) في (ث) من علم وعمل فيما علم وفي (ع) من علم بما علم

ومما يحرم على النفس فعله . نربأ ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَزَوُّا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّبَا إِنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ فَلَنْ تَحْمِلُوا حَقَّهُمْ بِعَرَبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

ومما يحرم على النفس : الوقوف على الجهل ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سُبْحًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا لَاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠، ١١١].

ومما يحرم على النفس : اتباع لهوى ، فيما لا يحوز ، قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَسَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [الدورات: ٤٠، ٤١].

(١)

ومما يحرم على النفس : ترك الواجبات ، والعمل بالمحرمات .

ومما يحرم على النفس : ترك الصبر ، وترك الحلم .

ويجب كظم العبط ، قال الله تعالى : ﴿وَالْكَاظِمَاتِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومما يحرم على النفس : الرضا بالظلم ، والسكوت لأهل المنكر ، قال الله تعالى : ﴿كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ مِنْ مُنْكَرٍ قَوْلِهِمْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [النساء: ٧٩] ، (وأمثال ذلك) (١).

(١) في (ش، ع، ل) دفع الضرر

(١) ساقط في (س، م)

فصل

في الكلام في حقيقة الشكر

اعلم أنه لما ثبت أن كل نعمة على لعبده فهي من الله لقوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [البقره ١٥٣] ، وقوله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُنْعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [البقره ١٧٩] ، وحسب أن يشكره عبده على كل نعمة أنعمها عليه ، لقوله تعالى : ﴿لَئِنْ شِئْنَا وَنَضَعُوا الْقُرْآنَ أَكْثَرُ أَوْ لَعَلَّكَ كَانَ مِنْهُ مُتَعَفِّلاً﴾ [الاسراء ١٣٩] ، وقال : ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكوير ٨] .

واعلم أن العبد لا يقدر (على^(١)) أن يبلغ عاية شكر الله كما لا يحصى عدّ نعم الله ، ولا ينم ذلك لشكر كائنات من كان ، لقول الله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَلِّهُدُ اللَّهُ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُورِهِمَا مِنْ ذَاتَةٍ﴾ [الاسراء ١٥] ، وقد حكى الله عن الأنبياء (عليهم السلام) التوبة والاستغفار ، فقال تعالى^(٢) - حاكياً عن آدم (عليه السلام) وحواء : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّ لَنَا لَلْغَيْرَ لَنَا وَتَزَحَّفْنَا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقره ٢٢] ، وقال تعالى - حاكياً عن يسوع (عليه السلام) : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ تَخْلُقُ يُؤْمِنُ وَمُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [ابراهيم ٤٢] ، وقال تعالى - حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّيَ لَسَمِيعٌ دُعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَجُلًا يَتَّقُ ۝ وَتَقَرَّرْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [البقره ١٢٩-١٣١] ، وقال تعالى - حاكياً عن موسى (عليه السلام) : ﴿قَالَ رَبِّ

(١) زيادة في (ش . م . م)

(٢) في (أ) . قال تعالى .

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٦﴾ وقال تعالى - حاكياً عن داود (عليه السلام) : ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَهُ وَخُذْ رَاكِبًا وَآدَابًا﴾ (مر ١٢)، وقال تعالى - حاكياً عن سليمان (عليه السلام) : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُنْفِي لَأَخَذَ مِنْ بَقِيَّةِ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾ (مر ١٢)، وقال تعالى لنبيينا (عليهما السلام) : ﴿إِنَّا فَتَنَّا لَكَ فَتَنًا مَبِينًا ۖ لِنَهَرَنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا نَقُصِّرُ عَنْهُ مِنْكَ وَتَجِدُنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الشع ١٢٠)، وليس خطايا الأنبياء جميعاً - صلوات الله عليهم أجمعين - بتعمد منهم لمعصية الله سبحانه، ولكنهم يعفلون ويسهون، ويمترون ويسبون، إلا في تلبيع الرسالة فإنهم معصومون عن النسيان والغفلة، وأشاء ذلك.

وأما فيما يخصهم^(١) في أنهم قلوبهم معصومين بل يسهون، ويسبون ويعفلون، بل إهم معصومون من الكسائر، وليسوا بمعصومين من الصغائر.

والدليل على أن النسيء لا ينسى ما أرسل به قول الله تعالى : ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۖ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (مر ١٢٠)، ومعنى ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) يريد وقت النسيء والموت، وعلى ذلك فطرهم الله. وغيرهم من الناس، قال الله تعالى : ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ حَقِيقًا﴾ (الشع ١٢٨).

فأما الملائكة صلوات الله عليهم فإنهم لا يفترون عن عبادة الله ولا ينسون، وقد حكى الله ذلك عنهم، فقال تعالى : ﴿يَسْجُدُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء ٢٠)، وقال تعالى : ﴿تَكَاذَبَتِ السَّمَاوَاتُ يَنْظُرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ

(١) في (ع، س، ي). وأما ما يخصهم

(٢) في (ث)؛ ومعنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وفي (ص)؛ معنى ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿الأنعام: ١٠٥﴾ ، ولم يذكر عنهم أنهم يستغفرون لأنفسهم ، وذلك أن الله تعالى ^(١) قد خلقهم شديداً أهل قوة ، قال الله تعالى : ﴿عَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقَوَى ۝ فَوَسَّوْا فَاذْهَبُوا ۝ قَالُوا : ﴿عَلَّمَهَا مَلَائِكَةُ هَلْ أَتَى شَيْئاً لَا يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَتَّبِعُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾﴾ (الأنعام: ١٠٥) ، فوصفهم بالقوة والشدة ، وعصمتهم عن الغذاء والنكاح ، وخوف الخلق ، فأمكنهم ما هم عليه من طاعة الله تعالى

واعلم أنه لا يكون العبد شاكراً لربه حتى يكون مستصفاً لحسناته ، مستعظماً لسيئاته ، وذلك لكثرة نعم الله عليه ، وعلمه بسره وجهره وقدرته عليه . وقد روي أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن صفة المحييين للرحمن ، وأمر علياً عليه السلام أن يُحبره ، فقال له علي عليه السلام : (يا بادي خذ مني صفة المحييين ؛ عبد استصفر بذله في الله ، واستعظم دنيه ، ووطن أنه ليس في السماوات ولا في الأرض مأخوذاً غيره ^(٢)) قال : فصعق الأعرابي ، فلما أفاق قال : أخبرنا يا ابن أبي طالب : هل يكون في حالة أحد أعلا من هذا العبد؟ قال : نعم ؛ سبعين درجة .

ومما يدل على صحة ما قلنا ^(٣) : أنك لو عظمت أجنياً ^(٤) لا نعمة له عليك ؛ أنه يستكثر منك النعمة ويستعظمها ، ويكون ذلك منك إليه

(١) في (ش. ي) وذلك لأن الله تعالى

(٢) في (ي) : مأخوذاً غيره

(٣) في (ش) : ما قلناه

(٤) في (ص، م، د) : لو أطعمت أجياً .

عظيماً، وأنت إذا عظمت^(١) وأنديك، أو عظم العبد سيده أن ذلك يصغر عند الوالدين ويقل من حقهما، وذلك لكثرة نعمتهما عليك، وإحسانهما إليك، وكذلك السيد يستصغر تعظيم عبده له، فإذا كان هذا معقولاً في الآدميين وجب على العبد أن يستصغر شكره لرب العالمين المعصم المتعصل ويستعظم ذنبه، ويخاف ربه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ نَجْتٍ ۖ رَجَعُوا إِلَىٰ عَذَابٍ رَّهْمَ ظُهُورِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ مُّشْتَقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَتْلُونَ﴾ [المعارج: ٢٧، ٢٨].

ومما يكثر المعصية ويُعظمها أن العاصي لا يعصي إلا وهو في نعم الله^(٢)، ألا ترى أنه لو مدَّ ربه يده إلى عمرو ليعطيه عطية حزيلة يحتاج إليها ولا يستعني بها؟ فمدَّ عمر^(ع) يده ليلطم زيدا ألا ترى أن دونه كان عظيماً، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم ما تصفني أُنَجِّبُ إِلَيْكَ بالنعم، وتعمقت إلي بالمعاصي، وخيري إليك ينزل، وشركي إلي صاعد، ولا يزال ملكك كريماً يأتيك عنك في كل يوم بعمل قبيح، يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقتله». وروي عن بعض الصالحين أنه سئل عن الشكر فقال: ألا تستعين بنعمة من نعم الله على معصية من معاصي الله.

(١) في (س، ص): لو عظمت

(٢) في (ع): نعم الله

فصل

فى الكلام فى الهجرة

واعلم أن من شكر المنعم الهجرة من أعدائه إلى أوليائه. فإن كان فى الزمان إمام حق فالهجرة إليه، وإن لم يكن فى الزمان -الذي يكون فيه المؤمن- إمام حق وحب عليه أن يهاجر من الظلمة والفسقة إلى حيث غلب فى طئه^(١) أنه ينجو فيه مما فر منه -إن أمكنه ذلك- وإن لم يمكنه فلا إثم عليه، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا الَّذِينَ تَوَلَّيْتُمُ اللَّاهِكَةُ ظَآلِمِي أَهْلِهِمْ قَالُوا بِهِمْ كُفُّهُمْ قَالُوا هَكَأُ مَسْتَعْظِمَتْ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضِلُّونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْمَعُونَ حِينَئِذٍ وَلَا يَعْقِلُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ۝ وَمَنْ يَهَاجِرْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [البقرة: ١٧٧-١٨٠]، وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَبْقِعُ فَلِئَلَّا يَكُنَّ مِنَ الْفَاعِلِينَ أَوْ أَهْلِي يَتَحَكَّمُونَ مِنْ بَقِصَ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَكُفِّرُوا مِنْ بَنَارِهِمْ وَأَرَادُوا فِي سَبِيلِي وَقَالُوا وَكُفِّرُوا لَا تَكُنْ عَنْهُمْ سَبِيلًا وَلَا تَكُنْ عَنْهُمْ جَاءَتْ نَجْرِي مِنْ نَحْيِ الْأَهْأَارِ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الثَّوَابِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَنَّ رُكْلًا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَقِصَ مَا هُيَا ثُمَّ جَآهَرُوا وَمَسَرُّوا لِيَنَّ رُكْلًا مِنْ بَقِصَا لَخُورًا رَحِيمًا﴾ [النمل: ١١٠].

واعلم أن الهجرة هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم، وقد

(١) ي (ص): يعلب على طه

حكى الله ذلك عنهم فقال - حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئِينَ» [الصافات ١٢٩] ، وقال تعالى : «وَمَا مَن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [سكرو ٢٦] ، وقال تعالى - حاكياً عن موسى (عليه السلام) : «قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَيْتُ عَلَى ظَنٍّ أَنَكُونَ لَّهِيبًا لِلْمُنْجِرِينَ» [الشعرا ١٧] ، وقيل لبيثته (عليه السلام) : «فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَتَتْ بِمَلُومٍ» [الشعرا ٥٤] ، وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : «خمس لا يُعَدُّ بِجَهْلِهِنَّ أَحَدٌ : معرفة الله سبحانه لا يُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ»^(١) - ومن شبه الله بشيء أو رعم أن الله يُشبه شيئاً فهو من المشركين - والحب في الله ، والبغض في الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الظلمة» . وكذلك فعل الأئمة الهاديون (عليهم السلام) : هاجر أمير المؤمنين (عليه السلام) من المدينة إلى الكوفة وهاجر القاسم (عليه السلام) إلى جبال الرّس. وهاجر الهادي إلى الحق (عليه السلام) إلى العيل من صعدة ، وغيرهم من الأئمة (عليهم السلام) .

فصل

في الكلام في التجارة

واعلم أنه يجب على المؤمن أن يطر فيما يصلح دينه ودنياه ويزيد في علمه وبقينه^(٢) فما حقّ عبده أو علب على طه^(٣) أنه أسلم لدينه فعل ما يمكنه فعله في الحال ، ويُقدِّم^(٤) لما يصلحه في المال ،

(١) في (ش) : لا يُشبهه بشيء .

(٢) في (أ، م) : عمله وبقيه .

(٣) في (ص) : أو غلب في طه .

(٤) في (ج) : أو يقدم . وفي (س) : وتقدم . وفي (ط) : ويُقدِّم .

كما أن التاجر ينظر فيما يبيع ويشترى فما علم أنه يربح فيه - أو غلب في ظنه - شراه وكسسه ، وما كان يعلم - أو يغلب على ظنه - أنه يخسر فيه لم يشتره ، ويتجنبه ؛ وكذلك^(١) يجب على المؤمن أن ينظر في دينه ، فما كان يزيد في حسناته فعله وتقدم إليه^(٢) ، وما كان ينقص حسناته^(٣) ويريد سيئاته تجنبه ؛ ولأن الدين تجارة قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَلِيتُمْ عَلَىٰ تِجَارَةِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تَزُومُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ فَلَكُمْ خِزْيٌ لَكُمْ لَنْ تَكُونُوا تَقْلُومُونَ﴾ [المع ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورى ٢٠] .

وقد دلنا الله تعالى على التجارة ، وصمنا لنا الربح ؛ وأخبرنا بما يريد في العمل ويوجب الربح وأخبرنا بما يفسد عملنا ويبطل فعلنا وأخبرنا باحتهاد الصالحين قبلنا في التجارة الربحية^(٤) وأخبرنا بمن فسد عليه عمله فقال تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَكْتَسِبُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَبْلُغَهَا﴾ [المع ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿لَنْ تَقْرَئُوا اللَّهَ فَرَسًا حَسَنًا فَضَاعِلًا لَكُمْ﴾ [المع ١١٧] ، وقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَمضاعِلُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [المع ١١١] ، وقال تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمِنُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمِنُوا لَكُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [المع ١٧] ، وقال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُورَةٍ بِأَيَّةٍ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِلُ إِمَّا يَنْشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المع ٢٦١] ،

(١) في (ش) ، كذلك

(٢) في (ط ، ي) ، وتقدم له ، وفي (ت) : ويقدم له

(٣) في (ع) ، من حسناته ، وفي (م) : في حسناته

(٤) في (ل) : الراجعة

فأعطى الله عباده الثواب الجزيل ، واستقرضهم بما أعطاهم القليل ثم ذخره لهم إلى وقت حاجتهم إليه ، وكثره لهم وزاد عليه .

ثم أخبرنا بما يُطل الصدقات فقال عز من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَنَىٰ كَأَلْيٰى يَغِيٓقُ مَالَهُ يَبَاءُ النَّاسُ﴾ [البقرة : ٢٦٤] ، وقال تعالى : ﴿أَيُّوۡدُ أَخَذَكُمۡ أُنۡ تَكُوۡنَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنۡ جَبَلٍ وَأَشَاجِدٍ تَجْرِي مِنۡ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنۡ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِهْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ٢٦٦] فمثل الله تعالى من يكون له عملٌ صالح يستحق به الجنة ، فيطله ، بمن يكون له في الدنيا حنة من غيل عني ما وصف ، فتصيبها ريحٌ فيها نارٌ فتحرقها فاحترقت وقوله تعالى ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ يُريد أنه يكون يوم القيامة كمن أصابه الكبر في الدنيا لا يمكنه أن يستعيص جنة أخرى . وقوله : ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ يقول : إنه محتاج إليها كما يحتاج الشيخ الكبير الذي له ذرية ضعفاء إلى من يقوم به وبذريته .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفُضُوا أَسْوَآلَكُمۡ فَوْقَ مَوْتِ النَّسِ وَلَا تَقْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَقَهَرٍ بِتَعْبِكُمْ لِيَسْعَىٰ أَنْ تَقْطَعَ أَرْغَامَكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة ١٢] وقال تعالى : ﴿فَلْيَكۡفُ بِأَنفُسِكُمۡ أَنۡ تَقْطَعَ أَرْغَامَكُمۡ وَمَا تَكُونُونَ بِمُتَوَاضِعِينَ فَتَقْطَعُ أَرْغَامَهُمۡ﴾ [سورة ١٢٨] وقال تعالى : ﴿فَلَنۡ هَلۡ تَجْعَلُنَّ لِأَخْسَرِينَ أَمْثَلًا ۖ الَّذِينَ ضَلُّوا سَبِيلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَهُمۡ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمۡ مُّخْسِنُونَ صُنًّٰٓا﴾ [البقرة : ١٠٣، ١٠٤] . ثم أخبرنا بصفة الصالحين فقال تعالى : ﴿الْعَاقِبُونَ الْعَابِدُونَ الْعَامِسُونَ السَّابِقُونَ السَّاهِبُونَ الرَّٰكِبُونَ السَّاجِدُونَ الْاٰمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ

عَنِ الْمُتَكَبِّرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُثُودِ اللَّهِ وَتَشْرِعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾، وقال تعالى :
﴿وَأَمِنْ خَوْفَاتِ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَعْرِى
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ إِنَّا تَعَذَّبْنَا أَكْثَرَ الْأَنْبَاءِ﴾ [الزمر ١٩]

وقد مثل رسول الله ﷺ الصلاة بالتجارة ؛ فكذلك^(١) سائر أعمال
البر ؛ فإنه روي عنه ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) : «يا عليُّ مثلُ
الذي لا يُتِمُّ صلاته كَحُلِيِّ حِلْتِ ، فلما دنى بفاسها أسقطت ، فلا
هي ذات حملٍ ، ولا ذات ولدٍ ، ومثل المصلِّي مثل التاجر لا يخلصُ
ربحُه حتى يأخذ رأس ماله ، كذلك المصلِّي لا تقبل له نافلة حتى
يؤدي الفريضة» فصح أن الدين تجارة.

ومما يدل على وحب تدبر العاقبة فيما يستقبل فعله العبد : ما
روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام) : «عليك باليأس مما في
أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر» ، فقلت : زدني يا رسول الله صلى الله
عليك ، فقال : «يا عليُّ إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر» فقلت : زدني
يا رسول الله صلى الله عليك ، فقال : «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ،
فإن يك خيراً فاتبعه وإن يك غيياً فدعه» ، ثم قال : «يا عليُّ إن من
اليقين أن لا ترصي أحداً بسخط الله ، ولا تحسد أحداً على ما آتاه
الله^(٢) ، ولا تدم أحداً على ما لم يؤنك الله فإن الرزق لا يجره حرص
حريصٍ ، ولا يصرفه كراهة كارهٍ ، إن الله^(٣) يحكمه وفضله جعل
الروح والفرح في الرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

(١) في (ل) وكذلك

(٢) في (ب ، ت ، ع) : ولا تحسد أحداً على ما آتاك الله وهو خطأ

(٣) في (ج ، ع ، ل) : فإن الله.

واعلم أنه يحب على تاجر الآخرة أن يكون على تجارته أشد حرصاً واجتهاداً من تاجر الدنياء على تجارته ؛ لأن تجار الدنيا يجتهدون في تجارتهم^(١)، وينفقون فيها نفوسهم وأموالهم، ويسهرون الليل، ويخدمون، ويحوعون ويعطشون، ويحافون ويعرون، ويصبرون على ما قابلهم من الشرور والمحن.

ورأيانهم يفعلون أفكارهم فيما يصلح تجارتهم، ويتدبرون عاقبة تجارتهم فإن علموا فيها ربحاً تقدموا فيها، وإن علموا فيها خسراناً توقفوا. وإذا اتسع رجل منهم شيئاً بدينار اجتهد في أخذ الجيد، واستشار فيه من يعرفه، واستنقذه ولم يرض بنقار واحنة.

فإذا كان هذا فعال تاجر الدنياء تهاجر الآخرة أحق بالحرص والاحتياط وإعمال الفكر في سلامة رأس المال وحصول الربح وكذلك يجب أن يكون اجتهداه في انتقاد دينه^(٢) ومعرفة من يأخذه عنه أشد من اجتهد تاجر الدنيا في استنقاد دينه، وقد روي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

واعلم أن تاجر الدنيا يستكثر من التجارة التي يعلم أن له فيها ربحاً حتى أنه لا يقنع بتجارته بنفسه حتى يستعين غيره بتجر له، ويستأجر آخرين، ويشارك آخرين، حتى يجتمع له الربح من مواضع كثيرة، فكذلك يجب^(٣) على تاجر الآخرة أن يستكثر من الأرباح،

(١) في (س، د) يجتهدون أنفسهم في تجارتهم

(٢) في (ي) في انتقاد دينه وي (ط) : في انتقاد دينه

(٣) في (ت)، كذلك يجب.

ولا يقنع بالشيء منها بل يطلب المزيد عليه، كما فعل رجال من عباد الله الصالحين، منهم الهادي (عليه السلام) لم يقنع بكثرة جهاده وهداه للناس إلى الحق، واحتجاده، وصلواته^(١) وقيامه، وصدقائه وحجه وصيامه، ودعائه إلى رب العالمين، وإعزازه للمؤمنين، وإرعامه للفاستقين، ومباينته للظالمين، فلم يقنع بما فعل من البر في حياته حتى راد أوصى أن يتصدق عنه^(٢) بعد وفاته؛ فإنه سأل بنيه وبني عمومته والصالحين من شيعته وأهل مودته أن يتصدقوا عنه بعد مماته، ولا يستقل المتصدق عنه شيئاً من حسناته، فعليه من الله أفضل سلامه وتحياته.

واعلم أن خير التجارة العلم والورع لقول رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العباد» وخير ديسكم الورع».

واعلم أن أشرف التجارة أكثرها تعباً مع الإحلاص لله لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أشرف لإيمان أن يأمّنك الناس، وأشرف الإسلام أن تُسلم الناس من يدك ولسانك، وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات، وأشرف الجهاد أن تقتل وتُغفر فرسك في سبيل الله».

(١) في (ج). وصلاته

(٢) في (س): أن يتصدقوا عنه.

لصل

في الكلام في التوبة

فإن التوبة من واجبات الشكر على (العبد) المذنب. والتوبة هي
الدم من فعل المعاصي، والمباينة للمعاصي، والإقلاع عنها، ورد
المظالم إلى أهلها.

والتوبة على وجهين: توبة من كسر وتوبة من فسق

فالتائب من الكفر لا يجب عليه قضاء فرض، ولا رد مظلمة، لقول
الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ تَتُوبُوا يُحْسِنْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [البقرة: ٣٨]،
ولقول رسول الله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله».

وأما التائب من الفسق فإنه يقضي ما ترك من المروض، كالصلاة،
والزكاة، والصوم، وكفارة الأيمان، والدور، وذلك لقول
رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة أو صام عنها فليقضها إذا ذكرها»
وكذلك الزكاة، والصوم، وكفارة الأيمان، والنذور. فأما سائر حقوق
الله فلا يجب على من صيغها قضاؤها إذا تاب، لقول الله تعالى:
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الدُّخُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُ
النُّبُوَّةَ عَن عِبَادِهِ وَيَقُولُونَ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ﴾ [النورى: ٢٥]، ولقوله تعالى:
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ولقوله تعالى:
﴿وَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَمْسَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٣٩].

(١) سقط في (ص)

وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه) غُفرت له دنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر ورمل عالج».

قال السيد أبو طالب: والمراد بقوله ويضم إليه عقد القلب في الندم على ما كان منه، والعزم على ترك أمثاله^(١). وأما^(٢) حقوق الأدميين فإنه يجب عليه الخروج (إليهم)^(٣) منها، فإن كان الحق في دم أقاد نفسه للقصاص، وإن كان في مال قضاء من ماله، وإن كان في عرص سأله الحل إذا اغتابه وبلغته نعيه، وإن لم تبلغه^(٤) لم يعلمه وتاب إلى الله تعالى؛ ولأنه إذا أعلمه^(٥) بشيء لم يعلمه من قبل أدخل عليه الغم.

والغية هي أن يتكلم على المؤمن في غيبته بما لا يتكلم في حصرته؛ يريد بذلك نقصه وإظهار عيبه، وهو^(٦) أن يذكر منه ذنب فعله^(٧) ويمكن أن يكون قد تاب منه فُسِمه باسم قد خرج منه،

(١) زيادة في (ط)

(٢) قوله: (قال السيد أبو طالب (عليه السلام) مراد بقوله) يعني يقول هذا الاستغفار، الذي هو: (استغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه) ويضم إلى هذا الاستغفار عقد القلب في الندم على ما كان منه، والعزم على ترك أمثاله ثم

(٣) في (ج، س، م) وأما

(٤) صاقت في (ج، س، م)

(٥) في (ط): وإن لم يكن بلغته وفي (ع) وإن لم يكن بلغه وفي (س) وإن لم تكن بلغته وفي (م) وإن لم يكن بلغه

(٦) في (أ): إذا أعلمه

(٧) في (ب، ع): وهي

(٨) في (ص، ش): ذنب فعل فعلته وفي (ج) - دبا فعله.

وقد قال تعالى: ﴿بِمَنْ أَلِئْتُمْ النَّفْسَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المعارج ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور ١١٩]، وإما أن يتكلم في المؤمن بما لم يعمل فذلك أكرم من الغيبة، وهو بُهتانٌ وافتراء وإثمٌ عظيم لقول الله تعالى: ﴿وَكَبُرَتْهُ هُنَا وَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور ١٢٥].

وأما الفاسقُ المصيرُ على فسقه ولا إثم في غيبته.

ويجب على القاذف إذا قذف مؤمناً ولم يأت بأربعة شهداء التوبة وتسليم نفسه إلى الإمام ليأخذ منه حد القذف للمقدوف أو لورثته، إلا أن يعمو عنه المقدوف أو ورثته قبل المطالبة^(١) إلى الإمام، وإن لم^(٢) يكن إماماً سأل المقدوف المحل، وعلى من طُلب منه الحل في هذا أو في الغيبة^(٣) أن يحل ويعفو، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفصل الفصائل أن تعطي من حرمك، وتصيح عن شتمك، وتصل من قطعك».

وحقيقة التوبة الندم عن^(٤) فعل الذنب كائناً ما كان -ترك فريضة، أو عمل معصية- فهذا يجب الندم^(٥) من فعل المعاصي،

(١) في (ت) قبل المراجعة. وفي (ج): قبل المراجعة

(٢) في (س، ش): فإن لم

(٣) في (ل): وفي العدة

(٤) في (ص، ع): على

(٥) في (س، م): فهذا يوجب الندم

وترك الواجبات، والعزم على أن لا يفعل معصية، ولا يترك واجباً، والخروج عن المظالم^(١).

ومن الندم أن لا يتوب من ذنب ويرتكب ذنباً مثله ؛ وهذا مروى عن القاسم بن إبراهيم (عليه السلام)، وهو قول جميع الريدية، وبه قال أبو هاشم وأكثر المعتزلة وقال أبو علي وأبو القاسم البلخي : (تصح توبته من ذنبه، وإن كان مُصرّاً على غيره^(٢)) وهذا لا أصل له ؛ لأن من اعتذر إلى زيد في قتل ولده، وهو مع ذلك غير مقلع عن طلعه لا يكون معذوراً^(٣) في قتله، وكذلك من امتنع من شرب الخمر لحموصته فأكل أحماض الأثريج^(٤) لا يكون مُمتنعاً من الحامض فصيح أنه لا يكون تائماً ما دام مُصرّاً على معصية^(٥). والصفائر مع الإصرار تكون كبائر (وهو قول الناصر (عليه السلام))^(٦)

(١) في (ص، ل، م). من المظالم

(٢) في (ط، ل) : على ذنب غيره.

(٣) في (ج، ه، ل) لا يكون معذوراً

(٤) في (ب) : حماض الأثريج. وفي (ع) حامض الأثريج

(٥) في (ش) : على معصيته.

(٦) ساقط في (ص)



ومن التمهيد ما ذكر الله تعالى من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والأمراض ؛ ونقصان الأنفس مثل الموت ونقصان الخلق وقد يتلى الله عبده بالفقر لينظر صبره ، قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَرَّبَ ظَهْرَهُ بِرَبِّهِ يَقُولُ أَنَا مِنَ الْهَاسِرِينَ﴾ (همز ١٦) ، وقد روي أن في التوراة : (يا موسى :ي لم أفقر الفقير بدنس^(١)) قدمه إلي ولم أغر الغني بصنعة قدمها إلي ، وإنما أفقرت الفقير لأنظر صبره ، وأغريت الغني لأنظر شكره ، ي موسى فلا الفقير صر ولا الغني شكر). وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله مه كان كماراة لما مضى من ذنوبه ، وموعظة له فيما ستقل^(٢)» ، وإن الماسق إذا مرض ثم عوفي مه كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ، فلم يدري لم عقلوه؟ ولم أرسلوه؟ فقال رحل : يا رسول الله ، وما الأسقام والله ما مرصت قطع فقال ﷺ : قم عا فليست ميا. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام) : «يا علي عم العيال^(٣) مبتز من الدار ، وطعه الخالق أمان من العذاب ، والصبر على الفاقة جهاد ، وأفضل من عبادة ستين سنة»

وعن علي (عليه السلام) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله عز وجل : أيما عبد من عبادي ابتليته بلاء على فراشه فلم يشك على (أحد)^(٤) من عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ،

(١) في (ث) لبس.

(٢) في (س) لما يستقبل.

(٣) في (ج ، هـ ، د) : هم العيال.

(٤) ساقط في (أ).

فإن قبضته قبالي رحمتي، وإن عافيته فليس له ذنب. قيل: يا رسول الله وكيف ينبت له لحم غير لحمه، ودم غير دمه؟ قال: لحم لم يذنب.

وعن أم العلى قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: «أبشري يا أم العلى فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياہ لوسيثاته»^(١) كما تذهب النار خث الذهب والفضة. وعن النبي ﷺ أنه قال: «عظم الجزاء على عظم البلاء»^(٢)، فإن الله^(٣) إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط. وقال القاسم بن إبراهيم (عليه السلام) في المكنون: ولربما آذ الله عبده بالمقر، وابتلاه بالعسر اختاراً له ليجعل له في عاقبة ذلك خيراً

واعلم أنه لولا البلاء لما لحرف الباء وأولما عرف^(٤) المطيع من العاصي، ولما عرفت النعمة، ولإن العبد (عليه السلام) ضر دعا ربه أميناً إليه^(٥) وتضرع إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ مَنَّ دَعَا رَبَّهُ تَبَتُّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ حَمَّةً بَءَ صَيَّ مَا كَانَ يَدَّعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَتَدَاكَ يَحْمِلُ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُرْكِ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [المر ٨]. وأيضاً إنه لولا البلاء لما عرف فصل النعمة، وفي الشاهد أن المعافي لا يعرف فضل العافية حتى يُبتلى، فإذا أصابه ألم وضر ومرص تمنى العافية،

(١) زيادة في (ج، ل)

(٢) في (س): مع عظم البلاء

(٣) في (س، هـ، ي) وإن الله

(٤) في (ع): ولا عرف

(٥) زيادة في (ص).

وعرف فضلها وقدرها وكذلك من أضرَّ به الجوعُ والظمأُ إذا وجد الطعام والماء عرف فضل السعة بعد البلية.

وفي البلية منافع أخرى^(١)، منها أنها تُذكر العبد عذاب الآخرة وألمها، ولولا البلاء^(٢) في الدنيا ما صدَّق العبد بوعيد الله في الآخرة.

ومنها أن البلاء يمنع العبد عن كثير من المعاصي، ويرغبه في الطاعة، ويرهده في الدنيا ولما كان في الشاهد أن الأطاء والحكماء من الناس يداوون الأعيلاء بدواءٍ مؤلم لهم في الحال، نافع لهم في المآل، كالعصد، والكبي، وشرب العقاقير، وأمثال ذلك، حكم العقل الضروري أن البلاء من الله حميم، وأنه نافع للمتلى قال الله تعالى: ﴿وَيُلَوِّدُهُمْ بِالْخَسَافَةِ وَالْغَمَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الصافات: ١٦٨]، يريد أنه يلاهم بالخير ليذكروا، ويلاهم بالشر ليحذروا. والشكر والحمد رجوعٌ إلى الله تعالى

واعلم أن الله تعالى قد ابتلى عبده بالخير ليظهر شكره، وابتلاه بالشر لينظر صبره، ولولا البلاء لما عُرف^(٣) المطيعُ من العاصي.

(١) في (ج، ص، م): منافع أخرى

(٢) في (ص): ولولا البلية

(٣) في (ب، ج، ش): ما عُرف

فصل

في الكلام في امتزاج النعمة والمعنة

اعلم أنه لا يوجد نعمة في الدنيا إلا وبجنبها محنة، فمن ذلك زوال النعمة فإنه محنة، ومنه ما جعل الله للعبد من الاستطاعة فإنه جعله مستطيعاً للإيمان ومستطيعاً للكفر، ومستطيعاً للطاعة ومستطيعاً للمعصية.

ومن البلية أنه عجل الدنيا العانية، وآخر الآخرة الباقية وجعلها معيبة خافية، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ السَّاعَةِ آيَةٌ أَكْوَافُ يُخْشَوْنَ كَلِّ هَاسٍ بَمَاقِصَتَيْنِ﴾ (١٠)، يريد أنه لم يجعلها مشاهدة في الدنيا ولم يُبَيِّنْهَا، وأخبر عنها ومعنى إخفاء الله لها أنه أخفى عينها ووقتها، ولم يُخَفِّ خبرها.

ومن البلية أن الباطل قد يُشبه الحق في بعض المواضع، ولا يعصل بينهما إلا ذو العلم والحجاء، وذلك في مثل مسائل الاحتهاد؛ مثال ذلك الجمع بين الأختين في ملك ليمير، وقد سُئِلَ عن ذلك أمير المؤمنين فقال: أحلتها آية وحرمتها آية، فغلب الحظر على الإباحة فحرمتها.

وقال (عليه السلام) في حطة له: (ألا إن الحق لو خُلِّصَ لم يخف على ذي حجة^(١)، وإن الباطل لو خُلِّصَ لم يخف على ذي حجة، ولكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيمتزجان معاً، فحينئذ يستولى الشيطان على حزبه، وبجا حزب الله الذين سبقت لهم

(١) أي عقل قمت

من الله الحسنى. ألا إن الباطل خيل شمس ركبها أهلها فأرسلوا لها
أزمتها فسارت حتى انتهت بهم إلى نار وقودها الناس والحجارة.
ألا وإن الحق مطايا ذلل ركبها أهلها وأعطوا أزمتها فسارت بهم الهوينا
حتى انتهت بهم طلاً ظليلاً. فعليكم بالحق فاسلكوا سبله واعملوا به
تكونوا من أهله)

واعلم أن امتزاج الحق بالباطل ؛ مثل فعال المنافقين ، فإنهم أقرؤا
بالإيمان واعتقدوا الكفر فأجراهم الله ورسوله مجرى المسلمين ، ولم
يُدهم بأعيابهم - للبلية - فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ
السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ النَّهْإِ الثَّوَالِغِ﴾ [سورة النحل : ١٠٤] . وروي عن
رسول الله ﷺ أنه قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : (لا إله
إلا الله محمد رسول الله) ، فإذا قالوها أحبوا عني»^(١) دماءهم وأموالهم ،
فلما قبل منهم الظاهر ، لم يكلف الله السيء ﷺ معرفة باطنهم ، ولا
كلف المؤمنين ذلك. فمن هاهنا امتزج الحق بالباطل^(٢) ، فصار المنافقون
يروون عن رسول الله ﷺ شيئا لم يقله ، فيصدقوا لتعطيتهم بالإسلام ،
ولو كانوا مظهرين للكفر لم يصدقوا فمن هاهنا أفسدوا الإسلام .
فهذا من البلية قال الله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُفْرِجَ
اللَّهُ أَسْغَاتِهِمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَا نُبَاسِكْهُمْ فَسَرْقَتِهِمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَقَرَّعْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ
وَاللَّهُ يَتْلُمُ أَعْمَالَكُمْ ۖ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالْمُتَابِرِينَ وَتَعْلَمَ
أَخَارَكُمْ﴾ [سورة النحل : ٢٩-٣١] ، وأخير^(٣) أب ترك تعريف المنافقين بلية للمؤمنين .

(١) في (ب ، ن) . علي

(٢) في (م) . والباطل

(٣) في (أ) وأخير

ومن البلية أيضاً: مُتشابه القرآن، فإنه لو كان كله محكماً لم يحتاج أحدٌ بعده إلى العلماء، ولَمَّا وُجد المخالف للحق سبباً يتعلق به، ولو كان ذلك كذلك لزال الامتحان وسقط التكليف.

ومن البلية: موت رسول الله ﷺ ومن تخلّفه^(١)، فبسبب موته وقع الاختلاف.

ومن البلايا: معادات أعداء الله، والجهاد في سبيل الله، ولولا ذلك لَمَّا عرف الصابر من العاقر المتوحي، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتِخَذُوا الْآخِزَةُ وَلَمْ يَتْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَافَتْهُوا بِكُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [ال عمران: ١٤٢].

فصل

في الكلام في الرزق

اعلم أن الرزق جعله الله للناس، والدواب، والطيور، متاعاً، وجعل هذه الأصناف لا تحيا إلا به، وجعل الحاجة إليه بلية

واعلم أن الرزق ينقسم قسمين. قسم منه أنعم الله به على عباده؛ كالموارث والمطر والشجر والثمر والعافية وتمام الاستطاعة، وأمثال ذلك وقسم يحصل بالاكْتِسَاب والطلب؛ كالتجارة والضرب في الأرض، والإجارة والصناعة والحِرْث، وأشباه ذلك. فجعل الله بعض الرزق لا يحصل إلا بالاكْتِسَاب والطلب بلية ومحنة وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام): «يا علي غمُّ العيال سوترٌ

(١) في (ب)؛ ومن بحله. وفي (ط)؛ ومن خلعه

من النار، وطاعة الخالق أماناً من العقاب^(١)، والصبر على الفاقة جهاداً، وأفضل من عبادة ستين سنة^(٢).

واعلم أن الرزق من الله عامٌ لجميع المرزوقين، المكلفين وغير المكلفين، المطيعين والعاصين. وبرزق من تمام الخلق، ولولا الرزق من الله لما حيَّ المرزوق، ولكانت الحجة على الخالق للمخلوق - تعالى الله عن ذلك، بل خلق^(٣) ورزق، وأسبغ النعمة^(٤) وأكمل له على خلقه الحجة.

ودهمت المطربة إلى أن الله لم يبرزق العاصي، وأن كل ما تناوله العاصي من الحلال والحرام عصياً اعتصمه، وليس يبرزق له، ولم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَمْتَلِكُ مِنْ فَيْلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ. [الاسراء: ١٤٠]، وهذا خطاب من الله يقال للمشركين، وقال تعالى: ﴿حَكْلًا ثَمَرًا هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَطْطُورًا﴾ [الاسراء: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِهًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْلُوءًا ۝ وَبَنَيْتُ خَنْدُودًا ۝ وَوَعَدْتُ لَهُ نَعِيمًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [الاسراء: ١١-١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُمْ وَحْدَهُ الشَّعَاءُ وَالْعَتِيفُ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الصَّبِّ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [الاسراء: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَادُكُمْ خَشِيَ إِمْلَاقِي نَعْنُ نَزَّلْنَاهُمْ وَلِقَائِكُمْ﴾ [الاسراء: ١٣١]، وقال تعالى - حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَأَرْزُقْنِي أَهْلَكَ مِنَ الثَّرَاثِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ

(١) في (ع، ب) من العذاب

(٢) في (هـ) بل قد خلق

(٣) في (ع) وأسبغ النعم

وَمَنْ صَكَّرَ فَاَنْتَعَه قَلِيلاً ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِرْعَانَ كَمَثَلِ خَلْقِنَا إِنَّهُمُ آوَلُ مَرَّةٍ وَفَرَصْنَاهُمْ مَا خَوَّلْنَاهُمْ وَبَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهذا في القرآن كثير. ومن أنكر هذا فقد أنكر نعمة الله.

وروي عن السيّد (عليه السلام) أنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين» وعلى هذا لو أن ذمياً مات وله ولدان أحدهما مسلم والآخر كافر لقضي بماله لولده الكافر ولم يكن للمسلم شيء. والميراث رزق من الله تعالى بالإجماع فسقط قولهم.

واعلم أن أكرم الناس عند الله أكثرهم بليّة، وأكبر البلياء أكثرها ثواباً؛ من ذلك ما ابتلى الله به الأنبياء صلوات الله عليهم من إبلاغ الرسالة، وتحمل كلمة الأمر وسياسة الناس، وفي خلال ذلك بلياء تصيبهم؛ مثل الجوع والعطش والخوف، والعلل المؤلمة، والأمراض المتعبة، مثل ما ابتلى الله به أيوب (عليه السلام) من الضر الذي ذكره الله، وقيل: إنه الجذام

ومثل ما لقي يونس (عليه السلام) من العرق، والتقام الحوت له.

ومثل ما كان نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله) يبقى من الحصاصة، والجوع، وذلك بسبب إثاره على نفسه، واختياره للفقر لما علم فيه من الأجر، وقد قال الله تعالى فيه، وفي علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مَلَكُوتٌ مُّغْتَمِرٌ ۖ يَرَوْنَهُمْ لَكِن لَّا يَمْلِكُونَ ۚ﴾ [التوبة: ١٨]، وروى عن سويد بن غلقة قال: (أصاب علياً (عليه السلام) حصاصة، فقال لفاطمة (عليها السلام): لو أتيت

النبي ﷺ فسألتيه ، فأتته وكانت عنده^(١) أم أيمن ، فدقت الباب ، فقال رسول الله ﷺ : «إن هذا الداق فاضمة ، وقد أتينا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها ، فقومى فافتحي لها الباب» ، فقال ﷺ : «يا فاطمة لقد أتيتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها؟» فقالت : يا رسول الله هذه الملائكة إن^(٢) طعامها التسييح والتهليل ، والتحميد والتمجيد ، فما طعامها؟ قل^(٣) : «والذي نفس محمد بيده ما اقتبس لال محمد نار منذ ثلاثة أيام ، وقد أتينا بأعنز فإن شئت فخذني حمس أعنز ، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن حبريل ﷺ؟» قالت^(٤) : بل علمني الكلمات ، قل : قولي : «يا أول الأولين ، ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا هم أرق المساكين ، ويا أرحم الراحمين» فانصرفت حتى دخلت على علي^(٥) فقال : ما وراءك؟ فقالت : ذهبت من عندك إلى الدنيا فأيتيتك بالآخرة ، قال : حير أيامك ، خير أيامك

فاختار ﷺ الفقر له ، ولأهل بيته^(٦) ، وكان الغنى ممكناً له ، لما روي عن محمد بن أبي طلحة الأنصاري عن أبيه قال : لبث رسول الله ﷺ ثلاثة أيام لم يطعم شيئاً^(٧) فخرج عليه اليوم الرابع مستثراً مسروراً ، فقلنا له : بشرك الله يا رسول الله ، وأقر عينك ،

(١) في (ح ، م) : وكان عنده

(٢) في (س) : إن هذه الملائكة

(٣) في (ص) : فقال

(٤) في (ص) : فقالت

(٥) في (ت ، م) : لا يطعم شيئاً

بشرنا بأبائنا وأمهاتنا، قال: «نعم، جاءني جبريل (عليه السلام) في صورة لم يأتني في مثلها قط، شعره كالمرجان والدرّ، براق الشيا، على فرس من أفراس الجنة، سرجه من ذهب، ولجامه من ذهب، تحته قطيفة من استبرق، فقال لي: يا رسول الله، السلام يُقرؤك السلام، ويقول لك: أنجب أن أحمل لك تهامة ذهباً، وفضة، تزول معك حيث تزول، ولا ينقص ذلك^(١) مما وعدك الله في الآخرة جناح نعوصة، فقلت له: أعمّر ما خرب الله^(٢) يا جبريل؟ إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له، فقال جبريل (عليه السلام) له: يا رسول الله وفقك الله يا رسول الله^(٣) لقد أحبرني بكلامك هذا إسماعيل تحت العرش من قبل أن آتيك» فصح أنه احتار الفقر على العنى^(٤)

ولم يتل أحد مثل ما اتلى الله به خليله إبراهيم (عليه السلام)، فإنه اتلاه بذبح ولده إسماعيل (عليه السلام) من بعد أن دعى ربه أن يهب له ولداً صالحاً لتوحيده وانفراده من الأولاد والأصحاب فلما وهب له ولداً صالحاً أمره بذبحه؛ فهذا هو البلاء العظيم الذي لم يتل به سواه^(٥)، قال الله تعالى حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام): «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدَيْنِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَا بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَقَامَ الشُّمَيْسِ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا آدَمُ اتَّقِ اللَّهَ مَا تَوْمَرُ

(١) في (ط، هـ): ولا ينقص ذلك

(٢) في (ص، س): ما أحرب الله

(٣) زيادة في (أ، ب)

(٤) في (هـ، ي): الذي لم يتل به أحد سواه

سَعَيْتُنِي إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَتَيْنَا وَقَلَّ إِلَيْنَا ۝ وَفَاتِنَا أَنْ
يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا نَكْذِبُكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْعَبِيثُ ۝ وَلَنَكْنِيءَ بِذِيكَ عَظِيمٌ ۝ [البقرة ١٩٠-١٩٢]، ومثل هذا البلاء لا تطيقه
الموسى، وقد تطيقه الأحساد وقول الله تعالى: ﴿وَكُنَّا وَلَا تُعَمِّلُنَا مَا
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة ٢٨٩]، المراد: ولا تحملنا ما لا تطيقه نفوسنا. فأما
الأحساد فإن الله لا يحملها ما لا تطيق؛ وذلك لا تخاف وقوعه من
الله، وإنما أمرنا الله بالدعاء^(١) مما نخاف وقوعه منه أن لا يوقعه بنا.

فصل

في الكلام في الصبر على البلية

اعلم أن حقيقة الصبر على البلية هو الرضا بالقضاء وترك السخط
منه والشكا، وأما من ابتلي ببلاء فلم يرض به^(٢) وسخط منه وشكا
فليس ذلك بصابر، وقد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام: (أنه
وجد عليه شقيق البلخي فقال له: من أين أتيت^(٣))؟ فقال: من
حراسان. فقال: كيف التوكل هالك؟ قال^(٤): إذا رُزقوا أكلوا،
وإذا مُعروا صبروا فقال جعفر بن محمد عليهما السلام: هكذا
كلمات المدينة عندنا إذا رُزقت أكلت، وإذا مُنعت صبرت،

(١) في (أ) وإنما أمرنا بالدعاء إليه

(٢) في (ص) ولم يرض به

(٣) في (ش، م، س): من أين أنت.

(٤) في (ص، ل): فقال

فقال شقيق: فكيف هو عندك^(١) يا ابن رسول الله؟ قال: التوكل عندنا إذا رزقنا آثراً، وإذا مُنعنا شكراً). فدل كلامه على أن من لم يرضَ بالبلية فليس بصابر عليها؛ لأن الكلاب لا ترضى بالمنع، ولا فضل لمن لم يجد بُدًّا^(٢) من الصبر قصير وهو غير راضٍ به، وهذه صفة البهائم. وإنما الصابر من رضى بالبلية، ورجا ثوابها من الله، ولم يشك ما أصابه إلى المخلوق^(٣)

ومن أفضل الصبر أن لا يدعو إلى الله لزوال البلية إلا إذا أجهده الأمر ولم يجد للصبر موضعاً، كب عمل أيوب عليه السلام، فإنه دعا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ هَبَدًا لَّيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّ مَسِيئَ الشَّيْطَانِ يَصْنُبُ وَغَدَابَةٌ﴾ [مر ١١]، وكذلك قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُرُ بَنَىٰ وَخَرَنَىٰ إِلَى اللَّهِ﴾ [يس ١٨٦]، ولم يدعوا ربهما بزوال البلية إلا عندما أجهدهما الأمر، ولم يجدا للصبر موضعاً؛ ولأنهما لو سألا ربهما زوال البلية في مبتدئها^(٤) لم يكونا راضيين بالبلية ولا يكون العبد صابراً على البلية إلا إذا كان راضياً بها وكان يقدر على الخروج منها فيحтар الصبر عليها، مثل أن يصيبه الله بألم فيرضى به ولا يسخط منه ولا يشكوه إلى مخلوق. ومثل من يصبر على الفقر وهو يقدر على الفس، ويصبر على كظم الغيظ وهو يقدر على الانتصار، وقد روي

(١) في (ل، م): فكيف هو عندكم

(٢) في (ص): لمن لا يجد بُدًّا

(٣) في (ص، م): إلى مخلوق وفي (ش، ي): إلى المخلوقين

(٤) في (ث): في مبتدئها

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا إِنْهُ سَيَكُونُ أَقْوَامٌ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالتَّجْبِيرِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْغِنَى إِلَّا بِالْبَحْلِ وَالْفُجُورِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُمُ الْمَحَبَّةُ فِي النَّاسِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَصَبِرْ عَلَى الدَّلِّ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْعِزِّ، وَصَبِرْ عَلَى الْفَقْرِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَى، وَصَبِرْ عَلَى التَّعْصَةِ فِي النَّاسِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَحَبَّةِ، لَا يَرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدارَ الْآخِرَةَ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ حَمْسِينَ صَدِيقًا».

واعلم أن أعظم ما ابتلي به الإنسان الشهوة والكراهة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا لَبَسَ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْهَنَاطِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْهَارِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ [المراد: ١٤]، فهذه الأشياء التي سماها الله، هي أجل ما ولعت النصوص بشهوته، فأشدها حبة النساء ثم البنون ثم هي على هذا الترتيب المرتب في الآية إلى الحرث. فكانت الشهوة لهذه الأشياء، والحاجة إليها بلية ابتلى الله بها الناس، فمن صبر عنها وامتنع من الهوى^(١) فلزم نفسه^(٢) من اتباع الشهوات فاز بالحسنى وكان عند الله من الكرماء، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۖ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَلَهُ الْوَسْطَىٰ هِيَ الْآخِرَىٰ﴾ [الدعوت: ٣٧-٣٩]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَصْحَابَكُمْ

(١) في (ص، ع). عن الهوى

(٢) في (ش). ولزم نفسه

وكذلك الغضب من البلايا^(١) الكبار فإنه لا يكاد يصبر على كظم الغيظ عند الغضب مع القدرة على الانتصار إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي فِيْ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة النمل: ٢٤، ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [النور: ٢٢]. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتقوا النساء، واتقوا الغضب، فإنه حمرة يتوقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى انتماخ أوداجه، وحمرة عيسيه، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليذكر الله سبحانه وتعالى». وعنه ﷺ أنه قال لعلي (عليه السلام): «يا علي إن من اليقين أن لا تُرصى أحداً بسخط الله، ولا تحمد أحداً على امرأتك الله، ولا تدم أحداً على ما لم يؤتلك الله، فإن الرزق لا يجره حرص حريص، ولا يصرفه^(٢) كراهة كاره، إن الله يحكمه وفضله جعل الروح والفرح في الرضا^(٣)، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينقله دعاه الله عز وجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره^(٤) في أي جواره شاء».

(١) في (ع). من أعظم البلايا

(٢) في (ص): ولا يرد.

(٣) في (ع): والفرح في الرضى

(٤) في (ط): حتى يخيره

فصل

في الكلام في الموت

اعلم أن الموت آخر بلايا المؤمنين، وأول نعمة العاصين^(١) وفيه نعمة، وثلاث بلايا.

أما النعمة فإن الله جعله موعظة للمؤمنين، وعبرة للمسلمين، وتذكرة لجميع المكلفين، وتحذير وتحويماً للمعتدين^(٢)، ولولا ذكر الموت وحوقه ما اردجر من اتاع سوى مردجر، ولا فعل ما يؤمر به مؤتمراً إلا من علم الله.

وأما البلايا الثلاث: فواحدة مهز عامة لجميع المكلفين، وواحدة خاصة لعيال الميت وأقاربه وأصحابه، ومن يصره موته، وواحدة خاصة للميت في نفسه.

فأما البلية العامة لجميع المكلفين: فإن الله جعل الموت والفناء بليّة ابتلى بها عباده ليظهر من يؤمن بالآخرة، ويصدق بالغيب، ويعمل ما يأمر به، وينتهي عما نهاه عنه^(٣) فيثيبه ويجزيه، ويخلّده في الجنان، ويظهر من يكذب بالآخرة والوعد والوعيد، ولا يأتمر بأمره ولا ينتهي عن نهيه، فيخلّده في النيران^(٤) ويُعذّبه بالخزي والهوان، ولو لم يكن موت ولا فناء ولم تكن الجنة والنار غائبتين، وكانتا حاضرتين

(١) في (ص): للعاصين.

(٢) كذا في (س، ل)، وفي بقية النسخ للمتدين.

(٣) في (ج، ص) ويعمل ما يؤمر به وينتهي عما نهى عنه.

(٤) في (ص، م، د): ولا ينتهي عما نهاه عنه فيخلّده في النار.

مشاهدتين في الدنيا لم يكن إيمان من يؤمن بهما عجيباً، ولا كان من يعمل للجنة المشاهدة ويخاف النار، المشاهدة مستحقاً للأجر؛ لأن البهائم قد تستحلب المنافع المشاهدة، وتبصر عن المضار المشاهدة، فصاح أن الله جعل الموت بليّة، وأن من آمن بالغيب يكون مستحقاً للثواب، ومن كذب به يكون مستحقاً للعذاب؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يَأْمُرُ وَيَتَّقُونَ اللَّهَ يَأْتِيهِمْ الْفَتْحُ مِنْ يَسَارٍ ۚ وَالَّذِينَ هُيِّئُوا لَهُمْ الشَّاغِلَاتِ فِي الدُّنْيَا هُيِّئُوا لَهُمْ الشَّاغِلَاتِ فِي الْآخِرَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مُتَعَدِّدٌ فِي دُرُوسِهِ ۚ﴾ (البقرة: ١٢٨-١٣٠)، فمدح الله من يؤمن بالغيب.

وأما البليّة الخاصّة لعيال الميت وأقاربه وأصحابه: فإن الله تعالى جعل الناس يحتاج بعضهم إلى بعض، ولم يجعل لبعضهم غنى عن بعض، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قلت وأنا عند النبي ﷺ: (اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك). فقال النبي ﷺ: «مَوْ يا عليّ لا تقولن هكذا، فإنه ليس أحدٌ إلا وهو يحتاج» إلى الناس، قال: فعلت؛ كيف أقول؟ يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك. قال: قلت: يا رسول الله ومن شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أعطوا متوا وإذا منعوا عابوا». فصاح أن موت الإنسان بليّة لمن كان محتاجاً إلى الميت.

وأما البليّة التي تخصّه في نفسه، فهدم ما كان منه مبنياً، ومصريه إلى الضعف بعد ما كان قوياً، وكوبه مواتاً جماداً بعد ما كان حيواناً

(١) في (ص): إلا وهو محتاج

(٢) في (١): فكيف أقول.

(٣) في (ش، ع، ب): بعد أن كان

سويًا^(١) مع تجمُّعه للمرارات، وكونه من الموت في الغمرات والألم الشديد، والكرب المقني له المبيد، وحسرة الولي وغمه، وشماتة العدو العنيد^(٢)، ومفارقة لما يُحبُّ من الناس والأموال والعافية والسلامة والجمال، وكفى بالموت واعظًا وزاجرًا عن المحرّمات، ومُرغبًا في أفعال الطاعات، فلو لم يشاهد الإنسان العاقل ميتًا ولم يره ثم أخبر عنه مُحبرٌ صادقٌ لوجب أن يخاف الموت ويزهّد^(٣) في الدنيا الفانية، ويرغب في الآخرة الباقية؛ فكيف وهو يشاهد أباه وولده وأخاه وصاحبه وأمه وأولياءه تُزرع أرواحهم في حجره ثم يحمل الواحد منهم فيدفنه^(٤) في قبره، ثم ينسى ذلك ويلهو بهسقه وكفره، قال الله تعالى: ﴿يُحِلُّ الْإِنْسَانُ مَا أَكْتَمَرَ ۝ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِنْ طِلْقَ عِلْقَةٍ قَدَرَهُ ۝ ثُمَّ الشَّيْلَ بِشْرَهُ ۝ ثُمَّ أَمَانَةً فَأَكْرَهُ ۝ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝ حَكْلًا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [نمل ١٧-٢٣]

واعلم أن الصبر على الموت هو الرضا به، وترك السخط منه؛ ولأنه لا بد^(٥) لكل نفسٍ من الموت لمن صبر ولمن لم يصبر؛ قال الله تعالى: ﴿حَكْلٌ هَـيْ ذَاقَةُ الْمَوْتِ﴾ [نمل ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿حَكْلٌ مَنْ عَلَّقَهَا فَأَنْ ۝ وَيَتَنَّى وَجْهَهُ رَبُّكَ نُورُ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [نمل ٢٦، ٢٧].

واعلم أن الله تعالى أخفى وقت الساعة ووقت هجوم الموت

(١) في (ط)، حيًا سويًا

(٢) في (س) العدو والعنيد

(٣) في (ص)؛ يزهّد

(٤) في (ص)؛ ويدفنه

(٥) في (س، ش). وأنه لا بُدَّ

ليكون العبد خائفاً لقيام الساعة وهجوم الموت في كل وقت وحين، وليكون مستعداً للموت ونزوله في جميع الأوقات، وليكون ذلك أقرب للبلاء وأنفع للميتلى؛ ولأنه لو كان العبد يعلم وقت قيام الساعة ووقت هجوم الموت عليه لكان أكثر الناس يتبع الشهوات ويلهو^(١) عن الصلوات وجميع الواجبات، فإذا قرب منه الموت وعلمه وتحققه تاب ورجع من سيئ أفعاله وأتائب، وكان هذا خارجاً من الحكمة ومجانباً للبليّة، وسبباً لكثرة الفساد، ومُسقطاً لحقوق الله وحقوق العباد، وإغراء بالمعصية، فصَحَّ أن الله تعالى أخفى وقت الساعة، ووقت هجوم الموت لصالح العباد.

واعلم أن العفلة ونسيان الموت^(٢) وطول الأمل أضرباً ما يكون على الإنسان؛ ولأن ذلك يدعو إلى اتباع الهوى، وبيع الباقي بما يزول ويمضي وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فيضل عن الحق، وأما طول الأمل فيصد عن الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة، والآخرة قادمة؛ ولكل واحدٍ منهما يَسُون، فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا، وأنتم اليوم في دار عمل ولا حساب، وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل، وأنتم اليوم في المصمار وعداً في الساق، والسابق إلى الجنة، والمتخلف إلى النار، وبالعفو تنجون، وبالرحمة تدخلون، وبأعمالكم تقتسمون».

(١) في (أ). ويسمى. وفي (ش). ويسهر.

(٢) في (ص، م): والنسيان للموت.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اذكروا الموت، وكونوا من الله على حذر، فمن كان يؤمل أن يعيش غداً فإنه يؤمل أن يعيش أبداً، ومن يؤمل أن يعيش أبداً يقسُ قلبه».

فصل

في الكلام في الآجال

اعلم أن الأجل أحلان: أجل محتوم، وأجل مخروم.

أما الأجل المحتوم فمن الله تعالى (جعلهُ) ^(١) كما شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وحتْمُهُ وقدرُهُ، قال عز من قائل: «فَمَنْ قَلْبُنَا تَبْتَغِمْ التَّوْتَ وَمَا فَخَرْنِ بِمَشْرِقِنَا عَلَى أَنْ تُكَلِّمَ أَتْعَالِكُمْ وَتَتَّبِعَكُم فِى مَا لَا تَقْلَمُونَ» [الروم: ١١، ١٢]، وقال تعالى: «وَمَا كَانَ لِغِي أَنْ تُفْتِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ صَكَّاتَا عَنْ جَمَلًا» [المرج: ١١٥]، فهذا هو الأجل ^(٢) المحتوم

والأجل ^(٣) المحروم من فعل العباد، وهو كُلُّ ما كان يجب فيه القصاص أو الدية ^(٤) أو كان قصاصاً بذاته ^(٥)، أو حداً، فهذا الأجل من فعل العباد، ولا يُسبب إلى الله تعالى؛ ولأن الله قد أعطى العباد الاستطاعة على فعل الطاعة وعلى فعل المعصية، وعلى فعل الشيء

(١) ساط في (ث).

(٢) زيادة في (ض).

(٣) زيادة في (ح، ل).

(٤) في (ع): والدية.

(٥) في (ص، ي)، بنفسه.

وتركه، ومكنهم وخلاهم للبليّة. وقد يصرف التعدي والظلم عن بعض خلقه لمصلحة في ذلك، ويكون الصّرف منه باللفظ، ويكون بالقهر كصرفه لمرعون عن موسى (عليه السلام) في صغره باللفظ، فإن الله أوجد له في قلب فرعون وقلب امرأته رحمة ورأفة، وصرفه عنه في كبره بالقهر حيث فرق^(١) له البحر فأنجى وليه وأغرق عدوه، وذلك لما أراد من موسى (عليه السلام) من تليغ لرسالة ولهدى للناس من الجهل والضلالة والردى. وكذلك^(٢) إبراهيم (عليه السلام) لما رمي به في النار فجعلها الله^(٣) برداً وسلاماً، وكذلك^(٤) عيسى بن مريم (عليه السلام) فإن الله فداه بمصر الذين أرادوا قتله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنَّا فَبُذِلُوا وَلَئِنَّكَ

شَهِيدٌ لَّهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]

[١٥٧]

فأما من لم يصرف عنه ظلم ظلمه فوجه الحكمة في هذه البليّة من الله أنه يعيّن القتل المومر المظلوم في الحنة ثواباً عظيماً، ويعذب الظالم له عذاباً أليماً، وذلك لأن الدنيا قايّة وعذابها فان، وكذلك^(٥) نعيمها فان، والآخرة باقية ونعيمها باقي، وكذلك عذابها باقي، فاختر الله لأوليائه الآخرة ونعيمها، قال عز من قائل: ﴿لِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَقُتْلُوا وَيَقْتُلُوا وَهَذَا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي الْفُورَةِ وَالْإِجْمَالِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ

(١) في (ص، ش): حين فرق.

(٢) في (ع): وكذا.

(٣) في (ج): فجعلها الله عليه وفي (ش): جعلها الله.

(٤) في (ع): وكذا.

(٥) في (ع): وكذا.

الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَقْدُ الْعَظِيمُ» (سورة ١١١)، وقال تعالى: ﴿وَلْيَتَصَوَّرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَتَصَوَّرُهُ﴾ (اصح ١٤٠)، فأوجب على نفسه لمن قُتِلَ في سبيل الله الأجر^(١)،
وضمن له بالانتقام والنصر، وانتصارُ الله تعالى للشهيد في الآخرة^(٢)،
وقد يكون بعض النصر في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِتَوَاقُفٍ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِفَتُهُمْ
وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة ٥٩، ٥٨)، وقال تعالى فيما أوعد الظالمين:
﴿وَمَنْ يَشَأْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ فَاتَّخِذْ أَهْلَكَ بِمَنْ مَلَائِكَةً لِّمَنْ يَشَاءُ وَكَفَى لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة ٩٢، ٩٣).

وقد روي عن أسس من ماله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من
أحدٍ يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا ولو أن له ما على الأرض
إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع، فيقتل عشر مرات لما يرى من
الكرامة»، وعن زيد بن علي (عليه السلام) عن أبيه عن حده عن علي (عليه السلام)
قال: قال رسول الله ﷺ: «لشَهِيد سبع درجات: فأول درجة من
درجاته أن يرى منزلته^(٣) من الجنة قبل خروج نفسه فيهنّ عليه ما به.

والثانية: أن تبرز إليه زوجته من حور العين فتقول: أبشر يا ولي
الله، فوالله ما عند الله خير لك مما عند أهلِكَ.

والثالثة: إذا خرجت نفسه جاء حربة من الجنة فتولوا غسله وكفّوه
وحنطوه وطيبوه من طيب الجنة.

(١) في (ع) لمن قتل في سبيل الآخرة

(٢) في (ع): بالآخرة

(٣) في (ع): أن يرى منزله

والرابعة: فإنه لا يهون على مسلم خروج نفسه مثل ما يهون على الشهيد.

والخامسة: أنه يُبعث يوم القيامة وجرحه يشخب مسكاً، ويُعرف الشهداء بروائحهم يوم القيامة

والسادسة: ليس أحد أقرب من عرش الرحمن من الشهداء

والسابعة: أن لهم في كل جمعة زورة فيحيون بتحية الكرامة^(١)، ويتحصون بتحف الحنة فيقال: هؤلاء رؤا الله تعالى، ومعنى قوله ﷺ: «إن لهم في كل جمعة زورة» يريد في كل مقدار جمعة إذ ليس ثم أيام ولا ليالي، وقد قل الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف ٥٤] المراد به^(٢) في مقدار ستة أيام، لأن الأيام والليالي أحدثها الله تعالى بعد خلق السموات والأرض، وهي مقدار حركة العالم، فثبت أنها بعده.

واختلف الناس في الأحال. فدهمت المجرة ومن قال بقولهم إلى أن الأجل كلها محتومة من الله تعالى، وأنه لو لم يكن من الجاني جنابة لمات المجبي عليه في ذلك الوقت، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [الن عمران ١٤٥]، ويقولون: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِذُّونَ﴾ [الأعراف ٣٤]

(١) كذا في (ط هـ)، وفي (ص) محوون سحبا بكرامة وفي (ح، ل، س) فيحيون بتحية الكرامة، وفي بقية السح. فيحيون بحيا الكرامة

والرد عليهم: أن الله تعالى نهى عن قتل النفس التي حرم الله فقال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ هَتَا يَنْتَرَفِسِ أَوْ سَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَلْحَقَهَا فَكَأَنَّمَا أَلْحَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [النساء ٢٧] فلم يكن الله يُحَرِّم قتل النفس^(١) ويأذن به، ولا كان يُعَذِّبُ القاتل على فعل غيره. وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْحَقَهَا فَكَأَنَّمَا أَلْحَقَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المراد به: من منعها من القتل وصرف ظلم الظالم عنها. ولو كان من يقتل لو سَلِمَ من القتل لمات في ذلك الوقت، لكان من يذبح بهيمة غيره مأجوراً غير مأزور، ولم يُحكم عليه لصاحبها شيء لأنه لو تركها لماتت، فكانت ميتة، فكأنه قد أحسن إلى صاحبها، وكذلك القاتل لا يحب عليه قود ولا دية في حرج من قد أذن الله بموته. ولو كان ذلك كذلك لكان خارجاً من الحكمة^(٢) أن نهى الله عن شيء ويأذن به، ويعذب عليه من فعله وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمَنْ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ صَاحِبَهَا مُؤَجَّلًا﴾ [الأنعام ١٤٥] فإن الموت غير القتل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُحَدِّثُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا تَمَاتُ أَوْ تَكْفُلُ أَفَلَا تَعْلَمُ عِلْمَ سَاعَةِ الْقِيَامِ﴾ [الأنعام ١٤٤] فصَحَّ أن الموت فعل الله، والقتل فعل القاتل^(٣). وقوله: ﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ لَنَا أَجَلٌ مُدَدًا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْلِفُونَ﴾ [الأنعام ١٣٤] يُريد: أجل الموت الذي هو غير القتل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ دِينَكُمْ لَتَرَوْا الذِّينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَلِّهِمْ﴾ [الأنعام ١٥٤] المراد بالكتاب هاهنا العلم، يقول: لبرز الذين

(٢) في (ج، ع، ل) - يريد به

(١) في (ع، ل، ي)، قتل نفس

(٢) في (ج، ل، ي) عن الحكمة

(٣) في (ص، ش): فعل الفاعل.

علم الله أنهم يُقتلون إلى مضاجعهم، وعلم الله سابق غير سابق.

ودهبت المطرفية إلى أن الآجال ليست من الله، إلا أجل من بلغ مائة وعشرين سنة، فمن بلغ مائة وعشرين سنة ومات، فالله أماته، ومن مات قبل ذلك فلم يرد الله موته^(١) وإنما ذلك بتعدي من تعدى وظلم لمن ظلم^(٢)، وبأسباب وأعراض وأمراض ليست من الله ولا قصدها، ولا قصد موت الميت، إلا إذا بلغ الحد الذي ذكره وقالوا: هو العمر الطبيعي، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الأنعام ٥٦]، وقالوا: إن الله تعالى ساوى بين الناس في ستة أشياء: في الخلق والرزق، والموت والحياة، والتعبد والمجازاة. وهذا منهم غلط عظيم، وخطأ من القول وحيم.

أما قولهم: إن الله تعالى ساوى بين الناس في^(٣) الخلق، فليس الذكر كالأنثى، ولا الكامل كالناقص، ولا الفصيح كالأعجم، ولا الصبيح كالقبيح، ولا الأبيض كالأسود، ولا العربي كالزنجي، ولا الشريف كالوضيع، ولا المالك كالمملوك؛ وهذا مشاهد بين لا ينكره عاقل، ولا يُماري فيه إلا جاهل، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْسِبُوا رَحْمَةً مِنْكَ نَحْنُ قَسَتْنَا بَيْنَهُمْ نِعْمَتُكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَحْمَتُنَا بَعَثْنَاهُمْ فَوْقَ بَعْضِ فِرْعَوْنَ لِيُعْزِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرْنَا وَرَحْمَةً مِنْكَ خَيْرٌ مِنْهُمَا يَعْبُدُونَ﴾ [الأنعام ١٢٢]، فبين أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات،

(١) في (ع)؛ والله لم يرد موته

(٢) زيادة في (ع)

(٣) زيادة في (ص، ع)

وقال تعالى: ﴿حُزِبَ اللَّهُ مَغْلًا غَيْثًا مَنُورًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ يَأْذَنُ رِزْقًا حَسَنًا هُوَ يُطِيقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجم ١٧٥]، وقال عز من قائل حاكياً عن امرأة عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمرَان رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِلَّهِ مَا فِي بَطْنِي مُعَرِّزًا فَخَبَلْ بَيْنِي إِذْكَ أَتَتْ السَّمِيعَ الْعَلِيمَ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَرِهًا لَّآلِهِي﴾ [النساء ١٢٥، ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء ٣٤]. فصح أن الله تعالى ما ساوى^(١) بين الناس في الخلق. وكذلك لم يُساوِ بينهم في الرزق، بل رزق بعضهم أكثر من بعض، وذلك مشاهدٌ ظاهرٌ، وقل ما يوحد أخوان لأبٍ وأمٍّ مستويان في الرزق، ولو كانت صنعتهما واحدة، واستطاعتها الواحدة^(٢)، فكيف يستوي جميع الناس^(٣) وبعضهم رزق في ذاته^(٤) لبعض مثل الولد للوالد، والمملوك للمالك، فإن الولد رزق للوالد، والمملوك رزق للمالك، فكيف يستوي الرزق والمرزوق، وقد رأينا أرضاً ينزل (الله)^(٥) عليها المطر في كل وقتٍ يحتاج الناس إليه، ويصرف عنها الآفات، ورأينا^(٦) أرضاً لا يكاد أهلها يعرفون المطر، ولا يزالون في عسرٍ وعسير، ورأينا أرضاً يكون فيها الزرع والثمر، فيصيبها الله بالريح وبالجراد والبرد^(٧)، وهذا مشاهدٌ بينٌ،

(١) في (ع، ص): ما سوى

(٢) زيادة في (ج، ت)

(٣) في (ط، ل، ع): بدائه وفي (م) لدائه

(٤) ساقط في (ع)

(٥) في (ل، م): وقد رأينا

(٦) في (ط، س، م): أو بالجراد أو بالبرد

فأين المساواة من الله؟ إلا أن يقولوا: ليس الغيث من الله، والريح والجراد والبرد؛ فإن قالوا ذلك جحدوا بعض خلق الله وبيئته ونعمته؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل ٧١]، وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ إِبْرَاهِيمَ إِذَا نَادَى وَتَقَبَّلَ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أُولَئِكَ زَوْجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنَّا نَافِلٌ مِّنْ يَّشَاءُ عَقِيبًا إِنَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ﴾ [التورى: ٤٩، ٥٠].

وأيضاً فإن المواريث رزق من الله بالإجماع، وليست المواريث سواء؛ وقد جعل الله لبعض الورثة كل المال، ولبعضهم نصفه، وجعل لبعضهم ثلثه، ومنهم من جعل له الربع، ومنهم من جعل له السدس، ومنهم من جعل له الثمن، فأين المساواة من الله في المواريث؟ فهذا مهم غلط في الحساب وفي اعتقادهم!! وأعجب من هذا في المواريث: أنه لو مات امرأة^(١) وترك زوجها وأمه، وإخوتها لأمه، وأخاها لأبيها وأمه، أنه يُقضى لزوجها من مالها بالنصف، ولأمها بالسدس، وإخوتها لأمها الثلث، ولا شيء لأخيها لأبيها وأمها، فبطل ما قالوا من المساواة في الرزق.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الدس في الموت والحياة) فإن الله لم يساو بينهم في الموت والحياة فيما زاد على مائة وعشرين سنة، وقد فرق بينهم في الموت والعمر فيما فوق مائة وعشرين، فمن الناس من عُمر مائة وثلاثين وأكثر من ذلك إلى ألف سنة؛ قال الله تعالى في نوح (عليه السلام): ﴿طَلَبْتُ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [الأنبياء ١٠٤]، وكما^(٢)

(١) في (ش): فإنه لو مات امرأة

(٢) في (ص)، فكما.

كان الاختلاف موجوداً في الزائد على مائة وعشرين كذلك فيما دون المائة والعشرين.

وأما قولهم: (إنه لا يموت أحدٌ قبل هذا الحد الذي حدّوه بقضاء الله وفعله، بل بسبب عارضٍ^(١) لم يُرده الله)، وهذا القول يتقصّر^(٢) عليهم من وجوه:

منها أن الطبيعة لا تكون أكثر من العوارض والفساد، ولو كان الفساد غالباً على الطبيعة لكان الفساد عالماً للصالح، ولو كان ذلك كذلك لكان فعل الله معلوماً؛ ولأنه^(٣) لا يكاد يبلغ المائة والعشرين إلا القليل، مع أن من بلغ هذا الحد يكون عاجزاً صعباً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَصَوَّرَ عَكْسَهُ فِي الظُّلُمِ أَفَلَا يَتْلَوْنَ﴾ (النور: ١٨).

ومنها أن الله تعالى لم يهمل الخلق، ولا ضييع العباد^(٤)، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَمْثَلًا عِندَ أَنْ يَمُوتَ وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ﴾ (النور: ١١٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا فَلَيْلَ ظَنُّ الَّذِينَ فَتَوْا فَلَئِنْ لَلَّذِينَ حَكَّرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (مر: ١٢٧). وإذا كان^(٥) موت من يموت قبل هذا الحد بغير تعدٍ من أحدٍ ولم يكن من الله، فمن فاعل الموت الذي لم يُشاهد للميت قاتل؟ مثل من يناله مرضٌ فيموت منه، ولم يكن من الميت^(٦) استجلاب له،

(١) في (ص، ل): لسبب عارض

(٢) في (ت، م، م): يتقصّر

(٣) في (ه، د، ي): لأنه

(٤) في (ص): لا يهمل الخلق ولا يضيع العباد

(٥) في (ص): فإذا كان

(٦) في (ش): ولم يكن للميت.

ولا تضيق لنفسه، مثل من تأكله الحية في حرزه، ومثل من تُصيبه برقّة في منزله، ومثل موت النساء على أولاده^(١)، فإذا كان هؤلاء وأمثالهم لم ينجوا على أنفسهم، ولا جنى عليهم آدمي، ولا كان موتهم من قبل الله، فمن فاعل موتهم؟ فإذا لم يكن من الله بليّة يجزي الميت بها، ولم يكن من متعد عليه فيجب عليه القود، ولا من يخطر عليه فتجب الدية، فهل يكون إلا مهملاً مضيعاً مصابه في الدنيا والآخرة؟

وإن قالوا: إن كل من أصيب بالموت قبل هذا الحد فإن مصابه من قبل تعدّي من يتعدّ عليه، أو تفریطه في نفسه؟ قلنا: الطعل^(٢) إذا أصيب بمصيبة الموت، ولم يكن من أحد تعدّ عليه ولا تعدّي على نفسه؟

وإن قالوا: مصابه بتعد وتفریط من وليه. قلنا: فلا يكون المتعدي عليه إلا ماثوماً، وإذا كان كذلك كان مصاباً بمصيبتين: إحداهما موت ولده، والأخرى: الإثم في تفریطه فيه وترك معه للموت عنه، وهذا ما لا يقول به أحد غير هذه لفرقة، وقد روي أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مات وهو ابن ستة عشر شهراً فإلى من ينسبون موته؟ وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنُفْسٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَتْلُوا أَسْمَاءَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُوعْبًا مِنْكُمْ مَنْ يَعْرِفُ مِنْ قَبْلِ وَكَتَلُوا أَجْلاً مَسْنًى وَكَتَلَكُمْ تَعْلُونَ﴾ [١٦٧]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُنَتْ فِي مَآبِنِهَا فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِنْهُمْ

(١) في (ش) عن أولادها وفي (ب) عن ولدها وفي (ج) على ولده وفي (ص) على ولادتها. وفي (ل، م): عدد ولادتها

(٢) في (ب، ت، ص، ع): الطعل

الْآخَرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر ٤٢].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أراد أن ينام جعل يده اليمنى تحت حده ثم قال: «اللهم باسمك وضعت حنبي وبك أرفعه، اللهم إن أمسكت روحي فاعمر لي ورحمني برحمتك، وإن أطلقته فاحفظني بما تحفظ به الصالحين»، فهل حاف النبي ﷺ أن يُمسك الله روحه قبل وقت إمساكه؟ أو جهل هذا الحد الذي حدّه المطرفية؟ فصَحَّ أنه ﷺ كان يتوقع الموت في ليله ونهاره. وقد روي عنه ^(١) أنه قال: «من كان يؤمل أن يعيش عداً فإنه يؤمل أن يعيش أبداً، ومن كان يؤمل أن يعيش أبداً يقسُ قبْه». وروي عنه ^(٢) أنه قال: «أحوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل»، ومن طول الأمل أن يقول القائل: إن الله لا يريد له موتاً حتى يعمر مائة وعشرين سنة، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: «مَسِيعَ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَنْ يَكْفُرْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْتَدِ لِلَّهِ حَتَّى تَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» [سورة ١٩٩: ٩٨] واليقين ههنا هو الموت. والأمة مجمعة على أن النبي ﷺ مات بمضاء الله وقدره، وهو ابن ثلاث وستين سنة وروي عنه ^(٣) أنه قال: «معتزك مايا أمتي ما بين الستين إلى السبعين»، وقد قال الله تعالى: «مَعْنُ قَتَلْنَا نَحْنُكَ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُكَتِلَ أَتَمَّالُكُمْ وَنُضَيِّقَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الأنعام ٦٠، ٦١].

ومن تقدير الله للموت بين الناس أنهم يُولدون ويموتون على مهل وهوب، ولا يكاد يجتمع موتُ ناسٍ كثيرٍ فيشتهر ذلك اشتهاً ظاهراً، وكذلك لا يكاد يجتمع ولادة ناسٍ كثيرٍ فيشتهر ذلك اشتهاً ظاهراً كثيراً.

(١) في (ع)؛ وروي عنه.

ولا يموت الناس معاً كصريم الررع بل يأخذهم الموت شيئاً شيئاً^(١) على مهل، وكذلك ولادة من يولد منهم، فلا هم باقون ولا هم منقطعون، فمثلهم كمثل قوم يدحسون داراً مفترقين ويخرجون منها مفترقين، والدار هي الدنيا، ومنهم من يقيم فيها كثيراً، ومنهم من يقيم فيها قليلاً، فهل هذا إلا بتقدير من الله تعالى^(٢).

واعلم أن اعتقاد هذه الفرقة يؤدي إلى جحдан النعمة والبلية، وضياع الشكر والصبر والأجر، وذلك في طمل يختار الله له ما لديه ويخلصه من بلاء الدنيا والآخرة، ويُنعم عليه، ويستلي مموته والديه، فيجهلا ذلك القضا، ويُحانا بالصبر عليه والرضا ويسديا السخط منه والشكى، ولا يظنا أنه من الله نعمة على الطفل، وبلية لهما، فإذا كان ذلك كذلك كانا قد جحدا النعمة والبلية، وتركنا الشكر والصبر، يوضيعا الأجر.

واعلم أن هذه الفرقة تكابر في أشياء من المسائل بغير حجة ولا برهان من كتابها ولا سنة.

وأما ما احتجوا به من قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الزمر ١٦)، فالمراد به الخشوعون منهم كما قال تعالى: ﴿وَالنَّصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَاسِرٌ ۝ لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الزمر ١٣)، والأطعمال من الناس لم يؤمنوا^(٣) ولا عملوا الصالحات^(٤) فلما لم يستثنهم من الخسر (ولم يكونوا ممن استثنى)^(٥) علمنا أن الآية

(١) في (س). شيئاً شيئاً

(٢) في (ب، ت). إلا بتقدير من الله تعالى وفي (ص). إلا بتقدير الله تعالى

(٣) في (أ): ولم يؤمنوا. وفي (ص): فلم يؤمنوا

(٤) في (ب، ص): ولا عملوا صالحاً

(٥) ساقط في (س، ل، م)

خاصة للمتعبدين من الناس، فكذلك الآية الأولى، فلا حجة لهم بهذه الآية.

وأما ما روي عن القاسم، والمؤيد بالله عليهما السلام في ذكر العمر الطبيعي فإن مرادهما غاية العمر، وأكثر ما يُعمر أهل العصر، لأنهما ذكرا المفقود، وليس عرضهما (نه) (١) العمر الذي لا يأذن الله بموت أحده قبله.

وقد قال محمد بن القاسم عليهما السلام - في كتاب الأحوال في مسائل علي بن جهشيار الطبري ردًا على من رعم أن القتل بقضاء الله :

ولقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِتْلَاقٍ مِّمَّنْ تَرْزُقُهُمْ وَإِلَهُكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، فلو لم يجعل الله أجلًا وأوراقًا ثم ابتلاهم لم يكن ليقول : ﴿مِمَّنْ تَرْزُقُهُمْ وَإِلَهُكُمْ﴾ وما كان الله يعذبهم الرزق وقد قضى عليهم الموت، إلا أنهم حين أطاعوا ربهم وانتهوا رزقوا هم وأولادهم (٢) إلى ما شاء الله من آجالهم، فمن شاء تبارك وتعالى أن يقدم أجله قدمه، ومن شاء أن يؤخر أجله أخره إلى أجله، إذا ترك آجالهم الاعتداء عليهم. وقد سئل قوم (٣) عن قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا مُؤَجَّلًا﴾ [النساء: ١٤٥].

فقالوا: القتل هو الموت ولو الحمد لله نتكر أن النفس لا تموت إلا بإذن الله، ولكن الأجل في ذلك أجلان: أجل العباد فيه مبتلون،

(١) ساعد في (ع، ل، م)

(٢) في (ص)؛ ولو لم

(٣) في (ل، م) رزقهم وأولادهم

(٤) في (أ)؛ وقد سأل قوم

وأجلّ إلى الله، فإن ترك العباد فيه الاعتداء على العبد، فإن شاء الله أن يقبضه في تلك الساعة فعل، وإن شاء أن يؤخره فعل، والأمر في ذلك إلى الله في الموت والحياة، إن شاء الله أن يصرف اعتداء العباد فعل، وإن شاء أن يتركهم واعتداءهم فعل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء يرد القضاء، وإن البر يزيد في العمر، وإن الحج يفي الفقر، وإن صدقة النهر تنفي ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «صلة الرّحم تزيد في العمر». وعن علي (عليه السلام) أنه قال: (وصلة الرّحم فإنها ثروة في المال، ومنسأة في الأجل، وتكثير في العدد) فصيح بما قلنا من أن الله تعالى يقبض روح من يشاء كما يشاء ومتى شاء صغيراً أو كبيراً، وأنه لا حد للعمر محدود. وبطل قول المطرفية في المساواة في الموت والحياة.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الناس في التعمد)، فإن في الشاهد أن الله تعالى تعبد الأنبياء صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة، والقيام بصلاح الرعية، وتعبد الأئمة بإقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام، والقيام مقام الأنبياء (عليهم السلام). فصيح أن الناس على فرقتين: رعاة ورعية، ولم يساو في التعبد بين الرعاة والرعية. وأيضاً فسم يتعبد المملوك بمثل ما تعبد المالك، فإن المملوك لا يجب عليه الحج إلا بإذن مولاه، ولا الجمعة، ولا الخروج في الجهاد ولا الهجرة إلا بإذن سيده، ولا زكاة عليه.

والمرأة أيضاً لم يتعبدها الله بمثل ما تعبد به الرجال، فإنه^(١) لا يجب عليها الجهاد، ولا الجمعة، وصلاتها ناقصة عن صلاة الرجل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في النساء: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لعقول ذوي الألباب مهن. قيل: وما نقصان عقولهن؟ قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، ونقصان دينهن أن إحداهن تمكث نصف عمرها لا تصلي» وفي بعض الأخبار «شطر عمرها»، وفي بعض الأخبار: «تمكث الليالي والأيام» فصح أن الله ما ساوى بين الناس في التعبد.

وأما قولهم: (إن الله ساوى بين الناس في المحازاة) فالجزاء من الله على وجهين: جزاء واحد للعبيد أوجبهم الله على نفسه، كقوله تعالى: «مَنْ يَمَلِكْ يَمْلِكْ فَرَّةَ خَيْرًا يَوْمَهُ وَمَنْ يَمَلِكْ يَمْلِكْ فَرَّةَ شَرًّا يَوْمَهُ» [الزمر ٨٧]، وكقوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...» إلى قوله: «وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا» [البقرة ١١١]، وكقوله: «وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرًا عَلَى اللَّهِ» [البقرة ١٩٠]، وقوله: «مَنْ يَمَلِكْ سَوْيًا يُشْرِي بِهِ» [البقرة ١٩٢]، وقوله تعالى: «وَقَعَ» بمعنى: وجب وهذا وأمثاله هو الجزاء الواجب، وليس الناس فيه بسواء بل يُحزى كلُّ بقدر عمله، والأعمال مختلفة. ونقول: إن الله ساوى بينهم في أنه يجري كلاً منهم على عمله^(٢) ولا يظلم أحداً منهم شيئاً.

(١) في (مش، ي): فإيا

(٢) في (ص): أنه يجري كلاً بعمله

والجزء الثاني هو الزيادة على الأجر^(١)، وليس بسواء بل قد زاد الله بعض الناس أكثر من بعض، وزاد أيضاً فضل بعض الأعمال على بعض في الأزمان^(٢) والمكان والحال.

أما الزمان فإن الله تعالى فضل الأعمال في شهر رمضان، وفي يوم الجمعة على سائر الزمان^(٣).

وأما المكان فإن الله فضل الكعبة، وبيت المقدس، ومسجد رسول الله ﷺ، وفضل الأعمال فيها على سائر المواضع.

وأما الحال فإن الله جعل جزاء الصدقة في غير الجهاد عشر أمثالها، وجعل الصدقة في الجهاد محزاء سبعة عشر ضعفاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَمْعَ سَابِلٍ فِي كُلِّ سُتْلَةٍ يَأْتِي حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ففي فضل الأوقات^(٤) ما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَهْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [الدخان: ١٣١]. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: (أيها الناس إن الله لما خلق خلقه خلقه فصل بعضهم على بعض، فكان فيما فصل من الأيام يوم الجمعة، فجعله للمسلمين سنناً ورفعة، وكان فيما فصل من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).

(١) في (ش): هو الزيادة في الأجر

(٢) في (ل): للأزمان

(٣) في (ج، م): على سائر الأزمان

(٤) في (ش): ومن فصل الأوقات

وفي تفضيل بعض الناس على بعض^(١) ما يقول الله تعالى :
 ﴿وَلَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَزَقَ بِكُم مِّن فَوقٍ بِقَدرٍ قَدرٍ تَرَجَاتٍ لِّهَلْوَكُم مِّن مِّن
 مَا أَنَا حَكْمٌ إِنَّ رَجلًا سَريعَ الْعَظَابِ وَأَنَّهُ لَهَوَزَ رَجلًا﴾ (الاسم ١١٥) فَيَن تَعَالَى الْحَكَم
 وَالْعَلَّةُ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿أَنظَرُ حَكْمٌ لِّهَلْوَكُم مِّن فَوقٍ بِقَدرٍ قَدرٍ تَرَجَاتٍ لِّهَلْوَكُم مِّن مِّن
 دَرَجَاتٍ وَأَكْثَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الاسم ١٢١).

وروي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي
 أَجَلٍ مِّن حَلَا مِّن الْأَمَمِ مِّن قَبْلِكُمْ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ
 الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ أَهْلِ كِتَابَيْنِ قَبْلَكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ
 رَجُلًا عَمَلًا فَقَالَ : مَن يَعْمَلُ إِلَى نِصْفِ الْهَارِ بِقَيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ
 الْيَهُودَ، ثُمَّ قَالَ : مَن يَعْمَلُ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ بِقَيْرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ
 النَّصَارَى عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اتَّعَمَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِّن صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ
 الشَّمْسِ بِقَيْرَاطِينَ، (قَالَ) ^(٢) فَغَضِبْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا : مَن
 أَكْثَرُ أَعْمَالًا وَأَقْلَى عَطَاءً».

وقال القاسم بن إبراهيم عليهما السلام في كتاب تثبيت الإمامة :
 (الحمد لله فاطر السماوات والأرض، مفصل بعض مَطَوْرَاتِ خَلْقِهِ^(٣)
 عَلَى بَعْضٍ، بَلَوَى مِنْهُ تَعَالَى لِلْمُفْضَلِينَ بِشُكْرِهِ، وَابْتِخَارًا لِلْمُفْضُولِينَ
 بِمَا أَرَادَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، لِيَزِيدَ الشَّاكِرِينَ فِي الْآخِرَةِ شُكْرَهُمْ مِنْ
 تَفْضِيلِهِ، وَلِيُذِيقَ الْمُفْضُولِينَ سَخَطَهُ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ تَنْكِيلِهِ،

(١) فِي (ص)، وَفِي تَفْصِيلِ النَّاسِ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ

(٢) سَاقَطَ فِي (ع)

(٣) فِي (ب، ت) : بَعْضُ مَطَوْرَاتِ حَقِيقَةِ

ابتداءً في ذلك للماضين بفضله، وفعلًا فعله في المفضولين
عن عدليه^(١).

ومثل هذا موحود كثير في الكتاب ولسنة، وقد جعل الله اختلاف
الأشياء، وتفضيل بعضها على بعض من آياته، قال عز من قائل:
﴿وَلَى الْأَرْضُ قَطْعٌ مَّحَادِرَاتٌ وَبَنَاتٌ مِنْ أَهَابٍ وَزَرْعٌ وَفَيْحٌ وَسَوَاقٌ وَغَيْرُ سَوَاقٍ
يُسْتَقْنِ بِهَاءٍ وَلَجِدٌ وَفُحْلٌ يَتَحَمَّ عَسَى يَتَصَدَّقُ فِي الْأَكْثَرِ لِيُنْفِىَ ذَلِكَ الْأَهَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد ٤].

واعلم أن الزيادة من الله لبعض خلقه لا تدخل عليه جوراً
ولا ظلماً بل قد أعطى كل واحد من المكلفين في الدنيا من الاستطاعة
ما يبلغ به مراده في الدنيا والآخرة، وزاد لبعض المكلفين ما شاء في
الدنيا والآخرة، واقتنع كلُّ بما أعطاه^(٢) في آخرته ودنياه.

(١) في (ص): عن عدالة.

(٢) في (ع، ب): وأقتنع كلا بما أعطاه.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(٩) باب حقيقة معرفة الجزاء

اعلم أن الله لما ثبت أنه عدل حكيم عالم، وأنه لم يهمل الخلق، ولا ضيع التدبير^(١)، ورأينا الناس ظالماً ومظلوماً، ولا يكاد يوجد في الناس غيرهما، ولا يوجد أحد من المكلفين إلا مطيعاً أو عاصياً^(٢)، ورأينا العصاة يظلمون المطيعين ويقتلونهم، ورأينا المطيعين مقبدين لألستهم وأفواههم وأيديهم وفروجهم مما حرم الله عليهم^(٣)، ورأينا العاصين مطلقين لما قيد المطيعون، ورأيناهم في دنياهم أهل نعم وتنعم، وأهل ثروة في المال، وغنية في الدنيا وجمال، فلما رأينا الظالمين العاصين ماتوا ولم ينتصر منهم للمظلومين المطيعين، ولا عوقبوا لهم في الدنيا، ورأينا المطيعين المظلومين ماتوا ولم ينتصروا من الظالمين ولا عوقبوا لهم في الدنيا، علماً علماً عقلاً ضرورياً أن العدل الحكيم العالم جلّ وعلا لا يترك خلقه مهملاً، ولا يصيع لعامل عملاً، وأنه سيحدث داراً للحرّاء يُشيب فيها المطيعين المظلومين، ويعاقب فيها الظالمين العاصين، وأنه لا يُعجزه ذلك كما لم يعجزه خلق الدنيا وما فيها، والجزاء تمام العدل^(٤) ونظامه، ولولا ذلك لكان

(١) في (ش) وأنه لا يهمل ولا يصيع التدبير

(٢) في (أ، ح، ل)؛ وعاصياً

(٣) في (ع، ب) كما قد حرم الله عليهم وفي (ش) كما حرم الله عليهم

(٤) في (ح، ل، ب)؛ إتمام العدل

خلق الدنيا وما فيها عبثاً - تعالى الله عن ذلك.

ألا ترى أن إنساناً لو بنى داراً وأكملها، فلما تمت وكملت هدمها لغير معنى، ألا ترى أنه يكون عبثاً؟ فإن هدمها لفساد فيها، أو لأن يعمر^(١) خيراً منها أن ذلك يكون منه حسناً، فلو لم تكن دارٌ غير هذه الدار، يُثاب فيها الأبرار، ويعاقب فيها الفجار، لكان ذلك ضد العدل والحكمة، وكان عبثاً - تعالى الله عن ذلك - فصح أن الآخرة آتية لا شك فيها ولا ريب، ولا حلف ولا كذب.

واعلم أن للنشور بعد الموت دليلين مبينين، وشاهدين في الشاهد مُبشرين وهما: استيقاظ النائم بعد نوم من الماء، وحياة الأرض الميتة بالماء، فإن الإنسان إذا نام يصير مثل الميت لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر، ولا يدري ما يفعل به^(٢) ولا في أي موضع هو، ولا يبقى فيه من الحياة غير النفس، ثم يستيقظ فيرجع إليه روحه وعقله وذنه وسمعه وبصره، وكذلك^(٣) يبعث الله من يموت، قال الله تعالى^(٤): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فَبَرِّئُكُمُ النَّفْسَ الَّتِي حَقَّتْهَا الْمَوْتُ وَكَرَّرِ الْآخَرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (زر ١٢)، فصح أن النوم مثل الموت.

وأيضاً فإن الأرض الميتة تنظر هامة لا شجر فيها ولا نبات، فينزل الله عليها الماء، فتبت به الأشجار والزرع وصنوف الثمار فيحييها الله بعد الموت، وتصير محضرة بعد الهلاك والقوت^(٥)،

(١) في (ع)؛ ولأن يعمر.

(٢) في (ب)، وكذلك.

(٣) في (ب، ص، ع) وقد كان الله تعالى

(٤) في (ش) والقوت

وقد قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ فِي السَّمَاءِ
كُفَيْتَ بِشَاءٍ وَيَجْعَلُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَلَدَ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَغِيثُونَ ۝ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ قَوْلِهِ
لَتَمْلِكُنَّ ۝ فَاهْتَرَأَ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ
لَشَخِيحٌ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم ١٨-٢٠] ، وقال تعالى : ﴿وَتَرَى
الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَأَتْ وَذَبَتْ وَأَنْبَتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝
فَلْيَكُنْ لِلَّهِ حُكْمُ الْحَقِّ وَرَأَاهُ بِحُجُبِ النَّوَى وَآدَاهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَنْ فِي السُّرُورِ﴾ [الحجج ٥-١٧] . ففي هذا
بيان وكفاية.

واعلم أن الأمة لم تختلف في أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
يبعث من في القبور ، ولم يختلفوا في أن الجنة والنار حق ، وكذلك أهل
الكتابين لم يختلفوا في ذلك وجحد الكفار البعث والشعور ،
والحساب ، والجنة والنار ، إلا فرقة من كفار العرب فإنهم يرون البعث
والشعور ، وقالوا : من نُحِرَ على قبره^(١) ناقة من ماله أتى يوم القيامة
راكباً لها ، ومن لم نُحِرَ على قبره ناقة أتى ماشياً على رجلبيه ، وقال
في ذلك خراشة بن الأصم بوصي ابنه :

أبسي إمسأ أهلكن فإبني
أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب
لا تترك أبساك يعثر خلفهم
تعباً يسير على اليدين وينكب

(١) في (ع) : من نُحِرَ على قبره

واستبق لي مما تركت مطية

في الناس أركبها إذا قيل اركبوا

فأما سائر الكفار من العرب والعجم فإنهم نفوا البعث. وقالوا: كيف يحيا من قد مات ودُفن ثم صار عظاماً ثم تراباً، ونسوا كونهم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم خلقت المصغة عظاماً، ثم كسبت العظام^(١) لحماً، ثم أسأها الله خلقاً آخر، ذكراً أو أنثى، ثم أخرجه طفلاً، أولم يعلموا^(٢) أن الذي خلقه من تراب يُعيده؟ ولو كان قد صار تراباً، وقد ذكر الله قولهم واحتج به عليهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن طِينٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّهِمٌّ ۝ وَضَرْبَةً لَّنَا مَعْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ لِخَلْقِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يَحْيَا الَّذِي أُنشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سجدة: ٧٧-٨٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ وَالْقُرْآنَ السَّجْدِ ۝ بَلَىٰ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّثَلِّزٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا خُشْيٌ عَجِيبٌ ۝ أَيْدَا بَيْنَ وَكُنَّا تُرَابًا فَبَلَكَ رَجَعَ يُعِيدُ ۝ قَدْ جِئْنَا مَا نَقُصُّ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَظِيطٌ ۝ بَلَىٰ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَنَأْجِبَنَّهُمْ فِي أَمْرِ مَّرِيجٍ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضُ مَنَدَحَاهَا وَاللَّهُنَّاهَا بِمَا رَوَّاسِي وَأَنْشَأَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَنْجٍ نَّعِيجٍ ۝ نَمِيرُهُ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عِدْدٍ يُعِيبُ ۝ وَتَوَلَّوْنَا

(١) ريادة في (ع، م، د)

(٢) في (ت): وليعلموا

يَسْأَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَفَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ۝ أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَانَا وَمَنْ أَمَّا لَمُبِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أُوتِيَ مُطَلِّعُونَ ۝ فَأَطْلَعَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِنِّي هَكُوتٌ لَكُمْ رَيْبٌ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ رَبِّي لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ أَفَلَا تَحْسَبُونَهُ إِلَّا تَكُونًا أَوَّلَىٰ وَمَا تَكُنُّ بِمُعْجِزَةٍ ۝ [الصفحات ٥٠-٥١]. فصيح أنه ليس غير مودة واحدة^(١). ومعنى قول الله فيما حكى من قول أهل النار فيها: ﴿رَكْنَا أَمَّتًا ثَلَاثِينَ وَلَكِنَّهَا ثَلَاثِينَ﴾: أن متدا خلق الإنسان من الموات، وهو الطين والطفة والمضغة والعلقة، فهو في هذه الحال ميت، فهذه مودة، والمودة الثانية مشهورة بين الدنيا والآخرة وأما قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (وأقصد في قره) فالمراد به عند بعثه ونشره أو الخلاف في إحيائه في القبر وإماتته ميتة ثانية فأما عذاب القبر للعاصي فقول به وصدق به، وقيد ورد في ذلك أحار^(٢) عن السيوطي^(٣)، ولم يؤثر^(٤) في وقته نشر، والله أعلم. ولحسب أنه عند بعثه والله أعلم، والقول عليه عند^(٥): أنه يُعَذَّب عند بعثه ونشره^(٦) ويؤيد ما قلنا قول زيد بن علي (عليه السلام): (أيها الناس إن الله خلقكم ليلوكم أيكم أحسن عملاً. جعل^(٧) موتاً بين حياتين: موتاً بعد حياة^(٨)، وحياة ليس بعده موت) وهذا نص فيما ذهبنا إليه، وذلك أن مقام الإنسان في القبر قليل، ولذلك سماه الله زيارة للقبر

(١) في (ج، ل، ي) فصيح أنه لا مودة غير واحدة

(٢) في (هـ، ل)، ولم يأت.

(٣) في (ط، س): والمعمول عليه عندنا

(٤) ما بين الموصي الموصي ساقط في (ت)

(٥) في (ع): وجعل

(٦) في (ص) موتاً بعده حياة.

فقال تعالى: ﴿أَنهَآكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكوير ٢٠١]، ومن فن الزائر أنه لا يلبث إلا قليلاً، وليس هو كالحال. وقد حكى الله قول أهل النار: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَحِيمَ لَنُؤَيِّدَ زُفْرًا ۚ يَمْشَاهُونَ بِبُحْمٍ ۚ إِنَّ لِبَاسِهِمُ إِلَّا عَصْرًا ۚ نَحْنُ أَهْلُهُمْ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاحُ طَرِيقَةً إِنَّ لِبَاسِهِمُ إِلَّا بُرْءًا﴾ [١٠٢-١٠٤].

ومعنى قوله تعالى: ﴿رَفَعْنَا السُّجُودَ لَنُؤَيِّدَ زُفْرًا﴾ أي يدخل (١) سواد عيونهم (٢) في بياضها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُنْفِخُ لِنُؤَيِّدَ لَظْفَارِ غَيْرِ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا إِذْ يُنْفَخُونَ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلِيمَ وَالْإِيمَانُ لَقَدْ لَبِثُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَاسِ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْفَادُ وَلِكُلِّكُمْ صُفُوفٌ لَّا تَلْمِزُونَ﴾ [الزمر ٥٦].

فصل

في الكلام في الصور

وقد اختلف في قول الله تعالى: ﴿رُفِعَ فِي الصُّورِ﴾ [سورة ١٥١] فقبل: معناه: ونفخ في الصور. وروي عن ابن عباس أنه قال: الصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل.

وعندنا أنه صوت يحدثه الله تعالى يفرع منه من في السماوات والأرض، وقد قال الله تعالى: ﴿رُفِعَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

(١) في (ب، ع، د): أنه يدخل.

(٢) في (ع): سواد أعينهم

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعْجِبُ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٠٨﴾
 وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُعْذِرُ الْمُذْخِرُونَ الذَّاكِرِينَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا
 تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ الْبَازِإُ إِلَىٰ نَفْسٍ تُكْرَهُ عُسْيًا
 أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَمَا هُمْ كَافِرَاتٌ خَرَّالٌ مُتَشَبِّهَةٌ تَهْطِئُ إِلَىٰ الذَّاكِرِينَ يَقُولُ
 الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ غَيْرٌ﴾ (١٠٩-١٨)، وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الضَّالِّينَ مِنْ
 مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَنْسُفُونَ الصُّوَرَةَ بِالْحَقِّ فَلَيْلَ يَوْمِ الْخُرُوجِ﴾ (١٠٩، ١١٠)،
 فصيح أنه صوت يسمعه السامعون

فصل

في الكلام في الميزان

وقد اختلف في الميزان فقيل فيه ثلاثة أقوال^(١):

فمن الناس من حمل الآية على طهرها؛ أن الأعمال توزن.
 والآيات التي فيها ذكر الوزن قول الله تعالى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
 الْقِيَامَةِ فَلَا تُخْلَلُمْ هُنَّ شَيْئًا وَلَئِنْ كُنَّ بِمَقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَهَكْنَىٰ بِهَا
 حَاسِبَاتٌ﴾ (١١٧)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾
 (المسود ١٠٢، ١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ هُوَ فِي عِيشَةٍ
 رَاحِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَارِيَةٌ ۝ وَمَا أَفْرَاقُ مَا هِيَ ۝ نَارُ
 حَامِيَةٍ﴾ (القدر ١-١١)

(١) في (هـ، ج، د): ثلاثة أقوال

وعندنا وعند المعتزلة أن الأعمال لا توزن بالميزان المعقول ؛ لأن الأعمال أعراض ، والأعراض لا تقوم بأنفسها ، ولا يُوزن في الشاهد إلا الأجسام ، والميزان عندنا هو الحق والقسط قال الله تعالى : ﴿وَالْوِزْنَ يُوَفِّعُ الْحَقُّ﴾ [الأعراف ٨] ، وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي آتَى الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُخْتَصِمُ لَعَلَّ الشَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [النور ١٧] ، وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۚ وَأَلِيمُوا أَلْوِينَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [المرم ٧-٩] فصح أن الميزان هو الحق ، والوزن هو الحكم بالحق ، وإنما جعل الله ذكر الميزان مثلاً فمثل الحكم بالحق كوزن الأجسام بالميزان المعروف.

واعلم أن معنى هذا المثل . أن من كانت له حسنة وسيئة أن الحسنة في المثل بعشر وزقات بالميراث ، والسيئة بوزقة واحدة ؛ فعلى هذا يكون الرُححان للعشر ، وهذا إذا كان الخاتمة ^(١) من الأعمال صالحة.

ويدل على صحة ما ذكرنا قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [مرد ١١١] وهذا هو المراد بقوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْقَالٍ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِثِقَلٍ﴾ [٢١٠ مسم ٢] وليس المراد به أنه إذا أطعم مسكيناً خبزة أنه يطعم عشر خبز ، ولا إذا كسى عارياً مستحقاً ثوباً أنه كسى ^(٢) عشرة ثياب ، ولو كان ذلك كذلك لأدى ذلك ^(٣) إلى الإنقطاع والفناء.

(١) في (ص) : إن كانت الخاتمة

(٢) في (ع ، ص) أنه يكسى

(٣) زيادة في (ط ، م ، ع)

واعلم أن هذا المثل بالوزن، والميزان يدل على أنه لا يكـ
من الناس من تكون أعماله حسنات كلها ولا سيئة له ؛ لأن في السعد
أنه لا يجعل في أحد كفتي الميزان شيء والأخرى معطلة لا شيء
فيها، ولا يصح الوزن إلا أن يكون في كل واحدة من كفتي الميزان
شيء، قليلاً كان أو كثيراً، ولا يعقل وزن شيء إلا بشيء، فثبت أن
الإنسان المكلف لا يحلو من سيئة.

واعلم أن كل عامل^(١) مسؤول عن عمله -المطيع والعاصي-
ومحاسب على فعله^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابًا بِرَبِّهِ ۝
فَسَوْفَ يَحَاسِبُهُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الاسراء: ٨٧] يدل على أنه لا بد من الحساب
والمسألة^(٣)، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [السكر: ١٨]، وقال
تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ أَهْمَمْتُمْ مَسْئَلُونَ﴾ [صافات: ٢٤]، وهذا السؤال، سؤال تقرير
وتوبيخ، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعْمَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الزمر: ١٢٩]
يريد أنه لا يسأل سؤال جهل واستعهم، بل سؤال تقرير وتوبيخ،
ويؤيد ذلك قول الله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَكُّنٌ هِيَ مُجَابِلٌ عَنْ هَيْبَةٍ﴾ [السر: ١١١]،
وقوله تعالى: ﴿سَكُّنٌ هِيَ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي
جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ
الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآيات: ٢٨-٤٢]، وأصحاب اليمين الذين استثناهم الله
الأطفال؛ ويدل على ذلك سؤالهم لمجرمين عما أدخلهم النار؛

(١) في (ش)، أن كل عاقل عامل. وفي (ع): أن كل عاقل.

(٢) في (ص)- ومحاسب عليه.

(٣) في (ص)، والمسألة.

لأنهم لم يكن معهم خسر عما أذبحهم النار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النجم ٧-١١]، فكانت الناس على ثلاثة أفنان: فسبق وهو الذي يدخل الجنة بعمله، قال الله تعالى في آخر الآية: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النجم ٢١]، وفن وهم أهل النار، ومن وهم الأطفال؛ وهم يدخلون الجنة بغير عمل منهم بل تفضلاً من الله، تفضل عليهم بالجنة، وعوضاً منه على ما أصابهم من الضر والأمراض والموت.

وكذلك البهائم فإن الله يُشبهها ويعوضها بتعليكه الناس إياها وتسخيرها لهم، فيعوضها في الجنة؛ وكل ذلك الوحوش، وجميع ما خلق الله من الحيوان، فإنه قد بالها الضر في هذه الدنيا من الجوع والعطش، والخوف والموت، وغير ذلك.

والدليل على ما قلنا من طريق العقل أنه قد ثبت أن الله تعالى عدلٌ لحكيم^(١)، وأنه رحيم رؤوف كريم. وأن عفوه يرجى عمن أذنب، فكيف من لم يُذنب؟ وهي تألم، وتجوع، وتصمأ، وتهزل، وقد رأينا الناس يكذبون البهائم كذباً عنيفاً، ويستخدمونها حتى تبلغ الغاية من الهرال والموت^(٢). ومنها ما يذبحه الناس ويطحونه بالنار ويأكلونه، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «في كل كبدٍ حرى أجر».

وروي أيضاً الخبر المشهور: «تقربوا إلى الله بإكرام البهائم».

(١) زيادة في (ج، س، ي، م)

(٢) في (ص، ش، ع): من البهوان والموت

وروي النهي عن الإغراء بين سہائم وروي أن رسول الله ﷺ رأى حماراً موسوماً في وجهه فلحن من اسمه. فدل ذلك على أنها تألم، وذلك بينٌ مشاهد^(١)، فصيح أن الله تعالى يعيضاها بما سخرها للناس وذلها لهم وملكتهم إياها، ولو لم يعصها بذلك لكان ذلك ظلماً لها -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد صرح بنصر القرآن وبالإجماع أن جميع الحيوان يحيا يوم القيامة ويُحشر، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ ذَاكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَالِمٌ يَبْتَغِيهِ إِلَّا أَنَّمْ أَمَّا لَكُمْ مَا لَمْ نَرْطَبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْنَا رُتَبُهُمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام ١٢٨].

فإذا كانت تُحشر بلا شك، فلا بد لها بعد حشرها من أحد ثلاثة وحوش: إما أن تدخل النار أو الجنة، أو تُتَمَت وتُمنى.

وإن قيل: إنها تُتَمَت فلا شيء، حُشِرَتْ ثم أُمِتَتْ وأُصِيت؟ فلو كان ذلك كذلك لكان عساً إحبوها يوم القيامة وإماتتها فصيح أن الآخرة هي دار الحيوان، وأنه لا يذوق أحد موتاً بعد الحشر والنشور.

وإن قيل: تدخل النار فما ذبها الذي تدخل به النار؟ وهذا ما لا يُعقل^(٢) ولا يقول به أحد، ولم يبق^(٣) إلا إدخال الله لها الجنة، وفي رحمة الله ما يسعها -الذي وسعت رحمته كل شيء- وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَابِلًا عَنْ هَيْبَتِهَا﴾ [الجمعة ١١١] والبهائم من ذوات

(١) في (ص). بين في الشاهد

(٢) في (ع، ش). عما لا يعقل

(٣) في (ش): فلم بين

النفوس^(١)، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الجهاد أن تُقتل وتُعقر فرسك في سبيل الله» فبدد كان الرجل يأتي يوم القيامة يجادل عن نفسه فكذلك الفرس الذي يُعقر تحته تأتي يوم القيامة تُجادل عن نفسها. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قتل عصفوراً عبثاً أوقف به يوم القيامة فيقول: يا رب إن هذا قتلني عبثاً» - أو قريباً من هذا - فإني جمعت المعنى ونسيت اللفظ.

فأما السباع والحَيَّات والعقارب وما يؤذي الإنسان من الحيوان، فيجوز أن يجعلها الله من عذاب النار^(٢) ولا تكون النار تؤذيها - كخزنة النار - وروى في التفسير مثل هذا عن رسول الله ﷺ.

ومن مشايخ المعرلة من قال: الميزان هو الميزان المعقول بين الناس، وأنه يجعل مكان الحسنه في الميزان نوراً^(٣)، ويمكن السيئة ظلمة، وتوزن فيكون الحكم للراحح^(٤)، ومنهم من قال: لكل واحد ميزان ومنهم من قال: هو ميزان واحد. وقد ذكرنا ما يدل على فساد هذا القول من أن الأعراص لا يصح وزنها، ولا توزن إلا الأجسام^(٥).

(١) في (ب، ش): من ذوي النفوس و(ع): من ذوي النفوس

(٢) في (ص): من أهل النار

(٣) في (س، ش): نور

(٤) في (أ): فيكون العلة للراحح

(٥) في (ش، ي): وأنه لا يوزن إلا الأجسام

عَنِ مَالِهِ ۝ خَلَقَ عَنَى مُطَابَرِهِ ﴿[١٨-٢٩]﴾، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْشَانٍ
الْزَمَانَةُ طَاهِرَةٌ فِي حَقِّهِ وَدُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾
﴿كَلَّمَ بِتَقْسِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١١٤، ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعْلُوهُ فِي الزَّيْرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْطَلَقٌ﴾ [٥٢، ٥٣]، فصَحَّ أَنَّ الْكِتَابَ
هُوَ الْكِتَابُ الْمَعْقُولُ.

ومعنى قول الله تعالى: ﴿الْزَمَانَةُ طَاهِرَةٌ فِي حَقِّهِ﴾ يريد: فَعَلَهُ، خَيْرُهُ
وَشَرُّهُ، وسعادته وشقاوته، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَوَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ
تَكُنُوا لِرَبِّكُمْ تُرْجَمُونَ﴾ [١٨، ١٩]، وقالوا طَاهِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكْرُكُمْ
بَلْ أَهَمُّ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [١٨، ١٩] وحجّة من قال: (الكتاب^(١) هو العلم)
قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى
يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٥١، ٥٢]، قالوا: المراد
به: لقد لبستم في علم الله. وقد يمكن أن يُجْعَلَ معنى الآية على هذا،
ويمكن أن يكون المراد به: لقد لبستم فيما وجدنا^(٢) في كتاب الله الذي
هو القرآن أنكم لبستم إلى يوم البعث^(٣)

واعلم أن للكتاب في كتاب الله أربعة معانٍ: فكتابٌ وهو العلم،
وكتابٌ وهو الكتاب المكتوب بالقلم - وقد ذكرنا ذلك - وكتابٌ
وهو المرض؛ قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [١٨٣]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ
حُكْمٌ لَكُمْ﴾ [٢١٦] يريد: فرض عليكم. وكتابٌ هو الحكم؛

(١) في (س، ل)، إن الكتاب.

(٢) في (أ): فما وجدنا

(٣) في (ل): أنكم لبستم إلى يوم القيامة فما وجدنا

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [البقرة ٢٥٥] يريد: حكم الله. وقد يمكن أن يُحمل الكتاب على معنى خامس وهو أن يمكن أن يكون كتب الله بمعنى: جعل الله، وذلك قول الله تعالى: ﴿أَوْفَيْتُكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَلْهَمْتُ يَرْوِجَ مِنْهُ﴾ [البقرة ١٢٢]، يقول: إنه قد أرسخ في قلوبهم الإيمان حتى صار مثل الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [المائدة ١٧].

فصل

في الكلام في الصراط

واختلفوا في الصراط، فعندنا وعند المعتزلة أن الصراط هو الطريق. والطريق طريقان: طريق الحق، وطريق الساطل. والصراط المستقيم هو طريق الحق.

وقالت الحشوية: هو أحد من سيف، وأدق من الشعرة، ولو كان كما قالوا لكان ذلك تكليف ما لا يطاق وأيضاً فإن التكليف قد سقط في الآخرة لقول رسول الله ﷺ: «الديار دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل».

والذي يدل على صحة ما قلنا قول الله تعالى: ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَن يَقُولُوا ذُرِّيَّتِي خَالِدَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا طَائِفَاتٌ مِنْهُمْ كَذُوبٌ﴾ [الأنعام ١٥٠]، فلو كان صراطاً واحداً للمطيع والعاصي لما

أبدل وبين، ولقال: اهتدا الصراط، ولم يقل: المستقيم، ولا قال^(١):
 ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فلما قال: ﴿اهْتَدِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ علم
 السامع أن ثم صراطاً غير مستقيم، ثم زاد بياناً، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا يُسمى بدل البيان، فيس بياناً ثانياً أن اثم^(٢) لغير
 هؤلاء صراطاً

ومما يوضح ما ذكرنا في البدل أنك إذا قلت لرجل: (أدع الرجل
 زيد بن عمرو) أن هذا السدل يكون بياناً، لأنك لو قلت: (أدع
 الرجل)، لأشكل على المأمور من لرجل؟ لأن الرجال كثير، فلما
 قلت (زيد بن عمرو) بيّن له فهم قولك^(٣) فصح ما قلنا.

وقول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ دليل على
 أن الله قد أنعم عليهم فاستشاههم من الذين هداهم الصراط المستقيم؛
 ولأنه من شرط الاستثناء أنه^(٤) لولا هو لدخل المستثنى في جملة من
 استثنى منه^(٥)، فلو لم يُنعم على المغضوب عليهم والضالين لما
 استشاههم ولأجزأ قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: ﴿غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فصح ما قلنا.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿الشورى ٥٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِيقَاتِ الْيَوْمِ

(١) في (أ): وقل.

(٢) زيادة في (أ)

(٣) في (أ): وبينت له فهم قولك

(٤) في (س): وأنه

(٥) في (س، ي): في جملة المستثنى منه

صَكَّرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَصَحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ صِكْرَتُهُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا نَفْسُ مَنْقُورٍ الْمَعْتَكِرِينَ ۝ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُصِّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَهَدَىٰ وَأَوْزَانَا الْأَرْضِ ضَمَرًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ فَتَاءُ فَبِمَا نَفْسٍ الْقَائِلَةِ ۝ وَكَرَى الْمَلَائِكَةُ خَالَصَتِ مِنْ حَوْلِ الْمَرْمِزِ يُسْتَحْوَنَ بِحَقْدِ رَبِّهِمْ وَكُنُوسٍ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١-٧٥﴾ فَيَسْأَلُهُمْ يُسَاقُونَ زُمْرًا، وَلَيُبَيِّنَنَّ (١) أَنْ لِلنَّارِ أَبْوَابًا، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا. وَقَدْ رَأَى اللهُ تَعَالَى فِي النَّارِ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (٢)، فَلَوْ كَانَ الصَّرَاطُ كَمَا قَالَتِ الْحَشْوِيَّةُ، لَمَا كَانُوا يُسَاقُونَ زُمْرًا، وَلَمَا كَانَ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ وَلِلنَّارِ أَبْوَابٌ، فَصَحَّ أَنْ الصَّرَاطُ هُوَ الطَّرِيقُ (٣)

قال الشاعر:

دَعَسْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى

تَرَكْنَاهُمْ أَدْلَ مِنْ الصَّرَاطِ

وَأَنَّ لِلْجَنَّةِ طَرِيقًا، وَلِلنَّارِ طَرِيقًا.

وقد اختلف في عدد أبواب الجنة، وقد روي عن رسول الله ﷺ:

أنها ثمانية أبواب، وروي عنه ما يدل (على) (٣) أنها أكثر من ذلك.

وروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من اجتنب

(١) زيادة في (ش)

(٢) في (ج)، هو الصراط المستقيم

(٣) ساقط في (ص)

من الرجال أربعاً، وعمل من النساء أربعاً، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، من اجتنب من الرجال: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة، والمرأة، إذا حصنت فرجها، وصلت خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها». وروي عن سلمان الرصي الله عنه^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ثماني ركعات من الليل، والوتر، يُداوم عليهن حتى يلقي الله بهن فتح الله له اثني عشر باباً من الجنة يدخل من أي بابه شاء»^(٢). فدلّ على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية. ويُحمل الخبر الأول في الثمانية الأبواب أنها لجنس من الناس، والله أعلم.



في الكلام في الشفاعة

اختلفت الأمة في الشفاعة.

فعدنا وعند المعتزلة أن الشفاعة للتائبين، وقد تكون أيضاً في الدرجات، والزيادات.

وذهبت المجبرة إلى أن الشفاعة لأهل الكسائر، واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «شفّعتي لأهل الكسائر من أمتي».

(١) هو أبو عبد الله سلمان الفارسي الصحابي الحبل الشهير أول مشاهد الخندق، أحد فصول الصحابة وأحد قبائلهم، أحد من اشتاق إليه الحجة، ومن يرى تقديم الوصي أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام تروى بالمئات سنة خمس وثلاثين من الهجرة النبوية تحت

(٢) في (ع): يدخل من أيها شاء

ونحن نعارض قولهم^(١) بكتاب الله، ويقول رسول الله ﷺ. قال الله تعالى في الملائكة صلوات الله عليهم: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَيْمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا تَشْفَعُ لَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّائِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي هُنَّ عَنْ هُنَّ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ بَيْنَهُمَا شَفَاعَةٌ وَلَا يَأْخُذُ بَيْنَهُمَا غُلٌّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَنفَعُ هُنَّ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧-١٩] فصَحَّ أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر.

وقد ورد في الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الشفاعة^(٢) للتائبين دون العصاة؛ من ذلك ما روي عنه ﷺ، روي عن محمد بن الحسين^(٣) بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال: (رأينا رسول الله ﷺ فعملنا له خزيمة^(٤))، وأهدت كنا أم أيمن قعباً من لبن، ورُبداً، وصحفة من تمر فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، ثم توضأ رسول الله ﷺ فمسح وجهه^(٥) ولحيته بيده، ثم استقبل القبلة ودعا الله جلّ ذكره بما شاء، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات، فهنا أن نسأله ﷺ، فوثب الحسين (عليه السلام) على رسول الله ﷺ فكى وضمه إليه وقال: «بابي

(١) في (ص، ش): في قولهم

(٢) في (ع): أن شفاعته

(٣) في (س، ش) روى محمد بن الحسين.

(٤) في (ش، ص، ع): فعلنا له خزيمة

(٥) في (أ): فمسح رأسه ووجهه

(٦) في (ش، ل): إلى رسول الله ﷺ

أنت؟^(١) وأمي ما يبكيك؟ فقال: يا أبت إنني رأيتك تصنع ما لم تكن تصنع مثله، قال: يا بني^(٢)، إنني سررتُ بكم سروراً عظيماً لم أستر بكم قبله^(٣)، وإن حبيبي جبريل - صلى الله عليه وسلم - أتاني فأخبرني بأنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، فأحزني ذلك، فدعوتُ الله لكم. فقال الحسين (عليه السلام): يا رسول الله صلى الله عليك من يزورنا على نَشْتِنَا وتواعد قبورنا؟ فقال ﷺ: طائفة من أمتي يريدون بذلك يرّي وصلّتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم الموقف فأخذت بأعضادهم فأخيتهم^(٤) من أهوالها وشدائدها»

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي» أربعين حديثاً في السنة كت له شفيعاً يوم القيامة».

وعن علي بن موسى الرضا عن آتائه عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا شفيعٌ لهم يوم القيامة: الضارب بسيفه أمانَ ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم»^(٥) عند اضطرارهم إليه^(٦)، والمحب لهم بقلبه ولسانه». فصح أنه ﷺ لا يشفع إلا للمحسنين.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان

(١) زيادة في (أ)

(٢) في (ش): فقال: يا بني

(٣) في (م): لقد سررت لكم سروراً لم أستر بكم قبله. وفي (ج): لقد سررت بكم سروراً لم أستر لكم قبله

(٤) في (س، ل، م): فأخيتهم.

(٥) في (ب، ج): من أمتي

(٦) في (ب، ج، ش): والقاضي حوائجهم

(٧) في (ش): اضطرارهم إليها

رسول الله ﷺ إذا دُعي إلى حذرة سأل عنها فإن أثني عليها بخير صلى عليها، وإن أثني عليها^(١) بعير ذلك قال: «شأنكم بها»، ولم يُصلِّ عليها. فلو كان يشمع في الآخرة لأهل الكبائر لجاز له أن يصلي عليهم، ويدعو لهم في الدنيا.

فصل

في الكلام في أطفال المشركين

اختلفت الأمة في أطفال المشركين، فعندنا وعند المعتزلة أنهم في الجنة، وأنهم كأطفال المسلمين إلا في الميراث والقبر، فإن آباءهم يرثونهم ويقبرونهم في مقابرهم^(٢).

وذهبت المجبرة إلى أنهم مُعَذَّبُونَ مع آبائهم في النار، واستدلوا بما روي عن خديجة (عليها السلام) أنها سألت النبي ﷺ فقالت: أين أطعمالي منك؟ قال: «في الجنة» فقالت: فأين أطعملي من عيرك؟ قال: في النار وإن شئت^(٣) «أسمعتك ضغفاءهم». وبما روي عنه ﷺ أنه قال: «الوائدة والموءودة في النار» ولم يصح الخبر عندنا. فإن صحح -أي خبر خديجة- فالمراد بذكره الكبار^(٤)، وقد تسمي العرب الغلام اشباب البالغ طفلاً قال الشاعر:

عَرَضْتُ لِعِصَامٍ وَالْخَيْلُ تَرْدِي

بِأَطْفَالِ الْحُرُوبِ مُشْمَرَاتٍ

(١) في (ي، ح، د): وإن أخير عنها

(٢) في (ع): ولو شئت

(٣) في (ص، ع) وإن صحح فالمراد بذكرهما كبار وفي (أ) فإن صحح -أي خبر خديجة- فالمراد بذكرهما الكبار وفي (ط): أما خبر خديجة رضي الله عنها، فإن صحح فالمراد به الكبار

وأما الموءودة فإن صح الخبر فالمراد (به) ^(١) الكبيرة ؛ ومما يؤيد ذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [النمر ٩٠، ٨] فدل على أنها كبيرة ، لأن الصغيرة لا تُسأل ، ولا ذنب لها ، ولا حساب عليها. والموءودة : هي التي تُدفن في القبر حية ، وكانت الكفار تفعل ذلك ، والموتد هو المثقل ^(٢) قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُعْرَضُوا حِفْظُهُمَا وَلِكُلِّ أُولَىٰ الْقُرْبَىٰ﴾ [النمر ٢٥٥] المراد به ولا يُثقله ^(٣)

وأما قول الله تعالى - حاكياً ^(٤) عن نوح (عليه السلام) : ﴿وَلَا يَلْبِسُوا إِلَّا عَجْرًا صَكَارًا﴾ [سج ٢٧] ، فالمراد به أن عاقبتهم إذا سبموا أن يكونوا مثل آبائهم فجّاراً كفاراً قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا لِبَنِيهِمْ صَكَارًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [النمر ١٧٩] يريد : أن عاقبتهم إلى جهنم وقال تعالى في موسى (عليه السلام) : ﴿فَالْقَظْفَةُ أَلْ يَرْعَوْنَ لَكُمْ كَيْفَ هُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [النمر ٨] المراد به : أن عاقبتهم أن يكون لهم عدواً وحزناً ، ومثل ذلك موجود في لغة العرب ، قال بعض الحكماء :

لَسَدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخِرَابِ
فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

(١) سألط في (ع)

(٢) في (أ) : والمؤود هو المثل

(٣) في (ع) : ولا يقله حفظهما

(٤) في (ش ، م ، س) : فيما حكى

فصل

في الكلام في أزواج أهل الجنة

اعلم أن الله تعالى يزوّج عبيده من إمانه يوم القيامة بمن يشاء وكيف يشاء. فأما من مات مؤمناً وله زوجة مؤمنة فلم تخلف بعده زوجاً فأحسب - والله أعلم - أنه زوجته يوم القيامة، وكذلك لو ماتت ولم يتزوّج أحدهما، ولا من يحرم عليه الجمع بينهما، فإن تزوّج أحدهما - بعدها - أو عمتها أو حالتها فروحنه^(١) في الجنة الأخرى دون الأولى. وإن مات وتزوّجت بعده فهي للروح الآخر في الجنة؛ والدليل على ما قلنا ما روي عن الهادي إلى الحق (عليه السلام) في جوابه للبراري يرفعه إلى النبي ﷺ أنه سئل عن زوجة المؤمن هل تكون له زوجة في الجنة إذا كانت مؤمنة؟ فقال ﷺ: «نعم يجمع الله بين أهل البيت إذا كانوا مؤمنين في دار ثواب المتقين».

وذهب أبو حيفة وأصحابه إلى أن الروحانية تنقطع بينهما، واستدلوا بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَسَبَبِي» فهذا الخبر محمول (عندنا)^(٢) على الشماعة دون الزوجية. وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الزمر ١٠١] المراد به أنه لا ينفع النسب يوم القيامة، وقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ المراد به أن كل إنسان مشغول بنفسه في الموقف ويوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْرِ الْأُمَمُ مِنْ نَجْهِهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَلَاتِهِ

(١) في (س، ح، د): فإن زوجته

(٢) سابق في (١)

وَبَشِّرِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ [سورة ٢١: ٢٧] ، فأما في الجنة فإنهم يتساءلون ، قال الله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُتْفِقِينَ ۝ لَمَنِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السُّورِ ۝ إِنَّا صُكَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝ [الغور ٢٥-٢٨] .

وكذلك أيضاً أهل النار يتساءلون في السار : ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَلَىٰ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كُنَّا لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ مُنْطَلِقٍ ۝ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ۝ [الغور ٢٨-٣٠] فصَحَّ أن المراد به : ولا يتساءلون في الموقف ، ولا أنساب بينهم نافعة لهم .

ويدل أيضاً على صحة ما قلنا أن الميت إذا مات فقد خرج من أحكام الدنيا ، وصار من أهل الآخرة ، وقد جاء أيضاً^(١) عن الصالحين من الصحابة وغيرهم من المؤمنين أن الرجل يغسل زوجته إذا ماتت إذا أراد ذلك ، والمرأة تغسل زوجها ؛ وقد روي عن عائشة أنها قالت : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما غسل رسول الله ﷺ غير نسائه ، ولم يُكر ذلك عليها أحد . وروي عن النبي ﷺ أنه دخل^(٢) على عائشة وهي تقول : وَأَرَأَسَاءَ ، فقال ﷺ : «لَا عَلَيْكَ لَوْ مِتَّ قَبْلِي لَغَسَلْتُكَ وَكَفَّيْتُكَ وَحَنَطْتُكَ وَدَفَنْتُكَ»

وروي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) غَسَلَ فاطمة (عليها السلام) .

وروي أن أسماء بنت عميس غَسَلَتْ زوجها أبا بكر ولم يُنكر أحد

(١) زيادة في (ص)

(٢) في (ش) : أنه لما دخل

من الصحابة ذلك فلو كانت الزوجية قد انقطعت بينهما لما جاز لواحد منهما^(١) أن يغسل صاحبه.

فإن ماتت المرأة وتزوج أختها فقد قدمنا القول أن الزوجية قد انقطعت بينه وبين الميتة، وأنها ليست له بزوجة في الجنة بل زوجته الأخرى. وعلى هذا لو ماتت امرأة رجل ثم تزوج أختها^(٢) قبل أن تغسل وتُدفن لم يحز له غسلها ههنا ولا الطر إلى الميتة. وكذلك^(٣) لو عقد بامرأة عقدة النكاح^(٤) ولم يدخل بها ثم مات وتزوج بابتها قبل أن تغسل وتُدفن لم يحز له أن يطر إلى عورة الميتة. ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ينظر الله إلى رجل يطر إلى فرج امرأة وابتنها» وهذا القول ملحق بجهدنا وقباس على ما ذكرنا من الأخبار، والله أعلم.

ويمكن أيضاً أن يكون حكم تزويج الآخرة غير تزويج الدنيا؛ لأن أحكام الآخرة غير أحكام الدنيا، إلا في العدل فإن أحكام الله تستوي (في العدل)^(٥) في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الله تعالى يُزوج أوليائه في الجنة من حور العين؛ وحور العين نساء يخلقهن الله تعالى من الجنة كيف شاء وكما شاء أحسن

(١) في (ل، هـ، م)؛ لما جاز لأحدهما

(٢) في (ش، ح، ع) ثم تزوج بأختها

(٣) في (ع)؛ وكذا.

(٤) في (س) عقد النكاح

(٥) ساقط في (ص)

خلق وأجمل صورة، اكمل^(١) قال الله تعالى: ﴿وَنُحِذِرُ عَذَابَ كَاتِلٍ
الَّذِينَ أَتَوْا مَكَانَهُ﴾ [الرسم ٢٢، ٢٣]، وقد تعالى: ﴿وَعِثْنَهُمْ قَابِضَاتِ الطَّرَفِ
مِمَّنْ كَأَنَّهُمْ يُخَشِنُ مَكُونَهُ﴾ [الرسم ١٨، ١٩]، وقال في تزويجه لأوليائه
بهن: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الرسم ٥١]

وقد اختلف في الحنة هل قد خلقت أم لم تخلق في الدنيا.

فذهب قوم إلى أنها قد خلقت، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
رَأَىٰ ذُرِّيَّةَ لَدُنْهِ عِندَ مِثْرَةٍ مَّتَّعَيْنٍ ۖ هُنَّ حَاجَتُهُ الْمَأْوَىٰ﴾ [الرسم ١٣-١٥].

وعدنا أنها لم تخلق، وأن الله سيحدثها يوم القيامة، ويخلقها كيف
شاء وحيث شاء.

والدليل على ذلك من طريق العقل أنه لا يُعِدُّ الشيء ويدخره إلى
وقت طويل إلا من يعجز عن ابتداعه وقت الحاجة إليه، والله تعالى لا
يعجزه شيء ولا يموت شيء^(٢)، ومن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرسم ٢٦، ٢٧]
فدل على زوال الدنيا، وما عليها. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْثُلُ الْأَرْضُ حَبْرَ
الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [الرسم ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ
السَّجْلِ لِلْكَتَبِ﴾ [الرسم ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيمِينَةٍ﴾ [الرسم ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الرسم ١]، وقال
تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الرسم ١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْهَبْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [الرسم ١٩، ٢٠] فصح أن السماوات تبدل،

(١) زسادة في (س، ل، م)

(٢) زيادة في (ع، ل، م)

وكذلك الأرض. فلو كانت الجنة قد خلقت لم تكن إلا في السماء أو في الأرض، وإذا كانت قد خلقت في السماء كيف تبدل^(١) السماء وتبقى الجنة التي فيها، وما فيها من الخور^(٢) والولدان؟ فصح ما قلنا.

فإن قيل: إن مذهبكم أن إرادة الله هي مراده، فهل قد أراد خلق الجنة أم لم يردده؟

قلنا. إن الخبر غير المحبر عنه فقد أراد الله الإخبار بالجنة ولم يرد حلمها، ولو أراد خلقها لكانت قد خلقت، قال تعالى: ﴿لَهُ الَّذِي يُتَوَكَّلُ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّا بِأَنَّهُ يُفْعَلُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) وقد قدمنا الكلام في الإرادة في موضعه بما فيه كفاية فلا نعلق لمخالفتنا^(٤) بهذا

ومعنى قول الله. ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ يريد بقدرته، ومثل ذلك موجود في لغة العرب، قال الشاعر وهو الشماح:

إذا ما رايسته رُفعت لمحمد
تلقاها غزاة باليمن

يريد بالقوة

(١) في (ص). فكيف تبدل.

(٢) في (ش). من اخور العين.

(٣) في (ب). لمخالفتنا.

فصل

في الكلام في جزاء الأعمال وذكر الخواتم

اعلم أن جزاء العمل موحب، وزيادة على الجزاء فضل من الله تعالى ورحمة، والزيادة ليس لها حدٌّ لأنها فضل من الله، وفضل الله لا حدَّ له، وقد قدما الكلام [فيه] بما فيه كفاية، ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال عند الله سبعة: عملان موجدان، وعملان بأمثالهما، وعملٌ بعشرة أمثاله، وعملٌ بسبعمائة، وعملٌ لا يعلم ثوابه إلا الله تعالى فأما الموجدان: فمن لقي الله عز وجل بعد ولا يشرك^(١) به شيئاً من خلقه وجبت له الجنة، ومن لقي الله وقد أشرك به شيئاً وجبت له النار، ومن عمل سيئةً جزى بمثلها، ومن أراد أن يعمل حسنةً ولم يعمل بها حُزِي مثلها، ومن عمل حسنةً جزى عشرًا، ومن أنفق مالاً في سبيل الله صُوعمت له نفقته الدرهم بسبعمائة، والديار بسبعمائة، والصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله تبارك وتعالى».

واعلم أن الأعمال على خواتمها، فمن وافق موته عملاً صالحاً فقد فاز وطمع بالخير، ومن وافق موته عملاً سيئاً كان من المعاقبين النادمين الخاسرين؛ وعلى هذا لو أن عبداً كان على طريقة النحاة مطيعاً لربه ثم اعتمد معصية الله^(٢) ومات عليها أنه قد أبطل عمل نفسه،

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (ص): لا يشرك

(٣) في (ص): على معصية الله

وأحبط حسناته، وكان كمن لم يضع الله^(١)، وكان من أهل النار، ولو أن عبداً كان عاصياً لربه مُضيعاً للواجبات فاعلاً للمحرمات ثم تاب من ظلمه وأتاب ثم مات على ذلك، كان عند الله من التائبين، وكان من الناجين الفائزين.

ووجه العدل في هذا أن الله تعالى قد أمر عبده بطاعته، وبهائه عن معصيته، ووعد من أطاعه - ثم ستقام على طاعته إلى أن يلقاه - الجنة، وأوعد من عصاه - واستقم على ذلك إلى أن يلقاه - النار، وضمن الثواب، وأحرب بما يبطل (به)^(٢) على العبد عمله، فإذا حالف أمر ربه وأبطل عمل نفسه كان هو بظالم لنفسه. ألا ترى أن الطبيب إذا أعطى العليل دواءً نافعاً له، وقال له: **لم تجب كذا** وكذا فإنه يفسد هذا الدواء، فخالفه ولم يتجيب ما حماه عنه^(٣) أن العليل^(٤) هو الذي أفسد الدواء، ولم يكن على الطبيب في ذلك لائمة ولا حجة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **يسألوا الله السداد**، فإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على جادة من جواد الجنة فيبينما هو كذلك دؤوباً إذ برزت له^(٥) جادة من جواد النار يعمل عليها، ويتوجه إليها، ولا يزال دؤوباً دؤوباً حتى يُختم له بها فيكون من أهلها، وإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على جادة من جواد النار فيبينما هو كذلك دؤوباً

(١) في (ع)، كمن لا يطيع الله.

(٢) سقط في (س).

(٣) في (ع) ما بهاء عنه.

(٤) في (ص) فإن العليل.

(٥) في (ص) ش) إذا انبرت له.

إذ برزت له^(١) جاذبة من جواد الجنة فيتوجه إليها ويعمل عليها ولا يزال دؤوباً دؤوباً حتى يُختم له بها». فصيح ما قلنا وما إليه ذهبنا.

ونحن نسأل الله السداد، وحسن الاستعداد ليوم المعاد، وأن يهدينا أوضح الجواد، وأن يختم لنا بصالح أعمالنا، ولا يؤاخذنا بسيء أفعالنا^(٢) إنه لطيفٌ خبيرٌ.

(١) في (ص، ش): إذا انبرت له

(٢) في (ع): بسيء أعمال



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١٠) باب حقيقة معرفة الكتاب

اعلم أن الله تعالى جعل كتابه حُجَّةً له على العباد، وداعياً إلى الحق والرشاد، وزاجراً عن الفبي ولعساد، ومرغباً في الجنة، ومُخَوِّفاً من النار، وجعله مُؤَكِّداً لحجة العقول، وشاهداً بصدق الرسول، وحاكماً بين الناس، ومُبَيِّناً للإلتباس، وجعل فيه جميع ما يُحتاج إليه من علم الأصول والفروع، ومعرفة الحلال والحرام، ومعرفة القصاص والأحكام والموارث وعلم الشرع وقصص الأولين، وبيان ما يكون^(١) في يوم الدين، وجعله نوراً للمؤمنين، وَضِيَاءً للمهتدين، وجعله بالغاً موحزاً، وقريب المتناول معجزاً، وَقَدْ سَمِعَهُ اللهُ هُدىً، وموعظةً، وذكراً، وعزيراً، ومُباركاً ونوراً، وعبر ذلك من الأسماء الحسنة، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿رَبِّهِ لِكِتَابٍ غَزِيرٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَتَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [الصافات: ١٧٠، ١٧١]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَشْكُرُوا أَنَاءَهُ وَيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [سورة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَعْنُ ذُرِّيَّةَ الذَّكَرِ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ﴾ [سورة: ١٩]، وقال: ﴿وَإِنَّا لَنَذْكُرُكَ لَقَوْلِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [المرسد: ١٤٤]، وقد تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَشْرَى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً هُدىً بِهِ

(١) ي (ع، ص): وتباً ما يكون.

مَنْ نَشَأُ مِنْ حَيَاتِهِ ﴿النورى ٥٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَاقْبَلُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة ٨) ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْحَاكِ فِيهَا يُمِيتُهَا الْيَمِينُ وَالْيَمِينُ الرَّجُلُ كَمَا كَانَ كَوْنُكُمْ ثَمَّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ نَشَأُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة ٢٤) ، ونور الله هو القرآن.

وقوله تعالى : ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ معناه : نورٌ مع نورٍ ، فالقرآن نورٌ والرسول نورٌ فصار القرآن نوراً على نورٍ . وقد سمي الله نبيه سراجاً مبرهاً فقال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاحِجًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَّعَيْنَا إِلَى اللَّهِ يَاقُودَهُ وَسِيرًا مَبِينًا﴾ (السجدة ١٠-١٦).

وقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المراد به : الله منور السماوات والأرض.

واعلم أن المثل في هذا الموضع أكبر من المثل به ، وإنما مثل الله للناس بما يعرفون ، وقد تمثل العربُ الشيء بأصغر منه ، قال الشاعر :

كَأَنَّ قَبِيرًا فِي عَرَاتَيْنِ وَيْلَهُ

كَبِيرٌ أَنَسِي فِي بُجَادٍ مُزْمَلٍ

فمثل الجبل بالإنسان القاعد ، والجبل أكبر من الإنسان . وقد قيل : المشكاة ، نكوة ، وأحسب أنها المحراب ،

ومثله قول الشاعر:

فرضتُ عليه الخوف حتى كأنما
جعلتُ عليه الأرض مشكاة رُهبان
فدلّ على أن المشكاة الصومعة و المحراب ومثله^(١).

فصل

في الكلام في فضائل القرآن

اعلم أنه لما ثبت أن الله أعظم الأشياء كان كلامه أعظم الكلام^(٢)،
ومعنى قولنا: إن القرآن كلام الله المراد به أنه وحى الله وخلقه
ونزله، وقد سمّاه الله كلاماً حيث يقول: ﴿وَإِنْ لَخَدِّعِينَ الْمُشْرِكِينَ
امْتِعَارَكَ فَلِهَاجِرَةٍ حَتَّى يَسْتَعِجَّ كَلَامُ اللَّهِ﴾ (سورة ١٦)، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا﴾ (سورة ١٦٤)، وليس المراد به أنه نطق بالكلام^(٣) كما ينطق ذو
اللسان واللهوات والآلة والأدوات، ولو كان ذلك كذلك لدخل عليه
التشبيه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقد قدمنا الاحتجاج على
المشبهة (فيما تقدم بما فيه كفاية)^(٤).

واعلم أن حقيقة كلام الله أنه العلم والنعمة والرحمة، قال عزّ من
قائل: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السَّغِيرَاتِ لَكُنَّا رُؤَسَاءَ الْبُحْرَى قَبْلَ أَنْ تَقْدُ

(١) في (ج، س، م): ومثلها

(٢) في (ع): أعظم كلاماً

(٣) في (ص): ينطق بالكلام.

(٤) ساقط في (أ)

كَلِمَاتٍ رَمَى ﴿[الكهف ١٠٩]﴾، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنَّةٍ آتَيْنَاكِ الْبَيْتَ وَجَعَلْنَا فِيهِ ذِكْرًا وَآخِرَةً وَمِنَ الْمُتَرَبِّعِينَ﴾ [ال عمران ٤٥].

فصيح أن الكلمة هاهنا هي عيسى بن مريم (عليه السلام)، وهو نعمة، ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وبما جاء به، والكلمات أيضاً هي العلم والنعمة والرحمة، فصيح أن كلام الله خلقه وفعله.

ومى ذكر فضائل القرآن (قوله تعالى): ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة ٢٠]، وقول الله تعالى: ﴿لِئَلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدَّعْوَةِ لَنَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَكِ لَكِتَابًا فَزِيدُ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا خَيْرٌ وَشِفَاءٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْوَاعُهُمْ غُتَّىٰ أُولَٰئِكَ يَلْفُوفُونَ مِمَّنْ مَّكَانٍ نَّجِيمٍ﴾ [سورة ٢١-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة ١-١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا عَلِيًّا حَكِيمٌ﴾ [المراد ١١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنَارٍ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا نُجُومَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَقُلُوبٍ يُفَرِّقُ كُلُّ أَمَرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْثَرًا مِنْ عَيْنِنَا إِنَّا جَعَلْنَا مُزِيلَاتٍ ۝ وَرَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ الشَّيْخُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان ١-١٦].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنَارٍ ۝﴾ يدل على أنه خلقه في قلب الملك الأعلى جملة واحدة، ثم أنزله على نبيه (صلى الله عليه وآله) مفصلاً شيئاً بعد شيء، وذلك مُجمَعٌ عليه، فسمَّاه الله نوراً وهدى وذكرًا، وحكمة وموعظة، وبياناً ورحمة، ونبوءة وشفاء، وبصائر وفرقاناً، ومعنى اسم الفرقان: أنه البيان الذي يفرق بين الحق والباطل،

وَيُتَيْنَ الْحَقَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِيُتَمِّنَ لَهُمُ الَّذِي
لَاخْتَلَفُوا فِيهِ وَلَهُنَّ وَرَثَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سجدة ٢٦].

وفي فضل القرآن ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ هُدْنَةٍ»^(١) عَلَى طَهْرٍ سَعَرٍ، وَإِنَّ السَّيْرَ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ
رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كَيْفَ يُبْلِيَانِ كُلَّ حَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ
بِكُلِّ مَوْعُودٍ، فَأَعِدُّوا الْجَهَارَ لِعَدِّ الْمُقَمِّمِ». فَقَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَارُ الْهُدْنَةِ؟ قَالَ ﷺ: «دَارُ بِلَاءٍ وَانْقِطَاعٍ، فَإِذَا
الْتَمَسْتَ عَلَيْكُمْ الْفِتْرَ كَقِطْعِ اللَّيْلِ امْطْلِمِ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ
مُشَفِّعٌ، وَشَاهِدٌ مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ
خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَى حَيْرٍ سَبِيلٍ، وَكِتَابُ تَفْصِيلٍ،
وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَالْفَصْلُ^(٢) لَيْسَ بِالنَّهْلِ، لَا لِحَصَى عَجَائِبِهِ، وَلَا تَبْلَى
غَرَائِبِهِ، فِيهِ مَصَائِيحُ الْهُدَى، وَمَسَارَاتُ الْحِكْمَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ
لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ، فَلْيُولِجْ رَجُلٌ بَصْرَهُ»^(٣)، وَلْيُبْلِغِ الطَّرِيقَةَ نَظْرَهُ، يَنْجُ
مَنْ عَقَبَهُ، وَيَتَخَلَّصَ مَنْ تَشَبَّهَ، وَبِإِنْ التَّفَكُّرَ حَيَاةَ قَلْبِهِ الْبَصِيرِ كَمَا
يَمْشِي الْمُسْتَتِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ بِحَسَنِ تَخَلُّصٍ وَقِلَّةِ تَرَبُّصٍ». وَعَنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ تَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعَكَ اللَّهُ، وَلَا تَعَزَّزْ
فَيُذَلِّكَ اللَّهُ، وَتَزَيِّنْ لِلَّهِ فَيُزَيِّتُكَ اللَّهُ، وَلَا تَزَيِّنْ لِلنَّاسِ فَيُضَعِّكَ اللَّهُ،
[إِنَّا]»^(٤) اللَّهُ أَفْضَلُ لَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ دُونَ اللَّهِ، مَنْ وَقَرَ الْقُرْآنَ فَقَدْ

(١) في (س، ط) في دار هُدْنَةٍ

(٢) في (ع): هُوَ الْمَصْلُ

(٣) في (هـ، د، ي) - فليُولِجِ الرجلُ بصره

(٤) زيادة في (ج، ل)

وَقَرَّ اللَّهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ لِقْرَانٍ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ، وَحَرَمَةَ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ كَحَرَمَةِ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، وَحَمَلَةَ الْقُرْآنِ يُدْعَوْنَ فِي التَّوْرَةِ الْمَخْصُوصِينَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُتَلَبِّسِينَ نُورِ اللَّهِ^(١)، الْمُعَلِّمِينَ كَلَامَ اللَّهِ، مِنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، يَدْفَعُ عَنْ مَسْتَمِعِ الْقُرْآنِ بِلَوَى الدُّبَا، وَيَدْفَعُ عَنْ تَالِي الْقُرْآنِ بِلَوَى الْآحِرَةِ.

وَعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْسَى قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «عَمَلُ الْحَالِ الْمُرْتَجِلِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحَالُ الْمُرْتَجِلُ؟ قَالَ: «صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَصْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَمَنْ آخَرَهُ إِلَى أَوَّلِهِ كُلَّمَا حُلُّ أَرْتَحِلُ».

وَرَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ قَالَ: حَظَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: الْحَقُّ طَرِيقُ الْحَيَّةِ، وَالْبَاطِلُ طَرِيقُ النَّارِ، وَعَلَى كُلِّ طَرِيقٍ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى طَرِيقَتِهِ، فَمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْحَقِّ أَذَاهُ إِلَى الْحَيَّةِ، وَمَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْبَاطِلِ أَذَاهُ إِلَى النَّارِ، أَلَا وَإِنْ دَاعِيَ الْحَقِّ كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرَ مَا قَبْلَكُمْ، وَبِأَمَّا بَعْدُكُمْ، مَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرًا، وَمَنْ خَالَفَهُ دُحْرًا، أَلَا وَإِنْ الدَّاعِيَ إِلَى الْبَاطِلِ عَدُوَّكُمْ الَّذِي أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْحَيَّةِ يَرْعُ عَنْهُمَا لِبَسْهُمَا لِبَرِيَّهُمَا سَوَاتُهُمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ، أَلَا فَاغْصُوا عَدُوَّكُمْ، وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ، وَمَنْ أَحَقُّ بِكُمْ مِنْ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ كَلَامِ النَّاسِ: أَنَّ كَلَامَ النَّاسِ

(١) في (ب)، المتلبسين بنور الله

إذا رُدَّدَ وأعيدَ مراراً سَمَّجَ ومُلَّ، وإذا أُعيدَ القرآن ورُدَّدَ ازداد حلاوةً وعذوبةً وحسنًا ولذَّةً عند المؤمنين، وقد قال فيه بعض الحكماء:

يزداد في طول التلاوة جِدَّةٌ

ومنى يُعَدُّ شَيْءٌ سِوَاهُ يُخْلَقُ

ومما يدل على كمال القرآن وأن فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان من الهدى والحق والبرهان أن جميع الأمة تستمد منه وتحتجُّ به، وأن من حسن نظره وتمييزه يجد فيه كل ما طلب؛ ويُؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿مَا فُرِطَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام ٣٨]

ومما يدل على أن في القرآن كل ما يحتاجه الإنسان من الهدى والحق^(١) والبرهان ما روي عن أبي هاشم الرماني قال: طلب زيد بن علي عليهما السلام من أخيه أبي جعفر كتاباً، فأعمل عنه أبو جعفر^(عليه السلام) ثم ذكره، فأخرج^(٢) إليه^(٣) الكتاب، فقال له زيد بن علي عليهما السلام: قد وجدت ما أردته من في القرآن. فقال له أبو جعفر: فأسألك؟ قال زيد: نعم^(٤)، إسأل عما أحببت. قال أبو هاشم: فافتتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأله وزيد يجيبه بجواب علي^(عليه السلام) كما في الكتاب. فقال له أبو جعفر: بأبي أنت وأمي يا أخي أنت والله نسيج وحدك، بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك صلوات الله عليهم.

فصح أن في القرآن كل ما يحتاج إليه الإنسان من الهدى والبرهان.

(١) زيادة في (ش، ص)

(٢) في (ص): فأخرج عليه. وفي (ع): فأخرج له

(٣) في (ب، ص، ع): فقال: نعم

فصل

فِي الْكَلَامِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ

اعلم أن القرآن على أفنان: فمنه المُحْكَم، ومنه المُتَشَابِه، ومنه النَّاسِخ، ومنه الْمُنْسُوخ، ومنه الْمُجْمَل، ومنه الْمَفْسَّر، ومنه مَا هُوَ فِي مَخْرَجِهِ عَامٌ وَفِي مَعْنَاهُ خَاصٌ، ومنه الْخَاصُّ، ومنه الْعَامُّ، ومنه مَا يَوْجِبُ الْعِلْمَ، ومنه مَا يَوْجِبُ الْعَمَلَ، ومنه (مَا هُوَ) مُحَذَفٌ الْجَوَابِ، ومنه مَعْهُومُ الْخُطَابِ، ومنه الْقِصَصُ وَالْأَحْيَارُ وَالْأَمْثَالُ، ومنه الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، ومنه الْمَوَاعِظُ وَالزَّحَرُ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ، وَفِيهِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

فَالْمُحْكَمُ هُوَ الْجَلِيُّ الْبَيِّنُ الَّذِي يَكُونُ تَأْوِيلُهُ مُوَافِقاً لِتَرْجُمَتِهِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ وَالْمَعْمُولُ عَلَيْهِ وَالْأَحْسَنُ، وَهُوَ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَالَّذِي وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ.

وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا كَانَ عَامِضاً، وَكَانَ تَأْوِيلُهُ بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ، وَكَانَ مُشْكِلاً عَلَى مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَلِمْتَشَابِهِ (هُوَ) (١) مَا كَانَ يَحْتَمِلُ الْوُجُوهَ، وَلَا يُعْرَفُ الْمُرَادُ بِظَاهِرِهِ. وَالْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَيُعْرَفُ الْمُرَادُ بِظَاهِرِهِ.

وَالْعِلَّةُ فِي الْمُتَشَابِهِ الْبَلِيَّةُ وَلِإِمْتِحَانِ أَهْلِ الْعُقُولِ السَّنِيَّةِ (٢)،

(١) رِيَادَةُ فِي (هـ، ل، م)

(٢) سَاقَطَ فِي (ع، ش، ب).

(٣) فِي (ش) الْبَيْتَةُ وَهِيَ حَقْلٌ

وهو مردود إلى المحكم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَقُمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران ٧] ،
 فبين الله تعالى أن الكتاب، منه المحكم والمتشابه^(١)، وأخبر أن المحكم هو الأصل المعمول عليه؛ لأن أم الشيء أصله، ولذلك سُميت والدة الإنسان اله^(٢) أمًا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ بَرَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مَخْطُومَةٍ﴾ [الإنسان ٢١] يعني مكة لأنها أصل القرى؛ لأن جميع القرى تفرعت منها، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران ٩٦]، فصح أن المحكم أصل الكتاب، وأنه المعمول عليه ثم دم من يتبع المتشابه فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران ٧] يريد بالفتنة المجادلة للحق ولأهله.

والاستدلال بالمتشابه^(٣) كقول الله تعالى: ﴿وَجُحُودٌ يُؤْمِرُ بِالسَّيِّئَةِ وَبِالنَّكَاحِ﴾ [النساء ٢٢]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [النساء ١٦]، وقوله: ﴿وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يُبَاقِئَهُمُ اللَّهُ فِي طَلِيٍّ مِنَ النَّعَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [النساء ٢١]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ مَعًا﴾ [النساء ٢٢]، وقوله علا وعز: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥]، وقوله: ﴿وَيَقْبَلُ عَذَابَ رُكُوكُكَ فَوَقَّعَهُمْ بِوَعْدِهِ﴾ [النساء ١٧]، وقوله: ﴿وَيَقْبَلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٩٢] ،

(١) في (ع، ل، م) والمتشابه منه.

(٢) زيادة في (س، ع، م).

(٣) في (ص): والاستدلال بمتشابهه.

وقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد ١٦]، وأمثال ذلك، فهذه الآيات متشابهات، وقد اتبعتها المشبهة والمجبرة^(١).

وفي أصل الكتاب المحكم المجمع عليه ما يدل على أن تأويل هذه الآيات غير طاهرها، وهو قوله تعالى: ﴿تَسْكُنُ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ فِيهَا يُحْيَوْنَ وَفِيهَا يُمَيِّتُونَ وَمَا يُبْدِي السَّمَاءُ وَمَا يُغْشِي السَّمَاءُ إِلَّا ظُلُمٌ أَسْوَدٌ وَفِيهَا تُسْجَرُ السُّجُورُ﴾ [البقرة ٢٢٠]، وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [البقرة ١٧٣]، وقد بينا هذا، وفسرناه في باب حقيقة معرفة التوحيد بما فيه كفاية.

وتأويل قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ المراد به: يظلل من الغمام، وقد قال الله تعالى -حاكياً عن فرعون: ﴿وَلَا صَلَاتُكُمْ فِي مَجْنُوعِ النَّعْلِ﴾ [طه ٧١] المراد به: على جدوع النخل، ومثل هذا موجود في لغة العرب وكذلك قوله: ﴿وَحَاءَ وَكَأَ﴾ المراد به: وحاء امر ربك، والملك، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ المراد به: على الملك اقتدر.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ﴾ [البقرة ٢١] المراد به: ثم اقتدر على السماء؛ والقول من الله هو الفعل، لا غير، والقول من السماء والأرض هو الإذعان لله والذلة له^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ لَوْ تَرَأَيْتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة ١٧] المراد به: والله أعلم: ويتولى ملك ربك يوم القيامة ثمانية أصناف من الملائكة،

(١) في (ع، ب، د) وقد تبعها المشبهة وفي (ش)، وقد اتبعتها المشبهة

(٢) زيادة في (ع)

ولأنهم خزنة الجنة وخزنة النار، وقد قال الله تعالى في خزنة النار: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا ذِيئَةً لِلنَّارِ ۝ صَكَتُوهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْكُتَابَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۝ كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يُعَلِّمُ خُشُودَ رَيْكَ إِلَّا طَوْرًا وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾ [سدر ٣٠، ٣١]، وصح^(١) أن الثمانية والتسعة عشر الأصناف^(٢) كما ذكرنا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمُ خُشُودَ رَيْكَ إِلَّا طَوْرًا﴾ [السدر ٣١].

واعلم: أن من الكتاب ما لم يُطْلِع الله على علمه أحداً مثل قوله تعالى: ﴿الْم﴾، وقوله: ﴿الْمِص﴾، و﴿الْمِر﴾، و﴿الر﴾، و﴿كَيْمِص﴾، و﴿ط﴾، و﴿س﴾، و﴿حَم﴾، و﴿حَم ۝ صق﴾، وأمثال ذلك، فإن هذه الحروف لم يُطْلِع على علمها أحدٌ من الناس^(٣)، ولو أعلم الله بها شيء، لا أعلم بها النبي ﷺ أمته.

وقد مدح الله تعالى الراسخين في العلم فسماهم بالرسوخ، فقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [ال عمران ٧]، وقال الله تعالى للملائكة صلوات الله عليهم: ﴿أَتَدْعُونَ بِلِسَانٍ هَؤُلَاءِ لَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [السدر ٣٦، ٣٧]،

(١) في (س): لصح

(٢) المراد بالثمانية، والتسعة عشر - المذكورين في الآيتين - الأصناف، يعني ثمانية أصنافاً، وتسعة عشر صنفاً لا أن المراد أعداد الأعداد على معنى ثمانية ملائكة وتسعة عشر ملكاً، والله أعلم، وهذا على ما ظهر من كلام المؤلف رحمه الله.

(٣) في (س، ط، ع): لم يطلع الله على علمها أحداً

فصح أن في الكتاب ما أخفى الله على الناس تفسيره، تعجيزاً للعباد، وامتحاناً لأهل الاجتهاد.

واعلم أن تفسير غامض القرآن يخرج على ثلاثة وجوه:

فمنه ما فسره رسول الله ﷺ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَكَلِّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأمثال ذلك، فإن هذا الأمر من الله تعالى ورد مجملاً، وفسره رسول الله ﷺ.

ومنه ما يستنبطه الأئمة، ويفسره الأئمة (العلماء) ^(١) الاتقياء، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّوا زَكَاةً إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَبْطَلُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٢]

ومنه ما يرجع فيه إلى أهل البعة، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿لَمَّا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] فهذا، للفظ لفظ التعصب، والله تعالى يجل من أن يتعجب؛ لأنه لا يتعجب من شيء إلا من يجهل وقوعه، أو كان عاجزاً عن فعل مثله؛ فهد معناه. فما اضطربهم على النار، وليس بتعجب، قال الشاعر:

قلتُ لها أصْبِرْ هداً بنا ^(٢)

أمثال سَطَام بن قيس قليل ^(٣)

(١) ساقط في (ب، ع، د)

(٢) في (شر) - قلب لها. أصبرها دائماً

(٣) قوله: (أصبر): أفعل، كأكرم، ومعناه اضطرب هذا الشخص بنا والتجأ إلينا لعدم وجود أمثال بسطام تحت

فصل

في الكلام في النسخ والمنسوخ

اعلم أن في الكتاب ناسخاً ومنسوخاً؛ فالمنسوخ ما نُسخَ حكمه ولم يُنسخ حفظه وكتابته وتلاوته، والأمة مجمعة على ذلك، إلا فرقة ممن لا يعمل على قولها^(١) ومن المنسوخ ما نُسخ وجوبه وحُرم فعله، كالتوجه بالصلاة إلى بيت المقدس.

ومن المنسوخ ما نُسخ وجوبه وبقي جوازه، كصوم يوم عاشوراء ومن الدليل على أن في الكتاب^(٢) ناسخاً ومنسوخاً قول الله تعالى: ﴿مَا تَصْنَعُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيحَةٍ نَّاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يَتْلَاهَا﴾ (البقرة ١٠١) وفي هذه الآية تقديم وتأخير أراد: ما نسخ من آية نأت بخير منها، أو مثلها، أو نسيتها فلا تنسخها^(٣)، وبقرهه على حالها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ مَا يَشَاءُ وَيُتْلَاهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الزمر ٢٩)، وأم الكتاب هو أصله^(٤) وهو المحكم، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سمع رجلاً يعظ الناس ويقص عليهم، فقال له: هل علمت ناسخ القرآن ومنسوخه؟ قال: لا قال (عليه السلام): هلك وأهلك^(٥)

وسبب النسخ والمنسوخ ضعف لإسلام في مبتدئه وقوته في منتهاه، وتخفيف من الله ورحمة للمؤمنين.

(١) في (أ): على قوله.

(٢) في (ع): في القرآن.

(٣) في (د، هـ) ولا نسها

(٤) في (م، هـ، ي): هي أصله

(٥) في (ش): قال له.

فأول ما تُسَخَّ القبلَةُ، وذلك أن الكعبة كانت قبلَةَ النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة، وكانت قبلَةَ أبيه إبراهيم (عليه السلام) والأبياء (عليهم السلام) من قبله فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان أهلها لا يعرفون قبلَةَ إلا بيت المقدس، وكان الإسلام عرياً، فأمر الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُنَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فصلى ﷺ إلى بيت المقدس - على ما روي - ستة عشر شهراً، وقيل: سبعة عشر، فلما تقوى الإسلام، وتوقع ﷺ (١) الوحي من ربه، وانتظر خبر جبريل صلى الله عليه وسلم يزل به، فأمر الله تعالى: ﴿قَدْ تَرَى قُلُوبَهُمْ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلُّهُمْ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي نحو:

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُذِرَ الْقِتْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢١٥] نسختها آية الموارث

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُطْعَمُونَ قُلِ الْغَنَى﴾ [البقرة: ٢١٦] يريد: الرائد على كفايتهم نسختها آية الزكاة

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿حُكِّبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا حُكِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فكانوا لا يأكلون بالليل بعد الرقاد، ولا يشربون، ولا يُحَامَعُونَ، فنسخ ذلك قول الله تعالى: ﴿أَجِزْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَ أَنْفُسَكُمْ فَخَابَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى عَنُقِكُمْ مَا أَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْغَضُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

(١) في (ص، ع): توقع ﷺ

لَكُمْ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ لَحْيُ الْأَيْصُ مِنَ الْوَحْيِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (البقرة ١٨٧). معنى قوله : «وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يريد : ابتغوا الولد، وروى عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن تفسير الحيط الأبيض من الحيط الأسود فقال : «الليل والنهار».

ومما نسخ : نكاح المتعة، وهو قول الله تعالى : «فَمَا اسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» (النساء ١٠) نسخها قول الله تعالى : «وَمَا أَكَلَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقَ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ إِمْعَنَهُنَّ وَأَخْضُوا لِعَمَلَةٍ» (النساء ١١) وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه اعتمر فشكا إليه الناس العزبة، فقال : «استمتعوا من هذه النساء، واحملوا الأهل ببيكم ويسهن ثلاثة أيام» فلما كان اليوم الثالث أو الرابع من قوله خرج رسول الله ﷺ حتى وقف بين الركن والمقام، وأسد طهره إلى الكعبة ثم قال : «يا أيها الناس إني كُتِّبَ قد أمرتكم بالاستمتاع، ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليحل سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا».

وروي أنه قال في آخر كلامه : «متاع النساء حرام، متعة النساء حرام» قال ذلك ثلاث مرات.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه مرَّ بعبد الله بن العباس وهو يفتي بنكاح المتعة، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «قد نهى رسول الله ﷺ عنها، وعن لحوم الحمر الأهلية».

والأمة مجمعة على تحريم المتعة، لا الإمامية فإنهم يرونها.

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَلْعَنُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُمْ غِيَاً﴾ [البقرة: ٢٢٩] وهذا في المحتلعة. وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَلْعَنُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمُوهُ نَهْيًا وَلَا تَمْنَاهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠] نسخه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وروى أن أول مختلعة في الإسلام حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس، فأتى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابت، فقد لها النبي ﷺ: «أَفْتَرُدِّينَ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ؟» قالت: نعم - وكان ثبوت تزوجها على حديقة من محل - فقال ثابت: هل يطيب ذلك لي يا رسول الله؟ قال: «نعم»، وأمره رسول الله ﷺ بطلاقها.

ومما نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخُرُوجِ فَإِنْ خَرَجْتُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي بُحْبُوحَةِ الْأَرْوَاحِ مِنَ مَقْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠] كانت^(١) عدة المتوفى عنها زوجها سنة، وكانت لها الوصية، ولم يكن لها ميراث، فنسخت^(٢) عدة^(٣) بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَكْنَهَا بِأَهْسِنِ أَنْتَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وسبب^(٤) عدة إظهار الحزن على صاحبها وتوقع الولد منه، وهو في هذه^(٥) المدة يتبين الحمل إن كان وقد قيل: إنه يكون في أربعين يوماً نظمة، وفي أربعين يوماً علقية، وفي أربعين يوماً مضعة، فإذا بلغ أربعة أشهر وعشراً صار عظماً، ولم يخف

(١) في (ب، ص، ش، ع): كان. وفي (أ): كانت

(٢) في (ج، ه، د): مسح قدر عدة

(٣) في (ص، ه): وهي في هذه المدة

كونه^(١) ولا يفسأ وجوده، ونسخت الوصية له بآية المواريث؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرِّغَمُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّنُنُ﴾ [النساء: ١٢].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْعِلْشَةَ مِنْ بَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنصِبُوا فِي الثُّبُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَخْلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الب: ١٥] نسخه قول الله تعالى: ﴿الرَّائِيَةُ وَالزَّائِيَةُ فَلَا يَحِلُّ لَهَا سَكْلٌ وَلَا جِدٌّ مِنْهَا بِأَيَّةٍ خَلَّتْ﴾ [الب: ١٢]. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حدوهن واقبلوهن»^(٢) قد جعل الله نهى سبلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفي عام، والثيب بالثيب الرجم».

ومما نسخ قول الله تعالى في أهل الذممة: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَلَا تَكُفَّ بِهِنَّ أَوْ أَهْرَضْنَ عَنْهُمْ﴾ [الب: ١٢] نسخه قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لِحُكْمِ رَبِّهِنَّ بِمَا أُنْزِلَ إِلَهُ﴾ [الب: ١٩].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا إِذَا قَاتَيْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] نسخه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِحُكْمِكُمْ بَتَعَتَا لَهْوَةِ الذِّمِّيِّ الْكَيْفَ أَمَاتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومما نسخ حج المشركين، وفي ذلك ما يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُوبُوا أَمَانَةَ اللَّهِ وَلَا الشُّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أُمُومَاتِ الْيَمِينِ الْحَرَامَ﴾ [البقرة: ٢] نسخه الله بقوله: ﴿إِنَّمَا تَشْرِكُونَ بِحَسَنٍ فَلَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَذَا﴾ [البقرة: ٢٨].

(١) في (س، ي، ل): ولا يفسأ كونه

(٢) في (ش، ج، ع): حدوهن، واقبلوهن.

(٣) في (ش، ب): نسخ بقوله تعالى.

[illegible]

ومما نسخ فرض الوصية للوالدين و لأقربين ، وذلك قول الله تعالى :
**﴿صَكَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ كَرِهَ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
 وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** [سورة النساء ١٨٠] نسخه الله بأية المواريث.
 وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ في حجة الوداع : «ألا لا وصية
 لوارث» ، قد نسخ الله ذلك بأية المواريث وهذا مما نسخ وحوه وبقي
 جواره ، يؤيد ذلك ^(١) قول الله تعالى : **﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَوتَيْنَاكُمْ**
مَعْرُوفًا﴾ [الأعراف ١٦].

ومما نسخ التغليظ في النهي عن محالطة اليتامى في البقرة والأكل
 معهم ، وذلك قول الله تعالى : **﴿لِئَلَّا يَتَّبِعُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا**
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَأْرًا وَمَسْمُونًا﴾ [البقرة ٢٢٠] روي أنه لما نزلت هذه
 الآية امتنع المسلمون ^(٢) من قبول الوصاية في اليتامى وأن يكفلوهم ،
 ونحروا من محالطتهم ، فسبح الله هذا التغليظ بقوله تعالى : **﴿وَتَسْأَلُونَكَ**
عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ حَرُّ وَإِنْ قُضِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواكُمْ وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَ
النُّصْلِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْيَبَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء ٦] يقول : لو شاء
 لضيق عليكم . وقال تعالى : **﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا**
فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة النساء ٦] المراد به والله أعلم : أن من كان غنيا ^(٣) عن
 المخالطة لهم والأكل معهم ، فليستعفف عن المخالطة لهم والأكل
 معهم ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، أي ومن كان فقيرا إلى ذلك

(١) في (أ ، ص) ويؤيد ذلك

(٢) في (س ، م ، ع) . امتنع المؤمنون .

(٣) في (ب ، ت ، ص ، ع) أنه من كان غنيا

فَلْيُخَالِطَهُمْ، وَلْيَأْكُلْ مَعَهُمْ، وَلَا يَتَعَمَّدِ الظُّلَمَ لَهُمْ، وَالْآ^(١) النَّقْصَ لَهُمْ فِي مَالِهِمْ.

وقد اختلف في هذه الآية، فمن الناس من حملها على ظاهرها، وأجار للوصي الأكل من مال اليتيم إذا كان الوصي فقيراً، وأن يُنفق منه على نفسه ومن تلزمه نفقته. ومن الناس من قال: يتناول منه مثل ما يتناول المضارب من المضارب له^(٢) على سبيل الأجرة

وعندنا أن ذلك لا يجوز لقول الله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ومن المعروف أن يُخرج الوصي لليتيم من ماله مثل ما يُخرج لثله من أولاده ثم يخلطه في نفقة أولاده؛ ويؤاسيه بأولاده^(٣)، ولا ينقصه في ماله ولا في نفقته، فهذا هو المعروف، لا يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْفِيكَ الْغَنَى مِنَ الْمُتَصَلِّحِ﴾ [سورة ١١٠].

ومما نسخ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَلَمَّعْتُمُ الرُّسُولَ فَدْتُمُوهُنَّ يَدَيَّ فَتَحُوا صُكَّتُمْ صَدَقَةٌ فَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطِيعُوا فَإِنِ الْإِلَهِ ظَهَرَ رَحْمَتُهُ﴾ [الأنفال ١٦]، وسبب نزول هذه الآية أن المسلمين أكثروا النحوى حتى أضرب ذلك برسول الله ﷺ، فأراد الله أن يخفف عنه، فأنزل هذه الآية، فامتنع كثير من الناس من لمساواة. وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (إن في كتاب الله لآية وفرضاً ما عمل بهما أحدٌ غيبي،

(١) زيادة في (ب، هـ، ج، ع، ص، م).

(٢) في (ب، ص، ط، ع). من مال المضاربة

(٣) في (ط، ن) - ويؤاسيه بأولاده.

ولا يعمل بهما أحدٌ بعدي : لما أنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دَخَلْتُمُ
الرُّسُولَ فَخَلُّوا يَوْمَئِذٍ دُخْرًا مِّنْكُمْ مَّدَنَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطِيعُوا فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنِ
اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة ١٢] كان معي دينار فصرفته ، فكنت كلما أردت أن
أتأجي رسول الله ﷺ تصدقت بدينارهم ، فلم يفرغ الدينار حتى نسخت
الآية الكريمة).

فنسختها الله بقوله : ﴿وَأَشَقُّمُ أَن تُخَلُّوا يَوْمَئِذٍ دُخْرًا مِّنْكُمْ مَّدَنَاتٍ فَإِذَا لَمْ
تَجِدُوا فَإِنِ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّدَنَاتٌ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ١٣].

ومما نسخ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَصَلِّ
أَوْ اقْصِ يَوْمَ قَلِيلًا ۝ أَوْ دِرْ عَلَيْهِ وَزَلَّ الْقُرْآنُ تَرَجُلًا﴾ [الزمل ١-٤].

وروي أن أول هذه السورة نزل على النبي ﷺ بمكة ، وأنه أمر من
الله تعالى بتأخير صلاة العشاء الآخرة ، فعمل به رسول الله ﷺ ،
والمؤمنون إلى أن نزل آخر السورة في المدينة بعد ستة أشهر ، فنسخ الله
ذلك بقوله : ﴿إِنَّ رِجْلَكُم مَّا كَانَتْ هُمْ أَدْنَىٰ مِن ثَلَاثِ اللَّيْلِ وَصَلِّ ۝ وَثَلَاثَ وَطَائِفَةٍ
مِّنَ اللَّيْلِ مَعَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فُجَابٌ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا
تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾ إلى آخر السورة [الزمل ٢٠].

ومما نسخ قول الله تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ الْعُرْيَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا
خَضَعُوا لَكُمْ أَعْيُنُهُمْ أَوَّلَ الْيَوْمِ قَالِ إِنِّي أَنَا نَبِيٌّ لَّكُم مِّنْ دُونِ مَا جَاءَكُمْ فَاعْتَدُوا
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الاحزاب ١٨] ، نسختها الله بقوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَرْفُوا عَلَى
أَهْلِهِمْ لَا يَقْطَعُوا مِيزَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَنْفِرُ لِلْكَافِرِينَ حَبِيبًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝

وَأَيُّهَا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذَ بِكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٥١﴾ [الزمر: ١٥١]، وهذا بشرط التوبة لقوله: ﴿وَأَيُّهَا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْخُذَ بِكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾. ومن شروط التوبة الخروج من حق آدميين.

وَمَا نُسَخِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَأْتُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَأْتُوا آلَافًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّقُونَ﴾ (النساء ١١٥)، فسخ الله هذه الآية بقوله: ﴿الآن خَلَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَخَلِمَ أَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ صَبَاحًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَأْتُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ آلَافٌ يَأْتُوا أَلْفَيْنِ يَذِقِ اللَّهُ وَاللَّهُ عَمَّ الصَّابِرِينَ﴾ (النساء ١١٦)، فهذا ما جاء في النسخ والمسخ.

ومن الكتاب مُحمّل، ومنه مفسر للمجمل، من ذلك^(١) قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَ الْاَلِهَةِ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧١]، فهذا مجمل ظاهره يوجب أن ذبيحة الباسي للتسمية، والقصي الذي لم يبلغ^(٢) لا تحور، ثم فسره الله بقوله: ﴿خُرِئَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ الْبَيْتِ إِلَيْهِ مِنَ الْمُشْرَكَةِ وَالْمَرْفُودَةِ وَالْمُفْرَقَةِ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّمْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا فَهِجَ عَلَى الْتَمِيمِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فبين أن المراد بالآية الأولى أن النهي إنما ورد عن أكل ما أهل به بغير الله.

وَمِنَ الْمُحْمَلِ أَيْضاً قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿الْيَوْمَ أُخْبِرُ لَكُمْ الْغَيْبَاتِ وَطَقَامُ الدِّينِ
أَوْتُوا الْكِتَابَ حِينَ لَكُمْ وَطَقَامُكُمْ حِينَ لَهُمْ وَالْمُحَصَّنَاتِ مِنَ الثُّرَمَاتِ وَالْمُحَصَّنَاتِ مِنَ
الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَوْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِيَاتٍ ظَيَّرَ لِمُسَافِعِهِنَّ

(١) في (ث): ومن ذلك.

(٦) في (ع): الذي لا يبلغ

وَلَا تُعْجِزِي لَهْدَانِ وَمَنْ يَكْثُرْ بِالْإِيمَانِ قَدْ خِطَّ صَبْلُهُ وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 الْخَاسِرِينَ ﴿[البقرة: ١٧٧]﴾، ثم فسر الله هذا^(١) فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا الْمُشْرِكِينَ﴾
 حَتَّى يُزَيِّنَ ﴿[البقرة: ١٧٧]﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ﴿[البقرة: ٢٨]﴾، وقال
 تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ وَغَاوِيَّ وَعَشْرُكُمْ أَزْكَاهُ تَلْفُونَ إِلَهُكُمْ بِالْهَوَىٰ
 وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ ﴿[سورة: ١١]﴾، فبين أن المراد بالآية الأولى:
 مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ويُؤيد ذلك^(٢) قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَمَنْ يُزَيِّنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ خَائِضِينَ لِلَّهِ لَا يَشْعُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ شَيْئًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ﴾ ﴿[آل عمران: ١٧٩]﴾.

ومن متشابه الكتاب قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ
 حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ﴿[البقرة: ٢١٩]﴾، وقوله: ﴿تَصِفُونَ رَبَّهُ سَكْرًا وَذُقُوا
 خَمًّا﴾ ﴿[البقرة: ٢١٩]﴾، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ لِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
 وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِذَا تَقَرُّوا أَكْثَرُ مِنْ هُمَا﴾ ﴿[البقرة: ٢١٩]﴾، ثم بين الله تعالى تحريم
 الخمر والميسر بآية محكمة فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَهْوَاجُ وَالْأَرْطَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ
 تَتْلَحُّونَ﴾ ﴿[البقرة: ٢١٩]﴾، فبين الله تعالى بهذه الآية تحريم الخمر والميسر.

وقد قال غيرنا: إن الآيات الأربعة تُوجب الترخيص، وقد نُسخ
 الترخيص بهذه الآية، وهي ناسخة له.

وعندنا أنه لم يكن في الخمر والميسر ترخيص؛ لأن الله تعالى لم
 يكن لينعم على عباده بالعقول، ويجعلها أكبر حجة عليهم ثم يحل

(١) في (ع) هذه

(٢) في (ص): يؤيد ذلك

لهم فعل شيء يفسد عليهم عقولهم ويحمل قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، على سكر النوم. ويمكن أيضاً أن يكون هذا النهي نزل في أول الإسلام في وقت ضعفه^(١)، فلما تمكس الإسلام نهى عنه قطعاً وعزماً لأن رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة مهاجراً لو أمر أهل المدينة بكل المروض لثقل ذلك عليهم ولا تمتنع أكثرهم عن الدخول في الإسلام؛ ولتسهيله عليهم الدخول في الإسلام صلى إلى بيت المقدس، وكانت قبلته الكعبة؛ وقد روي مثل هذا التفسير عن ابن عباس.

وأما قوله: ﴿تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِيقًا حَسَنًا﴾. فليس هذا بأمر ولا إباحة، وإنما هو إخبار من الله تعالى بتعللهم أنهم يتخذون مما أخرج لهم من الأرض حراماً وحلالاً، والريق الحسن هو الحلال، مثل الربيب والحل وشبهه، ومثل ذلك كثير في الكتاب كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون في سبيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتلون في سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فهذا إخبار من الله؛ وليس هذا الإخبار يوجب الأمر والإباحة. وقد قيل: إن السكر لهو^(٢) حبس الشيء. ويقال: سكر النهر إذا سده، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَقْرُون ۖ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْتَخِرُونَ﴾ [الحجر: ١٥، ١٦]، فصَحَّ أن السكر هو المنع والحبس.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ

(١) في (ص، ع، د): ووقت ضعفه

(٢) زيادة في (ص)

وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْثَرُ مِنْ هَهُمَا» فإن قول الله تعالى: ﴿فَلْيَمْنَعَا إِيَّاهُ حَيْثُ كَانَ﴾ وهذا تحريم عام، وتشديد، وتغليظ، والله لا يقض ما أكد، ولا يحل ما حرم.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعِ لِلنَّاسِ﴾ ليس المراد به منافع للناس فيهما، ولا (في) ثم الخمر وإنما المراد بالمنافع هاهنا أن الجلد الذي يكون على فاعلهما هو المنافع للناس، لأن شارب الخمر إذا جلد أوردجر هو وغيره، فكان جلده نافعا للناس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩) وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم» فصح ما قلنا.

ومن غامض الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَهَرَّبُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (البقرة: ١١٠) وقد استدلت الباطنية - لعنهم الله - بهذه الآية على إبطال القرآن وإظهار عيبه، وقالوا: هو ينقض بعضه بعضاً، وإذا كان يتناقض كان باطلاً، وقالوا: قوله: ﴿وَلَا تَتَهَرَّبُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ يوجب ترك الصلاة، لأنه يزعمهم لا يمكنه أن يصلي بغير جهر ولا مخافتة.

فنقول: ليس هذا الأمر بمنفصل وإنما أمره أن لا يجهر بكل الصلاة، ولا يخافت بكلها^(١)، وأمره بأن يتغني^(٢) بين ذلك سبيلاً، وقد ابتغى ﷺ بين ذلك سبيلاً، وهو أنه جهر بالقراءة في صلاة الليل

(١) زيادة في (ب، ت، ع، ص، ح، م، ش، ط)

(٢) في (ص): ألا يجهر بصلاته كلها، ولا يخافت بها كلها

(٣) في (ص، ع): أن يتغني

وصلاة الفجر، وخافت بها في صلاة الظهر والعصر، وجهراً^(١) بالأذان، والإقامة والتكبير، وقوله: (سمع الله لمن حمده)، والتسليم في جميع الصلوات، وذلك مروى عنه عليه السلام بالأخبار المتظاهرة، وهو إجماع الأمة، وقد أمرنا الله باتباعه فقال: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [مائدة ١٧] فطعن قول الساطنية.

ومن القرآن ما هو في مخرجه عام، وفي معناه خاص؛ وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ فَرَزْنَا مِنْ بَيْنِ أُمَّةٍ وَإِلَهُ مَسِيحَ عَالَمِينَ﴾ [المائدة ٣٣، ٣٤]، فمخرج الآية يدل على أن الله تعالى اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العموم والكمال، والمعنى: أنه خص^(١٢) الاصطفاء من آل إبراهيم وآل عمران من يستحق الإصطفاء لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ [الأنعام ١٠١].

ومن الكتاب العام لجميع عباد، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [الرعد: ١٦].

ومنهم العام لجميع الناس المتعبدين مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّهُ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة ٢١].

ومنه العام للمؤمنين مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [جمعة: ٩]، فهذا الأمر عامٌّ للمؤمنين دون

(۱) في (ب، ج، ت، ص، ع)؛ ويظهر

(٢) في (ع): أن الله خفي

الكافرين، وذلك لاستماع المؤمنين الأمر، وبعد الكافرين عن (استماع)^(١) الأمر والطاعة.

ومنه الخاص لبعض المؤمنين وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة ٥٥]، وهذه الآية خاصة لعلي أمير المؤمنين^(٢) (عليه السلام) إذ لا يكون الولي إلا غير المولى عليه.

ومنه ما يوجب العلم مثل قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحج ١٨] وأشياء ذلك.

ومنه ما يوجب العمل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة ١٧] وأشياء ذلك []

ومنه محذوف الجواب مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُلِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ صُكِّلَ بِهِ السَّمَوَاتُ لَإِنَّ اللَّهَ الْآمِرُ بِمَا يَشَاءُ﴾ [الزمر ٢١]، المراد به^(٣): لكان هذا القرآن، فحذف الجواب^(٤) لعلم السامع.

ومثل قول الله تعالى: ﴿أَلَهَاسِكُمُ النَّكَارُ﴾ إلى قوله: ﴿صَلَائِلُ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَعْرِفَنَّهُ الْجَهَنَّمَ﴾ [الحجر ١٠١]، أراد: كلا لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر، فحذف الجواب لعلم السامع.

(١) ساقط في (ص)

(٢) في (هـ، ي، ل). خاصة بأمير المؤمنين

(٣) في (ص): فإن المراد به

(٤) في (ط، س، م): فمحذوف الجواب

ومنه مفهوم الخطاب في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ [البقرة: ٢٣] ،
فمفهوم من هذا الخطاب أنه لا يجوز للولد أن يفعل بالوالدين ما كان
فوق قوله (أف) ، كالضرب ، ولشتم ، والغضب ، وأمثال ذلك .

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْزَناً مُّعْرِضَةً قَاسِقُوا إِلَهاً﴾ [البقرة: ١٦] ، المراد به : أمرنا
مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها .

ومثله قوله تعالى: ﴿نَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامِ يَتِيمٍ حَتَّى كُنَّا﴾ [البقرة: ١٧] ، المراد
به : من قل أن يتماساً ، كسيله في العتق والصيام ، إذ المعنى واحد .
ومثل هذا موجود في لغة العرب ، قل الشاعر :

عفى الله عكم كل شاق برجلها
على نفسه يغطي الفتى ويصيب^(١)
أراد : كل شاق برجلها معلقة .

وأما القصص ، والعر والأمثال ، والمواعظ والأخبار ، وأمثال ذلك ،
فذلك ظاهر لا يحتاج إلى تفسير .

ومن الكتاب آيات مكررة^(٢) مثة وذلك لاتساع الكلام ، والإبلاغ
والبيان من الله تعالى لعباده . فهذا ما نذكر في معاني الكتاب ، وفيما
ذكرنا دليل على ما لم نذكره .

(١) في (ص ، ع) : على نفسه يغطي امرؤ ويصيب

(٢) في (س ، ل ، م) : آيات مكررات .

فصل

في الكلام في الاختلاف في الكتاب

اعلم أن جميع الكفار قد احتملوا في الكتاب، ونفوا الكتاب^(١).

فقال كهار العرب: إنه شعر، لما سمعوا فيه من الفصاحة والبلاغة والمعاني الحسنة.

وقال بعضهم: هو سحر^(٢)، لما عجزوا أن يأتوا بمثله.

وقال أهل الكتابين: هو مأخوذ ومسترع من كتبهم، وقالوا: السبي ﴿سَبَى﴾ مَعْلَمٌ عَلَّمَهُ بَعْضُهُمْ. وذلك لما وحدوا فيه من تصديق ما قبله من الكتب، ولما عرفوا فيه من الحق والقصص والأحكام والمعاني التي يحدونها في كتبهم، وقد ذكر الله قولهم فقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأ قل إن افترأته فلا تليكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه صكتي به شهيدا نبي ورسول وهو الفؤاد الرجيء ۝ قل ما صكت به دعا من الرسل وما أدري ما تفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ۝ قل أرأيتم إن مكان من جن الله وصكرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مفه فآمن واستكبرتم إن الله لا يقبض القوم الظالمين﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

والشاهد الذي آمن به من بني إسرائيل هو عبد الله بن سلام رحمه الله، ولذلك قالت اليهود: إنه علم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ القرآن، فأنزل الله تعالى في ذلك آية، وحجة باهرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنه

(١) زيادة في (ط، م)

(٢) في (ي، د، هـ): إنه سحر

يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِثُونَ إِلَيْهِ أُهْجِيءُ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبْدَلٌ ﴿١٠٣﴾ (النمل ١٠٣).

وأيضاً فإنهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أتى بقرآن^(١) قبل أن يُسَلِّمَ عند الله بن سلام، وأنه لو كان تعلمه منه أو من غيره لتعلم الكتابة، وأنه ما كان يكتب ولا يسفي له، وأن صورة حروف^(٢) القرآن بخلاف صورة حروف^(٣) التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَدْرَأْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ٥ وَمَا كُنْتَ تَشُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَنَّكَ أَتِيتَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام ١٧-١٨)، فما بقي لأهل الكتاب^(٤) من حجة.

وأما كفار العرب فإنهم قالوا: هو شعرٌ ومنهم من قال: هو سحرٌ.

وقد علموا أن رسول الله ﷺ ما كان يقول الشعر، ولا ينسعي له، ولا كان ممن يتعلق بكتب السحر، وأنه كان أمياً لا يقرأ كتاباً، ولا يخطه، وقد احتج الله تعالى على جميع كفار العرب والعجم بحجة واحدة لم يجدوا لها جواباً بقوله: ﴿قُلْ لَئِنْ لَجَعْتُمْ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَكُنْ كَانَ يُخَفِّفُ عَنْهُمْ لَغْوَاً﴾ (الأنعام ١٨٨)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَكُنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَّهْتُوا بِهِ لَغْوَاً كَثِيراً﴾ (الأنعام ١٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥ ذِكْرٌ بِهِ

(١) في (ص) أني القرآن

(٢) في (ع، ص) صور حروف

(٣) في (ع، ص) صور حروف

(٤) في (ب، ص، ع) لأهل الكتاب

الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِمِثْقَانِ عُزِيِّ مُبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفِي زَكْرٍ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَقْلَمَهُ ظُلُمَاءُ النَّاسِ
إِسْرَائِيلَ ﴿الأنعام: ١٩٢-١٩٧﴾.

وأما من خالف في القرآن من المسلمين فإنهم المجبرة، وهم فيه
فرقتان: فقالوا جميعاً: (القرآن قديم) ثم افترقوا

فقال فرقة: هو هذا المتلوة

وقالت فرقة: ليس هو به، لكنه عبارة عنه، وليس بحروف بل هو
معنى في النفس وهذا حكاية عنه.

وقالت فرقة: هو هذا المتلوة وهو قديم وقد قدمنا الاحتجاج عليهم
بما فيه كفاية.

وقالت المطرفية: القرآن صفة لقلب الملك ضرورية لا تفارق قلبه،
والضروري عندهم لا يفارق شحبه، وهو عرض حال في قلب الملك
موجود فيه. وقالوا: هذا الذي معا عبارة عنه وحكاية، وليس هو به،
وقد قدمنا الرد عليهم بما فيه كفاية عند ذكر الأعراض، إلا أن
قولهم: (هو عرض موجود في قلب الملك) ينقض عليهم اعتقادهم أن
العرض لا يحل في الجسم.

ومن الرد عليهم وعلى المجبرة: أن الله تعالى ما تعبد العباد إلا بهذا
المتلوة، ولا تحدى الكفار إلا بهذا المتلوة.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١١) باب حقيقة معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اعلم أنه لما ثبت أن الله ما خلق الخلق^(١) إلا لمصلحة، وما خلق المتعبد^(٢) إلا ليعبدوه، وأنه قد أعطاهم من الاستطاعة والعقل ما يلغون به المراد من التكليف العقلي^(٣).

والتكليف العقلي معرفة العبد بخالقه ونعمي صفات النقص عنه في ذاته وفي أفعاله، ومعرفة العممة والبلاد والحرارة، واستحسان الحسن والعمل به، واستقبح القبيح والتجنب له. وكان العقل يحكم بحصول الحاجة الداعية إلى التكليف الشرعي؛ لأن العقل لا يؤدي إلى معرفة كيفية العبادة كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج، وأشياء ذلك. وكان التكليف الشرعي لا يحصل إلا برسول من عند الله تعالى، وكان إرسال الرسل من تمام الحجة وكمال النعمة.

ولما كان العقل الذي هو أكر حُجج الله على عبده بمجده العبد في نفسه لنفسه^(٤) ولم يكن العقل غير استحسانه للحسن، واستقباحه للقبيح، ونظيره وتمييزه لنفسه بنفسه^(٥) وجب^(٦) أن يكون الرسول

(١) في (ص) لم يخلق الخلق.

(٢) في (ب، ج، د) نفسه في نفسه. وفي (ص) بنفسه في نفسه.

(٣) في (س) بنفسه لنفسه.

(٤) قوله: (وجب) هو جواب (لما) الأولى. تمت.

من الله تعالى إلى الناس من أنفسهم ، ولأنه لو كان من غيرهم لثقل ذلك عليهم ، ولما أنسوا إليه بجميع حوائجهم ، فحكم العقل أن الكتاب والرسول من الله من تمام الحجة وكمال النعمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُخْبِرِينَ وَأُنذِرِينَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا بِهِ وَمَا سَخَطَ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ هَٰذَا إِلَهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُنْظِرِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الأعراف: ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

قوله تعالى : ﴿مِنْ أَهْلِهِمْ﴾ يريد من بعضهم ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْبِقُونَ فِي مِثْقَاتِكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَهْلَكُمْ مِنْ بِيَادِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ نَسَبَهُمْ ۝ ثُمَّ أَخَذْنَا أَهْلَ الْاَرْضِ مِثْقَاتَهُمْ فَوَضَعُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَخَذْنَا بِهِمْ نَسَبَهُمْ...﴾ [آية الأعراف: ٨٥، ٨٦] ، فصح أنه أراد بقوله : ﴿مِنْ أَهْلِهِمْ﴾ من بعضهم ومثل هذا قوله تعالى : ﴿لَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ بَيْنَهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ، يريد أنه خلق الناس بعضهم من بعض وزوج بعضهم ببعض^(١) . ولا يصلح رسول إلى شيء إلا من جنسه قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَتَنَشَّوْنَ مَظَاهِرَ لَنُزِّلَنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠] ، فثبت أن الرسول من الله إلى الناس لا يكون إلا منهم .

ولما صح أن الله تعالى متعالٍ عن مشابهة خلقه ، ولم يكن ليُشَافِه

(١) في (ش، م، س) : من بعض

أحداً ولا يُكلمه كما يُكلم ذو اللسان واللاهوت، ولم يكن العلم يصل منه إلى العبد إلا بالوحي^(١).

والوحي ينقسم على وجوه^(٢):

فمنها الإلهام؛ كما ألهم الله المسك الأعلى - صلى الله عليه - القرآن وغيره من الكتب.

ومن الإلهام ما ألهم الله إبه^(٣) الحيوان من استجلاب المنافع والنفار عن المضار كالإلهام النحل، وغيره لا يعقل ومما يعقل، فهذا وحي؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رُوحَهُ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل ٦٨].

ومن الوحي ما أراه الله تعالى النبي ﷺ في المنام قال الله تعالى - حاكياً عن إبراهيم صلى الله عليه - من قوله لا به إسماعيل - صلى الله عليه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَتَّبِعُكَ فَاصْطَبِرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات ١٠٢]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِذْ نَادَىٰكَ رَبُّكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَ كُفْرُكُمُ الْكِبْرَ لَفَسَدْتُ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ فِي الْأُمْرِ﴾ [الزمر ١٢].

ومن الوحي: الكلام الذي يحدثه الله في بعض ما خلق، مما لا ينطق، كالكلام الذي سمعه موسى صلى الله عليه وسلم من الشجرة ومن الوحي ما أتى به جبريل عليه السلام من الملك الأعلى إلى النبي.

(١) في (أ): إلا بالوحي.

(٢) في (ب): إلى وجوه.

(٣) زيادة في (س، ي، د).

المصطفى ، وقد حكى الله مثل ذلك فقال : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ
 اللَّهُ إِلَهُهُ وَلَا رَحْمَةً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى
 حَكِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
 الْكِتَابُ...﴾ الآية [الشورى: ٥١، ٥٢] ، فصَحَّ أن كلام الله هو الوحي ، و(أنه)^(١)
 ليس ينطق كما قالت المشبهة. وصح أن كلام الله يحدث مخلوق.

وأما قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أراد : أو كلاماً يسمعه العبد
 من غير ناطقٍ مشاهدٍ ، كما سمع موسى - صلى الله عليه - الكلام من
 الشجرة. وليس بين الله وبين خلقه حجاب ؛ لأنه لو كان بينه وبين
 خلقه حجاب لكان مشابهاً لخلقهم ، ولكان غائباً عن المحتجب منه ،
 تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقيل يروي عن الحارث عن علي
 أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه دخل السوق فإذا هو برجل مولى ظهره يقول :
 لا والذي احتجب بالسبع فصره علي (عليه السلام) على ظهره ثم قال : من
 الذي احتجب بالسبع ؟ قال : الله ، يا أمير المؤمنين. قال : أخطأت
 ثكلتك أمك إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجاب ؛ لأنه معهم
 أينما كانوا ، قال : فما كفارة^(٢) ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال : الله معك
 أينما كنت. قال : أطعم المساكين ؟ قال : لا إنما حلفت بغير ربك

فلما كان العلم من الله لا يصل إلى الناس إلا من الوحي ،
 وكان الوحي لا يصلح إلى كل إنسان لوجوده :

منها أنه لو كان يُوحى إلى كل إنسان في نفسه لكان ذلك سبباً لفساد

(١) ساقط في (ص).

(٢) في (ش، ص، ع) : ما كفارة

الناس، ولكان كلُّ ظالم يدَّعي أنه أذن له في الظلم، ولما تبين المطيع من العاصي.

ومنها أنه إذا لم يكن أمر الناس إلى واحد افترقوا، وإذا افترقوا تباغضوا وتحاسدوا وفسدوا

ومنها: أن أعداء الله لا يستحقون أن يُوحى الله إليهم لكفرهم ومعصيتهم. فلما كان ذلك لا يصلح، حَكَمَ العقل بأن الله لا يُوحى إلا إلى من ارتضى من عباده، وأنه يُرسل الرسول إلى أمته ويقرن^(١) طاعته بطاعته، فإذا علم الله من الرسول الصدق والإخلاص، والقوة على إبلاغ الرسالة، والصبر والعزم؛ أوحى الله إليه، وأرسله إلى خلقه.

ولو أرسل من لا يُعرف بالصدق والصبر والطهارة لأدى إلى وجوه منها أن يكون^(٢) عند الناس من أهل التهمة والظنة، لما يعرف منه من خلاف الصدق، ولم يكن أحدٌ ليصدقه لما قد عرف منه.

ومنها أن الله تعالى لم يكن يُرسل لصلاح الناس من لم يُصلح نفسه. ومنها أنه لم يكن ليلغ ما أمر به إذا لم يكن صادقاً نقياً مخلصاً^(٣). فصح أن الله لا يُرسل إلا الصادق الصابر المخلص البر التقي النقي طيب الباطن والظاهر.

(١) في (ص)، وتقرن

(٢) في (ش): أنه يكون

(٣) في (ي، م) نقياً مخلصاً

ولما كان الرسول لا يُصدق إلا برهان بين، وحجة واضحة أظهر الله على يدي الرسول من الدلائل والآيات والبراهين والمعجزات ما يعجز عنه غيره من الناس ليصح ما هو عليه من البناء والأساس.

وقد قص الله قصص الأنبياء (عليهم السلام)، وذكر معجزاتهم وما كان من اجتهدهم وإظهار براهينهم ودلائلهم، قال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَمَنْ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَهُدًى وَخَيْرٌ لِمَنْ آتَاكَ الْمُتَّبِعُونَ﴾ (طه ١٧٨).

فصل

في الكلام في نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

فأول ما نذكر من أمره (عليه السلام) أنه كان عارفاً لربه (١) مرضياً برأ تقياً طاهراً نقياً، وكان عالماً (٢) بالتكليف العقلي، ضالاً عن التكليف الشرعي، وكان يأخذ بعض ما يفعل من البر والتقوى من عقله، وأخذ بعضه من حده عبد المطلب، فيه روي عنه (عليه السلام) أنه قال: «يبحث عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده» (٣)، قال: وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام و(كان) (٤) يقول: أما على دين إبراهيم».

(١) في (ي): عارفاً لربه

(٢) في (ش، ب): وكان عالماً

(٣) في (ش، ع، ص، هـ): أمة واحدة

(٤) ساقط في (ش، ع، ب)

وقال ﷺ: «إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ سَنَ خُمُسًا مِنَ السُّنَنِ أَجْرَاهَا عَزَّ وَجَلَّ فِي الْإِسْلَامِ: حَرَّمَ سَاءَ الْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء: ٢٢] وَسَنَ الدِّينَةَ فِي الْقَبِيلِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ فَجَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ. وَكَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثُمَّ يَقِفُ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَيُحَمِّدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (١) وَيُشْتِي عَلَيْهِ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَطُوفُ (بِالْبَيْتِ) (٢) مَا شَاءَتْ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، فَسَنَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ سَبْعَةَ سَعَةٍ. وَوَحْدَ كَنْزًا فَأَخْرَجَ خُمُسَهُ فَتَصَدَّقَ بِهِ، فَجَرَى ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ وَلَمَّا حَصَرَ زَمْزَمَ سَمَّاهَا سَقَايَةَ الْحَاجِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قِرَاءَةً يَقُولُ: ﴿لَجَلَّتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: سورة البقرة: ١٩٨]، وَرَوَى عَنْ سَعْيَانَ بْنِ عِيْسَى قَالَ: قِيلَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ: لِمَ سَمَيْتَ ابْنَ ابْنِكَ مُحَمَّدًا وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ آبَائِكَ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يُحَمِّدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، فَاطْرُقَ (٣) سَعْيَانُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

فَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّ

فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

فَهَدَى اللَّهُ عَبْدَ الْمَطْلَبِ إِلَى اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَصَدَّقَ رَجَاءَهُ فِيهِ وَأَنْبَتَهُ نَبَاتًا حَسَنًا، وَجَعَلَهُ مِنْ أَشْرَفِ مَنْصِبٍ فِي الْعَرَبِ، وَأَكْرَمَ بَيْتٍ وَأَعْلَاهُمْ شَأْنًا، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا، وَأَقْوَاهُمْ سُلْطَانًا، وَأَعَزَّهُمْ مَكَانًا، وَأَمْصَاهُمْ حَسَامًا. وَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كَنَانَةَ قَرِيشًا،

(١) فِي (ج، هـ، د). ثُمَّ يَحْمَدُ اللَّهَ

(٢) زِيَادَةُ فِي (ص)

(٣) فِي (ش، ي، ص، ع)؛ ثُمَّ اطْرُقَ

واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». فلما اختاره الله واصطفاه، أرسله إلى الأبيض والأسود والأحمر.

وكان أول ما ظهر له^(١) من المعجزات نزول جبريل (عليه السلام) عليه (ﷺ)، وكان جبريل رسولاً من الله إلى محمد (ﷺ) قال الله: ﴿مَاجِلَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى الْأَيْمَنِ ثَلَاثَ وَرُبَاعَ هَٰذَا فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [طه: ١٠]

والذي دلّ محمد (ﷺ) على أن جبريل -صلى الله عليه- رسول من الله (إليه)^(٢) ما أراه من المعجزة الخاصة لنفسه^(٣)؛ لأنه لو لم يره معجزة لنفسه لم يتحقق صدقه، كما أنه لا يتحقق^(٤) صدق النبي (ﷺ) إلا بمعجزة.

فأول ما نزل جبريل إلى النبي (ﷺ) ما روي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال: نزل إلى رسول الله (ﷺ) جبريل وعليه حبة من سندس بأعلى الوادي وهو يرعى غنماً لأبي طالب، فأخرج (له)^(٥) درنوكاناً من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أحبره أنه رسول الله (إليه)^(٦) يأمره بما أراد^(٧) له أن يأمره به، فلما أراد جبريل -صلى الله عليه- أن يقوم أخذ رسول الله (ﷺ) بطرف ثوبه

(١) في (ص، ب)؛ ما أظهره الله له

(٢) ساقط في (ب)

(٣) في (ص)، الخاصة بنفسه

(٤) في (ح)؛ لم يتحقق

(٥) زيادة في (ب)

(٦) ساقط في (ب، ص، ط).

(٧) في (ب، ص، ط)؛ وأمره بما أراد

ثم قال له : ما اسمك ؟ فقال : جبريل ، فقام رسول الله ﷺ فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرّة إلا وهي تسلم عليه تقول : السلام عليك يا رسول الله .

ومن معجزات جبريل - صلى الله عليه - وسلام الخاصة ليصدقته محمد ﷺ : ما روي أن النبي ﷺ رأى جبريل صافاً في الهواء قد سدّ الأفق^(١) . ورُوي أن جبريل جاءه ﷺ فأخرجه إلى البقيع وانتهى به إلى مقبرة فإذا جثوة في التراب ، فضربها برجله وقال : قم بإذن الله ، فانتفض التراب فإذا شخص قد صار حيّاً^(٢) وهو يقول : يا حسرتنا على ما فرطت في حب الله ، ثم ضربها فعادت إلى^(٣) ما كانت عليه ، وانتهى به إلى جثوة أخرى فضربها فقام صاحبها وهو يقول : الحمد لله ، ثم ضربها فعادت إلى ما كانت عليها ، فقال : يا محمد فعلى هذا نبعثون .

وأما معجزات محمد رسول الله ﷺ فكثيرة منها : ما روي بالأخبار المتواترة وإجماع الأمة .

فمن معجزاته ﷺ : مجيء الشجرة إليه ، ورجوعها إلى موضعها ، وإنشاء الساس بما في صدورهم ، وإعلامهم بما في ضمائرهم ، وذلك من إنباء الله بذلك ، وإعلامه إياه به ، ومثل ما كان منه في شاة أم معبد ، ومثل^(٤) ما كان منه من الفعل^(٥) في التمرات من عداء

(١) في (ص) : قد شق الأفق

(٢) في (هـ ، ي ، م) : قد قام حياً

(٣) في (ع ، ل ، ب) : على

(٤) زيادة في (ش ، م ، ص) .

(٥) في (ش ، م ، س) : في العمل

جابر بن عبد الله، وذلك أنه أخذ كفاً من تمر فوصعه في وسط ثوب كبير ثم حركه ودعا فيه، فزاد ورثاً حتى امتلأ الثوب تمراً، ومثل ما كان منه في عشاء جابر بن عبد الله وهو صاع شعير وعناق صغيرة أكل منها ألف رجل، وما كان منه في الوشل الذي ورده هو والمسلمون في غزوة تبوك فوضع يده تحت الوشل فوشل فيها ملاًها من الماء ثم ضربه ودعا فيه فانفجر مثل عنق البعير^(١).

ومن معجزاته عليه السلام: ما روي أن يهودياً قال لعلي أمير المؤمنين عليه السلام إن موسى بن عمران عليه السلام قد أعطي العصا فكان ثعباناً. قال: فقال له علي عليه السلام: قد كان ذلك، ومحمد عليه السلام قد أعطي ما هو أفضل من هذا: إن رجلاً كان يطلب أبا جهل بن هشام لعنه الله بدين كان له عده فلم يقدّر عليه، واستغل عنه وحلس يشرب، فقال له بعض المستهزئين: من يطلب؟ فقال: (أطلب) عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) ولي عليه دين. فقلوا: ندلك على من يستخرج لك حقه؟ قال نعم، فدلوه على نسيء عليه السلام، وكان أبو جهل يقول: ليت لمحمد إليّ حاجة فأسحر به وأردّه، فأتى الرجل إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد بلغني أن بينك وبين أبي الحكم^(٢) حسياً، وأنا أستشفع بك إليه، فأتاه فقال له: «قم فأد الرحل حقه» فقام مسرعاً حتى أدى إليه حقه، فلما رجع إلى مجلسه قد له بعض أصحابه كل ذلك فرقاً من محمد؟ قال: ويحكم أعذروني إنه لما أقبل إليّ رأيت عن يمينه

(١) في (هـ، م) مثل عنق البعير

(٢) ساقط في (ع، ب)

(٣) في (ص): وبين أبي جهل

رجالاً بأيديهم حراباً تلالاً، وعن يساره شعبانين تصطك أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، فلو امتعت لم آمن أن يعجبوا بالخراب بطني، ويتلعني الثعالبان، وهذا أكبر مما أعطي موسى - صلى الله عليه - ثعباناً بشعبان موسى، وراد الله محمدًا ﷺ ثعباناً وثمانية أملاك

ومن معجزاته ﷺ ما روي أنه لما كن في عروة تبوك ضلّت ناقته، فتأدى الناس: «أن!» أقيموا فإن ذقة رسول الله ﷺ قد ضلّت، فاجتمع ناسٌ من المنافقين فقلوا: يحدث عن القيامة وما يكون في غلر وما يعلم مكان ناقته!! فأتاه جبريل - صلى الله عليه - فقال: أتري أولئك الخلوس إهم يقولون: يحدثا عن القيامة^(١) وما يكون في غلر ولا يعلم مكان ناقته فإن ناقتك في شعب كذا وكذا، متعلق زمامها بشجرة. فتأدى النبي ﷺ بالصلاة جامعة ﷺ وأثنى عليه ثم قال: «إن أناساً يزعمون أنني أحدثهم عن القيامة وما يكون في غلر ولا أعلم مكان ناقتي، وإن ناقتي في شعب^(٢) كذا وكذا متعلق زمامها بشجرة تجس، فبادر المسلمون إليها حتى أتوها^(٣)»

ومن معجزاته ﷺ ما روي أنه كن يخطب على الجذع من قبل أن ينصب المنبر، فلما نصب وتحول لسيء ﷺ حن الجذع كما يحن الفصيل فلم يسكن حتى صمّه إليه النبي ﷺ^(٤).

(١) زيادة في (ع)

(٢) في (أ): من القيامة

(٣) في (ج): في مكان.

(٤) في (ب، ص، د): حتى أتوا بها

(٥) في (ص): حتى التزمه النبي ﷺ

ومن معجزاته ﷺ: إذعان البعير الصائل، وإصغافه رأسه إليه، وسجوده بين يديه، فقبل له: سجد لك يا رسول الله حين رآك، فقال: «لا، لا تبلغوا بي ما لم أبلغ فلمعري ما سجد لي ولكن الله سخره لي».

ومن معجزاته ﷺ ما كان من الاستسقاء.

ومعجزاته ﷺ كثيرة، وأكبرها القرآن، فإنه من أكبر معجزاته ﷺ. والدليل على أنه معجز أن الله تحدى به من جحد به أن يأتي بسورة من مثله فما قدروا، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ صُكُّنَّ فِي رَبِّ مِثْلًا نَحْنُ عَلَىٰ عِلْمٍ مَا تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [الدحر، ١٢]، وقد تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ لَّنَآ مِثْلَ بَشَرِ سُوْرَةِ مِثْلِهِ نُنَاقِشُكَ﴾ [الدحر، ١٢]، وقال تعالى: ﴿لَّنْ لَّيْنٌ لِّجَنَّتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الدحر، ١٨٨] فتحدى العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم، وكانوا يتباهون بالبلاغة، ويتماخرون بالفصاحة، ويرون ذلك من أشرف المقاب وأفخر المآثر، فكفوا^(١) عن المعارضة فيه، وأمسكوا عن المحاورة، مع أنهم كانوا من أحرص الناس في توهين أمر النبي ﷺ، وفي إطفاء نوره، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَنزَارِهِمْ وَاللَّهُ يَخُودُهُمْ وَلَوْ كُنُّوا كَافِرِينَ﴾ [الدحر، ١٨] فكان من كمار العرب والعجم أنهم أعرضوا عن هذا التحدي، وعجزوا أن يأتوا بسورة مثله^(٢) وعادوا إلى الحرب. وفي الشاهد أنه إذا تحدى إنسان بفعل شيء ولم يفعله، وعاد إلى غيره أنه قد أشجزه.

(١) ي (ط، ب، ع) - وكفوا.

(٢) ي (ص)، أن يأتوا مثله.

وأيضاً ففي القرآن من الإعلام بالعيب ما قد تبين منه شيء مثل قوله: ﴿إِذْ يُمَهِدُكُمْ اللَّهُ إِلَيْنَا أَلْطَائِفِينَ أَهْمًا لَكُمْ﴾ [الأنعام ٧٠] فكان ذلك. ومثل قوله: ﴿الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ إِيَّا أَفْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْمِهِمْ سَيَقِيلُونَ﴾ [الروم ١-٣]، فكان ذلك. ومثل قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام ١١٠]، فكان ذلك. وأمثال ذلك كثير.

ومن الدليل على أن القرآن من أكر معجرات النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُخْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النسك ٥١]

وفي القرآن أيضاً حلة أخرى وهو أنه سهل معجز، بليغ موجز، ولا يوجد في كلام المخلوقين، مثل قوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ إن هو إلا فحوى للمالبث ۝ ولتعلن نبأه بقدر جهته (مر ١٨-١٩)، ففي هذه الكلمات - من الإبلاغ والإيجاز والمعاني العجيبة والدلائل الغريبة - ما يدل على أنه ليس يقدر "على مثله أحد من المخلوقين، فالحمد لله رب العالمين

(۱) فی (ت، ی، ه): لا یقدر.

فصل

في الكلام في معنى الرسالة

اعلم أن الله لما خلق عباده، أعد لهم الجنة والنار والشواب والعقاب، فأعد لمن أطاعه الجنة، وأعد لمن عصاه النار ثم أرسل إليهم رسولا يدعوهم إلى الجنة ويحذرهم من النار^(١)، فمن اتبع الرسول دخل الجنة، ومن تخلف عنه دخل النار. وقد روي عن حابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إني رأيت في المنام كأن حبريل عليه السلام عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، فيقول أحدهما لصاحبه: اصرب له مثلاً، فقال: إسمع - سمعت أدياك - واعقل - عقل قبلك - بما مثلك ومثل أمتك كمثلك ملك اتخذ داراً، ثم سى فيها بيتاً، ثم جعل فيه مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فأنه عز وجل هو الملك، ولدنار الإسلام، والبيت الجنة» فكان كذلك رسول الله ﷺ أبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأنذر وحذر، ورغب وعلم، وبصر وبين، وفسر، فهدى الله به إلى الإيمان، وأظهر ديه على الأديان، قال عز من قدير: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِإِذْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَلَاخِرُ مِنْهُمْ

(١) في (ص) - ويحذرهم النار

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَلَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ نَسِئُ اللَّهِ لِأَتِيهِ مَنْ يَنْتَهِى وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ (١-٢)، فختتم الله به الرسل، ونسخ بملته الملل^(١)، فالحمد
لله على فضله.

فصل

في الكلام في اختلاف الناس في النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فإنه لا خلاف بين الأمة فيما ذكرنا من نبوة نبيينا محمد ﷺ، وأنه
خاتم النبيين، وسيد المرسلين، ورسول رب العالمين، وبمعجزاته^(٢)،
وأن كل ما جاء به ﷺ حق، وجميع ما يطق به ﷺ صدق، وإنما
وقع الخلاف بين الكفار، فإن كفار العرب وكفار العجم ححدوا
محمدًا ﷺ وما جاء به من ربك.

وقالت البراهمة بالتكليف العقلي، ونفوا التكليف الشرعي،
وجحدوا الرسل، وعلتهم أن الصانع عالم حكيم، والعالم الحكيم لا
يرسل الرسل وهو يعلم أنه يعصى.

ومنهم من يقر بأدم ولمنهم من يقرأ^(٣) بولده شيث عليهما السلام.
ومنهم من يقر بأدم عليهما السلام.

والحجة على الذين نفوا جميع الأنبياء قريئة، وذلك أنهم قد أقروا

(١) في (ش): جميع الملل

(٢) في (هـ، ل): ومعجزاته

(٣) زيادة في (ص).

بالتكليف العقلي ، فكما كان في التكليف العقلي صلاح للعقلاء^(١) كذلك التكليف الشرعي ، ولما لم يكن التكليف الشرعي يحصل إلا بالإرسال^(٢) من الله تعالى وجب إرسال الرسل .

والحجة على الدين أقروا بآدم (عليه السلام) أقرب ، وذلك أنه إذا كان في نبوة آدم وشيث صلاح فكذلك سائر الرسل .

وأما قولهم : (إن العالم الحكيم لا يرسل الرسل وهو يعلم أنه يعصى) . فالحجة (عليهم السلام) أنه لما جار أن يكلف الله عباده التكليف العقلي ، وأراد منهم العمل بما كلفهم - وهو يعلم أن بعضهم يعمل بما كلفه ويستمتع به ، وبعضهم لا يعمل بما أراد منه^(٣) ولا يستمتع به - فكذلك التكليف الشرعي يجوز أن يرسل الله الرسل إلى عباده وهو يعلم أن منهم من يطيع ويستمتع ومنهم من لا يطيع ولا يستمتع ، ولولا إرسال الله الرسل لما تبين المطيع من العاصي ، ولو عذب الله العاصي ولم يرسل إليه رسولا لقال : لو جاءني رسول لأطعت ولعملي ما أمرت به . وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلُكُمْ لَمَعْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَوْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ قَوْمَنَا بِزُلْفَىٰ﴾ (١٢٤) .

وأيضاً فإن الله تعالى ما خلق المتعبدين إلا للعبادة ، وقد علم أن أكثرهم لا يعبدونه ، فلم يمهله علمه بمعصية من يعصيه عن خلق المتعبدين ، وتعبدهم لما علم أنه يلحق المطيعين من الصلاح والانتفاع ؛

(١) في (ص) صلاح العقلاء .

(٢) في (ع) : إلا بالرسالة

(٣) زيادة في (ص) .

(٤) في (ش ، ص) : ما أراد منه وفي (س) : ما أريد منه

ولأن تبلغ الحجة على العاصين فكذلك الإرسال من الله تعالى.

وأنكرت اليهود نسخ الشرائع مع جحدهم لمحمد ﷺ وقد عرفوه ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجْتَنِبُ كِتَابًا يَتْلُمُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [المائدة ١٥٧]. ورووا عن موسى عليه السلام أنه قال: (إن شريعتي لا تنسخ أبداً).

وأقروا بأن قبلة إبراهيم عليه السلام كانت الكعبة. وإذا جاز نسخ الكعبة لموسى عليه السلام إلى بيت المقدس، حار نسخ بيت المقدس لمحمد ﷺ إلى الكعبة، فبطل قولهم: إن الشريعة لا تنسخ.

وأما ما رووا من قول موسى عليه السلام: (إن شريعتي لا تنسخ أبداً). فإن شيوخ المعتزلة ذكروا أن العلماء من اليهود الذين يرجع إلى قولهم لم يذكروا أكثر من أن موسى عليه السلام قال لهم: (إن تمسكتم بشريعتي حييتم أبداً).

فصل

في الكلام في خطايا الأنبياء عليهم السلام

اعلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم بشر من الناس، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق - كما قال الله تعالى - وأنهم مركبون على الشهوات^(١) والكراهة، والعلة والذكر والنسيان إلا في تبليغ ما أمروا به فإنهم معصومون عن النسيان ولعقلة والسهو والكذب؛ لأن الله قد

(١) في (ش، ع، ب): على الشهوة.

اختارهم لتبليغ رسالته وأداء أمانته، ولا يجوز أن يرسل من ينسى شيئاً من تبليغ الرسالة أو يسهو عنها أو يكذب، فهذه الجملة لا تجوز على الأنبياء بل هم معصومون عنها وكذلك تعدد معصية الله، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ١٧٦]، فأما في سائر أفعالهم غير تبليغ الرسالة، فإنه يجوز عليهم سريان والعفلة، والخطأ في التأويل، والعجلة، وقد ذكر الله عنهم ذلك، وذكر توبتهم منه وندمهم وإقلاعهم واستغفارهم، فقال في النسيان والخطأ في آدم (عليه السلام): ﴿نَسِيتُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [سورة النحل: ١١٠]

وقال -حاكياً قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿لَا تَزِلَّيْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ١٧٣] وقال الله تعالى لنبيينا (عليهما السلام): ﴿وَإِنَّمَا نُنَسِّئُكَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَقْعُدْ بِقَدِّ الدَّعْكِرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص: ١٧٨]

وقال تعالى في يونس (عليه السلام) وعجلته: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَخَبَ مُغَافِرًا لِّظَنِّهِ أَنْ لَّنْ نَّهْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام: ٢٨٧]. وقد قيل: إن سبب إبقائه أنه أرسله الله إلى قومه فكذبوه، فوعدهم^(١) بنقمة من الله تصيبهم بعد ثلاثة أيام، وقال لهم: وعلامة ذلك أن وجوههم تصبح غبراً أول يوم من هذه الأيام، واليوم الثاني تصبح حمراً، واليوم الثالث تصبح وجوههم سوداً ويأتيهم العذاب، ثم إنه تنحى عنهم لئلا ياله ما نالهم^(٢)، فلما أصبحت وجوههم كما ذكر لهم (في^(٣) اليوم الأول واليوم الثاني،

(١) في (ب): فتوعدهم وفي (ل): فأوعدهم

(٢) في (ص): لئلا يصيبه ما نالهم وفي (ع): لئلا ياله ما نالهم وفي (م): لئلا يصيبه ما أصابهم

(٣) زيادة في (ب، ش، ص، ع)

صدقوا وخافوا العذاب، فأمنوا به وجأروا إلى الله بالدعاء والتوبة،
 فرفع الله عنهم العذاب^(١)، فمما كبر بعد ثلاثة أيام أتى يوسف (عليه السلام)
 لينظر كيف كانت مصيبتهم من الله تعالى، فأتى وهم سالمون، فاغتم
 لذلك، وأبق خوفًا من أن يكذبوه واستعجل ولم ينتظر الوحي من
 ربه، فكان من أمره ما حكاه الله (تعالى)، وقد قال الله لنبينا ﷺ:
 ﴿فَأَمَّا صَبْرُكُمْ فَتُؤْتَوْنَ أَجْرًا وَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [النجم: ١٠]، فليس
 تدارككم بجنة من ربه لئلا يبد بالمرء وهو مذموم^(٢) [النجم: ١١]، فبئس أن فعله كان
 مكروهاً ومذموماً؛ ولأنه بهى نبينا ﷺ أن يكون مثله، وليس ينهاء
 إلا عن مذموم، فكان ذنبه لاستعجال، وترك الانتظار لوحي ربه
 وكذلك كانت معصية آدم (عليه السلام) استعجاله في أكل الشجرة قبل أن ينزل
 إليه وحي ربه. وقال تعالى في داود وتأييده الذي طعن أنه حائر له
 ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسوفِ إِذْ تُسَوِّدُوا الْبَيْعَرَابَ ۖ إِذْ تَطْحَلَوْنَ عَلَى دَاوودَ ظَرْعَ مَيْتِهِمْ قَالُوا
 لَا تَحِلُّ عَلَيْهِمْ بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا
 سَوَاءَ الصُّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا لَبِئْسَ لَكَ بَتِّعَ وَتَسْتَعِينُ حُجَّةً وَكَيْ حُجَّةً وَاجِدَةً قَالُوا أَكَلَيْتُهَا
 وَعَرَضْتِ فِي الْبَيْتِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ حُجَّتِكَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَكِنْ كَبِيرًا مِنْ
 الْخَطَايَا لَيْسَ بِتَحُلْمٍ عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا بَقِيَّتُهَا عَلَى بَقِيَّتِهَا
 وَظَنَّ دَاوودَ أَنَّهُ ضَالٌّ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [مر: ٢١-٢٢]، فكان فعاله
 صلى الله عليه وسلم في ذلك مذموماً، فتأب منه وندم.

وقد روي عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: «أعطيت ما لم يُعط
 أحد من الأنبياء قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً،

(١) ي (ص، ب، ع)، فرفع الله العذاب عنهم

وذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ قَرَّبُوا مَاءً ثَمَنَهُمَا صَاعِدًا طَيِّبًا﴾ (س، ٤٣)، وأحلَّ لي المَنَمُ ولم يُحَلِّ للأسياء قُلُوبِي^(١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُسْئَهُ وَلِرَسُولِهِ﴾ (س، ٤١)، ونصرتُ بالرَّعبِ على مسيرة شهر، وفُضِّلْتُ على الأنبياء بثلاثٍ: تأتي أمتي يوم القيامة غُرًّا مُحَلَّلِينَ معروفين من بين الأمم، ويأتي المؤدنون يوم القيامة أطول الناس أعناقاً ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والثالثة^(٢) ليس من نبيء إلا وهو يحاسب يوم القيامة بذنبي غيري، لقول الله تعالى: ﴿يَنْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا هَتَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَتَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ (س، ١٧).

فدل هذا الخبر على صحة ما قلنا في خطابنا الأنبياء. ودل أيضاً على أن محمداً رسول الله أفضل المرسلين، ويؤيد ذلك ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «من صلى عليَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَاسْتَبَقَ مَلَكَاهُ الْمَوْكَلَانِ بِهِ آيَهُمَا يُبَلِّغُ رُوحِي مِنْهُ السَّلَامَ». وقال عليه السلام: «إكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه يوم تصاعف فيه الأعمال، واسألوا الله ليَّ الدرجة الوسيطة من الجنة، قيل: يا رسول الله وما الدرجة الوسيطة من الجنة؟ قال: هي أعلا درجة من الجنة لا ينالها إلا سيء أرحو أن أكون أنا هو»، فصح أنه عليه السلام أفضل الأنبياء.

ومما يدل على أن النبيء يسهو وينسى ما روي عن رسول الله عليه السلام أنه صلى بجماعة الظهر خمس ركعات، فقال له بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك؟» قال: صليتُ

(١) في (ع) من قلبي.

(٢) في (ع، م، ن): الثالثة.

بنا خمس ركعات، فاستقبل القبلة وهو جالس، وسجد سجدتين، ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم.

واعلم أنه لا يُقال: إن النبي، معصومٌ عن جميع الذنومات والمعاصي. لأنه^(١) لو كان كذلك لم يكن له ثوابٌ في لزومه لنفسه عن المحرمات، ولَمَّا كان محموداً في ترك اتباع الشهوات، ولَمَّا كان يوسف (عليه السلام) في لزومه لنفسه عن امرأة العزيز محموداً ومُثاباً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (سورة يوسف: ٢٤)، فصَحَّ أنه لزم نفسه (عنها)^(٢) لا عن عصية. ولا نقول إن الله عصمه منها بل نقول: إن الأنبياء (عليهم السلام) مُخَيَّرُونَ مُمَكَّنُونَ كغيرهم من الآدميين بل إنهم أقوى على نفوسهم وعلى لزومها من المحرمات^(٣) لَمَّا شاهدوا^(٤) من الدلائل والمعجزات والرسالة من الله لهم^(٥) والآيات.

وقد يمكن أن يصرف الله عنهم بالتوفيق والتسديد كثيراً من المحظورات كما قال الله -جاءكياً عن يوسف (عليه السلام): ﴿وَلَا أَصْرِفُ عَنْهُمْ سَكَنَهُمْ أَصْنَبُ إِلَهُمْ وَأَسْكُنُ مِنَ الْعَالَمِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ سَكَنَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة يوسف: ٢٢-٢٤).

واعلم أنا لا نقطع على من كان عصي الله معصيةً عمداً ثم تاب منها وأناب وأخلص واشتغل بإخلاصه وتوبته عند الخاص والعام،

(١) في (ب): ولأنه.

(٢) ساقط في (ث).

(٣) في (ع): وعلى لرومها من لزمها المحرمات.

(٤) في (ص): لما يشهدون.

(٥) في (ص، د): إليهم.

وظهر صدقه ووفاءه وطهارته وبقاؤه^(١) أنه لا يجوز أن يرسله الله إلى قوم، بل نقول: إنه قد يمكن ويجوز ذلك؛ لأنه قد خرج من جملة الظالمين، وأهل الظنة والمتهمين. ألا ترى أن الشاهد الفاسق إذا تاب من فسقه عند أداء الشهادة أنه لا يُقبل منه، ويكون من أهل الظنة، وإذا تاب قبل ذلك بزمان طويل أنه يُقبل شهادته، ولا يُطرح فيه كذب ولا شهادة زور.

والدليل على ما قلنا: ما ذكر من قصة أولاد يعقوب (عليه السلام) من عقوق أبيهم وظلم أخيه، ثم تابوا من ذلك وسألوا أباهم أن يستغفر لهم فغفر الله لهم، ثم كانوا أنبياء بعد ذلك، وقد ذكرهم الله في جملة الأنبياء قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَمَا أُوتِيَ السُّبُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا هُتِفُوا يَمِينَ أَوْ عَادِ بَيْنَهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُنِيلُونَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وفي تفسير ابن عباس^(٢): أن الأسباط هم أولاد يعقوب، وأنهم أنبياء، وهو إجماع الأمة، ولم يخالف أيضاً اليهود في أن الأسباط هم أولاد يعقوب، وأنهم أنبياء.

والدليل على صحة ما ذكرنا قول الله تعالى لموسى (عليه السلام): ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَكَآهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُتَبَرِّجًا وَلَمْ يَنْهَ بِمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَالُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حِسْتًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَنْقُورٌ رَّجِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٠] فصَحَّ ما قلنا، وقبول الله: ﴿لَا يَخَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فليس الثابت المحلص بظالم

(١) في (ص)، وبقائه.

وعما يؤيد ما قلنا في خطايا الأسياء (عليه السلام) : ما ذكره المرتضى (عليه السلام) في كتاب الشرح والبيان قال : إن الأسياء (عليه السلام) غيرُ معصومين ، وأنهم يعفلون ويسهون ، وأنَّ بُيُوتَهُمْ مَرْكَبَةٌ عَلَى نِيَّةِ الْإِدْمِينِ .

وقال في قول الله تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ اجْبَأَ رَبُّهُ قَتَابَ عَلَيْهِ وَهْدَى﴾ (١٢٢، ١٢٣) : فلا تكون الثَّوْبَةُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْخَطِيئَةِ (١) .

وقال فيه : من قال إن آدم لم يعص ، ولم يظلم موسى نفسه ، وكذلك يونس ، فقد أكذب كتاب الله تعالى

(٢) في (ع) : عن ابن عباس .

(١) في (ح ، ت) : إِلَّا مِنْ بَعْدِ خَطِيئَتِهِ .



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١٢) باب حقيقة معرفة الإمام

اعلم أنه لما كانت النبوة لا تحصل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وأن الله قد ختم به الرسل كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الاحزاب: ٥٦)، وقال رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي». وكان الناس محتاجين إلى من يقوم (في) مقام النبي ﷺ لينفذ الأحكام، ويحل الحلال، ويحرم الحرام، ويكفل الضعفاء والأيتام، وينصف المظلومين^(١) من الظالم، ويدعو إلى عز الإسلام وبناء المكارم، ويدفع كل خائن وغاشم، ويدعو إلى الجهاد في سبيل رب العالمين، ويعز المؤمنين، ويذل الفاسقين؛ وحكم العقل بوجوب قيام إمام من المؤمنين لصالح الإسلام والمسلمين، وحكم العقل بأنه إن لم يقم إمام أن الإسلام يضعف، وأن الكفر يتقوى، وأن الفساد يلحق جميع الناس، فوجب قيام الإمام بعد النبي ﷺ. وكذلك القول إذا مات الإمام، أو قتل أنه يجب قيام إمام بعده، إلى آخر الدھر.

وحكم العقل أيضاً بأن الإمام بعد النبي ﷺ يكون مختاراً ولا يكون في الأمة من هو أفضل منه، وأن يكون جامعاً للخصال المحمودة ولا يكون في الأمة من هو أجمع منه للمحامد.

(١) زيادة في (ب، ي).

(٢) في (ع): المظلوم.

فمن الخلال^(١) المحموده: أن يكون أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وأن يكون أسبقهم إلى طاعته، وأن يكون أكثرهم بذلاً وعناءً معه، وأن يكون أعلم الناس بالكتاب والسنة، وأن يكون أسخاهم بماله ونفسه.

والأمة مجمعة على أن هذه الخلال^(٢) كلها في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقائد الفر المحتلين دون غيره من الأمة.

ومما يؤيد ما قلنا من الكتاب في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيام الإمام ووجوب دعوته إلى الله - قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَهَدَىٰ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سجدة ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٧٧) وقال تعالى: ﴿مَكُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آية ١١٣)، وقال تعالى: ﴿مَكُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ (آية ١١٠)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَمْسَلُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقِطِلُوا الَّتِي تَبَىٰ حَتَّىٰ يَلِیَّ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَذْهَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهُمْ مُّهِلِكُكُمْ أَوْ مُمْمِکُهُمْ هَٰذَا بَشِيرًا قَالُوا مَعْلُومٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ﴾ (الاعراف ١٥٩-١٦٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ مِنْ لِقَائِهِمْ وَجَحَنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَهْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِنُبَيِّنَ لَهَا مَا حَتَّاهُمْ بِهَا بِمَا يَكُونُونَ﴾ (البقرة ٢٤، ٢٣)، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَدُلُّهَا بِیِّنَ النَّاسِ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة ٢٤، ٢٣).

(١) في (ص). فمن الحاصل

(٢) في (ص): الحاصل

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَخَّذُوا مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيُمْنَحَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَتَعْلَى الْكَافِرِينَ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَلَكَّوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَتَعْلَمَ الْغَابُورُونَ ﴿١١٠-١١٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة الحج ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة ١٤٣]، ومعنى قوله: ﴿وَسَطًا﴾ أي خياراً، قال الشاعر

هم وسط يوصي الأناس بحكمهم

إذا نزلنا إلهي الليالي بمعظم

وقال تعالى بذي من لا ينهى عن المنكر ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ قَارُونَ وَهَارُونَ ابْنَيْ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرِ فَرَّوْنَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة القصص ٧٨-٧٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا حياركم فلا يستجاب لهم»، وروى أنه قال: «مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر ولو حوا»، وروى عنه ﷺ أنه قال: «لا يحل لغيري ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنصرف»^(١).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» فثبت ما ذكرنا من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

(١) في نسخة: أو تنفل

من طريق العقل والكتاب والسنة، وهو إجماع الأمة. وكذلك^(١) وجب تقديم الأفضل لقول الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ يَقْدِرْ إِلَى الْحَقِّ أَمَّا أَنْ يَتَّبِعَ أَمَّا لَا يَقْدِرْ إِلَّا أَنْ يَخْتَرِ﴾ [سورة ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّسْرَةَ وَلَا يَتَّبِعُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [سورة ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة ٢٨]

فصل

في الكلام في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الأمة مجمعة على أنه^(٢) ما جمع الخلال المحمودة بعد النبي ﷺ وغيره. [١]

فأول الخلال المحمودة: القربة من رسول الله ﷺ، فإنه أخو رسول الله ﷺ وابن عمه وزوج ابنته، وأبو سبطيه.

ومنها: السبق بالإيمان، والأمة مجمعة (على)^(٣) أنه أول رجل آمن برسول الله ﷺ، وهي مجمعة على أنه ما عبد صنماً، ولا أشرك بالله، وغيره - من أجلاء الصحابة - آمن بعد الشرك.

ومنها: أنه أكثر الناس عناءً وجهاداً مع رسول الله ﷺ، ومن عناؤه ويدله لنفسه^(٤) دون رسول الله ﷺ. أنه فناء بنفسه ليلة رقد على فراشه.

(١) في (ش) ولديك

(٢) في (ع، ب)، على أن

(٣) ساقط في (ع، ش)

(٤) في (م، ي، د): أنه بدل نفسه

ومنها: شجاعته (عليه السلام) التي خُصَّ بها، فإنه نازل الأقران، وقتل الشجعان، وأباد صناديد العرب، ومرتج عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيراً من الكرب، فقوي الإسلام بجهاد، وضعف الكفر بصبره واجتهاده.

ومنها: علمه الغزير وفقهه الكثير حتى قال عمر فيه مع مكانه في الفقه: (لولا عليٌّ لهلك عمر). وقال: (لا أبقاني الله لمعظلة لا أرى فيها أبا الحسن).

ومنها: كرمه المعروف وسماحه الموصوف، فإنه كان يؤثر غيره في القوت على نفسه ولا يدخر طعاماً لعهده من أمسه.

ومنها: رده في الدنيا مع قدرته على بلوغ كثير من الأشياء، فرصي من قوته بأذنيه، ومن لباسه بأحشيه، ومنه ما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَآتَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَنْ يَعْزِلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَالُونَ﴾ [النساء ٥٩].

وبإجماع الأمة أنه لم يُزَكَّ أحدٌ ركباً غير علي (عليه السلام)، فزلت هذه الآية فيه، فثبت أنه الولي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فإن قيل: فما أنكرتم أن تكون هذه الآية عامة لجميع المؤمنين؟

قلنا: لا يجوز ذلك لأن الله تعالى ذكر الولي والمولى عليه، فخاطب المولى عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾ فصَحَّ أن الولي غير المولى عليه، فثبت أن الآية خاصة لعلي (عليه السلام) ^(١)

(١) في (ب): علي (عليه السلام)

إِذْ لَمْ يَدَّعِيهَا غَيْرُهُ ، وَلَا تَصَدَّقَ رُكْعاً سِوَاهُ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ، قُثِّبَتْ أَنَّهُ أَوَّلَى بِالْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَّاهُ فِي وَلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَلِّلاً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ الْمَبَاهِلَةِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَرَدَتْ بَصْرَى بِحِرَانِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى آيَةَ الْمَبَاهِلَةِ ، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ قُلْنَا تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَبَنَاتَنَا وَبَنَاتَكُمْ وَأَهْلَنَا وَأَهْلَكُمْ ثُمَّ نَكْفِمْهُمْ نَقْمًا لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الْعنكبوت: ١٦٥] . فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَاحْسَنَ وَالحُسَيْنَ ، فَأَحْبَمَتْ نَصَارَى حِرَانٍ وَلَمْ يَبَاهِلُوا ، فَصَحَّ أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَرُويَ أَيْضاً فِي الْأَحْصَارِ الْمُنْتَظَاهِرَةِ : أَنَّهُ لَمَّا بَرَزَتْ الْبِرَاءَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى قُرَيْشٍ أَبَا نَكْرٍ فَأَنَاءَ حَبْرِيْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : (إِنَّهُ لَا يَلْفُهَا إِلَّا أَنْتَ أَوْ مَنْ هُوَ مِنْكَ) يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ يُرَدُّ وَيَلْفُهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ بِمَكَّةَ فَصَحَّ أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَرُويَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَا هُنَاكَ (١) ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنْ مُحَمَّدٌ قَدْ شَتَّى ابْنُ عَمِّهِ وَمَلَّهَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا (عليه السلام) ، فَشَدَّ رَحْلَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَهَبَطَ حَبْرِيْلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْلَمَهُ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ ،

(١) فِي (ص) وَمَا هَاكَ

وخروج علي (عليه السلام) للحاق، فأمر رسول الله (ﷺ) منادياً فنادى بالتعريس في مكانكم، فاجتمع الناس إليه يسألونه عن التعريس في غير وقت التعريس، فأخبرهم بما أتى به جبريل صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل، وأخبرهم أن الله تعالى أمره أن يستخلفه في المدينة قال: هركب بعض أصحاب النبي (ﷺ) ليتفقوه، فما زالوا من مواضعهم إلا قليلاً، وطلع عليهم علي (عليه السلام) مقلداً فتلقاه رسول الله (ﷺ) وحوله الناس، فقال له رسول الله (ﷺ) وقد تلقاه ماشياً والناس حوله: «ما أقبل بك يا علي بن أبي طالب»، وهو يعاقبه، فقص عليه القصة، فقال رسول الله (ﷺ): «يا علي، ما حلفتك إلا بأمر الله سبحانه، وما كان يصلح هناك عيري وغيرك، أما ترضى أن تكون خليعتي كما استخلف موسى هارون، أما والله إنك مني بمرلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» فلما أقبل رسول الله (ﷺ) قسم للناس^(١) فدفع إلى علي سهمين، فأنكر ذلك قوم. فقال رسول الله (ﷺ): «أيها الناس، هل أحدٌ أصدق مني؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: أيها الناس، أما رأيتم صاحب الفرس الأبلق أمام عسكرينا في الميمنة مرة، وفي اليسرة مرة؟ قالوا: رأينا يا رسول الله فمن هو؟^(٢) قال: ذلكم جبريل -صلى الله عليه- فقال لي. يا محمد إن لي سهماً مما فتح الله عليك، وقد جعلته لابن عمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتسلمه إليه»^(٣)، قال أنس بن مالك: فكنت ممن بشر علياً (عليه السلام) بقول رسول الله (ﷺ).

(١) في (ع): قسم للناس

(٢) في (ط، ه): من هو.

وروي عنه عليه السلام أنه قال يوم عدير حم: «أيها الناس أئتت أولي بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(١).

(٣) في (ع، ب): فسلمه إليه.

(١) قال مولانا العلامة الحجة محمد آل الرسول محمد الدين بن محمد المزيدي حفظه الله تعالى وأيده في مؤلفه كتاب (لوامع الأنوار) ما لفظه: «إن الإمام الحجة المصنوع بإله عبد الله بن حمزة عليهم السلام في الثاني من هذا الحديث بعدد: ظهر ظهور الشمس، وأشهر أشهر الصلوات الخمس ومن كلامه عليه السلام رجع الحديث مفعلاً إلى مائة من أصحاب رسول الله عليه السلام، منهم: العشرة، ومن حديث فيها واحد، ومعه واحد، وفيه ريبات مائة، في أول الحديث وآخره. وسلك فيه اثنتي عشرة طريقاً، يعني بهذا صاحب المناقب قال الإمام عليه السلام بمقصدها يؤدي إلى غير ما أدى إليه صاحبه، من أسماء الرجال المتصلين بالنبي عليه السلام وقد ذكر محمد بن حريز الطبري صاحب تاريخ خير يوم العدير وطريقه من خمس وسبعين طريقاً، والفرد له كتاباً سماه كتاب النولية وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن عمدة خير يوم العدير، والفرد له كتاباً وطريقه من مائة وخمس طرق، ولا شك في بلوغه حد التواتر، ولم يعلم خلافاً عن معتد به من الأمة انتهى.

وكلام الأمة آل محمد صلوات الله عليه وعينهم في هذا المقام الشريف وغيره معلوم في جميع مؤلفاتهم في هذا الشأن وقد روى السيد لإمام الحسين بن الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الهدية عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم، غير الحملة، كلها من غير طريق أهل البيت عليهم السلام، وقال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير إن خير العديري يروي ثمانية وثلاث وخمسين طريقاً انتهى.

وأما غيرهم، فقد أجمع على تواتره حفظ جميع بطوائف، وقامت به وبأمثاله صحة الله على كل موافق ومخالف وقد قال المهدي بهرسي طريقه، فقطعت بوقوعه انتهى وعده السوطي في الأحاديث المتواترة، وقال العربي في كنهه (سر العالمين): لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على صحة يوم العدير، وذكر الحديث، واعترف ابن حجر في صواعقه: أنه روى ثلاثون صحابياً وذكر ابن حجر المسقلاني في تحريجه أحاديث الكشاف عن ستة وعشرين صحابياً، ثم قال وآخرون، كل منهم يذكر أسماء أفرادهم غير الحملة: مثل اثني عشر، ثلاثة عشر، جمع من أصحابه ثلاثين رجلاً وقال القليلي فيه في الأبحاث المسندة: فإن كان هذا معموماً ولا سيما في الدين معلوم انتهى من (لوامع الأنوار) ص (٣٩٠) ج ١

وروي عن جابر بن عبد الله قال: جاء علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) يوم أحد، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذهب، فقال: والله^(١) لا أذهب وأدعك، قال: فقال جبريل: هذه والله المواساة يا محمد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جبريل إنه مني وأنا منه، فقال جبريل صلى الله عليه وآله: وأنا منكما».

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي (عليه السلام): «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

وروي عن علي (عليه السلام) أنه كان يقول: (أنا عبد الله وأخو رسول الله). وروي أنه (عليه السلام) قال لعلي (عليه السلام): «لا يُحُكُّ إلا مؤمن ولا يعضك إلا منافق». وروي أنه (عليه السلام) قال: «من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله^(٢)».

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال في علي (عليه السلام) يوم حير: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار^(٣) غير فرأى»، ثم دعا بعلي (عليه السلام)^(٤) وهو أرمم فتعس في عينيه فبرئ، وأعطاه الراية ففتح الله على يديه، ودعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: «اللهم انصره وانصر به فإنه عبدك وأخو رسولك، اللهم أدر الحق معه ما دار»، وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «إن الجنة تشتاق إلى علي وعمار وسلمان». وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «من أحب أن يتمسك بقضيب الياقوت

(١) في (ض) لا والله

(٢) زيادة في (أ).

(٣) في (ص): كرراً.

(٤) في (ع): ثم دعا علياً (عليه السلام).

الأحمر الذي عرسه الله تعالى في جنة عدن، فليتمسك بحبِّ عليٍّ (عليه السلام)، وروى عنه (عليه السلام) أنه قال: «علي سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدُ الْفِرِّ الْمَحْلِينَ» وهذا كثير.

وقد روي عن ابن عباس: أنه مرَّ بناس وهم يتناولون عليًّا (عليه السلام)، فوقف فقال: أيكم سبَّ الله؟ فقالوا: ما مَّا أَحَدٌ سَبَّ الله؟ قال: فأيكم سبَّ رسول الله؟ قالوا: ولا كان هذا. قال: فأيكم السَّابُّ عليًّا؟^(١) قالوا: قد كان ذلك. قال: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ الله، وَمَنْ سَبَّ الله فَهُوَ فِي النَّارِ».

وعن ابن عباس أيضاً: أنه سأله رجل من أهل الشام من حمص عن عليٍّ (عليه السلام)، وكان أهل حمص يلعنون عليًّا، فقال له ابن عباس: له القراءة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أول الناس إيماناً، قال الشامي: هم لا يجحدون ذلك، ولكنه أحدث أحداثاً، وهو أنه قتل قوماً مسلمين، فقال له ابن عباس: مثل عليٍّ (عليه السلام) كمثِّل العبد الصالح الذي لقبه موسى (عليه السلام) فقصَّ له قصته، ثم قال: وأخبرك أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تزوجَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ بَعْدَ مَا طَلَقَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأُولَمَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، وكانت وليمته الخيس^(٢)، فكان^(٣) يدعو كل

(١) في (ص، ع): وهم يتناولون عن عليٍّ (عليه السلام)

(٢) في (أ): يَبَّ الله

(٣) في (ش): فأيكم السَّابُّ لعلي

(٤) (الخيس) هو الطعام المتخذ من النمر و لإقط واسمن، وقد يجعل عوص الإقط اللقيق

والعتيت تحت بهانة

(٥) في (ب)، وكان.

عشرة على قطعة ثم كانوا إذا فرغوا استأنسوا الحديث، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْطَعُوا ثُبُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ خَاظِرِينَ إِنَاءً﴾ (الاحزاب ٥٦)، قال: فلما نزلت هذه الآية كانوا إذا أكلوا قالوا: الحمد لله المنعم المطعم ثم مضوا ولم ينتظروا الحرق ليمسحوا بها أيديهم. قال: فمكث رسول الله ﷺ عندها أسبوعاً ثم تحول إلى بيت أم سلمة ابنة أبي أمية، فلبث عندها ليلتين^(١)، فلما كان من الغد وقد تعالى النهار أتى علي بن أبي طالب عليه السلام فدق عليه الباب دقاً خفياً، فعرفه رسول الله ﷺ، وأنكرت أم سلمة، قال^(٢) النبي ﷺ: «قومي يا أم سلمة فافتحي له»^(٣) الباب، قالت: من هذا الذي بلغ من حطره أن أقوم فأفتح له الباب؟ قال رسول الله ﷺ: إن طاعتي طاعة الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله؛ قومي^(٤) فافتحي الباب، فإن بالباب رجلاً ليس بالحرق ولا بالزرق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما فتحت أم سلمة الباب أخذ بعصا دتي الباب، فلما يزل^(٥) قائماً حتى حمى عليه الوطي ثم فتح ودخل، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة هل تعرفين الرجل؟ قالت: نعم يا رسول الله هو علي بن أبي طالب وهنياً له، فقال النبي ﷺ: لحمه لحمي، ودمه دمي، وهو مني بمرة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي سيد المسلمين، وأمير المؤمنين،

(١) في (ش، ع، ب)، فلبث عندها ليلتين

(٢) في (ص) فقال

(٣) زيادة في (ص)

(٤) في (ب، ص، ط): فقومي

(٥) في (ب، ع، د): فلم يزل

والوصي من بعدي، والخليفة على الأخيار من أمتي، أخي في الدنيا، ورفيقي في الآخرة، يكون معي في السَّامِ الأعلى^(١)، إسمعي واشهدي يا أم سلمة أنه يقتل الناكثين، واقاسطين، والمارقين^(٢)، قال الشامي: وما الناكثون^(٣)؟ قال ابن عباس: الذين أقرُّوا بالمدينة، وأنكروا بالبصرة؛ كطلحة والربيع ومن تبعهما وأما القاسطون فمعاوية وأصحابه، وأما^(٤) المارقون فأهل النهران؛ ذو الثدية وأصحابه. قال الشامي: فرجست عني، فرَّحَ الله عنك وروي عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى بطائر مشوي فقال: «اللهم اثنني بأحب الناس إليك^(٥)»، فكان ذلك عني بن أبي طالب. والأخبار فيه كثيرة، وهذه الأخبار متظاهرة مشهورة متواترة تتلقاها الأمة بالقول، ولا ينكرها ذوو العلم والعقول.

فثبت أنه (عليه السلام) أحق الناس بمقام رسول الله ﷺ وأنه ظليم حقه، وجحد من قدَّم عليه غيره سقه.

(١) في (ش): في السَّاء الأعلى

(٢) في نسخة ومن الناكثون؟

(٣) زيادة في (ص، م، ت).

(٤) في (ش) بأحب خلقك إليك

فصل

في الكلام في اختلاف الأمة في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام
 فقالت الشيعة جميعاً: الإمام علي بن أبي طالب^(١) بعد
 رسول الله ﷺ، وحجتهم ما قد ذكر من العقل والكتاب والسنة.
 وقالت المعتزلة والمرجئة وأصحاب الحديث - وهم أهل الظاهر:
 الإمام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.
 وحدثت الخوارج إمامة علي^(٢).

واستدل من قدم على علي غيره بحجج لهم:
 منها - أنهم قالوا: أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وقد
 ذكره الله في كتابه فقال تعالى: ﴿إِذْ لَمَّا بَيْنَ الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنَ إِنَّ
 اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١٠].

ومنها: أنهم قالوا: إنه المولى في نصرة
 ومنها: ما رووا عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ وَلَيْتُمْ أَبَا بَكْرٍ
 وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ وَلَيْتُمْ عُمَرَ وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي
 دِينِهِ قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ وَلَيْتُمْ عُثْمَانَ وَجَدْتُمُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا، وَإِنْ وَلَيْتُمْ
 عَلِيًّا - وَلَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ - أَكُتِمُّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ».
 وبما رووا^(٣) من قوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنَّجُومِ بَأْيُهُمْ اقْتَدَيْتُمْ

(١) في (ش، ي): الإمامة في علي بن أبي طالب (عليه السلام)

(٢) في (ص، هـ): ولا رووا

اهتديتم... وأكبر حججهم - بزعمهم - إجماع الأمة عليهم، وسكوت علي (عليه السلام). وما روي من قول أبي بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» والأكثر منهم والأعم يقولون: إن مقام أبي بكر كان بالشورى، ويظهر من المسلمين

وقالت شردمة مهم وهي لأقل: بل كان ذلك بوصاية من رسول الله ﷺ.

والرد عليهم - في قولهم واحتججهم بالفار - فإنه لم يذكر في العار مدح، لكنه ذكر بهي، لأن قول النبي ﷺ له: «لا تخزن» دليل على أنه كان قد طهر منه الخرن والحبن^(١) وأيضاً فإن السكينة التي برلت على رسول الله ﷺ لم تنزل على أبي بكر قال الله تعالى: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَتَوَدَّعُونَ»^(٢) ولم يقل فيه كما قال في المؤمنين: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى...» الآية (الحج ١٢٦). فصح أن صحته^(٣) لا توجب له ما ادعوه^(٤). وأيضاً فإن كانت له بذلك فصيلة، نصير أمير المؤمنين ومرقده على فراش رسول الله ﷺ أفضل

وأما قولهم: (إنه المولى في الصلاة) فإنه روي أن رسول الله ﷺ: خرج متكئاً على كتف علي (عليه السلام)، والثاني اختلف فيه، فقيل: عبد الله بن العباس، حتى يحى أبا بكر، وصلى^(٥) بالناس قاعداً،

(١) في (أ): الخوف والحزن

(٢) في (أ): أن صحبه

(٣) في (ص): ما ادعاه

(٤) في (ج، هـ، ي): صلى بالناس قاعداً

قلو لم يُنَحِّه لكان ذلك فضلاً. وأيضاً فقد يجوز أن يُصلي الرجل بأفضل منه، وقد روي أن رسول الله ﷺ وتلى ابن أم مكتوم على الصلاة بالمدينة.

وأما ما روي من قول رسول الله ﷺ: «إِنْ وَلَيْتُمْ أَبَا بَكْرٍ وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ صَعِيفًا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ وَلَيْتُمْ عُمَرَ وَجَدْتُمُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِهِ قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ وَلَيْتُمْ عُثْمَانَ وَجَدْتُمُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَإِنْ وَلَيْتُمْ عَلِيًّا - وَمَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ»^(١)، أَكَلْتُمْ مَنْ فَوْقَكُمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ» ففي هذا الخبر وجوه:

منها^(٢): أنه لم يصح لنا.

ومنها: أنه ليس بأمر لهم ولكنه إخبار منه بما يكون بعده من فعالهم؛ ويدل على ذلك قوله في علي عليه السلام: «وَمَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ».

ومنها: أن هذه الصفات فيهم تدل على أن الآخر أفضل ممن ذكر قبله، وذلك. أن القوي في دينه وفي بدنه أفضل من القوي في دينه الضعيف في بدنه لهذا الأمر، فكان على هذا يجب أن يُقدم عمر على أبي بكر، والهادي المهدي يكون أفضل^(٣) من القوي في دينه وبدنه^(٤)، فعلى هذا يجب أن يُقدم عثمان على عمر وأبي بكر وقوله: «إِنْ وَلَيْتُمْ عَلِيًّا - وَمَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ - أَكَلْتُمْ مَنْ فَوْقَكُمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ»

(١) في (ص): وَلَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ

(٢) في (أ): مِنْهَا

(٣) في (ش): يَكُونُ أَقْوَى وَأَفْضَلُ -

(٤) في (م، د): فِي دِينِهِ وَبَدَنِهِ

وهذه الصفة هي أفضل من صفات المتقدمين، قال الله تعالى: ﴿وَكُونُوا أَهْلَ الْكِتَابِ أَمْنُوا وَأَقِيمُوا...﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَكُونُوا مِنْ قَوْمِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٥، ١٦٦]، فوجب على هذا تقديم علي (عليه السلام) على جميعهم. وقد روي أنه لم يُذكر في الخبر عثمان، وأنه قال بعد ذكر عمر: «وإن وليتم علياً وجدعوهم هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم».

وأما ما روي من قوله (عليه السلام): «أصحابي كالنحوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فهذا الخبر إن صح فإن مخرجه عام ومعناه خاص، والمراد به: أنه أراد بهم أن يقتدى بأصحابه المؤمنين الصالحين في شرائع الدين، ويؤخذ منهم العلم، ويقبل منهم الخبر إذا كان موافقاً للكتاب. ولو كان هذا الخبر يؤخذ بظاهره لجاز أن يكون سلمان خليفة وإماماً، لو طلب ذلك، وكذلك عمار وأبو ذر وسائر الصحابة، فسقط تعلقهم بهذا.

وأما ما روي من قول أبي بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»، فإنه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأخبار المتواترة أنه قال: «ما روي لكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو مني، وأنا قلته، وما لم يوافقه فليس مني ولم أقله»، وقد وجدنا في كتاب الله ما يخالف خبر أبي بكر وهو ما قص الله تعالى من وراثة أولاد الأنبياء (عليهم السلام) لأبائهم، وذكر وراثتهم لهم، فقال تعالى: ﴿وَوَيْثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ﴾ [سورة: ١١]، وقال تعالى حاكياً عن زكريا: ﴿وَأَتَى خِفَّتِ الْمَوَالِي مِنْ دُونِهَا وَكَانَتْ أُمَّرَأَى خَائِراً تَهْتَبُ إِلَيَّ مِنْ لَدُنْكَ وَبِئْسَ يَرِثُهَا﴾ [سورة: ١١]

مِنْ آلِ يَتْمَرٍ وَكَثَلَةٍ زَيْدٌ وَهَيْثُ (م) ، فَصَحَّ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يَصَحُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِإِحْمَاعِ الْأَمَّةِ ، وَسَكَوتِ عَلِيٍّ (ع) عَنْ حَقِّهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ لَهُمْ بِحُجَّةٍ مِنْ وَجْهِ :

منها : أَنَّ أَكْبَارَ الصَّحَابَةِ وَعُلَمَاءَ الْأَمَّةِ لَمْ تُجْمَعِ عَلَى ذَلِكَ بَلْ أُنْكِرُوهُ وَاجْتَنَبُوهُ ، فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ حُمِلَ عَلَيْهِ وَانْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى كَسْرِ سَيْفِهِ (١) وَرُوِيَ أَنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ ضُرِبَ ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ اسْتُخِفَّ بِهِ إِذْ لَمْ يُيَايِعَا لِأَبِي بَكْرٍ . وَرُوِيَ أَنَّ فَاطِمَةَ (ع) هَجَمُوا بَيْتَهَا ، لَمَّا تَأَخَّرَ عَلِيٌّ (ع) عَنِ الْبَيْعَةِ ، وَأَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لَمَّا أَظْهَرَ الْكِرَاهَةَ لِلْبَيْعَةِ اضْطُرَّ إِلَى مَفَارِقَةِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ رُمِيَ بِهِمْ فِي أَيَّامِ عُمَرَ وَمَاتَ . وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْأَمْرَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَرَّقَ الْمَسِيرَ خَطِيئًا ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَ مَسَرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَهُ قَعْدٌ عَنْ بَيْعَتِهِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا : سِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَسِتَّةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَأَبُو ذَرٍّ ، وَعِمَارٌ ، وَالْمُقْدَادُ ، وَسُلَيْمَانٌ ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ .

وَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ : قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْخَزْرَجِيُّ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ الْتَيْهَانَ ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَأَبُو بَرْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ، وَأَبُو أَبِي الْأَنْصَارِيِّ . وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ : فَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ نَعَّاصٍ ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ،

(١) فِي (م) : إِلَى أَنْ كَسَرَ سَيْفَهُ

وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وهريدة الأسلمي. وكان من الأنصار: حزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وأبي بن كعب، فقال بعضهم لبعض: قوموا إلى هذا الرجل وأنزلوه عن منبر رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: إن هذا الرجل اتفقت عليه هذه الأمة، ولكن انطلقوا بنا إلى صاحب هذا الأمر حتى نشاورة ونستطلع رأيه، فانطلق القوم حتى أتوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالوا له: يا أمير المؤمنين ك في مسجد رسول الله ﷺ ورأينا هذا الرجل قد صعد منبر رسول الله ﷺ فأردنا أن ننزله عن منبر رسول الله، وكرهنا أن ننزله عنك، ونحن نعلم أن الحق لك. فقال علي (عليه السلام) (أما إياكم لو فعلتم ما كنتم إلا حرباً لهم، وما كنتم إلا كالكمحل في العين أو كالملح في الزاد، وقد اتفقت هذه الأمة التاركة قول نبيها، الدين باعوا آخرتهم بديانهم. وقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما يعمون من وغر صدور القوم وبغضهم لأهل بيت محمد ﷺ، ولكن انصقوا إليه فأخبروه بما سمعتم من قول بيتكم محمد ﷺ ولا تتركوه في شبهة من أمره، ليكون ذلك أوكد في الحجة وأبلغ في العقوبة إذا لقي الله وقد عصاه وخالف أمر نبيه). فانطلق القوم في يوم جمعة في وقت صلاة الظهر حتى جثوا حول منبر رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر فصعد المنبر، فقال المهاجرون والأنصار: قوموا فتكلموا بما سمعتم من قول بيتكم محمد ﷺ. فقال الأنصار للمهاجرين: بل أنتم قوموا، فتقدموا فإن الله قدمكم علينا في كتابه

فقال: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» (الأنعام ١١٧)، فكان أول من تكلم خالد بن سعيد، فقام قائماً على قدميه فقال: معاشر المسلمين أنشدكم بالله وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله ﷺ قال لي: «هذا خالد صديق قومي»؟ قالوا: بلى والله نشهد بذلك. قال: معاشر الناس فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي قائد البرة، وقاتل الكفرة، وهو أحق بالأمر من بعدي». ثم جلس. وقام من بعده أبو در الغفاري فقال: يا معاشر المسلمين أنشدكم بالله وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله قال: «رحمك الله يا أبا ذر ثمت وحدثك، وتدفن وحدثك، وتحشر وحدثك، وتحاسب وحدثك، وتدحل لحنة وحدثك، يكرمك الله بك سبعة مبر بلون عسلك ودمك» قالوا: أشهد والله بذلك. قال: فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي أخي وابن عمي وأبو سبطي والحجة من بعدي». ثم جلس.

وقام سلمان الفارسي وقال: يا معاشر المسلمين فأنشدكم بالله^(١) وبحق رسول الله ﷺ تشهدون بأن رسول الله ﷺ قال: «سلمان منا أهل البيت»؟ قالوا: بلى والله شهد بذلك، فقال^(٢): فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو الأمير من بعدي» ثم جلس.

(١) في (ع): يا معاشر الناس

(٢) في (هـ، د): أنشدتكم الله

(٣) في (ت): قال

ثم قام^(١) من بعده المقداد بن الأسود الكندي فقال: معاشر المسلمين، أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، الفائز من تولاه، والكافر من عاداه» ثم جلس

وقام من بعده عمار بن ياسر فقال: معاشر المسلمين^(٢) فأنشدتكم بالله^(٣) وبحق رسول الله ﷺ أستم تشهدون أن النبي ﷺ قال: «يا آل ياسر أشيروا [فإن] موعدكم الجنة»، وقال: «عمار مع الحق والحق مع عمار، حيثما دار عمار دار الحق معه»، وقال: «يا عمار تقتلك الفئة الناعية، يكون آخر زادك من الدنيا قعب من لبن»؟ قالوا: بلى والله تشهد بذلك، ثم أقبل إلى أبي بكر^(٤) فقال: يا أبا بكر ارجع عن صلعتك، واقبر شركك، وإلزم مبركك، وابك على خطيبتك، ورد الأمر على من^(٥) جعله الله له ورسولته، ولا تركزن إلى الدنيا، ولا يفرك^(٦) من قريش أو عادها، فمض قليل فرحل عن دنياك ثم تصير إلى ربك فيسألك عما جنته يداك، وما ربك بظلام للعبيد. ثم جلس.

وقام من بعده أبي بن كعب فقال: يا معاشر المسلمين أستم تشهدون بأن النبي ﷺ رقى منبر يوم غدیر خم، وقام علي إلى جانبه وخط يده اليمنى وشالا أيديهما حتى رؤي بياض أباطيهما

(١) في (م): وقام

(٢) في (ب). يا معاشر المسلمين. وفي (ع): يا معاشر المسلمين

(٣) في (ع، ب). ناشدتكم الله

(٤) في (ص). إلى من

(٥) في (ش، ب): لا يفرك

ثم قال: «معاشر الناس من كنتُ نبيته فهذا عليٌّ وليه ألا من كنتُ مولاه فعلي مولاه»^(١)، اللهم وال من ولاءه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» ثم جلس.

وقام من بعده قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أبا بكر، أأنت تشهد بأن النبي ﷺ يوم كُنّا بين يديه فأقبل عليك بوجهه فقال: «يا أبا بكر من أحب عليًّا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله كان حقيقاً على الله أن يكبه على منخره في نار جهنم»؟ فقال: بلى أشهد بذلك. ثم قال: يا معاشر المسلمين أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا حرب لمن حارب عليًّا وسلم لمن سالم عليًّا» ثم جلس.

وقام من بعده أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا معاشر المسلمين أأنت تشهدون بأن النبي ﷺ قال: «هذا ابن التيهان ما كذبتني منذ آمن بي، ولا نافقتني منذ صدّقني»؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: فأنا أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي سفينه من ركبها نجا ومن تخلف عنها عرق»، أو قال: «في النار هوى» ثم جلس.

وقام من بعده سهل بن حنيف فقال: معاشر المسلمين أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي باب حطة من دخلها كان آمناً» ثم جلس.

(١) في (ب): فهذا علي مولاه

وقام من بعده أبو بردة الأسلمي^(١) فقال: معاشر المسلمين أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي أخلي وابن عمي ووارث علمي، وحامل رأيي يوم القيمة، والخليفة من بعدي، المؤمن من تابعه، والكافر من خالفه» ثم جلس.

وقام من بعده خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقال: يا معاشر المسلمين أستم تشهدون بأن النبي ﷺ قبل شهادتي وحدي ولم يزد معي غيري^(٢) قالوا: بلى شهد بذلك قال: أشهد أني^(٣) سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لا إله إلا الله ربكم، ومحمد نبيكم، والإسلام دينكم، والقرآن إمامكم، وعلياً هاديكم، فوالى الله من والاه وعادى من عاداه» ثم جلس.

وقام من بعده أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أبا بكر ألت تذكّر هذه الآية يوم أزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقامت أنت وصاحبك فقلتما بين كتفيه وقلتما: أصححت والله مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟ فقال: بلى قد كان ذلك. فقال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «علي عين الله في خلقه، وولايته الصراط المستقيم، والحجة على الأمة بعدي» ثم جلس.

فلما أن سمع أبو بكر ذلك نزل عن المنبر ودخل منزله، فمكث لا يخرج إلى الناس ثلاثة أيام، فلما أن كان اليوم الرابع أتى^(٤) عمر

(١) في (ج): أبو بردة الأسلمي.

(٢) في (ب): ولم يزد معي أحداً.

(٣) في (ب): أشهد بأنني.

(٤) في (ج): في اليوم الرابع أثناء.

وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة،
والأشعث بن قيس، وأبو موسى الأشعري، وقفد مولى عمر، مع
كل رجل منهم عشرة رجال، شاهرين أسياهم، حتى أخرجوه من
منزله، وعلا المنبر فخطب، وجعلوا يذرون في المدينة وهم يقولون:
والله لئن عاد أحد إلى مثل ما تكلم به بالأمس لنعلونه بأسيا فناء،
فأمسك القوم عند ذلك ولم يردوا جواباً.

فأين الإجماع من الأمة؟ وهؤلاء كبار الصحابة^(١) وعلماء الأمة
أنكروا ذلك. فإما إجماع من لا يعتمد به من الجهال لومين الرعية^(٢)
فليس إجماعهم بحجة، لأن الله تعالى ذكر أمم الأنبياء بالتكذيب قال
تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُّوحٍ وَأَمْحَاكِ الرُّسُلِ وَثُودٌ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
وَلَوْ كُنَّا نُرِيدُ ۝﴾ [١٣: ١٢]، وحكى قول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ضَالًّا ۝ إِنَّكَ لِنَجِّنِيهِمْ لَعَلَّاهُمْ يَهْتَدُوا وَلَا يَلْبَثُوا إِلَّا فُجُورًا
كَثِيرًا﴾ [سورة هود: ١٧٧، ١٧٨]، وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما آمن للرسول^(٣) إلا
الأقل من أممهم فقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: ١٤٠]، وقال:
﴿فَضَرَبُوا بِتَنَاهٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة هود: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿اهْتَفِلُوا إِنَّ دَاوُدَ شَكَرًا
وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سورة مريم: ١٢٢]، وقال - فيما حكاه عن داود عليه السلام: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيْسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَقِيلُوا
الْمُتَالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا لَهُمْ﴾ [سورة مريم: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿وَالْحُسْرَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
لَكُنُوسٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة مريم: ٣-١] ولا يستثنى من الشيء

(١) في (ل) كبار الصحابة

(٢) زيادة في (ي)

(٣) في (ع): بالرسول

إلا الأقل. وأخبرنا: أن أكثر الناس لم يؤمنوا ولم يعقلوا فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سود ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) [الأعراف ١٨٧]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) فصَحَّ أن إجماع من أجمع من الأمة على إمامة أبي بكر لا يُؤخذ به، وإنما يُؤخذ بإجماع العلماء والصحابة، والإجماع وقع في علي (عليه السلام)؛ لأنهم مجمعون معاً أنه مستحقٌ لمقام، وأنه وصيُّ رسول الله ﷺ في ديونه وأموره الخاصة، ونحو غير مجمعين معهم في أصحابهم وأئمتهم، فمن أولى بحجة الإجماع منهم.

وأما سكوت أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حقه، فإنه اجتهد مع رسول الله ﷺ في جمع المؤمنين وتآلمهم^(٣)، وخشي إن نازع في حقه أن يُعرق ما جمع رسول الله ﷺ، وكان لو نازع القوم وعارضهم لشق عصا الإسلام، وكان عهد الناس بالشرك قريباً، وكان المشركون والكفار، والمنافقون والماسقون، يريدون ذلك ليشغل المسلمون بعضهم ببعض، وكان في ذلك فساد الإسلام، فرأى تغطية المسلمين على ما هم عليه أولى، وهو أهون العُسرين. فهذا سبب وقوفه وسكوته عن حقه، وقلة أيضاً بصيحة أعوانه وأنصاره؛ وليس ذلك بعجيب، قد أخرج^(٤) رسول الله ﷺ من بيته، وتبع فاخْتِياً في الغار للثقية، فلم يُعب بذلك؛ فكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وله برسول الله

(١) في جمع السج - (ولكن أكثر الناس لا يعقلون) وليس في القرآن الكريم آية هكذا تمت

(٢) في جمع السج - (ولكن أكثر الناس لا يعقلون) وليس في القرآن الكريم آية هكذا

(٣) في (ش) وتآلمهم

(٤) في (ض) وقد أخرج

أسوة حسنة، مع أنه (عليه السلام) لم يسكت عن حقه. روي عنه (عليه السلام) أنه قال لولده الحسن (عليه السلام) : (يا بني ما زال أبوك مدفوعاً عن حقه، مُستأثراً عليه، مُنذُ قبضَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يوم الناس^(١))، وسيعلم الدين ظلموا أي مقلبي ينقلون) فنسب^(٢) من دفعه عن حقه ظالماً^(٣)، وقد تهدّد الله الظالمين بالعذاب.

وقال أيضاً في حُطبة له : (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرُحى، يتحدر عني السيل ولا يرقأ إليّ الطير، فسدت دويها ثوباً وطويت عنها كشحاً...) إلى آخر كلامه فلم يسكت (عليه السلام)، وإي وقف لما علّم الأنصار.

ومن ظلم أبي بكر الظاهر أنه منع فاطمة (عليها السلام) حقها من ميراث أبيها في فدك والعوالي وغير ذلك، ولم يرص مظلمه لها حتى زاد فنسب ذلك^(٤) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليحرّم على ابنته وسائر ورثته الميراث منه، وهو يعلم أن الصدقة محرّمة عليهم، والذور والكفارات. وإذا منعوا آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الميراث - وقد أيضاً منعوهم الأخماس - فهل هذا إلا أكبر الظلم؟

والقول في تقديم عمر وعثمان علي (عليه السلام) كالقول في تقديم أبي بكر.

(١) في (ص). حتى يقوم الناس

(٢) في (ت)؛ سمى

(٣) في (ج). إلى الظلم

(٤) في (ب، ص، ع)؛ نسب ذلك

وأما قيام أمير المؤمنين (عليه السلام) عسى معاوية بن أبي سفيان فإنه لما قتل المسلمون عثمان، واضطروا إلى عبي (عليه السلام) وأجروا إليه^(١) من خوف معاوية لعنه الله، ولحاجتهم إلى القائم، فامتنع من القيام بهم لما علم منهم من قلة الوفاء والصدق، ولم يثق بهم لما تقدم منهم من تقديم أبي بكر وعمر وعثمان عليه، فكره ذلك، فما رالوا يطلبونه القيام، ويُعدونه الصبر معه والوفاء له، فلما وجست عليه الحجة بوجود الأنصار، قام وبايعه^(٢) المسلمون، فما لبث الزبير بن العوام وطلحة ومن والاهما^(٣) إلا قليلاً ثم نكثوا البيعة، وخرجوا بعائشة إلى البصرة لحرب علي (عليه السلام) وموجب ذلك أنهم أرادوا الدنيا، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يريد الآخرة، فاختلفت نياتهم وقد قال الله تعالى: ﴿أَنكَلَمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكَرَّتُمْ هَرَقًا فَكَرَّجْتُمْ وَأَنزِلْنَا قَتْلُونَ﴾ [المدثر: ٨٧]، فجمعوا علي أمير المؤمنين الأعداء، وحاربوه حرباً شديداً. وروي^(٤) عنه (عليه السلام) أنه قال: (بُليتُ بأربعة لم يبلُ بهم أحدٌ: بعائشة بنت أبي بكر أطوع الناس في الناس، وبطلحة بن عبيد الله أنطق الناس في الناس، وبالزبير بن العوام أشجع الناس بالناس، وبيعلى بن منه^(٥) التميمي الذي يعين علي بأصواع الذهب والفضة). ثم حرح أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الكوفة ودعا^(٦) أصحاب عائشة

(١) في (ب، ت)، ولجأوا إليه.

(٢) في (ش)، ومن تابعه.

(٣) في (ب، ص، ط)، ومن وادهما.

(٤) في (ع، ب)، روي.

(٥) في (ث)، يعلى بن منه يقال: يعلى من منه باعتبار أبيه، ويعلى بن منه باعشار أمه. فمت.

(٦) في (ص)، فدعا.

إلى كتاب الله وسنة رسول الله فأبوا أن يُجيبوا، وسألهم الرجوع إليه فلم يرجعوا، فلمَّا أبوا إلا اقتال والفساد (في الأرض)^(١) حاربهم ووضع فيهم السيف فقتلهم، وعُقر بعير عائشة، فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الحسن ومحمد بن أبي بكر أن يمنعوا حرم رسول الله ﷺ^(٢) ففعلوا، وأمر معهما عمار بن ياسر، والأشتر النخعي، وسعد^(٣) بن قيس الهمداني، ونصره الله عليهم، وقتل طلحة بن عبيد الله، وفر الزبير بن العوام، فبات عند عُمير بن جرموز فقتله، فأنكر ذلك عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشروا قاتل ابن صفية بالنار» ثم عاد إلى المدينة، فأقام بها مدة، ثم خرج إلى الكوفة في قتال معاوية، فدعاه إلى كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ فأبى أن يجيبه، فكان بينهما من الحرب ما قد اشتهر وظهر على الناس، إلى أن كان آخر أيام صفين، وأشق معاوية من علي (عليه السلام)، ووقع أكثر القتل في أصحاب معاوية، قيل: إنه قُتل منهم خمسة وسبعون ألفاً، ومن أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً، ثم إن معاوية -لعنه الله- أمر عمرو بن العاص -أخزاه الله- فجعل المصاحف على الرماح، وأمر من يحملها أن يقول^(٤): بيننا وبينكم كتاب الله وسنة رسوله، فكفَّت^(٥) أصحاب علي (عليه السلام)،

(١) ساقط في (ب، ت، ل)

(٢) في (ب، ص، د): حرمة رسول الله ﷺ

(٣) في (ص): وسعيد

(٤) في (ص، م): وسنة بيته

(٥) في (ع، ص): أن يقولوا

(٦) في (ع، م، د): مكف

فقال لهم عليّ: «إنها كلمة حق يراد بها باطل» فلم يقدموا عليهم بعد ذلك، فأقبل على أمير المؤمنين (عليه السلام) أصحابه وسألوه المحاكمة فقال: أنا أحكمُ عبد الله بن العباس^(١). فأبوا إلا أبو موسى الأشعري لعنه الله. وحكم معاوية عمرو بن العاص لعنهما الله، فخدع أبا موسى الأشعري وقال: إن علياً ومعاوية قد سفكا دماء المسلمين، وشقاً العصا، وأهلكا الناس، وأنا أرى أن تخلع صاحبك عن الأمر، وأخلع صاحبي. فساعده أبو موسى إلى ذلك، وقدمه عمرو فقال للناس: إنه قد خلع علياً عن الأمر، وقال عمرو: قد ولي^(٢) معاوية الأمر، فقال أبو موسى له: خدعتني. فأحازها عليه. فافتقرت أصحاب علي (عليه السلام)، فاستقام معه المخلصون لله، وتفر عنه أكثر الناس، فاختلفت الناس في الحكمين على خمس مقالات^(٣).

فقال الخوارح: الحكماء قد كفرا وكفرا علي (عليه السلام)^(٤) حين حكمهما، وعلتهم قول الله: «وَمَنْ لَّمْ يَخُذْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاتَّخِذْ لِحُكْمِهِمُ الْكَابِرُونَ» [١١]، وفي تكبير علي (عليه السلام) بتركه القتال، وقد قال الله تعالى: «فَاتَّخِذُوا إِلَيْنَا حَقِي قَبْلَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» [١٢] وترك القتال كفر. وقالت الإمامية: إن علياً (عليه السلام) حكم للثقية، والثقية تسعة إما يخاف^(٥) على نفسه، واعتلوا أن رسول الله ﷺ قد كان للثقية يكتنم الدين في أول أمره.

(١) في (ص) عبد الله بن العباس وأصحابه وفي (ع): عبيد الله بن العباس وهو خطأ

(٢) في (س): قد وليت. وفي (م): قد ولي.

(٣) في (ع): وكفروا علياً (عليه السلام)

(٤) في (ب، ع، د): لما حاف.

وقالت الزيدية، والمرجئة، وإبراهيم النظام، ويشربين المعتزلة: إن علياً (عليه السلام) كان مُصيّباً في تحكيمه الحكمين، وأنه إنما حكم حين خاف على عسكره الفساد، وكان الأمر عنده بيناً واضحاً، فنظر للمسلمين لِيُتَابِعَهُمْ، وإنما أمرهما أن يحكما بكتاب الله، فخالفا، فهما اللذان اخطئنا وأصاب هو، واعتلوا في ذلك أن رسول الله ﷺ وأدغ أهل مكة، وردّ أبا الجندل بن سهيل بن عمرو وتحول في قيده^(١).

وقالت الخشوية: نحن لا نتكلم في هذا، ونردّ أمره إلى الله تبارك وتعالى، والله أعلم به حقاً كن أوب ضلاً.

وقال أبو بكر الأصم: نفس حروجه كان خطأ، وتحكيمه خطأ، إلا أن أبا موسى أصاب حين حله^(٢) حتى يجتمع المسلمون على إمام^(٣).
وقال سائر المعتزلة: إن كل مجتهد مصيب، وعليّ قد اجتهد، ولسا^(٤) نتهمه.

فهذا ما قيل في الحكومة، والصحيح عندنا أنه غلب على أمره وألجئ إلى قبولها، كما غلب على الأمر في أيام أبي بكر وصاحبيه وألجئ إلى القعود. ثم كان من قتله أهل النهروان^(٥) ما قد اشتهر لتكبيرهم له وخلافهم عليه. ثم قتله اللعين ابن ملجم - لعة الله - عليه ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين

(١) في (ب، ص، ع): يحول في قيده

(٢) في (ع): علي إمام واحد

(٣) في (ع، ص، هـ): فلسا.

(٤) في (ب، ت، ل، ع، ص، م): لأهل النهروان.

مُنْذُ قُبُضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ سِتَّةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَخَرَجَ (عَلَيْهِ) لَتَهْجُدَهُ لِمَصَادِفَةِ لَيْلَةٍ قَدَرِ.

وَأَجْمَعَتْ شِيعَتُهُ (عَلَيْهِ) عَلَى الْقَوْلِ: بِأَنَّ مُخَالَفَهُ مِنْ أَهْلِ السَّارِ^(١)، وَكَذَلِكَ قَالَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمَنْ شِيعَتُهُ مِنْ حَكَمَ عَلَى مُخَالَفِهِ بِالْكَفْرِ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْقَوْلِ فِيمَنْ تَقَدَّمَ أَوْ قَدَّمَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ أَبُو الْجَارُودِ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ: عَلِيٌّ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْإِمَامُ بَعْدَهُ بِلَا فُضْلٍ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ قَدْ كَفَرَتْ فِي تَرْكِهَا بَيْعَتَهُ. ثُمَّ الْإِمَامُ بَعْدَهُ الْحُسَيْنُ بِالنَّصِّ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَهُمْ شُورَى، فَمَنْ حَرَجَ مِنْ أَوْلَادِهِمَا مُسْتَحَقٌّ لِلْإِمَامَةِ فَهُوَ الْإِمَامُ. وَكَذَلِكَ قَالَتِ الصَّالِحَةُ (أَصْحَابُ) الْحُسَيْنِ بْنِ صَالِحٍ بَنِي حَمِيٍّ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ فِي الْإِمَامَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ غَيْرُ مُخْطِئَيْنِ، بِسَبَبِ سَكُوتِ^(٢) عَلِيٍّ (عَلَيْهِ) عَنْ حَقِّهِ، وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ إِلَى أَنْ تَرَأَى مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ، وَتَوَقَّفَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ التَّمَارِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ مِنَ الرِّيدِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَرَوُا مِنْ عُثْمَانَ بَعْدَ مَا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ، وَشَهِدُوا عَلَى مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ.

وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ جَرِيرٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِ فِي عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ خَطَأٌ، لَا يَسْتَحِقُّانِ عَلَيْهِ إِسْمَ الْفَسَقِ مِنْ قَبْلِ التَّأْوِيلِ، وَتَرَأَوْا مِنْ عُثْمَانَ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ.

(١) فِي (ص، ي، د)، وَأَجْمَعَتْ شِيعَتُهُ (عَلَيْهِ) عَلَى أَنْ يَحْلُمَهُ فِي الدَّرِ

(٢) فِي (ش، ص): لِسَكُوتِ

وقالت الإمامية في علي والحسن والحسين مثل قولنا، وأثبتوا النص، وقالوا: لا يكون الإمام إلا مخصوصاً عليه من نبي أو وصي أو إمام، وسذكر الرد عليهم في موضعه، إن شاء الله تعالى.

وعندنا أن من تقدّم على أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو قدّم عليه غيره بعد رسول الله (ﷺ) فقد ظلمه، وجحد حقه^(١)، وفسق، وهو كافر بعمّة، فاسق ظالم، وقد تهدّد الله لظالمين بالنار والخزي واليوار، وقد صحّ أنهم ظلموه حقه، وأكروه سبقه، غير جاهلين ولا شاكين، وكذلك من قدّم على الحسن، والحسين، والصالح من أولادهما (عليهم السلام).

فصل

في الكلام في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام

وقد قدّمنا الكلام من العقل^(٢) ولإجماع أنه يجب أن يُقدّم في الإمامة الأفضل من الأمة، والأفضل من جمع وجوهاً من المحامد لا يجمعها غيره^(٣).

منها: القراءة إلى رسول الله (ﷺ) المشهورة بالنص.

ومنها: العلم، والدين، والورع، واليقين، والزهد، والكرم، وطيب المولد، وحسن الشيم.

(١) في (ج، ل، د): وجحد حقه.

(٢) في (ب، ص): في العقل.

(٣) في (ع): ولا يجمعها غيره.

والأمة مجمعة على أنه ما كان في عصرهما - بعد أبيهما - أجمع لهذه
المحامد منهما، فأما القرابة ولأنهما من ذرية رسول الله ﷺ ونسله،
ولأنهما ابنا ابنته وولدا ابن عمه.

والذي يدل على أن البت من الذرية قول الله تعالى في
إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ هَدَيْنَا
الضَّالِّينَ ۝ وَذَكَرْنَا وَآخِيسَى وَرِيعَى وَالْهَاسِنَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝
وَأَسْمَاءَ هِجْلَ وَالنَّسْعَ وَكُوفَى وَكُوطَا وَكُلًّا هَدَيْنَا عَلَى الْمَالِئِينَ ۝ وَمِنَ آبَائِهِم
وَزُرَّائِهِمَ وَالْخَوَاطِمَ وَالْجَنَاحَةَ هَدَيْنَا إِلَى مِرَاطٍ مُّتَعِيمٍ ۝﴾ [الأنعام ٨١-٨٧]، فيبين
أن عيسى (عليه السلام) من ذرية إبراهيم (عليه السلام) بحسب أمه والحسن والحسين
إلى محمد (عليه السلام) أقرب من عيسى إلى إبراهيم صلى الله عليهما، فصح
أنهما من ذريته ونسله.

ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل بني أشي
ينتسبون إلى أبيهم غير ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصيتهما» فصح أنهما
أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولم يُنازعهما أحد في ادعاء الأمر من
بني هاشم، وفي الإشارة ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين: «من أحبهما في الجنة ومن
أبغضهما في النار». وعن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي
وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حرب لمن حاربهم، مسلم لمن
سالمهم». وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني ملك من
الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل ليلتي هذه، فاستأذن ربه عز وجل

أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ فَبَشِّرْنِي (أو فأخبرني) أَنَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». وروي عن رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان وأبوهما خير منهما» فصَحَّ أنهما أولى الناس بمقام رسول الله ﷺ بعد أبيهما، وأن النص في إمامة علي، والحسن، والحسين، دون غيرهم. وثبت أيضاً أن الحسن الإمام - في عصر أخيه - القائم، لكرهه، وتقدمه، ودعوته، وتسليم (أخيه) الأمر إليه

وكان من دعوته (عليه السلام) أنه لما قُتل والدُه أمير المؤمنين، وغسَّله، وكفَّسه، وقرَّه، وصُربت عنقُ ابن ملجم - لعنه الله، صعد المسير فخطب الناس ونعى علياً (عليه السلام) فقال في خطبته: (إن رجلاً من أعداء الله، المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين - كرم الله وجهه ومشواه في الجنة - في مسجده، وهو خارج لتنهجده في ليلة يرجو فيها مصادفة ليلة القدر، فقتله، فيا لله من قتيل، فأكرم به وبروحه من روح عرجت إلى الله بالسر والتقوى والإيمان، ولهدى والإحسان، لقد أطلقاً به نور الله في أرضه، وهدم ركناً من أركان الإسلام، لا يُشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله محتسب مصيبتنا في أمير المؤمنين، ورحمة الله (١) يوم ولدَ ويوم قُتلَ ويوم بُعثَ حياً). ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه ثم قال: (وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه

(١) في (س، ج، ل)، وروي عنه ﷺ

(٢) رواية في (ع)

(٣) في (ش، م، ص)، ورحمة الله

وسليله، وشبيهه^(١) في حلقه، لأن يحمر الله به ما قد وهى، ويسد به ما
ثلم، ويجمع الشمل، ويطفئ نار الفتنة^(٢)، فبايعوه ترشدوا).

فبايعه الشيعة كلهم، وهرب قومٌ فلاحقوا بمعاوية، وأرسل معاوية
إلى الدين بايعوه، فلم يزل يعمل فيهم بالكذب حتى حذلوه، ودخل
عليه قومٌ منهم فطعموه بخنجر، وأردوا قتله وقتل أخيه وأهل بيتهما،
وكان قد خرج من المدينة في حرب معاوية، فكتب إليه معاوية لعنه الله
يسأله الرجوع إلى المدينة والمهادنة، ويلزم كما لزم أبوه في عصر أبي
بكر وعمر وعثمان، وعلى أنه يحكم في أمة محمد ﷺ بالكتاب
والسنة، وعلى أنه يدفع الخمس إليه الذي أوجبه الله لني هاشم، كما
كان يدفع إلى أبيه في وقت أبي بكر وعمر وعثمان، ففعل ذلك،
وهادته لما عدم الأنصار، ورحم المدينة هو وأخوه ومن كان معهم^(٣)،
فما زال معاوية لعنه الله يعمل فيه حتى قتله بالسم

ثم مات معاوية، وولى أمره ولده يزيد لعنه الله، وهو أول من
أطهر المسق وشرب الخمر في الإسلام، ثم إن قوماً من أهل الكوفة
استدعوا الحسين بن علي عليهما سلام وبايعوه ووعدوه بالنصر،
فخرج إليهم ووالي البلد عبيد الله بن زياد من قبل يزيد بن معاوية
لعنهم الله، فحاربه حتى قتله بكر بلاء - وأهل بيته، ووجه بحرمه
وبرأسه إلى يزيد بن معاوية، وردّه يزيد إلى المدينة فجاهدا عليهما
السلام، ولم يتركها الله عليهما حجة، وفعل بهما كما فعل بالأنبياء
والأئمة من قبلهما.

(١) في (ج، ت) وشبيهه

(٢) في (ش، ص، ع): يراى الفتنة

(٣) في (ش): هو وإخوته ومن كان معهم

فصل

في الكلام في الأئمة من بعدهما

وقد قدّمنا الكلام في إجماع أئمة على أن الإمام (هو) الجامع للمحامد؛ منها: القرابة إلى رسول الله ﷺ، ودلّلنا على أن الحسن والحسين أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، فكما كانا أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ كذلك أولادهما.

ومن طريق النظر أن الإمامة لو كانت في جميع الناس لأدّى ذلك إلى الفساد والالتباس، ولتوضع شيء في غير أهله، وردّ الفرع إلى غير أصله، ولعسر على الناس طلب الإمام، وكان في ذلك فساد الإسلام، وكثرت^(١) المدّعون للمقام وكان ذلك سبباً لتعطيل الأحكام وأبصاً فقد جرت سنة الله في الأولين بتقديم درية النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين. فصحّ أن الإمامة في ولد الحسن والحسين محصورة، وعلى غيرهم محظورة. والذي يدل على ما ذهبنا إليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا التَّوَكُّلَ عَلَىٰ ثِقَتِي﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سبا: ٥٩]، وقد وصّى بمودة ذوي القربى^(٢) وهي أجر الرسالة، فصحّ أن ذوي القربى هم أولو الأمر.

وقد دلّلنا على أن أولاد الحسن والحسين أقرب ذوي القربى،

(١) في (ش، ص، ب) - وكما كانا أقرب الناس إليه ﷺ

(٢) في (ص، ش): ولكثر

(٣) في (ب، ص، د) أولي القربى

فثبت أنهم ولاة الأمر، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنِ اللَّهُ فُلُكَةً حَافِظًا لِلَّذِينَ فِيهَا﴾ [سورة النحل: ١٢٢]، فصَحَّ أن أهل الصفوة الذين أورثهم الله كتابه هم الذين أمر الله بمودتهم: وهم: علي والحسن والحسين وأولادهما.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فإنه أراد أنه مهم في النسب، وقد ظلم نفسه وأخرجها من الطاعة لربه إذ لم يحل بيه وبين ما أراد الله منه إلا نفسه، وهو العاصي لربه المضيع لحقه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يريد أن مهم من لم يبلغ^(١) درجة الإمامة، وهو من حدّ العالم الذي لم يدخ الإمامة إلى حدّ المتعلّم المطيع لربه، وكل هؤلاء مقتصد عن درجة السبق، وليس اقتصادهم بسواء، منهم من لم يجمعه من القيام إلا عدم الأنصار، ومنهم من هو دون ذلك.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنِ اللَّهُ﴾ يريد الإمام الذي دعا الناس إلى طاعة ربه، وياين الظالمين، وعادى الفاسقين، فذلك هو السابق، ويبين ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿جَنَاتٌ حَتَّى يَدْخُلُوهَا يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِيرَ مِنْ فِضَّةٍ وَكُلُورًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة النحل: ٢٢]، فوعده الحسنين السابقين، والمقتصدين، وأوعده الظالمين فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُكِّمُوا لَهُمْ نَازِحَةٌ لَهُمْ لَا تَقْصِرْ عَلَيْهِمْ قُلُوبُكَ وَلَا تَكُنْ مِنْ خَدَائِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلْيُؤْتُوا فَنَّا لِلظَّالِمِينَ حَرِيرٌ﴾ [سورة النحل: ٢٦-٢٧]، فبين أنهم الذين عني بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وذكر الكفر هاهنا هو يجمع كفر الجحندان وكفر النعمة،

(١) ي: (ج): من لا يبلغ

ثم قال بعد ذلك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا عُتُوًّا وَلَا يَتُوبُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ جَنَّاتٍ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُمْ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ فَبَيَّنَ مَا قُلْنَا.

وذهبت المطرفية: إلى أن الظالم هو الذي ظلم نفسه درجة السبق، ولو كان مطيعاً لله مُتَعَلِّماً تَقِيًّا، وهذا التفسير خلاف الكتاب والسنة. ولو كان ذلك يُسَمَّى ظالماً، لكان يستحق النار؛ لأن الله تعالى قد أَوَعَدَ الظَّالِمِينَ بِالنَّارِ فقال تعالى: ﴿مَنْ لِي الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (سورة ٢٧)، وقال تعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْعَبِينَ مِمَّا كَفَرُوا وَلَهُمْ وَقَعٌ بِهِمْ﴾ (الشورى: ٢٢)، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمُوا وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة ١٥٧).

وعن الحسكاني بإسناده عن زيد بن علي عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ...﴾ الآية (سورة ٣٢) قال: (الظالم: المختلط مما بالسوء والمقتصد: الفائز^(١))، والسابق: الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه) وعنه أيضاً بإسناده عن علي (عليه السلام) قال: سألت النبي ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال: «هم ذريتك وولدك، إذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم على ثلاثة أصناف: الظالم لنفسه يعني الميت بغير توبة^(٢)، ومهم مقتصد استوت حسناته وسيئاته من ذريتك، ومنهم سابق بالخير: من زادت حسناته على سيئاته من ذريتك»، فسقط قولهم وصح قولنا. فهذا ما جاء في الكتاب من ذكر أهل البيت (عليهم السلام).

(١) في (ب، ص، ع). الفائز العابد وفي (ش): والمقتصد: العابد

(٢) في (ع، ط، ش): من غير توبة

ومن سنة رسول الله ﷺ ما مرده، فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «يقوا الله في عترتي» (قال ذلك ثلاث مرات). وعترته هم أهل بيته، وعجرة الرجل هم ذريته وأهل بيته، قال الشاعر:

كان أباهم ذارماً وكانهم

لشقيقة من سل قيس بن عاصم

إذا عترة القوم الشريف بها خرت

لصلبي إن شئت حتى سعد وذام

وجدت لنا في خلدنا خير بها

إذا لم تحسد بسداً لبساً في الأرقام

فصح أن العترة هم أهل البيت (س).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سمينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بال أقوام من أمتي إذا ذكر عندهم آل إبراهيم استبشرت قلوبهم وتهلت وجوههم، وإذا ذكر عندهم أهل بيتي اشمازت قلوبهم، وكلحت وجوههم، والذي بعثني بالحق نبياً لو أن الرجل^(١) منهم لقي به بعمل سبعين نبياً ثم لم يلقه بولاية أولي الأمر من أهل بيتي ما قس الله منه صرفاً ولا عدلاً».

(١) في (س) - لو أن رجلاً

وأيضاً فإن أهل البيت (عليهم السلام) يجمعون على أن الإمامة محصورة في ولد الحسن والحسين، وأنها محظورة على غيرهم، وإجماعهم حجة.

وذهبت بعض المعتزلة إلى أن لإمامة في جميع الناس جائزة. وكذلك قالت الخوارج، إلا النجدة منهم، فإنهم قالوا: لسنا نحتاج إلى إمام، إنما علينا أن نقيم كتاب الله فيما بيننا.

وقد قدمنا الرد على المعتزلة والخوارج في قولهم: الإمامة في كل الناس، بما قدمنا من الكتاب والسنة والعقل.

والرد على النجدة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَلَعَنَ مَنكُمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَمَنكُم مَّن يَدْعُ إِلَى الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ولا يصح الدخلاء إلى الخير، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالإمام^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتِخَلَّوْا بِالْجَنَّةِ وَلَمَّا يَخْلُمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا بِكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٧)، ولا يتم لهم الجهاد إلا مع الإمام. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات لا يعرف^(٢) إمام عصره مات ميتة جاهلية» وتفسير ذلك: أن تعرفه فإن كان عادلاً اتبعته، وإن كان جائراً اجتنبته.

وروي عن معاذ بن جبل قس: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة لا تدخل لعاصي، ومن لقي الله ناكثاً بيعته لقي الله وهو أجدم، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع ريقته الدين^(٣) من عنقه».

(١) في (أ) - (إلا الإمام

(٢) في (ي، د) - ولم يعرف

(٣) في (ج) - ريقه الإسلام

ومن مات ليس إمام جماعة^(١) - ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة -
أما لله ميتة جاهلية».

والعقل يحكم أن الأمة لا تستغني عن الإمام، ويسبب فقده وعدمه
ومعصية الناس له فساد الدين وفساد الناس، والأمة مجمعة على أن
قيام الإمام واجب، وأنه لا غنى للناس عنه، وأيضاً فإن أهل
البيت (عليهم السلام) مجتمعون على أن الإمامة محصورة في ولد الحسن والحسين،
محظورة على غيرهم، وإجماعهم حجة.

والدليل على أن إجماعهم حجة قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْقَرَّتَيْنِ﴾ [سورة ١٢٢]، فلما أوجب الله مودتهم وجب ترك
مخالفتهم، لأن مخالفتهم خلاف المودة، والعقل يحكم بذلك، وقال
تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَلَّ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ...﴾ الآية [سورة ٣]، وهو
تعالى لا يختار شهداء إلا العدول الذين لا يجمعون على خطأ، وليس
لأحد أن يقول: (إن)^(٢) هذا عام في ولد إبراهيم؛ لأن من سوى أهل
البيت (عليهم السلام) خرج من حكم هذه الآية بالإجماع، فبقيت الآية
متأولة لهم.

وقالت المرجئة والحشوية، وسائر المجبرة: الإمامة في قریش^(٣)

(١) في (ع، ح) ليس بإمام جماعة

(٢) ساقط في (ع).

(٣) في (أ) الإمامة من قریش

من صلح منهم للإمامة. وقد قدمنا الاحتجاج^(١) عليهم وعلى المعتزلة والخوارج ما فيه كفاية، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ اللَّهُ بِكُمْ ذِكْرًا ۝ رُسُلًا﴾ [الطلاق: ١١، ١٠] فسمى رسوله ذكراً، ثم قال: ﴿فَاتَّأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْلُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمته^(٢)، وأحسوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي» فصح أن لأهل بيته ﷺ مزية ليست بغيرهم؛ ولأنهم مجمع عليهم، وغيرهم مختلف فيه.

واختلفت الأمة في الإمامة وفي عقدها^(٣) فعند الزيدية أن الإمامة تحصل للإمام ونحوه من تعرف^(٤) منه القرابة بأن يكون من ولد الحسن والحسين، ويكون عالماً بما يحتاج إليه من أصول الدين وفروعه، ويكون جيد التمييز، عارفاً لمحكم الكتاب ولتشابهه، عارفاً بجملة من الأخبار عن النبي المختار ﷺ، ويكون عارفاً بجملة من الوفاق والخلاف، ويكون ورعاً عفيفاً، طيب المولد والمشأ، ويكون مستقيماً اللسان، معروفاً بالكرم والإحسان، غير مهين ولا حبان، فإذا تم فيه ما ذكرنا، ودعا الناس إلى طاعة الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجبت بيعته ولزمت طاعته.

(١) في (ث)، من الاحتجاج

(٢) في (ش): من نعمه

(٣) في (ع): يعرف.

والإمامة عند جميع الشيعة الزيدية والإمامية حكمٌ من الله تعالى وأمرٌ؛ وهي نعمةٌ وبليةٌ، ومن لعد الاتِّصاف، وهو الشُّكْرُ على النعمة، والصبر على البلية، وكذلك النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فصَحَّ أن النبوة والإمامة، أمرٌ من الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نَبِيَّ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّوْرَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَتَذَكَّرُونَ بِأَمْرًا لَنَا مَسْرُورًا وَصَّكَارًا بِأَيَّامِنَا يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ ثَنُكًا عَظِيمًا﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال تعالى حاكياً عن موسى (عليه السلام): ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَلْبَثْ لَكُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فصَحَّ أن النبوة والإمامة (أمرٌ) من الله تعالى نعمةٌ وبليةٌ.

ودهبت المطرفية إلى أن السَّوْءَ والإمامة فعل النبي والإمام، وقد قدَّما الاحتجاج عليهم، وعلى من قال بقولهم في الإمامة بما فيه كفاية.

وقد نص القاسم بن إبراهيم ولهادي إلى الحق عليهما السلام على أن الإمامة من فعل الله تعالى، فقال القاسم (عليه السلام) في كتاب (تثبيت الإمامة) بعد (أن) (١) ذكر الأسياء (عليهم السلام) قال: ثم أبان الإمامة من بعدهم، ودلَّ الأمة فيهم على رشدهم، بدليلين مُبَيَّنِّين، وعلمين مُضِيِّين، لا يَحْتَمِلَانِ لِسَ تَعْلِيْطٍ، ولا زَيْغَ شُهَةِ تَخْلِيْطٍ، لا يطبق

(١) ساقط في (ب، هـ)

(٢) ساقط في (ب، ت، ص، ع)

خلقهما^(١) متقن، ولا يُحس خلقهما محسن، ولي ذلك منهما وفيهما، ومُظهر دلالة صنعه عليهما الله رب العالمين، وخالق جميع المحدثين، وهما: ما لا يدفعه عن الله دفع، ولا يتحل صنعه مع الله صانع؛ من القراءة إلى رسول الله ﷺ، وما جعل من احتمال كمال الحكمة في من الإمامة فيه وحُد الحكمة وحقيقة تأويلها: ذرُ حقائق الأحكام كلها، فاسمع لقول الله تعالى فيما ذكرنا من مكان قرابة المرسلين، وما جعل الله من وراثة النبوة من أباء لنبيين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي فُرْقَتِهِمَا النُّورَ وَالْكِتَابَ لِيُذْهِبَ عَنْهُمْ غُلُوبَهُمْ فَمِنْ ذَلِكَ نَبَا لِمُوسَىٰ فَأَرْسَلْنَا فِيهِ خُطْبًا﴾ [المائدة: ١٠٨]. وقال الهادي إلى الحق (عليه السلام) في كتاب الأحكام: (تثبت الإمامة للإمام، وتجب له على جميع الأمام بشيئت الله لها فيه، وجعله إياها له وذلك قائما بكون من الله إليه إذا كانت الشروط المتقدمة التي ذكرنا فيه، فمن كان من أولئك كذلك، فقد حكم الله سبحانه له بذلك، رضي بذلك الخلق أم سخطوا) إلى آخر الباب. فإنه جعل لذلك باباً مفرداً. وقد علقت لمطرفة في قولها، وخالفوا أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ووافقوا مخالفين أهل البيت.

وقالت المعتزلة والمجبرة وأخوارج: تثبت الإمامة للإمام بالشورى. واختلفوا في كمية من تثبت به. فقال قوم: تثبت بالإجماع. وقال قوم: تثبت بالخبر المتواتر وقال قوم: تثبت بالخبر الذي يُصطر إلى قبوله.

وقال أبو الهذيل: تثبت بعشرين رجلاً، واستدل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ جِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ [الأنفال: ١٥].

(١) في (أ): لا يطبق خلقهما.

وقال قوم: تثبت بائس كما أنه يُقتل القاتلُ بشهادتهما. وقال قوم: تثبتُ بواحدٍ.

وقد قدمنا الاحتجاج عليهم أنها لا تثبت إلا بحكم الله. ولم يُخالفوا^(١) في التوبة.

وذهبت الإمامية إلى أن الإمامة لا تجب إلا بالنص، وسنورد قولهم والاحتجاج عليهم - إن شاء الله - في موضعه

فصل

في الكلام في إمامة زيد بن علي عليهما السلام ومن قام بعده من الأنحة عليهم السلام

فإنه لما قُتل الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجرى عليهم ما جرى في كربلاء، ضعفوا لذلك، ولم يسم من القتل إلا أولادَ صغار، منهم علي بن الحسين (عليه السلام)، ومنهم زيد بن الحسن، والحسن بن الحسن، وأقاموا مدةً طويلةً لم يقم منهم أحدٌ، وبلغ علي بن الحسين السَّعي، وانتهى في الدين والعلم والورع والزهد واليقين، وسُمِّيَ (عليه السلام) زين العابدين. وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال للحسين بن علي عليهما السلام: «يولد لك بعدي غلامٌ يُسمى سيد العابدين».

وروي في الخبر: «يُنَادَى يوم القيامة: يُقَمُّ سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين عليهما السلام».

(١) في (ش، ع، ب): ولم يخالفوا

وكان من أمر زيد بن علي عليهما السلام: أنه لما عَلِمَ أن الحُجَّةَ قد وجبت عليه لله دعا إلى طاعة الله، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان في وقت هشام بن عبد الملك، فأجابه قومٌ، وأتأَمُّوا إليه بعد مُدَّةٍ، ثم إنه خرج في قتال هشام، وقد خرج في لقائه يوسف بن عمرو الثقفي فإنه بلغنا عن زيد بن علي عليهما السلام أنه كَتَبَ كتابه، فلما خففت راياته رفع يديه إلى السماء ثم قال: (الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني أني لقيتُ^(١) محمداً ﷺ ولم أمر^(٢) في) "أمته بالمعروف، ولم أنهمم عن المنكر، والله ما أسالي إذا أقمت كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ أن^(٣) أَحْجَتُ لي نارٌ ثم قُلُوبُ فيها ثم صرْتُ فيما بعد ذلك إلى رحمة الله، والله لا يَطرُنِي أَحَدٌ^(٤) إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمداً ﷺ، ونحن بنوه بآلِ معاشر، لعقهاء وآلِ أهل الحجا أنا حجة الله عليكم، ثم هذه يَدَي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتاب الله، ونقسم بكم بالسوية، فاسألوني عن مَعَالِمِ دينكم فإن لم أنبئكم عما سألتكم عنه فقولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمتُ علم أبي عسي بن الحسين، وعلم جدِّي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله ﷺ وعيبة علمه، وإنِّي لأعلم أهل بيتي، والله ما كَذِبْتُ كَذِبَةً مُنْذُ عَرَفْتُ يَمِينِي

(١) في (ث): أن لقيت

(٢) ساقط في (ع، ب)

(٣) في (ع): الله.

(٤) في (ش، هـ، ب): لا نصرني أحدٌ

من شمالي، ولا انتهكت مُحَرَّمًا مُنْذُ عَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ يُؤَاخِذُنِي بِهِ، هَلُمُّوا فَاسْأَلُونِي) ثُمَّ سَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْكُنَاسَةِ فَحَمَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَانُوا بِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْجَبَانَةِ، وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى التَّلُّ شَدَّ بِالْجَمْعِ عَلَى زَيْدٍ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ وَهُوَ أَبُو مَعْمَرٍ: فَرَأَيْتُهُ (عليه السلام) يَشُدُّ عَلَيْهِمْ كَأَنَّهُ اللَّيْثُ حَتَّى قَتَلْنَا مِنْهُمْ ^(١) أَكْثَرَ مِنَ أَلْفِي رَجُلٍ، مَا بَيْنَ الْخَيْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَتَفَرَّقْنَا فَرِيقَيْنِ، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَشَدَّ خَوْفًا

قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ حَاصَتْ مِنَّا حَيْصَةٌ (منهم) ^(٢)، وَاتَّبَعْتَهُمْ فَرَسًا فَقَتَلْنَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِي رَجُلٍ، فَلَمَّا حَنَّ اللَّيْلُ - لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ - كَثُرَ فِينَا الْخِرَاجُ، كَرِهْنَاهُ فِينَا الْفُشْلُ، وَجَعَلَ زَيْدٌ يَدْعُو وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنْ هَؤُلَاءِ يَقَاتِلُونَ عَدُوكَ، وَعَدُوُّ رَسُولِكَ عَنْ دِيكَ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِعِبَادِكَ فَأَحْزَمَهُمْ أَفْضَلُ مَا جَزَيْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ)، ثُمَّ قَالَ: احْشَرُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالِدُعَاءِ وَالتَّهَجُّدِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ، وَأَبْ أَعْلَمُ وَاللَّهُ مَا أَمْسَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَصَابَةٌ أَنْصَحَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ (عليه السلام) وَلِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ. فَكَانَ ^(٣) غَايَةَ أَمْرِهِ أَنَّهُ قَتَلَهُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرٍو - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَصَلَبَهُ فِي الْكُوفَةِ، فَأَقَامَ عَلَى الْخَشَةِ سِتِينَ ثُمَّ أَحْرَقَهُ، وَنَسَفَ رَمَادَهُ ^(٤) فِي السَّحَرِ، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ وَبَاغِيَهُ وَخَادِلَهُ.

(١) فِي (ش، م، ل): حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ

(٢) سَاقَطَ فِي (ش)

(٣) فِي (ع، ص): وَكَانَ

(٤) فِي (ش): وَنَسَفَ رَمَادَهُ

ثم قام من بعده ولده يحيى بن زيد عليهما السلام في ولاية يزيد بن عبد الملك، فخرج له عسكره فقتل هو وشيعته بخراسان بموضع يقال له: (جوزجان). ثم انتقم الله من بني أمية بعده ودمرهم، فقطع دابرهم - لعنهم الله - وكانت ولايتهم^(١) ألف شهر.

وقيل: إن بني أمية - لعنهم الله - هم الشجرة الملعونة في القرآن.

ثم آل الأمر بعدهم^(٢) إلى بني العباس، ثم قام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام) وهو النفس الزكية فدعا الناس إلى طاعة الله، فخرج إليه أبو الدوانيق عسكره^(٣) فقتل (عليه السلام) وجماعة من أهل بيته وأصحابه رحمهم الله، وسال دمه إلى أحجار الزيت في جانب من المدينة كما جاء في الخبر، فإنه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه خرج ذات يوم فوقف في موضع من المدينة ثم قال لأصحابه: «ألا إنه سيقتل في هذا الموضع رجل من ولدي اسمه كاسمي»، واسم أبيه كاسم أبي، حتى يسيل دمه إلى أحجار الزيت على قاتله ثلث عذاب أهل النار.

وقد روي عن الهادي إلى الحق (عليه السلام) أنه قال: بين محمد بن عبد الله النفس الزكية، وبين المهدي (عليه السلام) خمسة عشر إماماً، والمهدي آخر الأئمة (عليه السلام).

ثم قام من بعده أخوه إبراهيم بن عبد الله (عليه السلام) فدعا الناس إلى طاعة الله، بناحية البصرة، فخرج إليه أبو الدوانيق عسكره^(٤)،

(١) في (ش) - فكان ولايتهم - وفي (س) - فكانت ولايتهم

(٢) في (ع) - من بعدهم

(٣) في (ع) - فخرج له أبو الدوانيق عسكره - وفي (س) - فخرج إليه أبو الدوانيق بعسكره.

(٤) في (ع) - فخرج له أبو الدوانيق عسكره - وفي (س) - فخرج إليه أبو الدوانيق بعسكره.

فحاربه^(١) حتى قُتلَ (عليه السلام) بموضع يُقال له: **بَاخْمَرًا**.

ثم قام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، فبايعه قومٌ ثم خرج يُريد الحجَّ هو ومن معه، فلما صار بفخ في جانب مكة^(٢) خرج إليه أمير مكة بعسكره ومن أجابه من الحاج^(٣)، فحاربوه حتى قتلوه وجماعةً من أهل بيته وأصحابه رحمهم الله، والذي جهد في قتله موسى بن محمد بن أبي الدوانيق لعنه الله.

ثم قام من بعده يحيى بن عبد الله -أخو النفس الزكية (عليه السلام)- فبايعه قومٌ وخرج إلى ناحية طبرستان، فلم يزل هارون بن محمد -لعنه الله- يتعمَل فيه، حتى وقع في يده، وكان قد عقد له العنود، وحَمَلَ الموائيق المغلطة، فلم ينظر في أدلك وقاتلها.

ثم قام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسواد الكوفة، فدعا إلى طاعة الله -وكان ذلك في عصر المأمون- فدركه الموت بعد أربعة أشهرٍ من مقامه فمات (عليه السلام).

وكان المأمون مُحِبًّا لآل بيت رسول الله ﷺ، وكان يُناظر فقهاء العامة على فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) ويُفضِّله على أبي بكر وعمر وعثمان، ويقول: إنه أولى منهم بمقام رسول الله ﷺ.

(١) في (ص، ش). فحاربوه

(٢) في (ح، ج، ل): من جانب مكة

(٣) في (ش، ص، ب): ومن أجابه من الحاج

وَمِنْ حُبِّهِ لَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رُوِيَ عَنْهُ^(١) : أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ رَكِبَ لِشَهِدِهِ - وَكَانَ مَوْتُهُ عِنْدَهُ - فَلَقِيَهُمْ^(٢) وَقَدْ خَرَجُوا بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ السَّرِيرَ ، نَزَلَ وَدَخَلَ تَحْتَ الْعَمُودِ حَتَّى وَضَعَ ، وَتَقَدَّمَ وَصَلَّى عَلَيْهِ^(٣) ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بُنِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْقَبْرِ ، فَقَالَ لَهُ عَمِيدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ وَدَعَا بِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ لَقَدْ^(٤) تَعَبْتَ فَلَوْ رَكَبْتَ ، قَالَ الْمَأْمُونُ^(٥) : هَذِهِ رَحِمٌ مَجْفُوفَةٌ مُنْذُ مِائَتَيْ سَنَةٍ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ : قُلْتَ لِأَخِي - وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : لَوْ كَلَّمْنَاهُ فِي دِينِهِ فَلَا نَجِدُهُ فِي وَقْتِهِ أَقْرَبَ مِنْ وَقْتِنَا هَذَا ، فَأَبْتَدَأَ هُوَ فَقَالَ : كَمْ تَرَكَ أَبُو جَعْفَرٍ مِنَ الدِّيرِ ؟ قُلْنَا : خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، قَالَ : قَدْ قَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَثَرَجُلٌ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ الشَّيْخُ بْنُ الشَّيْخِ فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِدِينَارٍ أَبِيهِ ، وَصَلَّاهُ لَهُ بِهَا إِلَى الْأَهْوَازِ ، يُعْطَى بِهَا الْأَرْضُ فَبَاعَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ أَمْرٌ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) بِمَالٍ كَثِيرٍ فَرَدَّهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ اخْتِيَاراً مِنْهُ لِلْمَقْرَ عَلَى الْغِنَى ، وَزُهِدًا مِنْهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي الدُّنْيَا وَفِي أَهْلِهَا. فَلَمْ يَفْعَلْ فِعَالُ الْمَأْمُونِ بْنِ هَارُونَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ سُوءًا. وَرُوِيَ أَنَّهُ رَدَّ فِدْكَاً وَالْعَوَالِي عَلَى بَنِي فَاطِمَةَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ فَعَلَ

(١) فِي (ح) : أَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ. وَفِي (س) : مَا رُوِيَ عَنْهُ

(٢) فِي (س) ، (ج) ، (د) : لَقِيَهُمْ

(٣) فِي (ش) : فَصَلَّى عَلَيْهِ.

(٤) زِيَادَةٌ فِي (ع) ، (ص)

(٥) فِي (ج) : فَقَالَ الْمَأْمُونُ

عمر بن عبد العزيز من بني أمية، فإنه رُوي أنه ردَّ فدكاً على محمد بن علي الباقر عليهما السلام، وفي عمر بن عبد العزيز يقول كثير عزة:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تَخَفْ

بِرِّيَا وَلَمْ تَسْعَ سَجِيَّةَ مُجْرِمٍ

وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالْهَدْيِ

فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ

ثم قام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، وكان خروجه مغربي مصر فأحابه منهم كثير، وبايعوه وأقام معهم مدة قليلة ثم سألوه عن أبي بكر وعمر فقال: كانت لنا أمٌ صديقة ابنة صديقة ماتت^(١) وهي غضبانة عليهما، ونحن غاضبون لغضبها، لقول رسول الله (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لَغَضِبِ فَاطِمَةَ» فغضبوا عليه، فلما رأى منهم الكراهة له والإدبار عنه لحق بحبال الرسّ فأقام بها مدة وأظهر دين جدّه رسول الله (ﷺ)، وأظهر علم أهل البيت (عليهم السلام) - ولم يُظهر قبله أحدٌ لأهل ولاية بني أمية وبني العباس - كما ظهرت علوم العامة، وسنذكر من ذلك طرفاً في موضعه إن شاء الله تعالى. فما زال (عليه السلام) يُعلّم الناس، ويشترع لهم حتى توفي هنالك (عليه السلام) ثم لزم مجلسه ولده محمد بن القاسم (عليه السلام).

ثم قام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)،

(١) في (ل، م). ابنة صديق فماتت

فخرج إلى اليمن وكان قد استدعاه بعض أهل اليمن،
فدعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلى طاعة الله والجهاد في
سبيله، فأجابه قوم من أهل اليمن وحالفه أكثرهم، فعارب الظالمين
وحاربوه، وأخافهم وأخافوه، وباينهم وباينوه، ثم وصل إليه قوم من
أهل طبرستان، أهل علم ودين فنصروه، وأظهر من علم أهل
البيت (عليهم السلام) ما لم يُظهره غيره (من الأئمة) (١)، وجاهد جهاداً شديداً،
وبلغ في أعداء الله وأعدائه ما لم يكن يبلعه غيره من الأئمة (عليهم السلام)،
وهي ولاية بني العباس من اليمن، حتى بلغ بعضهم العراق يطلب
النصرة عليه من هنالك، وبلغ له شعراً إلى العراق يتهذدهم فيه
يقول فيه:

فليس تمكسي الملية قبلي

إن المنية قد تعول وتصرع

فعلني أن أوطئ أسنانك عوة

مدن العراق ومن بها يترفع

حتى أجارهم بما قد قتموا

مثلاً بمنزل والأنوف تجدع

فأظهر الأحكام، وأعز الإسلام، وكمل الأيتام، وعدل في الرعية،
وقسم بالسوية، وأحيا الدين، وأعز المؤمنين، وأذل الفاسقين، وأخرج
أكثر أهل اليمن من قول (٢) المجبرة المشبهين، ثم توفي بصعدة (عليه السلام)
ورحمه الله يوم ولدَ ويوم يموتُ ويوم يُبعث حياً.

(١) ساقط ي (ط، ي)

(٢) ي (ي، د)، من أقول

ثم قام ولده محمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) فبايعه شيعة أبيه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر مدة ثم ناله مرض، فقام أخوه أحمد بن يحيى الناصر (عليه السلام) فدعا إلى طاعة الله، وإلى الجهاد في سبيله، فجاهد القرامطة والظالمين حتى أدلهم وكف حدّهم وأوهن عُرَاهم، وطردهم من كثير من البلاد ونفاهم، وأكد شريعة أبيه في اليمن، وأظهر فيه كل الفرائض والسّنن. وتوفي هو وأخوه عليهما السلام بصعدة

وكانت ولاية الهادي إلى الحق (عليه السلام) خمس عشرة سنة، وتوفي (عليه السلام) يوم الأحد لعشرين يوماً من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ) وكانت ولاية المرتضى (عليه السلام) ستين، وتوفي في المحرم سنة عشر وثلاثمائة سنة (٣١٠هـ) وكان في مدة حياته في ولاية أخيه بصعدة، يعصده ويُعينه ويُقويه ويقول بأمامته.

وبلغنا أنه لما قتل قتلة من القرامطة يقال: إنه قتل منهم ألفي قتيل أبرد إلى أخيه يُبشّره بذلك، فردّ عليه المرتضى (عليه السلام) الجواب يقول فيه:

ورد السبريد مُبشّراً برميالة

من بعد قتلك للعدي بثلاث^(١)

فوددت أني كنتُ حاضراً وقعة

أودت بكل منافق نكبات

حتى أجول على الحصان بصعدة

ولدى النزال بالمهتد جائي

(١) في (م)، من بعد قتلك للعدي بثلاث.

دون الإمام بن الإمام أخ النهي

أبني الرضا الخالقي وغيثائي

وكانت ولاية أحمد بن يحيى الناصر ثلاثاً وعشرين سنة.

وقام الحسن بن علي الناصر (عليه السلام) - من ولد الحسين بن علي (عليه السلام) - في عصر الهادي إلى الحق (عليه السلام) وجاهد في الديلم فدعا إلى طاعة الله، وجاهد في سبيل الله^(١)، وكان أهل الديلم من قبله مشركين، فردّهم مؤمنين.

روى عنه (عليه السلام) أن أصناف الرعية ازدحموا في مجلسه حين دخل أمل، فخطب خطبة قال فيها (أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر، لم يعرفوا خالقاً، ولا يدينون ديناً، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلف بهم حتى دخلوا فيه أرسالاً، وأقبلوا إليه إقبالاً، وظهر فيهم الحق، وعرفوا العدل والتوحيد، فهدى الله بي منهم زهاء مائتي ألف من رجل إلى امرأة، فهم الآن يتكلمون بالعدل والتوحيد مستبصرين، ويتناطرون مجتهدين، ويدعون إلى الله محسين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون حدود الصلوات مكتوبات والفرائض المفروضات، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على الطريق لم يأخذ ذلك لنفسه، وينصه على رأس عود يُنشده ويعرفه، ثم قاموا بنصرتي، وناصوا آباءهم وأبناءهم وأكابرهم الخرب، فهم من هَوَايَ وأتباع رأيي في نصرة الحق وأهله، لا يؤلّي أحد منهم من عدوّه،

(١) في (ص): وإلى الجهاد في سبيله.

ولا يعرف غير الإقدام، فلو لقيت منهم ألف جريح، لم تلق منهم جريحاً في قفاء وطهره، وإنما جراحاتهم في وجوههم وأحداقهم، يرون الفرار من الزحف كُفراً، والقتل شهادةً وغُماً). ثم قال في آخر خطته: (وأنتم معاشر الرعية فليس عليكم دوني حجاب، ولا على بابي بواب، وليس على رأسي حق من الرِّبانية، ولا أحدٌ من أعوان الظلمة، كبيركم أخي، وشابكم ولدي، ولا آس إلا بأهل العلم مكم، ولا أستريح إلا إلى مفروصتكم، فاسألوني عن جميع أمر ديكُم وما يُعييكم من العلم وتفسير القرآن، فإننا نحن تراجمته، وأولى الخلق به، وهو الذي قرَنَ بنا وقرنا به، قال رسول الله ﷺ: «إني محلف فيكم ما إن تمسكتُم به لن تضلُّوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعِترتي أهل بيتي» الله وليُّ توفيقكم^(١)، كرشدكم، وحسبي الله وحده عليه توكلت وإليه أنيب). ثم توفي هنالك^(٢).

ثم قام في ناحيته أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الداعي^(٣) فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله.

ثم قام بعده المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون^(٤) فدعا إلى طاعة الله وإلى الجهاد في سبيل الله.

وقام من بعده أخوه السيد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون^(٥) فدعا إلى طاعة الله.

وقام من بعده أبو الحسن الحسيني بالدَّيْلَمَان.

(١) في (ل): والله ولي توفيقكم

ثم قام من بعده الناصر الأخير الحسن من أولاد الناصر الأكبر.
ثم من بعده يحيى بن الحسن الحقيبي - من بني الحسن - قام بعد أبيه
من بني الحسن.

ثم القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم (عليه السلام)
فدعا في اليمن إلى طاعة الله، وجاهد في سبيل الله.

ثم قام بعده ولده الحسين بن القاسم، فدعا إلى طاعة الله وإلى
الجهاد في سبيل الله، ثم بدا منه بعد ذلك أنه هو المهدي، قال: الذي
تُمَلَأُ به الأرض عدلاً كما مُلِئتَ حُورٌ وقيل: إنه قال: هو أفضل من
رسول الله، وكلامه أنه من كلام الله، وكان قد طلق زوجته له
واقضت عدتها، وتزوجها رجلٌ فلما علم بنكاحه لها أخرجها منه
بغير طلاق، وتشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله)، واحتج بقول الله تعالى: ﴿وَمَا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُدْفِنُوا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا أَنْ تُكَبِّرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا إِنْ فَلَيْكُمْ
كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الحزاب: ٥٣).

وقال في كتاب كتبه إلى محسن بن محمد بن المختار بن الناصر بن يحيى
الهادي (عليه السلام)، وكان من فصلاء أهل لبث وعلمائهم، وقد سأله عن
مسائل، وأنكر عليه كلامه الذي تكلم به، فردّ عليه كلاماً فظيماً،
وسبّه سباً شنيعاً، ثم قال في كلامه: (وما عسى أن تكون مسائلك في
علمنا، وأدواتك في بحرنا، وما فضل علمنا على جميع العلوم إلا
كفضل الشمس على جميع النجوم، وكل معجزة^(١) من الله الواحد
الحي القيوم، وما الفرق بيني وبين لأئمة الأخيار إلا كفرق ما بين

(١) في (س): وكل معجز

الليل والنهار، وشتان - يا جاهل - بين النجوم والشمس، وهل يوجد لنا نظير من الجن والإنس؟ وقد علم الله مقتي للفجار، ولكن يجوز ويحسن عند الاضطرار. ثم أغرق في كلامه وأفرط وقال: (ما يكون علم لجميع^(١) الأنبياء - وعد^(٢) من علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أبيه القاسم بن علي (عليه السلام) - إلا كعشر العشير من علمه، ثم قال: فأحضروا التوراة والإنجيل والفرقان، وكل علم أوحده الرحمن^(٣) وبرئه فإنكم تحدون قولي أقوى من ذلك حججاً، وأبين بياناً، وأوضح بوراً، وأعظم برهاناً، فما عسى أن تكون مسائلك). وذكر كثيراً من جنس هذا

هرّد عليه محسن بن محمد جواب عاقل عالم، يذم فيه السب، والكلام المعور، وأورد عليه^(٤) من كلام الله حججاً مثل قول الله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْمُخْرِجِينَ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وكقوله: ﴿وَإِذَا حَاطَبْتُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [البقرة: ٦٣]، وكقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْيَهُودَ وَالْمَجَانِسَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ومثل قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلَحُوا﴾ [البقرة: ١٧٩]، وكقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَصَلُّوا وَمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا لِيُرَیْوْا وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ إِلَّا غَفُورًا﴾ [البقرة: ١٧٧]، وأورد أيضاً أبياتاً من أشعار العرب، منها قول الشاعر:

وَيُسْتَمُوا قَتْرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً

لَا عَفْوَ ذَلٍّ وَلَكِنْ عَفْوُ أَحْلَامٍ

(١) زيادة في (س)

(٢) في (ش)، وعد

(٣) في (ع، ل، ب) أوحده الرحمن

(٤) زيادة في (ع)، وفي (م). وأورد من كلام الله عليه حججاً.

واحتج عليه في ادعائه أن كلامه أبلغ من كلام الله، بآيات من كتاب الله منها: أن الله تعالى قد تحدى الجن والإنس بأن يأتوا بسورة من مثله، فما فعلوا ولا قدروا وذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَّيِّنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الاسم: ٨٨]، ويقول: ﴿لَوْ آذَنَّا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَمَلٍ لَرَأَيْنَاهُ هَاشِمًا مُصَدِّقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ﴾ [اسم: ٢١] وأمثال ذلك.

وأورد في ذم الإفتحار قوله تعالى: ﴿لَا تَزْكُوا أَهْلَكُمْ هُوَ أَظْلَمُ مِنْ الْقَيْنِ﴾ [اسم: ٢٢]، وبما أشبه ذلك.

ولمحن بنفي عنه هذا الكلام، ونقول: هو مكذوب عليه، ولا يصح إهداء^(١) عنه، وهذا ادعاء أمر باطل، وكفصاده ظاهر، وإنما أردنا أن نبين القول فيه، لأن قوماً من بني إحقته وشيعته قد صاروا يرون قوله هذا ديناً، وقد صاروا فرقة يُسَاطِرُونَ عليه، وَيُحْيُونَ ويموتون عليه، ويسسون من لم يقل به إلى الكفر، ويقولون: لم يُقتل ولم يموت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما مُننت جوراً، ويقولون: إنه يعلم العيب، وذلك لجهلهم، وقلة معرفتهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ومن جهلهم أنهم قالوا: هو يحكم بحكم آل داود، فإذا سألهم سائل عن حكم آل داود كيف كان؟ قالوا: يعرف المحق من المبطل من الخصمين قبل أن يتكلما. ولم يعلموا أن داود (عليه السلام) سئل عن نفسه

(١) زيادة في (ش، ي).

فلم يعلم وذلك قول الله تعالى : ﴿وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفِ إِذْ تُسَوِّدُوا
الْبَحْرَابَ ۚ إِذْ تَخَلَّوْا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَنْفَتِ خُسْفَانِ بِغَى بَعْضُنَا عَلَى
بَعْضٍ فَانظُرْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُصْطَفِ وَاهْبِئْ إِلَى سَوَاءِ الصُّرَاطِ ۚ إِنَّ هَذَا لَمِىءٌ لَّهُ
يَسْتَعِ وَيَسْتَوْنَ نَجَّةً وَلَى نَجَّةً وَلَجِدَ قَالِ أَكْفَلِيَهَا وَغَرَبِي فِي الْخِطَابِ ۚ قَالَ لَقَدْ
ظَلَمْتَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى بَعَابِهِ ۖ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَنْ دَاوُدَ أَنَا فَتَاءُ فَاسْتَظَرَّ رَأً
وَحَرّاً صَكّاً وَأَذَابَ﴾ (مر ٢١-٢٢)

واعلم أن قولهم هذا غلطٌ بَيِّنٌ من وجوه :

مها أن الله تعالى يقول : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْفَخُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وقولهم : (إنه يعلم الغيب) ،
تكذيبٌ لكتاب الله ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَكْذِبُ هُنَّ مَادَا تَكْذِبُ غَدًا وَمَا تَكْذِبُ
هُنَّ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [المدثر : ١٧٤] ، وقوله : ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقولهم : (إن كلامه أبلغ من كلام الله
وأقوى حججاً) ، تكذيبٌ أيضاً لكتاب الله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿قُلْ
لَئِنْ لَجَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِوَحْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِوَحْلِهِ وَلَوْ
كَذَّبَا أَوْ قَالَ أَوْجَى إِلَى وَكَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ بِقُلِّ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَوْ
تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي هَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَهْسَكُمُ الْيَوْمَ
فَتُحَرِّقُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

وأما قولهم : إنه أفضل من الملائكة والأنبياء (عليهم السلام) فهذا ضربٌ

من الجنون، وغلط من ادعاء الربوبية، وذلك أنه قد أتى في كتاب الله أن الملائكة مُوَكَّلُونَ بأمر الله، قال عز من قائل: ﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا﴾ فالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا ﴿فَالْمُكْرَرَاتِ أَمْرًا﴾ [الرحمن ١٠-١٢]، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [البقرة ١١]، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [الأنعام ١١٨]، فإن كان ممن يموت فملك الموت مُوَكَّلٌ عليه، والوكيل أفضل من الموكل عليه، وإن كان لا يذوق الموت فهو ربُّ - تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، وأيضاً فإن الملائكة - صلوات الله عليهم - هم خزنة الحنة وخزنة النار، والخازن يكون أفضل ممن يَخْرُجُ عليه، فبطل قولهم: هو فوق الملكوتية.

وأما قولهم: هو أفضل^(١) من رسول الله ﷺ ولم يعلموا ما استحق الإمامة^(٢) إلا بفصل رسول الله ﷺ، وكذلك علم رسول الله ﷺ، والقراءة من رسول الله ﷺ. ولو كان أفضل من رسول الله ﷺ لجعل في مكان رسول الله ﷺ، ولأمر عليه الكتاب والمعجزات، وهذا القول خروج عن الحدود المضروبة^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿مَلَأْتُ زَكَاةً أَنْهَكْتُمْ هَؤُلَاءِ عَنْ أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَنفَكُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْغُلَامَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [المائدة ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَكَافَرُوا أَنْ يَحْزَنُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا وَلَا يَحْسَبْنَهُمْ بِمَقَارَءٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأنعام ٦٨٨].

وأما قولهم: (هو أفضل من رسول الله ﷺ)؛ لأنه يملك الأرض

(١) في (س، ج، د)، إنه أفضل

(٢) في (أ): ولم يعلموا إنما استحق الإمامة في (ب) ولم يعلموا أنه إنما استحق الإمامة

(٣) في (ع): من الحدود المضروبة.

كلها، ولم يملك رسول الله ﷺ كل الأرض، فليس ملك الأرض
يوجب فضلاً على رسول الله ﷺ، وقد ملك آل داود ما لا يملكه^(١)
أحد من بعدهم، ولا ملكه أحد من قبل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا
سُلَيْمَانَ وَالْأَمْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ آدَابَ﴾ قال رب اهبط لي وهب لي ملكاً
لا ينبغي لأحد من بعدي أدرك أدب الوهاب ﷻ فسخرنا له الريح فنفخ بها أمره وجاء
حيث أصاب ﷻ والشياطين كل بناء وهوا من ﷻ وآخر من أمرته في
الامتداد ﷻ هذا عطاؤنا فاقن أراهميك بهتر جناب ﷻ (مر ٢٤-٢٦)، فصيح أنه
لا يعطى أحد بعده ملكاً في الدنيا وقداراً مثل ما أعطي سليمان (ع).
ومع ذلك أن سليمان لم يدع أنه أفضل الأنبياء لما أعطي^(٢) من ملك
الدنيا ما لم يعطوا مع ملك الآخرة^(٣)، وقد عرض على رسول الله ﷺ
ملك الدنيا، فكره ذلك وقال: «الدنيا دأب من لا دار له، ومال من لا
مال له، ويجمعها من لا عقل له»، فلو كان الحسين بن القاسم قد
ملك الدنيا بأسرها ثم افتخر بملكها وأدعى ما ادعى لكان ذلك قبيحاً
منه، فكيف ولم يكن من ذلك شيء؟

وأيضاً فإن المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً حتى يكون مستعظماً
لسيئاته، مستصغراً لحسناته، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ
مُتَعَفِّينَ ﷻ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (مر ٢٧، ٢٨)، وبأقل قليل مما تكلم به
تسقط إمامته، اللهم إلا أن يكون الكلام مكذوباً عليه.

ومن قام من أهل البيت (عليهم السلام): أبو الفتح الناصر بن الحسين

(١) في (ع). ما لا يملك

(٢) في (ش): بما أعطي

(٣) في (ط): بما أعطي من ملك الدنيا والآخرة ما لم يعطوا

الحسنى أتى من الديلم إلى اليمن ، ودعا إلى طاعة الله ، وأجابه قوم من أهل اليمن ، وجاهد في سبيل الله ، واستشهد في نواحي مذجج^(١) .

ومن قام ودعا أيضاً يحيى بن أحمد بن المؤيد بالله قدس الله روحه ، دعا في أرض الديلم وجيلان ، وحارب الباطنية لعنهم الله بحضرموت .

فهؤلاء الذين سمينا من أهل بيت^(٢) الذين اشتهر عندنا أمرهم ، وثبت عدا قيامهم ، وظهرت دعوتهم . وفي خلال هؤلاء الذين سمينا^(٣) فضلاء من أهل البيت^(٤) لم يمنعهم من القيام إلا عدم الأعوان ، فإنهم بلعوا في العلم والرهدة ، والعبادة والتقوى ما لا مزيد عليه ؛ مثل علي بن الحسين^(٥) ، ومثل ولده محمد بن علي السافر ، وإنما سمي السافر لأنه بقى العلم . وروي أن جابر بن عبد الله عمّر حتى لحقه فأقرأه السلام عن رسول الله^(٦) ، وقال : أمرني رسول الله^(٧) أن أقرئك عنه السلام .

ومثل عبد الله بن الحسن بن الحسن فإنه روي أنه مكث يصلي صلاة الفجر بوضوء المغرب ستين سنة .

ومثل أحمد بن عيسى بن زيد^(٨) ، ومثل جعفر بن محمد الصادق^(٩) ، ومثل موسى بن عبد الله ، وعلي بن موسى ، ومثل أولاد القاسم بن إبراهيم : محمد وحسين والحسن أولاد القاسم^(١٠) ، ومثل علي بن العباس ، ومثل أبي العباس أحمد بن إبراهيم .

فهؤلاء وأمثالهم لم يمنعهم من القيام إلا عدم الأنصار وخوف الأشرار ، واستظهار أهل الدولتين ، الأموية والعباسية .

(١) في (ب ، ع ، د) : بنواحي مذحج

(٢) في (م ، هـ ، د) : الذين سمياهم

فصل

في الكلام في فرق الشيعة

اختلفت الشيعة على ثلاث فرق، ففرقة هم الريدية، وقد ذكرناهم بما فيه كفاية

وفرقة هم الكبسانية فإنهم قلوا: إن الإمام بعد الحسين بن علي أخوه محمد بن الحنفية (عليه السلام)

ثم اختلفوا فيما بينهم، فقال لسيد الحميري ومن قال بقوله: هو بحال رضى أسد عن يمينه وعمو عن شماله، يأتيه رزقه بكرة وعشية^(١)، ثم يظهر فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وقال حيان السراج^(٢) ومن قال بقوله: هو بحال رضى ميت، وأن الله يبعثه فيملاها عدلاً كما ملئت جوراً.

وقال الصف الثالث - أبو مسلم وأصحابه: إنه مات وقد أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد. وقلوا: هي في ولده بالوصاية^(٣).

وفرقة هم الإمامية - ويسمى أهل العراق الروافض والغلاة - فإنهم قالوا: لا تصح الإمامة إلا بالنصر، ولا تقبل الأخبار إلا من إمام ممن نصوا عليه^(٤)، ولا يجوز عندهم الاجتهاد إلا له، ووصفوه بصفة الله،

(١) في (ص): وعشياً

(٢) في (ي): حيان السراج

(٣) في (ب، ص): بالوصاية.

(٤) في (ص، ل): ممن نص عليه

بأن قالوا: هو يعلم الغيب. ورووا عن بعض أئمتهم أنه قال: كلامي كلام أبي، وكلام أبي كلام جدي، وكلام جدي كلام رسول الله ﷺ، فلا يمتنع الرجل منهم -إذ سمع أحد أئمتهم يتكلم بكلام- أن يقول: سمعت رسول الله ﷺ؛ ولهذا امتنعت العلماء من قبول الأخبار منهم.

فمن أئمتهم^(١) الذين أجمعوا عليهم أنهم يقولون: أوصى الحسين بن علي عليهما السلام إلى عبي بن الحسين، وأوصى علي بن الحسين إلى محمد بن علي، وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد.

واختلفوا في جعفر، ويمين بعده، فقالت الباروسية: إن جعفر بن محمد حي لم يميت، وهو المهاملي، ونُسبوا إلى رئيس لهم يقال له: ناروس، من أهل البصرة.

وقالت القطحية: بإمامة عبد الله بن جعفر، وكان أقطع الرأس، فلذلك سُموا القطحية.

وقالت الشمطية: بإمامة محمد بن جعفر، ونُسبوا إلى يحيى (بن)^(٢) الأشمط وكان رئيساً لهم، وقيل: إن القطحية نُسبوا إلى رئيس لهم، يقال له عبد الله بن قطيح، وقد انقضت هذه الفرق.

وفرقة منهم وهم الإسماعيلية، وهم المباركية والخطابية.

فقال المباركية بإمامة محمد بن إسماعيل.

(١) في (م). ومن أئمتهم.

(٢) زيادة في (ع).

وقالت الخطابية باللاهية جعفر - تعالى الله علواً كبيراً - ونُسبوا إلى رئيس لهم يقال له : أبو الخطاب لعنه الله .

ومنهم الواقفة المبطورة ، وهم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر ، وأنه حي لم يموت .

ومنهم القطعية ، وهم فرقة يقولون بإمامة علي بن موسى الرضى الذي سمّاه يحيى بن خالد في حسن هارون ببغداد في غصبه ورطبو فمات .

ومنهم فرقة يقال لهم الحمارية ، قالوا بإمامة الحسن بن جعفر فاحتلفوا فيه ^(١) ، فمنهم من قال مات ، ولم يكن إماماً ، وكانوا مخطئين في إمامته ، وذلك أنهم (كانوا) ^(٢) قالوا : هو المهدي ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ^(٣) ، ورووا في ذلك من أخبارهم الكاذبة ، فلما مات وصحّ موته بت فضيحتهم ، ولهذا سُميت هذه الفرقة الحمارية

وقال قوم منهم : قد مات ، ولكنه يحيا وهو المهدي ، وقال قوم : ليس له ولدٌ وقال قوم منهم : له ولدٌ وُلدَ بعده ، وهو محمد بن الحسن الذي هو بزعمهم أحد أئمتهم .

وانتسبت الباطنية إلى الإسماعيلية ، وهم فرقة أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ، وقالوا : لكل طاهر باطنٌ ، وجحدوا الرب والبعث والحساب

(١) في (ش) : واختلفوا فيه

(٢) ساقط في (ع)

(٣) زيادة في (ش ، م ، ل)

والجنة والنار، واستحلوا المحرمات من الأمهات والبنات والأخوات، وغير ذلك. وقالوا: الحيوان مثل انثى يأتى شيء ويذهب شيء، والأرواح تستقل في الحيوان، وتنسخ بزعمهم روح الإنسان إلى إنسان أو إلى كلب أو خنزير أو حمار، وجحدوا الملائكة والأنبياء (عليهم السلام)، وقالوا: كان قبل آدم آدم إلى ما لا نهاية له، ونفوا الجن، ولبسوا على الناس، واتبعوا^(١) منشابه الكتاب، ففتنوا به أهل الحيرة والإرباب، وقالوا في رسالة لهم يُسمونها (البلاغ الأكبر): فأمر^(٢) صاحبها فيها أن لا يطلع عليها أحد إلا بعد الأيمن المغلظة، والمواثيق المشددة، على كتمان السر، فإذا فعل ذلك لبس عليه، ولم يزل يُخلّصه من شبهة إلى شبهة إلى حد، قال: فإذا بلغ هذا الحد فاحلل له عقاله وأبح له ما ياله

والرد على هؤلاء وعلى أهل الكفر وأحد^(٣) وقد قدمنا الرد عليهم فيما تقدم.

وأيضاً فإنهم لا يستقيمون للمساطرة بل يححدون هذا القول، ويُقرون بطلانه، وبأنه كفر وجحد. وكفى بذلك عليهم حجة أن يظنوا شيئاً ثم يححدوه ويظهروا غيره عليه.

وأما قولهم في كتمان الدين وإبطال المذهب؛ فإنه لا يُبطن ويُسر إلا ما كان معيلاً قبيحاً، وفي الشاهد أن الإنسان إذا فعل فعلاً حسناً^(٤)

(١) في (أ): واتبعوا

(٢) في (ش): وأمر

(٣) في (ب، ط، ل): فعلاً حسناً

أحب أن يظهر فعالة، ويشيع، ويذكر به، وإذا فعل فعلاً قبيحاً^(١) كتمه، وودَّ أن أحداً لا يعلم به. وبصاً فإن وجه الإنسان أفضل من جسده وأحسنه فإنه يظهر، ولو كانت عورته أقبح جسده فأمر سترها^(٢) وتغطيتها، وقد أمر الله تعالى بإظهار دينه وتبيينه للناس، وذمَّ قوماً كتموا ما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَاطِنٍ مَا يَتَّخِذُ النَّاسُ بَيِّنَاتٍ أَلْوَيْتَ لَكَ إِلَهُاتٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا أَصْحَابُ الْأَعْيُنِ ۖ وَمَا يَشَاءُ لَهُمْ فَاصْطَلُوا فَنَرَاهُمْ فِي شَأْنٍ مُّكْتُمِينَ﴾ [النور: ١٥٩، ١٦٠].

ومن الرد على الإمامية في قولهم بالصبر، وأن الأخيار لا تُقبل إلا من إمام مصوص عليه فبإهم قطعوا مهم أسباب الخير بهذين القولين، وتكلفوا بسهما الكذب

ومما يبين كذبهم في القولين: أنهم يقولون بإمامة إمام في حياته، ويزعمون أنه المهدي، وأنه لا يموت حتى يظهر أمره ثم يموت، فيتين كذبهم، فيزيدون كذبة أخرى أكبر من الأولى، أن يُبرءوا^(٣) نفوسهم من الكذب، فيقولون: هو يحيا بعد الموت، ويملا الأرض عدلاً، فهم لا يسلمون من الكذب؛ إن كان حياً قالوا: هو المهدي وليس يموت، وإن مات ولم يعاينوا موته جحدوا موته، وقالوا: هو غائب لم يموت، فإن صح عندهم موته قالوا: هو يحيا ويُبعث في الدنيا بعد ما مات.

(١) في (ب، ص): فعلاً قبيحاً

(٢) في (ل): أمر بسترها

(٣) في (ل، هـ، ي): بأن يُبرءوا

لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ» [السر ١٠٤]، وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [السر ٤٣]، وقد سَمَى الله تعالى رسوله ذكراً، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّغَيْبٍ...﴾ [الآية [السر ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾ [السر ٥٩]، وقال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، وقال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

فهذه الآيات والأخبار لم تخص ولد الحسين دون ولد الحسن، بل كلهم داخل في الأمر لا فرق بينهم فيه؛ وأيضاً فإن ولد الحسين لم يدعوا ذلك دون ولد الحسن، بل هم مقرون بهم في الأمر سواء، وقد روي عن عيسى بن المتوكل بن هارون قال: حدثني أبي المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد مقتل أبيه (عليه السلام) وهو متوجه إلى خراسان فسلمت عليه فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الحج، قال: فسألني عن أهله وبنو عمه، فأخبرته بحزنهم على أبيه، فقال: قد كان عمي أبو جعفر (عليه السلام) أشار عليه بترك الخروج، وعرفه إلى ما صار إليه أمره فهل لقيت ابن عمي جعفرأ، فقلت: نعم، فقال: فهل سمعته يذكر من أمري شيئاً، قلت: جعلت فداك إنك تقتل قتلة أبيك وتصلب، فقال: ﴿يَسْأَلُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيَكْتُمُ وَحْدَهُ أُمُ الْكِتَابِ﴾ [السر ٣٩]، إن الله سبحانه وتعالى يا متوكل آيد هذا الدين بنا،

وجعل العلم والسيف فجعلهما لنا، وخص بني عمنا بالعلم وحده، فقلت له: جعلت فداك إني رأيتُ الناس إلى ابن عمك وإلى أبيه أميل منهم إليك، فقال: إن ابن عمي وأباه دعوهم إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت له: يا بن رسول الله أهم أعلم أم أنتم؟ قال: فأطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه فقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم، ولا نعلم كل ما يعلمون، ثم قال: أكتسبت من ابن عمي شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرنيه، فأخرجت له دعاء أملاء عليّ أبو عبد الله، أخبرني أن أباه محمداً - رحمه الله - أملاء عليه وكان يدعو به ويسميه الكامل، فنظر فيه حتى أتى إلى آخره، فقال: أتأذن لي في نسجه؟ فقلت: يا بن رسول الله أتستأذني فيما (هو) "منكم صار إليّ، فقال: لأخرجن إليك صحيفة كان أبي رحمه الله يُسميها الكاملة مما حفظها عن أبيه، ولقد أوصاني أبي رضي الله عنه بصونها ومنعها من غير أهلها، فقال المتوكل: فقممت إليه فقبلتُ رأسه وقلت: يا بن رسول الله والله إني لأدينن الله بحبكم وطاعتكم، وأرجو أن يُسعدني الله بولايتكم، فرمى بالصحيفة التي دفعتها إليه إلى غلام كان بقربه، وقال: اكتب هذا الدعاء بخط حسنٍ بيني، واعرضه عليّ فإنني كنتُ أطلبه من جعفر فمعه^(١)، قال المتوكل: فندمت علي ما فعلتُ، ولم أدر ما أصنع، ولم يكن أبو عبد الله أمرني أن أدفعه إلى أحد، ثم دعا بعبئة فاستخرج منها صحيفة مغلقة مختومة فنظر

(١) ساقط في (ع، ب)

(٢) في (س، ل، م): فبسميه

إلى الخاتم فبكى، وقبله وفضّه، وفتح القفل، ونشر الصحيفة فقبلها ووضعها على عيبيه وأمرها على وجهه، ثم قال: يا متوكل لولا ما ذكرت لي من قول ابن عمي أنني أقتل وأصلب ما دفعتها إليك ولكنك بها صنيئاً، ولكنني أعلم أن قوله سيصح، وخفت أن يقع مثل هذا العلم والدعاء إلى بني أمية، فيكتسوه ويدخلوه في خزائنهم، فدونك هذه الصحيفة فاكتبها وترتص بها، فإذا قصي الله جلّ ثناؤه من أمري ما هو قاضٍ فهي أمانة في عبقك حتى توصلها إلى ابني عمي، محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن (عليهم السلام) فإنهما القائمان بعدي. قال المتوكل: فأخذت الصحيفة، فلما قتل رحمه الله صرت إلى المدينة^(١) فلقيت أبا عبد الله محمد بن أبي حمزة (عليه السلام) فبكى فقال^(٢): رحم الله ابن عمي وألحقه بآبائه وأجداده، والله يا متوكل ما معني من دفع لهذا^(٣) الدعاء إليه إلا الذي خافه^(٤) على صحيفة أبيه فأين الصحيفة؟ فقلت: هاهي ههه، ففتحها فقال: هذا والله خط عمي زيد وإملاء جدي علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم قال: قم يا إسماعيل فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه، فقم إسماعيل فأخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها إليّ يحیی، فقبلها أبو عبد الله ووضعها على عيبيه، فقال: هذا خط أبي وإملاء جدي عليهما السلام،

(١) في (ص) صرت إلى المدينة

(٢) في (ص، م، ع): وقال

(٣) زيادة في (ص)

(٤) في (ص). إلا الذي أخافه هو وفي (ط): إلا الذي خافه هو

فقلت: يا بن رسول الله إن رأيت^(١) أن أعارض بها ما كتبت من هذه الصحيفة، فأذن لي في ذلك^(٢)، فعارضت بصحيفة زيد صحيفة محمد عليهما السلام فلم أجد ما يغادر منها^(٣) حرفاً، ثم استأذن أبا عبد الله في دفعها إلى ابني عبد الله بن الحسن فقال: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فلما نهضت قل: مكانك. ثم وجه ابنه إلى محمد وإبراهيم ابني عبد الله فجاء فقال: هذا ميراث ابن عمكما من أبيه قد خصكما دون إخوته ونحن مشرطون عليكما فيه شرطاً، قالوا: قل يرحمك الله، فقولك المقبول. قال: لا تخرجا هذه الصحيفة من المدينة قالوا: ولم ذاك^(٤) يغفر الله لك؟ قبيحاً إن ابن عمكما يخاف عليها أمراً أخافه أما عليكما. قال: إنما يخاف عليها حين علم أنه يُقتل، قال أبو عبد الله: وأنتم فلا تأمنوا فواشئ إني أعلم أنكما ستخرجان كما خرج، وستقتلان كما قُتل، فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وروي أيضاً: أنه اجتمع القاسم بن إبراهيم، وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي، وموسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وعلي بن موسى الرضى في دار محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فتحدث معهم محمد بن منصور، وذكر ما قد لحق الإسلام من الأموية والعباسية،

(١) في (ع، ص). إني رأيت.

(٢) في (ي): فأذن لي في ذلك

(٣) في (ع): منها

(٤) في (ب، ص): ولم ذلك.

وسألهم أن يُبايعوا الرجل فأجمع أمرهم على أن يبايعوا^(١) القاسم بن إبراهيم عليهما السلام، فبايعوه في دار محمد بن منصور.

فصح أن بني الحسين لم يدعوا نهم أولى بالأمر من ولد الحسن، وأنهم لا يقولون بالنص؛ لأن هؤلاء الذين سمينا^(٢) من ولد الحسين: يحيى بن زيد، وجعفر بن محمد، وأحمد بن عيسى، وعلي بن موسى، فضلاء ولد الحسين وعلمائهم، واسطور إليهم في عصرهم، فلم يروا النص، ولا أنكروا قيام من قام من ولد الحسن عليهم جميعاً السلام. وولد الحسين - أهل العلم منهم والدين - لا يكرون ذلك إلى يومنا هذا. فبطل قول الإمامية في النص، وإذا بطل (خبر)^(٣) النص بطل جميع ما خالفونا فيه.

وأما قولهم: إن الأخبار لا تُقبل إلا من أئمتهم، فإن أكثر أخبار الشرع رواها الحسن بن علي الناصر عن محمد بن منصور عن أحمد بن عيسى عن حسين بن علوان عن أبي خالد عن زيد بن علي (عليه السلام). فلو كانت لا تُقبل إلا من إمام منصور عليه، لَمَا قبلها أحمد بن عيسى عن الحسين بن علوان، ولا عن أبي خالد، ولا قبلها الناصر عن محمد بن منصور، فبطل قول الإمامية. وأيضاً فلو كان الأمر كما قالوا لم يُقبل منهم ما يروون عن أئمتهم.

(١) في (ص، ش، ع). على أنهم يبايعون

(٢) في (ع، م). الذين سمينا

(٣) ساقط في (ع)

وأما قولهم: إنه لا يجتهد^(١) إلا إمام منصوص عليه، فقد جاء عن النبي ﷺ ما يسقط قولهم، وذلك أنه لما أمر معاذاً إلى اليمن قال: بِمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو اجتهداً^(٢)، فقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما وفق له رسول الله» ولو كان القول كما قالوا، لكان أكر حُجج الله قد سقط وهو العقل^(٣)، ولو سقطت حُجّة العقل لما انتفع بالكتاب والسنة، فسقط ما قالوا وثبت قولنا، فالحمد لله الذي أبلى حُجَّتنا، وثبت أقدامنا على الصراط المستقيم.



(١) في (ص): بأنه لا يجتهد

(٢) في (أ): لا آلو جهداً

(٣) في (س، هـ، ل) قد سقطت وهو العقل وفي (ط، ي): قد سقطت وهي العقل



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(١٣) باب حقيقة معرفة الاختلاف

وقد ذكرنا جميع مسائل الاختلاف في الأصول، وذكرنا جميع من خالف فيها، وأوردنا على جميع المحققين من الحجج والبراهين ما فيه كفاية، وذكرنا ذلك في مواضعه، ليسهل تدوله، ويقرب أخذه، فلا معنى لإعادة ذلك. وإنما غرضنا في هذا الباب (حيثذا) إيضاح سبب الاختلاف^(١) وتبيين المارقة الدجية، فأول ما نذكر من ذلك سبب الاختلاف.

واعلم أن سبب الاختلاف بين الأمة البلية^(٢)، وذلك أن طرق العلم ثلاث وهي: العقل، والكتاب، والرسول. وقد جعل الله عقول المتعبدین مختلفة للبلية، فمن هالك وقع الاختلاف في المسائل المعقولة على قدر اختلاف العقول. وقد جعل الله تعالى الكتاب مُحْكَمًا ومُتَشَابِهًا، وناسخًا ومنسوخًا، وعمًّا وخاصًّا؛ فمن أحل ذلك وقع الاختلاف في المسائل التي طريقها الكتاب. ولما كان في المسلمين الصادق والمنافق؛ وكان السكوت من الله ورسوله ﷺ عن المنافق وتغطيته بلية، فمن قَلَّ المنافقين وقع لدخُل في الأخبار، ووقع فيها

(١) زيادة في (م)

(٢) في (ج): وإنما حرصنا في هذا الباب حيثما اختلف.

(٣) في (ص): بين الأمة المبلية

أيضاً الفساد من طرقٍ أخرى، وهي أن يحس يروي الأخبار الناسي والذاكر، والغائب والحاضر. وفي لأخبار أيضاً التشابه والمنسوخ، ومنها أيضاً ما دُلَّس على الرواة، ومنها ما روي مُرسلاً ولم يشتهر شهرة كثيراً، ولا تواترت به الأخبار.

فمن التشابه: ما روي عن النبي ﷺ من قوله: «لا يتططح فيها عزان»^(١). ومن ذلك ما روي عنه من قوله: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه». ومن ذلك ما روي عنه من قوله في الإبل: إنها خلقت من الشياطين.

ومثل ما روي عنه ﷺ من قوله لسودة بنت زمعة^(٢) في الشاة الميتة: «هلاً انتفعتم بإهابها» وهذا الخبر كجملها مشابة، والمراد به هلاً ذكئتموها^(٣) فانتفعتم بإهابها؛ لأنه يمكن^(٤) أن تكون عجفة لا يتفع بلحمها. وقال غيرنا: الحبرُ منسوخٌ، نسخته ما روي عنه ﷺ أنه كتب قبل موته شهر قال: «لا تستفعوا من الميتة بشيء».

والمنسوخ مثل ما روي من المسح على الخفين، نسخته آية الغسل في [سورة] المائدة.

وأما المراسيل في الأخبار فكثير، وما دُلَّس على الرواة أكثر، وقد روي عن بعض الملحدين أن السلطان أمر بقتله، فقال: افعلوا

(١) في (ش، ع، ب). لا يتططح فيه عزان

(٢) في (ش، ص، ع)؛ لسودة بنت زمعة

(٣) في (ص)؛ ومراده: هلاً ذكئتموها

(٤) في (ث). ولأنه يمكن

ما شتم فقد حلت لكم^(١) الحرام وحرمت عليكم الحلال، ودست في مذهبكم أربعة آلاف حديث. وروى عن عمر أنه كان ينكر على أبي هريرة كثرة الرواية عن النبي ﷺ، وقال له: لتقلن الرواية عن رسول الله ﷺ أو لأنفيك إلى جبال دوس.

فهذه الأمور التي ذكرناها هي سبب الاختلاف. وقد جعل الله سبب الاختلاف بليّة لعباده؛ لأن يرجعوا إلى أولي الأمر منهم وهم أهل بيت نبيهم ﷺ. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [النور ١٠٠] أراد بقوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أن يردّوا ما اختلفوا فيه إلى من أمرهم الله^(٢) برده إليهم حيث يقول تعالى: ﴿وَكُلُّكُمْ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَبْطِئُ مِنْهُمْ﴾ [النساء ٨٣]، وقد ذكر الله تعالى الاختلاف فقال عز من قائل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ فَبَعَثَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَجِعَ إِلَى اللَّهِ وَلِلَّهِ حُلَّتْ﴾ [مائدة ١١٨، ١١٩] يريد: أنه حلقهم للرحمة، ولئلا يخالف أهل الحق أهل الباطل. وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سألت النبي ﷺ لِمَ أُنْزِلَتْ: ﴿الْم ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأنعام ١-٣]؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ويا فاطمة،

(١) في (ع، ب): هنيكم وهو خطأ

(٢) في (ص): إلى من أمر الله

إن الله قد جعل الفتنة على الذين يقولون: آمنا ليعلم الذين صدقوا في قولهم، ويعلم الكاذبين في إيمانهم، فهذا وعد واقع واحب، ثم أنزلت^(١) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَقُولُونَ السُّرَّاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا مَا يَحْكُمُونَ﴾ (السكرت ١١)، (ثم)^(٢) قال رسول الله ﷺ: «يا علي ويا فاطمة؛ قد علم الرب أن أقواماً من بعدي عند الفتنة سيعملون السيئات، ويحسبون أنهم سابقون»، فقال علي (عليه السلام): فكيف يحسبون أنهم سابقون يا رسول الله ومن ورثهم الموت؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا علي إنهم لم يسبقوا قضاء الله الذي قضى فيهم الموت». ثم أنزل ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ (السكرت ١٥)، لأنه يعني أن من رجا لقاء الله أن يستعد لأجل الله، فإن يكن تائباً تابعا لطاعته، مُجتنباً لخلاف الله ومعصيته، يعلم أن الله^(٣) يعلم ما يعمل، ويسمع ما يقول؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (السكرت ١٥)، ثم أنزل سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ لِلَّهِ لَنَفْيٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (السكرت ١٦)، فقال رسول الله ﷺ: قد قضى الله على المؤمنين عند الفتنة بعدي الجهاد، فقال علي يا رسول الله علي ما لجاهد الدين يقولون آمنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تجاهدوهم على الإحداث في الدين». فقال علي: يا رسول الله إني تقول تجاهدوهم كأني سابقى بعدك إلى محبي الفتنة، فأعود بالله والرسول أن أؤخر بعدك، فادع إلي ريك^(٤) أن يتولاني قبل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت حقيقاً أن تأمرني أن أدعو الله

(١) في (ع)، ثم أنزل

(٢) ساقط في (س، ل، ه، م)

(٣) في (ح) وأن يعلم أن الله

(٤) في (ش): فادع ريك وفي (ط) فادع بي ريك

لك أن يُقدم أجلك قبل ما أجل الله وقضى^(١) والله يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [مائدة: ١٠٥]، فقال علي: يا رسول الله، فما هذا الأحداث التي نجاهدكم عليها؟ قال: «ما خالف القرآن وخالف سنتي؛ إذا عملوا في الدين بغير الدين. وإنما الدين أمر الرب ونهيه». فقال علي: يا رسول الله، فإياك قلت لي يوم أخلو - إذ استشهد من المؤمنين من استشهد. فأخرت عني الشهادة، فرأيت وجدي وأسفي - إن الشهادة من ورائك. فقال رسول الله ﷺ: «فإن ذلك إن شاء الله كذلك، وكيف ترى صبرك إذا حضبت هذه من هدا؟» - وأهوى يده إلى لحية ورأسه - فقال علي: ليس ذلك حيثلو يا رسول الله من مواطن الصبر، ولكنه من مواطن البشر والشكر^(٢). فقال رسول الله ﷺ: «فاعدد قبل خصومتك، فإنك مُخاصم». فقال علي: يا رسول الله فأرشدني إلى العليج عند الخصومة. فقال رسول الله ﷺ: «إنثر الهدى، واعطفه على الهوى من بعدي، إذا عطف قومك الهوى على الهدى وآثروه، واعطف القرآن على الرأي إذا عطف قومك الرأي على القرآن وحرفوا الكلم عن مواضعه بالأهواء العارضة والآمال الطامحة، ولائدة الباكثة، والغش المطوي، والإفك المردى، والغفلة عن ذكر الموت والمعاد، فلا يكون^(٣) خصومتك أولى بالقرآن منك، فإن من الفلح في الدنيا أن يخالف خصمك سنة رسول الله، وأن يخالف القرآن بعمله^(٤) يقول الحق

(١) في (ع). قبل أجل الله وقضاه

(٢) في (هـ، ل): البشرى والشكر

(٣) في (ع، ش): فلا يكون

(٤) في (ص): بعمله.

ويعمل الباطل، وعند ذلك يُعلمي لهم ليزدادوا إثماً، ويضلوا ضلالاً كبيراً؛ وعند ذلك لا يدين الناس بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يكون فيهم^(١) شهداء لله بالحق، وعند ذلك يتفاحرون بأموالهم وأنسابهم، ويزكون أنفسهم، ويتمنون رحمة ربهم، ويستحلون الحرام والمعاصي^(٢) بالشبهات والأسماء الكاذبة، فيستحلون الربا بالبيع، والخمر بالنبيذ، والنجس بالزكاة، والسحت بالهدية، ويظهرون الباطل، ويتعاونون على أمرهم، ويتولون الجهلاء، ويفتنون العلماء من أولي الألباب، ويتخذونهم سُخْرِيًا فقال علي: يا رسول الله أفبمزلة ردّة إذا فعلوا ذلك، أم بمزلة فتنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل بمزلة فتنة، لو كانوا بمزلة ردّة أناهم رسول من بعدي يدعوهم إلى الرجعة من بعد الردّة، ولكنها فتنة^(٣) يستفدهم الله منها - إذا تأخرت أجال السعداء - بأولياء من أولياء الله، فيهديهم بهم، ويهدي بهم، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» فقال علي: من آل محمد الهداة أم من غيرهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل بنا يختم الله كما فتح بنا، وبنا يستقذون من الفتنة، كما بنا أنقذوا من الشرك بعد عداوة الشرك فصاروا إخواناً في دينهم»

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال: إن أمتك مختلفة من بعدك، فقلت: فأين المخرج يا جبريل؟ فقال: «كتاب الله به يُقسم

(١) في (ب، ع، د، ص، ش): ولا يكون فيه

(٢) في (ع): المحرمات والمعاصي

(٣) في (ل، م): لكنها فتنة.

كل جبار عنيد، من اعتصم به نجا، ومن تركه هوى، قولٌ فصل،
وليس هو بالهزل، لا تخلفه الألسن، ولا يثقل على طول الرد، ولا
تفنى عجائبه، فيه أثر من إكانه^(١) قبلكم، وخبر من هو كائن^(٢)
بعدكم». وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (حفظت ونسيتم)،
ثم قال: (ألا وإن بليتكم قد عادت كهبتها يوم بعث الله نبيتكم،
والذي بعثه بالحق نبيا^(٣)) لتبليتن بلبلة، ولتغريتن غريلة، ولتساطن
سوط القدر^(٤) حتى يعود أسفلكم أعلاككم، وأعلاككم أسفلكم،
وليتقن ساقون كانوا قصروا، وليقصرن ساقون كانوا سبقوا، والله
ما كتمت وسمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام^(٥)
في هذا اليوم).

وروي عنه (عليه السلام) أنه سأل ابن الكوي^(٦) عن السنة والبدعة، وعن
الجماعة والفرقة. فقال: يابن الكوي: حفظت المسألة فافهم الجواب:
(السنة والله سنة محمد ﷺ، والبدعة ما خالفها، والجماعة والله أهل
الحق وإن قلوا، والفرقة والله متابعة أهل الباطل وإن كثروا).

(١) زيادة في (ص).

(٢) في (ص)، ما هو كائن.

(٣) زيادة في (ع).

(٤) قوله (عليه السلام) (لتبليتن بلبلة) اللبلة الهم والحرب، ولبلة الصدر وماوسه، ومنه الحديث:
(إنما عذابها في الليل والموت) يعني هذه الأمة.وفوه (ولتغريتن غريلة) أي: يذهب خيركم، ويبقى أرباككم، والمغريل المنقذ، لأنه نقي
بالغريال، وهو المنحل وقد يطلق الغريال على الشئ يشبهه به في الاستفارةوقوله (ولتساطن سوط القدر) يقال ساطت بعدد بالمسوط وهي الخشبة التي يترك بها ما في
القدر ليحتلظ، ومن قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في حق فاطمة الزهراء عليها السلام:

(مسوط لحما بدمي ولحمي) أي عروج ومحوط، تحت نهاية

(٥) في (ش، م، س): بهذا المقال

فصل

في الكلام في الفرقة الناجية

فإنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «أيها الناس إنني امرؤ مقبوض، وقد نعت إبي نفسي، ألا وإنه سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالفه فليس مني ولم أقله»، ثم قال ﷺ: «أمة أخي موسى افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت أمة أخي عيسى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي من بعدي على ثلاثين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة». فلما سُمع ذلك منه صَاح به المسلمون ذرعاً وضحوا بالبكاء وأقبلوا عليه قالوا: يا رسول الله كيف لنا بعدك بطريق السجادة، وكيف لنا بمعرفة الفرق الناجية حتى نعلم عليها؟ فقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير يبأي أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض».

والأمة مجمعة على صحة هذا الخبر، وكل فرقة من فرق الإسلام تتلقاه بالقبول، وتزعم أنها هي الناجية.

والأمة أيضاً مجمعة على أن إجماع الأمة حجة لقول رسول الله ﷺ: «لن تجتمع أمتي على ضلالة».

والأمة أيضاً مجمعة على أن الأخذ بالمحكم من كتاب الله أولى

من الأخذ بالمتشابه وهي أيضاً مجمعة^(١) أن في الكتاب مُحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً، فلما كان ذلك كذلك ثبت أن من اجتمعت فيهم هذه الأشياء من الفرق فهم الفرقة الناجية.

وصح أن الزيدية قد اجتمعت فيهم هذه الأشياء، وذلك أنهم تمسكوا بالكتاب، وبالعترة، وهم الذين وقع عليهم الإجماع أنهم آل رسول الله ﷺ، وفي التمسك بالكتاب ما يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَسَكَّنُونَ بِالْكِتَابِ وَآفَقُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضَعُ لَأُحَرِّمُ الْمُصَلِّينَ﴾ [الأنعام: ١٧٠]. والزيدية هم الذين اتبعوا المحكم وتركوا المتشابه، وعملوا بالناسخ وتركوا المنسوخ، وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ جَنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧٠]، فبين أنه لا يؤخذ إلا بالمحكم وذم الذين أخذوا بالمتشابه، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الْقَوْلَ إِذْ يَأْتِيهِمْ آيَاتُ اللَّهِ أَنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْ رَبِّكَ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، فدل هذا على أن القرآن كله حسن، وعلى أن بعضه أحسن من بعض، وعلى أن الله أمر باتباع الأحسن، والأحسن هو المحكم، والمجمع على أنه أحسن من المتشابه. والمحكم هو الذي لا يخالف تأويله تنزيهه

ومن الدليل على أن الزيدية هم المرقفة الناجية: أنهم أخذوا

(١) في (ب، ي): وهي مجمعة أيضاً

بالأحسن من كتاب الله - وهو المحكم - كما أمرهم الله، وتركوا المتشابه، وتمسكوا بعثرة رسول الله ﷺ كما أمرهم الله ورسوله، وأخذوا بالإجماع وتركوا المختلف فيه، فثبت أنهم على الحق ومن خالفهم على الباطل.

واعلم أنك لا تعرف الفرقة الناجية حتى تعرف الفرق الهالكة، ولن تعرف المحكم من الكتاب حتى تعرف المتشابه، والناسخ والمنسوخ، ولن تعرف الإجماع حتى تعرف الاختلاف؛ ولهذا عددنا معرفة الاختلاف أصلاً من الأصول التي سمينا في كتابنا هذا، ومما يؤيد ما قلنا: ما روي عن زيد بن علي عليهما السلام أنه قال في حطبة له: (أما بعد يا قارئ القرآن فإني لن تلتو القرآن حق تلاوته حتى تعرف الذي يقصّه^(١))، ولن تعرف الهدى حتى تعرف الضلالة، ولن تعرف التقي حتى تعرف الذي تعدي، فإذا عرفت البدعة في الدين والتكليف، وعرفت الفرية على الله والتحريف، عرفت كيف هذا (من هذا).

واعلم أن الأمة افتقرت في بدء الأمر عند وفاة رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة^(٢) بايعت أبا بكر طائعين، ورأوا إمامته وإمامة عمر وعثمان وفرقة توقفوا مع علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

فلما قام علي وبايعه الناس افتقرت الأمة على أربع فرق: فرقة نصحوها لله وله، وأطاعوه، وقالوا بقوله، وبايعوه،

(١) في (ص): الذي يقصيه

(٢) في (ع): فرقة

وهم الشيعة. وإنما سُمُّوا الشيعة لأنهم والوه ونصروه. والشيعة هم الأولياء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَمُنُّ مِنْ دِينِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ كِتَابِ رَبِّهِمْ غَيْرَ تَحَدُّثٍ﴾ وقال تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿فَوَجَدَا فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ دِينِهِ وَهَذَا مِنْ دِينِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فصح أن الشيعة هم الأولياء.

وفرقة - وهم المرجئة - وهم الذين قلدوا أبا بكر وعمر علي علي (عليه السلام) وأرجئوا عبا وعثمان ومعاوية. وهم الذين قال فيهم السيد الحميري:

رفيقي لا ترجيا واعلميا
 بأن الهدى ما ترجيا
 فارجاء ذي الشك بغير يقين
 ضعف البصيرة بعد اليان
 ضلال أزالتهما عكما
 فثبت لعمركما الخصلتان
 أرجا علي إمام الهدى
 وعثمان، ما اعتدل المرجئان
 ويرجا ابن هند وأحزابه
 يقسود الإمامة بالنهروان

وافترقت المرجئة فرقتين: فرقة يقل لهم أصحاب الحديث، وفرقة يُقال لهم أصحاب الرأي.

وأصحاب الحديث هم أصحاب الظاهر، وهم الذين يقولون: نُسِّبَ ما رُويَ لنا، ولا تقيس ولا نجتهد، ويقولون: القرآن مخلوق، ونُسمون أيضاً الحشوية لحشوهم لأخبار المتناقضة والقول المتناقض، وقد قال فيهم بعض من نكر عليهم. يروي الأحاديث، ويروي نقضها.

ومنهم المشبهة، وسموا بذلك بقولهم بالتشبيه.

ومهم الشكاك. وسموا بذلك لأنهم لم يثبتوا الشهادة على من يشهد الشهادتين أن يكون مؤمناً حتى يقولوا للمؤمن: نرحو أن يكون مؤمناً.

وفرقه من المرجئة - وهم أصحاب الرأي - وسموا بذلك لأنهم يرون القياس والرأي والاجتهاد في الفقه.

ومهم الحهمية، نُسبوا إلى حهم بن صفوان، ويُقال لهم مرجئة خراسان وروى أن جهماً كان يكفر أهل التشبيه، ويظهر القول بخلق القرآن، وكان يقول بالخبر وقد ذكرنا قومه فيما تقدم.

ومهم الغيلانية، نُسبوا إلى عيلان بن مروان، ويُقال لهم مرجئة أهل الشام، وكان يخالف جهماً وأبا حنيفة في أشياء، منها أنه كان يقول: الإمامة تصلح في غير قريش ويقول بخلق القرآن.

ومنهم الماضرية، نُسبوا إلى قيس بن عمرو الماضري، ويُقال لهم مرجئة أهل العراق، وكان يقول: الإمامة في قريش. ويقول بخلق القرآن.

ومنهم الشُّمرية، نُسبوا إلى أبي شمر، وكان يقول: الإمامة (١) في كل الناس، فهذه فرق المرجئة.

وفرقه وهم الخوارج، وهم الذين خرجوا على علي (عليه السلام)، وحاربوه. ومنهم الأباضية، نُسبوا إلى عبد الله بن أباض.

ومنهم الأزارقة، نُسبوا إلى باقع بن الأرق، وكان رئيس الخوارج بالبصرة والأهواز.

ومنهم النجدات، نُسبوا إلى مجدة بن عامر الحففي، وهم المارقون، وسُموا بذلك لأنهم مرقوا من الإسلام، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون فيكم قوم» (٢) تحتفرون صلاتكم مع صلاتهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يحاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، وكان سبب خروج هذه الفرقة من الدين أنه لما كان من أمر الحكمين في صفين ما كان، اجتمع قوم من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) منهم عبد الله بن الكوي، وعروة بن جرير، ويزيد بن عاصم المخارق، وجماعة معهم، فاعتزلوا، وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي وتبرأوا من الحكمين، وكفروا علياً (عليه السلام) فهذه لفرق المتقدمة.

ثم تفرقت كل فرقة منهم فرقاً كثيرة، وقد ذكرنا فرق الشيعة فيما تقدم بما فيه كفاية.

(١) في (أ، ش). وكان يقول بالإمامة

(٢) في (ص): يكون فيكم أنوام.

فأما المعتزلة فكان سبب اعتزالهم أن شيخ المعتزلة واصل بن عطاء كان يرى رأي أهل البيت (عليهم السلام)، وكان يُظهر القول بالعدل والتوحيد ومحبة أهل البيت (عليهم السلام) في البصرة في وقت غلبة الخوارج، وكان تربى مع أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله، وكان محمد بن الحنفية يراه مثل الولد، وكان يأخذ العلم عن أبي هاشم، ويأخذه أبو هاشم عن أبيه محمد بن علي (عليه السلام) ويأخذه محمد عن أبيه علي (عليه السلام). وكان يختلف هو والحسن البصري في مسألة المنزلة بين المنزلتين. فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: الفاسق منافق. وقال واصل: الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر بل له^(١) منزلة بين المنزلتين.

وكان عمرو بن عبيد يقول بقول الحسن، ثم رجع إلى قول واصل بن عطاء، وبرجوعه واعتزاله عن قول الحسن سُميت المعتزلة معتزلة، مع ما تقدم من اعتزال واصل بن عطاء للخوارج، وإظهاره للشيعة، فبسبب ذلك سُميت المعتزلة معتزلة.

ثم اختلفت المعتزلة فرقتين: فرقة لزمّت بقول واصل بن عطاء في تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) وتقديمه على أبي بكر وعمر وعثمان، والقول بإمامة الحسن والحسين، ورشد علي، ومحمد وإبراهيم ابني عبد الله (عليهم السلام)، وهم مشايخ العداديين، مثل جعفر بن حرب، وجعفر بن مُبَشَّر، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والمرشد، ومن قال بقولهم وهؤلاء يُسمون شيعة المعتزلة، ومعتزلة الشيعة.

(١) في (ب، ص) بل هو

وسموا الزيدية معتزلة الشيعة، وصوبوا الزيدية في جميع أقوالهم، وذكروا أن الفرقة الناجية هم شيعة المعتزلة ومعتزلة الشيعة، يعنون الزيدية.

ومرفة وهم المعتزلة البصريين فإنهم خالفوا في الإمامة^(١) وفي الإرادة، ووافقونا في العدل والتوحيد، وصدق الوعد والوعد، والنبوة، وغير ذلك من الأصول. فأما الإمامة فإنهم خالفونا فيها خلافاً كثيراً، وذلك أنهم يقولون: الإمام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي (عليه السلام)، ثم الإمامة حائزة في كل الناس، وهذا قول فريق منهم.

ومهم من قال: الإمامة **لقرشي**، وقالوا: إذا اجتمع قرشي^٢ ونبطي^٣ ولي القرشي على النبطي.

وقال ضرار: إذا اجتمع قرشي ونبطي ولي النبطي لأنه أقل عشيرة وأهون شوكة، وعلته أنه إذا عصى لله كان أسهل لخلعه.

ومنهم من توقف في تفضيل علي (عليه السلام) على أبي بكر وعمر، وهم: أبو علي، وأبو هاشم، وقالوا: إن صح خبر الطائر المشوي فعلي أفضل من أبي بكر، وإذا كان أفضل منه كان أولى بالمقام منه، وعلتهما: أن راوي خبر الطائر المشوي أنس بن مالك، ومن مذهبهما أنهما لا يقبلان الخبر إلا من اثنين كالشهادة

وخبر الطائر المشوي: ما روي عن أنس بن مالك أنه أتني

(١) في (ب، ح، ع). وهم معتزلة البصريين فإنهم خالفونا في الإمامة

إلى النبي ﷺ بطائر مشوي ووضع بين يديه فقال: «اللهم اثنني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا لطائش فلم يحضر غير علي (عليه السلام)، وعلى ما روي أنه ردّ من بابه مرة بعد أخرى.

ودكرت شيعة المعتزلة الذين قلوا بفصل علي (عليه السلام) أن الخبر ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الثوري بمحضر من أصحاب الثوري فلم يردّ أحد منهم عليه، وشهدوا له بصحة ذلك، ولم يكن ذلك الوقت وقت عصية معه، ولا ميل إليه فهذه فرق المعتزلة^(١)

ومن الدليل على أن الريدية هم المارقة الناحية أنهم لم يفارقوا الكتاب ولا السنة ولا الإجماع ولا العقل، بل لزموا بهذه الخصال الأربع، وقد قدمنا الكلام في الكتاب والسنة بما فيه كفاية.

وأما الإجماع فإن الأئمة مجمعة على أن الله تعالى واحد قديم، لا قديم معه غيره، وأنه لا مثل له في وجوه من الوجوه، وقد أنى في الكتاب والسنة ما قلنا به قال الله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (النسور ١١)، وقال: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» (الحج ٢)، وقال: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإسلام ١-٤).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا يشل له بوجه من الوجوه في صفة من صفات العظمة».

ثم قال مخالفونا: الله قديم بقدّم، وعالم بعلم، وقادر بقدرة قديمة،

(١) في (ث) ١، فهذه فرقة المعتزلة

وقالوا: القرآن غير مخلوق وهو قديم، فأثبتوا مع الله قديماً سواه^(١) فخالفوا الإجماع ونقضوا ما كانوا قد أجمعوا عليه، واستقمنا نحن على الإجماع.

وأجمعت الأمة على أن الله ليس كمثله شيء ثم نقضت المشبهة قولهم هذا فقالوا: له وجهٌ ويدان، وجنبٌ وعينان، وجوارحٌ ولسان، وهو يرى يوم القيامة بالأعيان، وهو يستقر في المكان - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فخرجوا عن قولهم الأول: (ليس كمثله شيء)، واستقمنا نحن على الإجماع

وأجمعت الأمة على أن معنى (سبحان الله) تنزيه الله^(٢) من كل صفة نقص في ذاته وفي أفعاله، وأجمعوا على أنه عدلٌ لا يجرُّ، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يأمر بفعله، ولا يريد به، ولا يرضاه، ثم نقضت المجبرة هذا القول بأن قدنوا: الله فاعل كل حسنٍ وقبيح، وقالوا: إن الله أجبرهم^(٣) على أفعالهم، وقالوا: إن الله أمر الكافر بالإيمان، وسلبه الاستطاعة على الإيمان. فنقضوا قولهم الأول، ونسبوا إلى الله فعل القبيح، ونزّهوا أنفسهم^(٤)، وخرجوا من الإجماع وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَفُودٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الرعد: ٢٠]، واستقمنا نحن على الإجماع.

(١) في (ب). قدماء سواه.

(٢) في (ع، ص): تنزيه لله.

(٣) في: (ب، ش، ع). إن الله أجبرهم.

(٤) في (ص، هـ): ونزّهوا أنفسهم.

وأجمعت الأمة على أن الله صادق الوعد، ثم نقضت المرجئة هذا الإجماع بأن قالوا: يجوز أن يخلف الوعيد. فنقضوا قولهم في صدق الوعد؛ لأن وعيده للظالمين هو وعده للمظلومين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَقِّ الثَّابِتِ وَلَنَقُضَنَّ أَيْمَانَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٥١)، فإذا أخلف^(١) وعيده للظالمين فقد أحلف^(٢) وعده للمظلومين - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. واستقمنا^(٣) نحن على الإجماع

وكذلك أخذنا في الإمامة بالإجماع، فإن الخوارج وبعض المعتزلة قالوا: الإمامة في كل الناس. وعلي والحسن والحسين وذريتهما من الناس.

وأما قول ضرار: يؤلى البيهقي علي القرشي، فإن الله تعالى قد جعل النبي ﷺ من أشرف بيته في العرب، فكما كان ﷺ من أشرف بيته في العرب وجب أن يكون الإمام من أشرف بيته في العرب، وأشرف بيته في العرب بيت النبي ﷺ.

وقالت المجبرة وبعض المعتزلة: الإمامة في قريش. وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) من قريش، فثبت له الإجماع.

وأما قول الإمامية في النص والغلو، فإنه خلاف لجميع الأمة.

والدليل على أن الإجماع حجة قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُخَافِ الرُّسُلَ﴾ من بعد ما تبين له الهدى وتبع حذر سبل الشريعة حوله ما تؤلى وصليه جهنم

(١) في (خر): فإذا خلف

(٢) في (مر): فقد خلف

(٣) في (س): استقمنا.

وَسَامَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَرَىٰ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلا يَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ مَعَكُمْ أُولِيَائُكُمْ فِي السَّمَاءِ الَّذِينَ عَلَى الْأَعْرَافِ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ وَهِيَ أَهْلُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَهْلُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ ثُلَاثٌ مِنْ ظُلُومٍ رَجِيمٍ﴾ (سجدة ١١٥-١١٧)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ١٢٨)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» فَصَحَّ أَنَّ الزَّيْدِيَّةَ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ.

ومن طريق العقل : أن جميع المروق لا يجدون علينا طعناً ولا تشنيعاً في مقالتنا.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه ما يجمع به مخالفونا من كثرتهم
وقلتنا، وهذا من الدلائل الواضحة^(١) على صحة مذهبنا وذلك أن
الله تعالى قد أخبرنا في القرآن أن أكثر الناس لا يؤمنون، وأخبرنا أنه لا
يؤمن إلا أقل الناس، وأخبرنا أن لأمم قبلنا كذبوا الرسل، فقال
تعالى: ﴿كَتَبْتُ قُلُوبَهُمْ قَوْمٌ نَوحٍ وَأَمْعَابُ الرُّسُلِ وَتُشَوِّدُ ۝ وَعَادَ وَفِرْعَوْنُ
وَالْحَوَارِءُ لُوطٍ ۝ وَأَمْعَابُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمٌ شِمٍ كُلُّ كَتَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ
وَعِيدُ﴾ [١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَكْتُمُواكَ فَتَدَّ كَتَبْتُ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
وَالَى اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة ١٥١]، وقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة ١٥٧]، وقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) [سورة ١٧]،

(۶) زیادہ فی (ط، م، ہ)

(٢) في جمع السح: (ولكن أكثر الناس لا يفهمون) وقد أشربا قيم تقدم بأنه لا يوجد في القرآن الكريم آية هكذا.

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِغُرُثِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَلِيلٌ قَلْبَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ نُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُجْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثَّهُمْ فُتْنًا وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [احمد: ٢٦]، وهذا في القرآن كثير.

ثم ذكر الله المؤمنين المحلصين بالقلّة، فقال تعالى: ﴿وَاهْتَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿قَلِيلًا مِمَّا قَدْ كُنُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

وذكر ما كان من أصحاب موسى عند باب حطة، وقولهم لموسى: ﴿فَانْهَبْ آتَتْ وَرُكَّتْ هَاطِلًا إِيَّا خَالِفًا قَا عِثُونَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وذكر قول موسى (عليه السلام): ﴿رَبِّ إِيَّا لَا أَتِيكَ إِلَّا هَسِي وَهَسِي﴾ [البقرة: ٢٥]، وذكر من قوم موسى رجلين وهم ألوف فقال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا الدَّمَارُ فَهُمْ أَلْبَابٌ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَابْدَأُوا بِالَّذِينَ غَالِبُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقد قيل: إنهم يوشع بن نون، وكالب بن نفثا^(١) القناري من أرض قنار. وقيل: إنه لمؤمن الذي كان يكتنم إيمانه. فصيح أن القليل معدوم، وأن الكثير من لفرق مدموم.

وبسبب^(٢) قلة الفرقة الناحية تطهر أعداء الله عليهم. وقد ذكرنا ما

(١) في (ب، ش) وكالب بن نفثا وفي (ج) وكالب بن نفثا وفي (هـ) وكالب بن نفثا

(٢) في (ع، ش): وسبب.

فعل بنو أمية وهنو العباس بأولاد رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن معاوية لعنه الله لما غلب على الأمر جعل سب أمير المؤمنين (عليه السلام) سيرة وسجية، حتى كتب إلى واليه من جهته يقول له: أقتل من كان على دين علي، واضرب عنق جحر بن عدي، لأنه لم يتبرأ من علي (عليه السلام) وأنكر سبه.

وكانوا يلعنون علياً على المابر، ويدعونه أبا تراب، حتى ولي عمر بن عبد العزيز فمنع ذلك، فقل في ذلك كثير عزة:

طبت يتأ وطاب أهلك أهلاً

أهل بيت النبي والإسلام

لعن الله من يسمي علياً

وبني من سوقة وإمام

تأمن الطير والوحوش ولا يأ

من أهل البيت عند المقام^(١)

وسم الحسن على يدي جعدة بنت الأشعث بن قيس، حتى روي أنه قال: سقيت السم مراراً وما سقيت مثل هذه المرة، ولقد مشيت طائفة من كبدي.

وفعل بالحسين بن علي عليهما السلام ما فعل، وخبره مشهور، وروي أنه لما قتل كتب عبيد الله بن زياد أن توطأ الخيل على طهره،

(١) في (هـ، ل): أهل بيت النبي عند المقام

وحز رأسه^(١) وأمر به إلى يزيد بن معاوية - لعنهما الله سبحانه -
وسيق حريمه وأهله على الأتخاب إلى دمشق.

وقُتل زيد بن علي^(عليه السلام) وصلب، ثم قُتل ولده يحيى بن زيد^(عليه السلام)
وهُرس في المهراس

وقُتل محمد وإبراهيم ويحيى أولاد عبد الله بن الحسن^(عليه السلام) وغيرهم
من أهل بيت النبي^(صلى الله عليه وآله)، ولهم أسوة حسنة بمن سبقهم من
الأنبياء^(عليهم السلام) والصالحين، وقد قل به تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَىٰ أَهْضِمْتُمْ أَمْثَلُكُمْ فَخَرِّبُوا مَكَّةَ حَرْبًا مَّكَانَ تَقْوَىٰ تَعَالَىٰ﴾ وقال تعالى:
﴿وَمَكَانَ مِنْ ذِي قُلَّةٍ رُحُونُ الْكُفْرَىٰ فَمَا وَهَرُوا لَمَّا آمَنَتْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
خَشَوْا وَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ (الأنعام ١١٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمْتَابُ الْآخِذِينَ
النَّارِ ذَاتِ الْوُكُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُودٌ ۝ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنعام ١٨٠)، وكذلك أهل
البيت^(عليهم السلام) ولذلك قلت هذه العرقة الناحية، ولم يشتهر علمهم
لأجل ذلك، كما اشتهر علم الفقهاء كأبي حنيفة والشافعي من
العامّة، ومالك، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف في أكثر الأمصار.
وقد روي عن أصحاب أبي حنيفة أنهم كانوا إذا تكلموا في المسائل
فأرادوا أن يحكوا قول علي^(عليه السلام) قالوا: قال الشيخ، ولم يفصحوا
باسمه خوفاً من السلطان، فكيف يظهر علمهم والأمر كذلك مع طول
المدة؟ فإن دولة بني أمية انقضت في سنة اثنين وثلاثين ومائة هجرية،

(١) في (ع): وجز رأسه

فصار الأمر إلى بني العباس فساروا طريقة بني أمية في قتل أهل البيت (عليهم السلام) فبأنهم قتلوهم بضروب من القتل، فما رالت تلك حالتهم^(١) حتى ضعفت دولتهم بظهور الجليل والديلم.

وأيضاً فإن فقهاء العامة الذين سمّوا كانوا يرون ولاية آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرضاً، ويشهدون لهم بالتفضيل، ويقولون: إن مودّتهم هي أجر الرسالة وقد روي أن سب موت أبي حنيفة: أن أبا جعفر - الثاني من خلفاء بني العباس - كتب إليه كتاباً، وإلى الأعمش كتاباً على لسان إبراهيم بن عبد الله، فلما رأى أبو حنيفة الكتاب الذي كتبه إليه أخذه وقبله وقراه، ولم يرأى الأعمش الكتاب الذي كتبه إليه رمى به وكذلك الشافعي كان يظهر محبة أهل البيت (عليهم السلام) وهو القائل فيهم:

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بقاطن أهله والناهض
سحراً إذا جاش الحجيج إلى منى
سبلاً كملتظم الفرات الفائض
قف ثم ناد بسانني لمحمد
روصيه وبنيه لست بباغض
إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد القلان أبي رافض

(١) في (ش): تلك حالهم

وروي أن محمد بن الحسن غضب عليه هارون في ميله إلى أهل البيت فرماه بالدَّوَاة فشجَّ رأسه فصاح لنا الإجماع، وصحَّ أن الزيدية هم الفرقة الناجية.

وقد شذ من الزيدية فرقتان في عصرنا هذا:

إحدهما: الْمُطَرِّفِيَّةُ الذين قالوا: ليس يُسمع القرآن، ولا يُسمع الكلام، وأنه صَعَةٌ صَرُورِيَّةٌ لقَبِ الْمَلِك لا تفارقه. فأنكروا نزول القرآن، وقالوا: إن الله سبحانه لا يقصد كثيراً مما يحدث من الخلق والرزق والموت والحياة، بل ذلك يحصل بِحَالَاتِ الْأَجْسَام، فأنكروا تدبير الله سبحانه لخلقهم حالاً بعد حالٍ وقالوا: إن فعل العبد لا يعدوه، ولا يوحد من الظلم فعل في المظلوم، فنسبوا أكثر الظلم إلى الله سبحانه، وما أشبه ذلك من الجهالات القبيحة، وهذا القول محالٌ للكتاب والسنة والإجماع^(١)، فخرجوا من الفرقة الناجية بخروجهم عن الكتاب والسنة والعقل والإجماع.

والفرقة الأخرى: الذين قالوا: إن الحسين بن القاسم أفصل من رسول الله ﷺ، وكلامه أهر من كلام الله، وهؤلاء خرجوا من الفرقة الناجية بخروجهم عن العقل والكتاب والسنة والإجماع.

ومن أهل مقالتنا في عصرنا: قومٌ توانوا وسهلوا في العمل، وغفلوا عن طلب العلم، وركبوا عصى إصابة الطريق، فضيَّعوا الدين، وتخلَّعوا عن طريق المؤمنين^(٢)، فمثلهم كمثل النائم على الطريق.

(١) في (ج، س، م): محالٌ للكتاب والسنة والإجماع والعقل.

(٢) في (ش، ب): عن طريق المؤمنين.

ومثل مخالفهم كمن يمشي مجتهداً في غير الطريق، فكلا الفريقين لا يبلغُ المراد، إلا أن يستيقظ النائم، ويرجع الضال عن الطريق إلى الطريق.

نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى من طاعته حتى يصدق قولنا بعملنا، ونسأله أن يتحاور عن خطيئنا وزللنا، وأن يلعننا صالح آمالنا ويختتم لنا بخير أعمالنا.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله وخير آل



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

الفهارس العامة

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
الحمد لله رب العالمين	٢	٧٥
اهدنا الصراط المستقيم	٧٠٦	٣٦٤
البقرة		
الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه	٣-١	٣٢٧
ان الذين كفروا سوء عليهم المبرتهم ثم لم يسألهم	٧٠٦	٢٣٧
في قلوبهم مرض	١٠	١٢١
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا ربكم واطيعوا	٢١	٤٠٦
واين كنتم في رب مما برئنا على عبدا	٢٣	٤٢٤
نصره كثيرا ويهديه كما	٢٧، ٢٦	٢٣٧
أنتوني بأسماء هؤلاء	٣٢، ٣١	٣٩١
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة	٤٣	٤٠٧، ٣٩٢
وانفوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا	٤٨	٣٦٨
وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله	٥٥	١٨٤
كلوا من طيبات ما رزقكم	٥٧	٢٦٣

الطائفة العامة

٤٧٣	٥٧	وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
٢٦٣	٦٠	كُنُوا وَشَرُّوا
٢٥٦	٦٢	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى نَرِ بَصُرَ عَلَيَّ طَعَامٍ وَاحِدٍ
٢٨٦	٦٧	أَنْجِدْنَا هَرُونَ
١٣١	٦٩-٦٧	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ تَحْتِهَا بِغُثَاثٍ
٢٢٧	٨١	بِهِ مِنْ كَسَبِ سَبْعَةِ أَهْلِ طَعَامٍ وَاحِدٍ
٤١٤	٨٥، ٨١	وَإِذْ أَحَدًا مِنْكُمْ لَا يَسْمَعُكُمْ دَعَاكُمْ
٥٣٢، ٤٦٢	٨٧	أَهْلَكُمْ دَعَاكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ
٢٨٧	١٠٤	بِأَنَّهُمْ أَلَدِي أَسْمُو لَا يَقُولُوا رَأَى
٣٩٣ ١٧٦	١٠٦	مَا يَسْمَعُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
٤٩٢	١٠٩	فَاعْمُوا وَاصْبِرُوا
٦٦	١١١	وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ كَانَ هَذَا الْبَابُ
٢٩٤	١١٥	وَلَهُ الْفَتْحُ وَالْغَلَبَةُ
١٨	١١٧	لَهُ الْفَتْحُ وَالْغَلَبَةُ
١٣٤ ٤٣	١٢٤	لَا يَأْتِي عَهْدِي إِلَّا بِالْحَقِّ
٤٧٨	١٢٤	وَإِذْ أَنْتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاسْتَجَبَ
٣ ٨	١٢٦	وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرِ
٤٢٤	١٣٦	فَقُولُوا إِنَّمَا بَدَّلْنَا مَا كُنَّا نَعْمَلُ
٤٧٥	١٤٢	فَمِنْ حَسْبِكُمْ أَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ لِقَاءُ رَبِّهِمْ
٤٣٩	١٤٣	وَأَنَّهُمْ فِيهَا مُقَامُونَ
٣٩٤	١٤٤	فَمِنْ حَسْبِكُمْ أَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ لِقَاءُ رَبِّهِمْ
٢٧	١٥٢	وَمِنْ حَسْبِكُمْ أَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ لِقَاءُ رَبِّهِمْ
٢٧٧	١٥٣	بِأَنَّهُمْ أَلَدِي أَسْمُو لَا يَقُولُوا رَأَى
٣	١٥٥	وَلَمَّا يَعْلَمِ لِقَاءُ رَبِّهِمْ

الترتيب	الرقم	الصفحة	الموضوع
---------	-------	--------	---------

٥٠٢	١٦٠، ١٥٩	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاكَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ
١٢٢	١٧١	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَزَّوْنَ عَنْ
٢٧١	١٧٢	بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ طَبِيبَاتِ مَا رَفَعَكُمْ
٢٩٢	١٧٥	عَمَّا أَصَبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ
٢١٧	١٧٧	وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
٤٠٥	١٧٩	وَلَكُمْ فِي الْمَصَاصِ حَيَاءٌ
٣٩٩	١٨٠	كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
٣٩٤، ٣٦٣	١٨٢	أَنْ تَتَوَضَّعُوا عَلَيْهِمْ
٣٨١، ٣٣٥	١٨٥	سَهْرٍ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
٢٩٢	١٨٥	فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
٢٧١	١٨٥	وَنُكِّرُوا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا هَذَا كُمْ
٢٦٩، ٢٢٣، ١٩٤، ١٩١	١٨٥	بِرَبِّهِ اللَّهُ مَكْمُومٌ الْقِيَمَةُ
٣٩٤	١٨٥	أَحْلَلْ لَكُمْ لَبَنَ الْبَقَرِ الرَّفْقَ إِلَى سَاعَتِكُمْ
٣١١	١٩١	وَالْعَمَلُ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ
٢٦٩	١٩٥	وَلَا تَقْفُوا دُبُرَكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ
٣٨٩	٢١	هَلْ يَطْرُقُونَ إِلَّا أَنْ بَأْسَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمٍ مِنْ تَعْمِيمٍ
٢٧٢	٢١٦	وَمَنْ يُدَلِّ بِعَمَلِهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ
٥١٣، ٤١٤	٢١٣	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
٢٨٠	٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ
٢٦٣	٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
٤٠٤، ٤٠٣	٢١٩	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
٣٩٤	٢١٩	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحَقُّونَ
٤٠٠	٢٢٠	وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ
٣٩٩	٢٢٠	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى
٤٠٣	٢٢١	وَلَا تَكُونُوا الْمُسْتَرْكَاتِ حَتَّى يُؤْمَرَ

رقمها	الصفحة	الآية
٢٦٣	٢٢٢	فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ
٣٩٦	٢٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا
٣٩٦	٢٢٩	وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَتَّقُونَ أَرْوَاحَهُنَّ يَرْبِضْنَ
٣٩٦	٢٣٤	بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا
٣٩٦	٢٤٠	وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَتَّقُونَ أَرْوَاحَهُنَّ وَصَّةٌ لَأَرْوَاحِهِمْ
٩٦	٢٤٧	قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
٥٣, ٢٥٩	٢٤٩	فَشَرِبُوا مِنْهُ لَا قَلِيلًا مِنْهُمْ
٣٧١	٢٥٥	وَلَا يَشْرُدُ صَفْطُهُمَا
١٧٨, ١٥٦	٢٥٥	وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
٢٩٤	٢٥٥	وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ
٣٩٨	٢٥٦	لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ
١٦٨	٢٥٨	رَبِّي الدِّينَ بِحَسْبِ وَجْهِهِ
١٥٣	٢٦٠	رَبِّي كَعَفِ تَعْمِي الْمَوْتِ
٣٤٥, ٣١	٢٦١	مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٣٠٢	٢٦٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِلُحْيٍ وَلَا أَدَى
٣٠٢	٢٦٦	أَبْوَدٍ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ عِلِّيِّ وَأَقْصَابِ
٢٩٤	٢٧٩, ٢٧٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا
١٨١	٢٨٠	فَعَلَرَةً إِلَى حَيْثُ رَفَعَتْ
٣٩٧	٢٨٢	وَأَشْهَدُوا إِذَا سَأَلْتُمْ
٢٣٢	٢٨٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَالْتُمْ بِدِينِ
٣٩٧	٢٨٣	فَإِنْ أَمْسَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا
٢٧٥	٢٨٥	أَمْسَ الرِّسُولُ بِمَا أُبْرِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
٣٢٢	٢٨٦	رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
٢٦٩, ٢٢٣	٢٨٦	لَا يَكْتَفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَاسْتَعَا

الرقم	المقالة	الصفحة
-------	---------	--------

آل عمران

٣٨٩	٧	عَاشَا الدِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَتِّعَ
٥١٩, ٣٨٩, ١٧٥	٧	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
٣٩١	٧	وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ
٣٢٤	١١	وَبِئْسَ بِنَاسٍ حِجَابُ السُّهُوبِ مِنَ السَّمَاءِ
١٥٨	١٨	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
٢١٠	٢٦	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلَائِكَةِ
٤٠٦	٣٤, ٣٣	رَبِّ اللَّهُ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا
٣٣٦	٣٦, ٣٥	يَذُكُّ ذَاتَ إِفْرَاهُ عِمْرَانُ رَبِّ نَسِ مَدْرُتْ مَتَّ مَ فِي
		نَطِي مَحْرَرًا
٣٨٤	٤٥	يَذُكُّ الْمَلَائِكَةَ بِأَمْرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ
		أَسْمَاءُ الْمَحْجَرِ
١٢٢, ١١٠	٥٢	مِمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ
٤٤٢	٦١	مَعْلُوعًا لِّمَالِكٍ مِّنْهُمُ الْكُفْرَ
٢٣٧	٨٦	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا نَعَدَ بِهِمْ
١٨٣	٩٢	لَنْ تَنَالُوا اللَّهَ حَتَّى تَقْضُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
٣٨٩	٩٦	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَدَى بَيْتِهِ
٣٩٢, ٢٢٢	٩٧	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
٢٧٧	١٠٢	تَقُو اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
٥٠٣, ٤٧٥, ٤٣٨, ٢٨٢	١٠٤	وَلَنُكَلِّمَنَّ أَهْلَهُ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
١٢٩	١٠٩	وَلَنُكَلِّمَنَّ أَهْلَهُ السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا
٤٣٨	١١٠	كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْرِجُوا لِبَاسَ
٢٣٢	١١٠	مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
٤٩٢, ٢٩٤	١٣٤	وَالْكَافِرِينَ الْعَبِيدَ
٤٣٨	١٤٠-١٤٢	وَبَيْنَ الْأَيَّامِ مَدُونَهَا تَبَى النَّاسَ

الآية	رقمها	الصفحة
وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين	١٤١	٣١٦
م حَسْبُكُمْ أَنْ تَخْلُقُوا الْفَجَّةَ وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ الَّذِينَ	١٤٢	٣١٧
جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَبَعَثَ الْفَجَّةَ مِنْ		
وَمَا مَحْجَتُهُ إِلَّا رَسُولٌ هَذَا جَبَّ مِنْهُ الرُّسُلُ	١٤٤	٣٣٤
وَمَا كَانَ يَعْشَى أَنْ يَحُوبَ إِلَّا يُؤَادِلَ اللَّهُ	١٤٥	٣٣٠, ٣٣٣, ٣٣٤
		٣٤٢, ٥١٥
وَكُنْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ يَهْمُونَ كَثِيرًا	١٤٦	٥٣٢
يَسْأَلُنِي فِي ذُنُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّحْمَنُ	١٥١	٢٣٩
فَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ	١٥٤	٣٣٤
سَدَّ مِنْ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ	١٦١	٤١١, ٣٥٨
أَتَمَّ بِهِمْ		
كُلُّ نَفْسٍ دَانِعَةٌ بِالْمَوْتِ	١٨٥	٣٢٨
لَا تَخْصِي الدِّينَ بِمَرْحُومٍ بِنَا أَمْوَاجُكُمْ	١٨٦	٤٩٥
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ نَفْسٍ	١٩	١٦٢
وَالنَّهَارِ		
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ هَاهُنَا وَقَعُودًا وَعَلَى حَتَمِهِمْ	١٩١	٢٧٧
بِنَا مَصْعَا مُنَادِيًا يُهَادِي لِلْإِيمَانِ	١٩٣	١٢٤, ١١٠, ١
وَسَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِلُّ عَمَلٍ مِنْكُمْ	١٩٥	٢٩٩
وَبَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ	١٩٩	٤٠٣

النساء

وَمَنْ كَانَ عَابًا مُبْتَغِيًا	٦	٣٩٩
وَبَدَا حَصْرُ الْفُسْطَةِ أَوْ لَوْ أَفْرَتِي	٨	٣٩٤
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُلُونَ أَشْوَالَ أَنْبِيَائِي طَلَعُوا	١	٣٩٩, ٢٣٠
وَبِهِنَّ الرَّيْعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ	١٢	٣٩٧
وَمِنْ بَعْضِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَبَعْدَ حُدُودِهِ	١٤	٢٢٧

الآية

٣٩٧	١٥	واللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سَائِغِ الْجَمْرِ
٤٠١	١٨	وَيَسِّبُ الْبُؤْسَ لِلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ إِذَا
		حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ
٣٩٦	٢	وَيَسِّبُ أَحَدَهُمْ مِطْرًا
٤١٩	٢٢	وَلَا يَكْفُرُوا مَا يَكْفُحُ أَبَاؤُكُمْ مِنَ النَّسَاءِ
٣٩٥	٢٤	فَمَا يَسْتَحْسِنُ بِهِ سَهْرًا
١٩١	٢٦	يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ بِكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ
١٩١	٢٧	وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُنَوِّبَ عَلَيْكُمْ
٣٩٦	٢٨	وَيُخْلِى الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا
٣٣٦	٣١	الرَّحْمَانُ قَوْمُونَ عَلَى النَّسَاءِ بِمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ
		عَنِ نَعْمٍ
٤٣٢	٤٣	فَمَنْ يَحْدُو مَا فَسَحُوا صَعِيدَ طَبِّ
٤ ١ ٤ ٢	٤٣	لَا تَفْرُوا الصَّلَاةَ وَالْأَمْرَ الْكَارِي
٢٢٩ ٢٢٤	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ تُشْرَكَ بِهِ
٢٨٤	٥٥	كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ
٤٧٨ ٢٧٩	٥٤	أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
٥ ٤ ٤٧١	٥٩	أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
٢٤	٧٦	إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
٤ ٤	٧٦	الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٩٥	٧٩	مَا أَصَابَكَ مِنْ خَسْفَةٍ فَسِ اللَّهُ
٧٤	٨	مِنْ نَاطِقِ الرَّسُولِ فَعَدَّ أَهْلًا عِ اللَّهِ
٤	٨٢	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَادِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عَدَدِ عِ اللَّهِ
		لَوْ جَدُّوا فِيهِ أَحْلَافًا كَثِيرًا
٥١٣ ٣٩٢	٨٣	وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ
٢٤	٨٣	وَلَوْ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً

الكتاب الثاني

٢٨١	٨٦	وإِذَا حُيِّتُمْ بِحَبِيبَةٍ فَقَبِروا بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا أَوْ رُدُّوْهَا
٣٣٢, ٢٢٦	٩٣	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّعْتَدًا
٩٧	٩٤	يَكُونْ عَمَلُهُ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
٣١٦	٩٤	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْمَسَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ سُبُّكَ مُؤْمِنٌ
٢٩٩	٩٧-١٠٠	بِالَّذِينَ تُوَفَّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفَتٍ لِّمَنَّهُمْ
٣٤٤	١٠٠	وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
٢٨٣	١٠٨	يَسْتَحْفِظُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفِظُونَ مِنْ اللَّهِ
٢١١	١١٢	وَمَنْ يَكْتَسِبْ حَقًّا أَوْ ثَمَنًا ثُمَّ يَرُدَّهُ يَرُدُّ
٢٨٠, ٢٨	١١٤	لَا حَبِيرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَخَائِلِهِمْ
٥٢٨ ٧٤	١١٥	وَمَنْ شَاقَّ الرُّسُلَ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَّ نَبِيَّ اللَّهِ
٣١٤	١٢٣	مَنْ يَفْعَلْ سَوَاءً مِثْلَهُ
٤٢٨	١٢٥	وَيُؤْمِرُ بِالْعَفْوَ وَالْعَظَمَةِ
٢٤٥	١٣٧	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
١٩٢	١٤٨	لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْمُجْتَهِنِينَ بِالْأَسْوَءِ مِنَ الْقَوْلِ
١٣٢	١٥١	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
١١	١٥٣	يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَهَنَّمَ
١٨١	١٥٣	سَأَلْتُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُرْسِلَ فِيهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ
٣٣١	١٥٧	وَمَا صُنُوعُهُ وَمَا صُنُوعُهُ وَكَرِهَتْ لَهُمْ
٣٨٣, ١٠٧	١٦٤	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
١٧٨ ١٥٥	١٦٦	أَمَرَهُ بِعَلَمِهِ
١٨٥	١٧٣	فَيُوقِئُهُمْ أَهْلَهُ هُمْ وَيُرِيدُهُمْ مِنْ عَمَلِهِ

المائدة

٢٦٣	٢	وَأَذِمْ حَسْبَ مَا صَاطَرُوا
٢٧٧	٢	وَمَعَاذُ اللَّهِ عَلَى الْبَرِّ وَالْعَقْوَى
٣٩٧	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ

الآيات

٢٦٥	٣	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
٤٠٢	٣	حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْعِهَّةُ
٤ ٢	٥	الْيَوْمَ أَحْلَلْتُ لَكُمْ الْفُصَيَاتِ
٢٨١	٨	مَائِيهَا الْدِّينِ امْشُوا كُونُوا مَوْتِينَ لَهُ شَهِيدٌ ، بِالْعِسَى
٢٧٥	١٢	وَلَعَدَ اللَّهُ مِيثَاقَ سِي بَسْرَئِيلَ
٣٩٨	١٣	فَاغْفِرْ لَهُمْ وَاصْلَحْ
٤٧٨	٢٠	ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ نُبِيًّا
٥٣	٢٣	قُلْ رَحْلَانِ مِنَ الدِّينِ بِحَقِّهِمْ أَمْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
٥٣٠	٢٤	فَادْعُبْ أُنْتُ وَرَبُّكَ فَدَانِلَا إِنَّا هَاهُنَا مُعْتَنُونَ
٥٣٠	٢٥	وَمَنْ يَنْسَى لَآ أَمْلَكَ إِلَّا نَفْسِي وَاحِدِي
٢٣٤ , ٢٩٢	٣٢	مَنْ هَلْ نَفْسًا نَقَرُ نَفْسِي أَوْ صَادِرِي لِأَرْضِ
٢ ١	٣٩	فَمَنْ دَابَّ مِنْ بَعْدِ طَلْعِهِ وَصَلَحَ
٢٩٧	٤٢	فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِينَ إِذْ يَخْلَوْنَ فِي أَصْحَابِهِمْ
٤٦٤	٤٤	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
٢٨٢ , ١١١	٤٧	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
٢٩٧	٤٩	وَأَنْ حُكِّمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ
٢٣٦	٥١	إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
٤٠٧	٥٥	يَعْلَمُ وَيُحْكَمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
٤٤١	٥٦, ٥٥	يَعْلَمُ وَيُحْكَمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
١٧٢	٦٤	بِأَمْرِهِ مَسْخُوطِينَ
٤٥٢	٦٦, ٦٥	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
١٩٦	٧٣	لَعَدَّ كُفْرًا لِلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ
٤٣٩	٧٩, ٧٨	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
٢٩٤	٧٩	كَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ عَنْ مَكْرِهِمْ
٤ ٣	٩٠	بِأَمْرِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
٢٦٨	٩١	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُفْضِلَ بَيْنَكُمْ الْمَدَارَةَ وَالْبَعْضَاءَ

الآية رقمها الصفحة

الإنعام

١٤٦	١٩	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ مِمَّنْ دَعَا
٣٨٧	٣٨	مَا فَخَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
٣٦	٣٨	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
٢٤٣	٦٨	وَأَمَّا رَبُّنَا الَّذِينَ يُحْضِرُونَ عِيبَ آبَائِنَا فَأَغْفِرْ عَنْهُمْ
٤٣٠	٦٨	وَأَسْبِغْ الشَّيْطَانَ وَلَا تَعْدُ يَدُكَ مَعَهُ
		أَقْوَمَ الظَّالِمِينَ
١٥١	٧٩ ٧٥	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُونَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
٤٦٨	٨٧ ٨٤	وَهُمَا لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ كَذَّابًا
١٢٧	٩١	ثُمَّ قَالُوا مَا نَأْمُرُكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ مَا نَحْنُ بِأَعْيُنِنَا
٣٨٩	٩٢	سَمِعَ أُمَّ الْقُرَى وَمِنْ حَوْلِهَا
٤٩٤	٩٣	وَمَنْ أَعْطَاهُ مِنْ أَمْرِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
٣١٩	٩٤	وَأَمَّا حَتِّمُوا فَرْدِي
١٦٦	١ ٣	وَجَعَلُوا لَهُ سُرُكًا مِنَ الْحَرِّ
٣٩٠، ١٨٦، ١٨٠، ١٧١	١ ٣	لَا يَأْتِيهِ الْآتُصَادُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآتُصَادَ
٢٣٧	١	وَعَلَى الْإِنْسَانِ عَصَافٌ
٢٧٥	١١٥	وَمِمَّا كَسَبَ رَبُّكَ صَدَقًا وَغَدَلًا
٥٣	١ ٦	وَأَنْ تَقِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِغَيْفٍ عَنِ سِرِّ اللَّهِ
٢١٢	١٢١	وَمَا الشَّيَاطِينُ لَوْ كَانُوا بِأَنَّاسٍ أَذْنًا
٤ ٢	١٢١	وَلَا يَأْتِيهِمْ مِنْ أَمْرِ إِلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ
٢١	١٢٤	أَنَّهُ أَعْلَمُ خَائِضَاتِ رَبِّهِ
٢٣٨، ٢١٩	١٢٥	مَنْ يَرِدْهُ مِنَ اللَّهِ شَرٌّ أَوْ بَرٌّ فَلْيُصِرْ بِهِ
٢٩٤	٤٨	سَيُفْعِلْ اللَّهُ أَمْرًا
١١١	٤٨	وَمَا أَسَاءَ اللَّهُ مَا أَفْسَدَ
٣٥٧، ٣ ١	٦	مَنْ يَأْتِ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّهِ
٣٤٦	١٦٥	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ

الأعراف

٥٣٠	٣	فَلْيَلَا مَا تَدْكُرُونَ
٣٥٧	٨	وَالْوَرَنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ
٧١	١٢	أَمَّا حَبِيرٌ مِمَّنْ جُلِّسَ مِنْ دَارٍ وَحَلَقَةٍ مِنْ طَبَقٍ
٢٧٩	١٣	مَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْتُمَ فِيهَا
٢١١, ٢١٢	١٦	فَمَا أَغْوَيْتَنِي
٢١٢	٢٣	رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
٢٩٥	٢٣	فَا رَّبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
٢١٢	٢٧	يَسِي أَدَمَ لَا يَفْشِكُمْ السَّبْطُ
٣٣١, ٣٣٣	٣١	وَبِكُلِّ أَمَةٍ أَحَدٌ
٢٢٤	٤٤	وَبَدَى أَصْحَابُ الْبَيْتِ أَصْحَابُ الدَّارِ
٢٢٣	٥٥	عَنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتِّ أَيَّامٍ
١٢٢	٨٠, ١٠٧	فَالْقَوْمُ عَمَاءُ فَرَدَا هِيَ تَعَارَى مَيِّ
٢١	١٧	فَرَدَا هِيَ تَقَعُ مَا مَأْكُورٌ
١٨٣	١٤٣	رَبُّ أَرَسِي أُنْطَرِ يَسْنُ
١٨٤	١٥٥	أَنْهَضْنَا بِمَا فَعَلَ السَّعْيَاءُ مَا
٤٢٩	١٥٧	النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي مَجْدُونُهُ مَكْنُونُهُ عِنْدَهُمْ
٤٣٨	١٥٩, ١٦٤	وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أَمَّهُ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَهْدُونَ
٣١٤	١٦٨	وَبَنِيهِمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالْمَنَاتِ
٥١٩	١٧	وَالَّذِينَ يُسْكِنُونَ مَالِكَاتٍ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
٣٧١	١٧٩	وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبَّتِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْحَرِّ وَالْإِسْ
١٥٧	١٨	وَلَقَدْ لَأَسْمَاءُ الْحَسَنِي فَادْعَوْهُ بِهَا
١٥	١٨٥	أَوْسَمَ يَطْرُؤُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
١٧٨	١٨٥	فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمَرُ
٤٦٠	١٨٧	وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
٤١٤	١٨٩	هُوَ الَّذِي جُلِّسَكُمْ مِنْ بَيْنِ وَاحِدَةٍ
٢٨٦, ١٧٨, ١٠٣	٢٤	وَأَدَا فَرِيئَ الْقُرْبَانِ فَاسْتَمْعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

الأنفال

٢٨٠, ٢٣٢	٢	يَسْمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذْ دُكِرَ لِلَّهِ وَجِبَتْ لَهُمْ
٤٢٥	٧	إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِ أَنَّهَا لَكُمْ
٢٥٩	١١	أَذْ يَعْصِيكُمُ اللَّهُ أَتَمَّ مَثَلٌ
٢٨٧	٢١	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمْعًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
٢٩٤	٢٢-٢٣	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمْعًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
١٢٩	٢٨	أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَمَا
٣ ٦	٢٨	فَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ سَهْرًا نَقَرَتْ لَهُمْ مَا فِي سَفَرِ
٤٣٢	٤١	وَأَعْيَنُوا أَمَّا عَيْشُكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لَهُ حُكْمًا
٤١٥	٤٣	أَذْ يَرْبِكُهُمُ اللَّهُ فِي مَامَتٍ قَلِيلًا
٤٧٩, ٤٠٢	٦٥	إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِقُونَ
٤٠٢	٦٦	إِلَّا أَنْ يَخْفَى اللَّهُ عَنْكُمْ
٣٩٨	٧٢	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا
٢٣٢	٧٤	وَالَّذِينَ هُمْ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٣٩٨	٧٥	وَأُولَئِكَ الْأَرْبَعُ نَقَضَهُمْ أَوْ تَرَى يُعْطَرُ

التوبة

٢١١	١	بَرَاءةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
		الْمُشْرِكِينَ
٣٩٨	٤	إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
٣٩٨	٥	فَاقْلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
٣٨٣	٦	وَأِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ
١٠٩	٦	وَأِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
٤١٩	١٩	أَجْعَلْهُمُ سَعْيَهُ الْخَاجَ وَعِمَارَهُ الْمُسْتَعْدَّ الْحَرَمَ
٤٠٣, ٣٩٧	٢٨	يَسْمَا الْمُشْرِكُونَ سَحَرٌ

الأبجدية

٣٩٨	٢٩	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
٤٤٩	٤٠	إِذْ هَمَّ بِالنَّارِ
٤٥٠	٤٠	فَأَرْسَلَ اللَّهُ مَكِبَّتَهُ عَلَيْهِ
٣٩٨	٤١	انْمُرُوا صَمَاتًا وَنَقَالًا
٢٣٠	٤٩	وَأَنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
٣١١	٥٢	قُلْ هَلْ تَرْتَابُونَ هَذَا إِلَّا رِجْدَى الْخُسْفِيِّ
١٢٨	٦٠	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
٣٩٨	٧٣	بِأَنَّهُمَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
١٧٣	٧٧	فَأَغْرَقَهُمْ نَارًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ
٢٤٤, ٣٣١	١١١	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
٣ ٢	١١٢	الْمَالُونَ الْعَالِدُونَ لِيُحَامِلُوا
٤٥٥	١١٧	لَقَدْ قَاتَى اللَّهُ هَلِيَّ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
٢٩٣	١٢٢	عَلَوْا نَقَرًا كُلَّ مَرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيُبْغُوا فِي الْأَرْضِ
٢٩٨	١٢٢	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيُعْرِضُوا كِتَابَهُ
٢٣٢	١٢٨	حَرَبِيٍّ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفًا رَحِيمًا

يونس

٢٥٥, ٦٦	٨١٧	إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
١٨٥	٢٦	لَنَدْبِينَ أَحْسَنُوا الْخُسْفَى وَرِيَادَةً
٢٤٠	٣٢	مُتَدَا مَعْدَ الْحَيِّ إِلَّا الصَّلَاةَ
٤٤٠	٣٥	أَفَسَ يَهْدِي إِلَى الْحَيِّ أَحَقُّ أَنْ يَنْجُو
١٧٨	٣٨	أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ

هود

٩١	٧	وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
٤٢٤	١٣	أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ قُلْ قَاتِلُوا مَعْشَرَ سِوَى حَبْلِهِ مُعْتَرِلَاتٍ
٥٢٩, ٤٦٠	١٧	وَنَكِبَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
٥٣٠, ٤٥٩	٤٠	وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

الآية رقمها الصفحة

١٨٤	٤٦-٤٧	وَبَادَى نُوحٌ رَأْيَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَنسَى مِنْ أَهْلِي
٢٢٥	١٠٣-١٠٨	وَلَقَدْ يَوْمَ مَخْنُوعٌ لَهُ النَّاسُ
٣٥٧	١١٤	إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ
٥١٣	١١٨، ١١٩	وَلَا يَرِثُنَّ مِنْهُمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

يوسف

٤٣٣	٢٤	وَلَقَدْ حَبَّابُنَا لَهُ وَهَمٌ بِهَا
٤٣٣	٣٤، ٣٣	وَالْأَمْرُ إِذْ أَوْفَىٰ كَيْدُهَا أَصْبَحَ يُنْفِثُ
١٥٥	٧٦	وَمِنْ كُلِّ دِيٍّ عِلْمٌ عَلَيْهِ
٢٦١	٨٤	وَمَوْلَىٰ عَلَيْهِمْ وَقَالُ يَا أَفْسَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ
٣٢٣	٨٦	لَمَّا أَتَيْنَاهُ نَحْنُ وَخَرْنَاهُ إِلَىٰ اللَّحْدِ
١٢٨	٩٤	أَنِّي لِأَحَدٍ رَجُلٌ يُوسُفَ
٥٣٠	١٠٢	وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ مُوَدِّعٍ



الزمر

٢٢٩	٦	وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَىٰ النَّاسِ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُ
٣١٧	٤	فِي الْأَرْضِ فَطَعْنَاهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فَاصْطَبَقُوا
٤٧	٣٩	وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا سَوَتْ مِمَّا كَفَرْنَا بِهِ لَكُنَّا كَمَا كُنَّا
٥٠٤، ٣٩٣	٣٩	بِمَنْحِ الْفَلَاحِ بِنَاءٍ وَيُتَبِّحُ

إبراهيم

٢٧٢	٧	وَبَدَأَ إِذْ يَسْتَرْحِبُونَ لِيَسْلُبْهُمُ آلَهُمْ بَعْدَ ذِكْرِ
٢٤١	٢٢	وَقَالَ السُّعُودُ لَمَّا قُصِيَ الْأَمْرُ
٢٧٢، ٢٣١	٢٨	أَلَمْ تَرَىٰ إِلَىٰ الْآلِدِينَ بَدَلُوا فَمِنْ نَحْنُ كَفَرًا
٢٤	٣٦، ٣٥	فَالْإِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
٢٩٥	٤١	وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰ عَلَىٰ الْكِبَرِ أَسْمَاعِيلَ إِسْحَاقَ
٣٧٥	٤٨	يَوْمَ تَدْعُنَ إِلَىٰ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ

الترتيب	الرقم	الوصف
---------	-------	-------

الحجرات

٢٨١	٩	إِنَّا نَحْنُ مُرْسِلُو الدُّكَّانِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
٤٠٤	١٥، ١٦	وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
٢٤٠	٤٢	إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
٣٦٦	٤٤	لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
٣٤	٩٩، ٩٨	فَتَحَّ بِمُحَمَّدٍ رَبِّكَ وَكَانَ مِنَ السَّاجِدِينَ

النحل

٢٥٦	١٨-٣	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
٢٦٢	٩	وَعَنَى اللَّهُ فُضْلاً السَّيْلِ
١٩٢	٤	بِمَا مَرَّسْنَا لُشَىءَ إِذَا أَرَادْنَاهُ أَنْ يَكُونَ
٥٠٤، ٤٧٧	٤٣	فَإِذَا أَرَادْنَا لَأَعْلَى الدُّكَّانِ أَنْ يَكُونَ
٢٩٥، ٢٥٨	٥٢	وَمِنْكُمْ مِّن مَّعْبُودٍ فَمِثْلُ اللَّهِ
٣٨٥	٦٤	وَمِنْكُمْ مِّن مَّعْبُودٍ الْكِتَابِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَحْتَفِظُ بِهِ
٤٠٣	٦٧	تَعْبُدُونَ مِنْهُ مَكْرًا وَرِقًّا خَصًا
٤١٥	٦٨	وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
٣٣٧	٧١	وَاللَّهُ فَضْلٌ بِمَنْصُكُم عَلَىٰ مَنْصُورٍ مِنَ الرُّزْقِ
٢٧٢	٧٢	أَمْثَلُاطِلٍ يُؤْمِنُونَ
٣٣٦	٧٥	صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا خَبَثًا مَّثْلُوكًا لَا يُعْزِرُ عَمَّا شِئَءٍ
٢٦٢	٧٨	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَمْهَانَكُمْ لَا يَنْصَرُونَ شَيْءًا
٢٦	٧٨	وَجَعَلَ لَكُمْ السَّعْيَ وَالْأَنْصَارَ وَالْأَفْعَادَ
٢٥٦	٨٣-٨٠	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ مَكْنًا
٢٧٢	٨٣	يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا
٢٠١	٩٠	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
٣٨٩	٩٣	يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ

رقبها	الصفحة	الأبجدية
٩٨	٢٤٤	فَدَّ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٩٨	٢٤١	فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
١٠٣	٤١	وَبَعْدَ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ
١٠٥	٢١١	إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
١١	٢٩٩	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُضِيَ
١١١	٣٦٠, ٣٥٨	يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
١١٢	٢١٠	وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِمَنْ كَانَتْ أُمَّةٌ مَطْمَئِنَةً
١١٤	٢٧١	فَكُنُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
١١٨	٢٦٧	وَمَا طَلَبْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَهْتَظِمُونَ
١٢-١٢٣	٢٧٤	إِنَّ بِرَّاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانًا لِمَنْ حَبِيبَ

الإسراء

٢	٢٧٤	فَرِيقَهُ مِنْ حِمْلِكَ مَعْ رُوحِ
١٢, ١٣	٣٦٣	وَكُنْ إِنْسَانًا أَلْفَاةً طَائِفَةً فِي عَقْبِهِ
١٥	٤١٤	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْصُرَ رُسُلَنَا
١٦	٤٠٨	أَمْرًا مُتَرَجِّعًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ
٢	٣٦٨	كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ
٢١	٣٤٦	نَظَرُ كَيْفَ نَصَبْنَا نَعَضَهُمْ
٢٣	٤٨	فَلَا تَقُلْ لَهُمَا كُفَّ
٢٣	٢١٤	وَمَعِيَ رَبِّكَ أَلا تَعْتَدُونَ إِلَّا بِهِمَا
٣١	٣٤٣, ٣١٨	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّى حُشِيَ أَعْمَالُكُمْ
٣٦	٢٩٥	إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ
٣٧	٩١	إِنَّهَا لَمِنْ شَرِّ الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْلَغَ الْحَبَابُ طُولًا
٤٢	١٦٤	لَوْ كَانَ مَعَهُ نَهَارٌ كَمَا يُقُولُونَ
٨٥	١٤٣, ١٤٢	وَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ
٨٨	٤٩٤, ٤٩٣, ٤٢٤, ٤١	فَرَأَى مِنْ اجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيِّ عَلَى شَيْءٍ يَأْتُوا حَسْبَ

هَذَا الْقُرْآنُ

الصفحة	رقمها	الآية
١٧٨	٨٨	لَنْ يَحْتَسِبَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ
٤١٤	٩٥	قُلْ نُوَكِّدُ أَنْ يَكُنَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَحْشُونَ مَطْعِمِينَ
١٥٧	١١	قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ
٤٠٥	١١	وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ مِنْهَا
٢٨٢	١١١	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

الكهف

٣ ٢	١٠٤، ١ ٣	قُلْ هَلْ مَنَعَكُمْ أَلَّا يُخْرِجَ الْأَعْمَى
٣٨٣	١ ٩	قُلْ نُوَكِّدُ أَنْ يَكُنَ فِي الْبَحْرِ مَدَافَا لِكُنُفَاتٍ وَتِي
١٧٤، ١٧٣	١١	مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
٣٦٢	١٩	يَوْمَئِذٍ مَا لِهَذِهِ الْكُتُوبِ لَا يُعَادِرُ صَعْمَةً وَلَا كِبَرًا
٣٤٣	٣٠	وَمَا أَتَاهَا إِلَّا الشَّقْطَانُ أَنْ أَدْكُرَهُ
٢٠٤	٨٢ ٦٤	فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا صَحْصًا
٤٣٠	٧٣	لَا تَوَاعَدَنِي بِمَا سَمِعْتَ
١٢٨	٧٩	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ

مريم

٤٥٢	٦٠٥	وَبَيْنَ خَفَّتِ السَّوَالِي مِنْ وَرَائِي
٢٣٩	٨٣	أَمَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْوُهُمْ رُ
١٢٢	٩٨	هَلْ نَحْصُرُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ

طه

٣٨٩	٥	الرَّحْمَنُ عَلَى الْقُرْآنِ اسْتَوَى
١ ٣	١٤	إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي
٣١٥	١٥	أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا
٢٩	١٨٠ ٧	وَمَا نَتَّكُ بِبَيْبِطِكَ يَا مُوسَى

الأنبياء

٣٩٠	٧١	وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي حُدُودِ الْخَلِّ
٢١١	٧٣	بَنَّا أَمَّا بَرْتَا لِيَعْمَرَ لَ حَطَابَا
٢٤٠	٧٩	وَأَصْلُ فَرْعَوْنَ مَوْنَةٌ وَمَا هَدَى
٣٠٦، ٢٢٩	٨٢	وَيَسَى لَعْنَارُ لَمْسَ تَابَ وَأَمْسَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى
٢٤٠	٨٥	وَأَصْلُهُمُ السَّامِيُّ
٣٥٥	١٠٢-١٠٤	يَوْمَ يَفْتَحُ فِي الصُّورِ
١٢٢	١٠٨	وَحَسَبَ الْأَصْوَاتِ لِرُخْمِ
٣٥٦	١٠٨	يَوْمَئِذٍ يَقُولُ الذَّاكِرِ لَا عِوَجَ لَهُ
٤٣٠	١١٥	بَنِي وَلَمْ يَحْدِلْهُ عِزًّا
٤٣٥	١٢٢، ١٢٣	وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى
٤٢٨	١٣٤	وَلَوْ أَنَّا أَهْنَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ

الأنبياء

١٧٥	٢	مَا نَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ
٢٩٦	٢	نَسْجُونَ النَّارَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ
١٦٤	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
٣٦٨	٢٨	وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى
٣١١	٣٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِعَةُ الْمَوْتِ
٢٦٢	٣٧	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
١٢٢	٤٥	وَلَا يَسْمَعُ الصَّغِيرُ الدُّعَاءَ إِذْ مَا يُدْرُونَ
٣٥٦	٤٧	وَبَصَّحَ الْغُورِينَ الْقَيْطُ لِيَوْمِ الْعِيَامِ
١٢٤، ١٠٢	٦٠	قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ
٤٣٠	٨٧	وَدَّ الْبُورُ إِذْ دُفِعَ مُعَاصِدًا
١٢٣	١٠٢	لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا
٣٧٥	١٠٤	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْنِ لَكُنَّ

الأسماء والألقاب

الحج

٢٥١	٧-٥	وتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَاصْتَبَتْ وَرَبَّ
٢١١	١٠-٨	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
٢٨٥	١٩	هَٰذَا حَصْبَانِ احْصُوا فِي رَبِّهِمْ
٢٨٥	٣٠	وَحَسُّوا قَوْلَ الرَّؤُوفِ
٢٧٧	٣٠	وَمِنَ الْمُعْظَمِ حُرْمَاتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
٢٧٧	٣٢	وَمِنَ الْمُعْظَمِ شَعَائِرُ اللَّهِ فَأَنفُسُهَا مِنَ تَقْوَى الْقُتُوبِ
١٨٣	٣٧	لِيُبَالِ اللَّهُ لِحُرْمَتِهَا
٣٩٨	١٠، ٣٩	أَدْرُ لِّلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ظُلُمَاتٌ
٢٦٥	١	وَيُؤَلِّقُ اللَّهُ النَّاسَ فِي أَنْفُسِهِمْ نَجَسًا
٢٣٢	١٠	وَيَسْخَرُونَ لِلَّهِ مِنْ مَّصَرَةٍ
٢٨٨، ٢٦٠، ٥٨	١٦	أَعْلَمَ بِمَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ صَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ
٢٤٣	٥١-٥٢	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
٢٤٥	٧٢	تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الشُّكْرَ
١٦٨	٧٣	وَإِنْ يَسْتَفِهُمُ الدَّيَّانُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ
٤٧٦، ٤٣٩، ٢٧٤	٧٨	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

المؤمنون

٢٧٦	٢٠١	مَدَّ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ
٢٣١	١١-١	فَدَّ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ
١٢٧	٢	الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَخَاشِعُونَ
٢٨٨	٣	وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
١٢٨	٤	وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّكَّاءِ هَاجِلُونَ

الأسئلة

١٦٢, ٧٩	١٤ ١٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين
٢١١	٧٥	ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
١٦٤	٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من شيء
٢٤٤	٩٨, ٩٧	وقل رب أعوذ بك من همزات الباطن
٢٧٢	١ ١	فإذا نفع في الصور فلا أسيب بيهن يموت ولا
		سألوك
٢٥٦	١ ٣, ١ ٢	من نفت مواربه فأولئك هم المفتحون
٢٢٨	١١٥	أحسبتم أنما خلقناكم عبثا

النور

٢٩٧	٢	الرأية والرائي
٢٣٣	٢	ولا أحدثكم بها رافة في دين الله
٢٢٢	٥	ولا تقولوا لهم شهادة أبدا
٢ ٨	١٦	وتخشونه همما وهو عند الله عظيم
٣٠٨	١٩	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
٢٨٩	٣١, ٣	فل للمؤمنين بغض من أنصارهم
١١٠	٣١	ولا يضرني بأرجحهم
٢٨٢	٣٥	الله نور السماوات والأرض
١٥٦	٣٦	في يوم أدن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
٢٣٦	٣٨	بغيرهم الله أحسن ما عملوا
٢١١	٣٩	والذين كفروا أعمالهم كتراب ينفخ
٢١١	٥٠	أعني قلوبهم مريض أم أربابا
٢٢٣	٦١	نس عنى الأعني حرج

القرآن

٢٣٩	١٨١٧	وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْقِلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
٢٤٠	٢٩-٢٧	وَيَوْمَ يَحْشُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ
١٢٦	٣٠	وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا
٩٩	٤٤	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
١٨١	٤٥	أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ
٤٩٢, ٢٨٢	٦٣	وَأَنَّا نَحْطِبُهُمْ الشَّجَارُ فَاتُخَذُوا سُلَاحًا
٢٦٩	٦٧	وَالَّذِينَ إِذَا تَعَمُّوا تَمُومُوا
٢٨٣	٦٨	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
٢٨٨, ٢٨٥	٧٢	وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ
٢٨٧	٧٣	وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْزَنُوا عَلَيْهَا أَنُفَرًا

الشعر

٢١٩	١	إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّهُ
١٧٥	٥	وَمَا أَنِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُنْجِدٍ
٢٧٧	٢٤	رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
٤١١	١٩٧-١٩٢	وَأَنَّهُ لَسُبُّ رَّبِّ الْعَالَمِينَ

الفعل

٢٤٥	١	رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ
٤٣٤	١١٠١٠	وَأَلَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا خِدْدٌ وَلَّى مُدْبِرًا
٤٥٢	١٦	وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ
٢١٠	٢٣	وَأُوبَيْدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
١٨١	٣٥	وَأَنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ

المعجم العام

٣١١	٤	هَذَا رَأَى مُسْتَعْمِرًا عِنْدَهُ
٢٧٢	٤١	قَالَ هَذَا مِنْ عَصْرِ رَبِّي
٥٠٣، ٤٩٤	٦٥	قُلْ لَا يَعْلَمُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ
٢٧١	٧٣	إِنَّ رَبَّكَ لَنُورٍ مُضِيٍّ عَلَى النَّاسِ
١٢٦	٧٦	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ بِهِ يَخْتَلِفُونَ
١٢٢	٨٠	بَلْ لَا تَسْمَعُ الْقَوْتِي وَلَا تَسْمَعُ النِّصْمَ الدُّعَاءَ
٦٦	٨٤، ٨٣	وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ هَؤُلَاءَ

القصاص

٣٧١	٨	فَانْتَقَطَ آلُ فرعونَ
٥٢١	١٥	فَرَحَدَ بِهَا رَجُلَيْنِ يَفْتَنَانِ
٢٤٢	١٥	وَإِنْ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشُّعْطَانِ
٢٩٦	١٦	وَإِنْ رَبِّي أَنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي
٣٠	١٧	وَإِنْ رَبِّي بِمَا كُنتُ فَعَلٍ فَلْيُقَدِّرْ لِي ظَهْرًا لِنُجْرَتِي
١٠٧	٣٠	إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
٢٣٦	٥٦	إِنِّي لَا تَهْدِي مَنْ أُخْتِيتُ
٢١١	٨٤	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ
١٧٢	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

العنكبوت

١٢٧	٢٠	الْمَاءِ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا
٥١٣	٣-١	الْمَاءِ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
٥١٤	٤	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِثْقَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

الطاهر من العبد

٥١٤	٥	من كان يرحم لعاء الله
٥١٤	٥	وهو السبع العليم
٥١٤	٦	ومن جاهد منسا يجاهد نفسه
٢٢٧	١١	فلت عيهم ألم من إلا حنين عات
٣٠	٢٦	فأس له يوط
١٦٨	٤١	مثل الذين اتحدوا من دور الله أول
٢٦٤	٤٥	إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
٤١٠	٤٨، ٤٧	وكذلك أترقا إيث الكتاب
١٢١، ١١٩	٤٩	بل هو آيات بيات هي صدور الذين أوتوا العلم
٤٢٥	٥١	أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك كتاب تتلى عليهم

الزوم

١٢٥، ١٧١	٣ ١	الم غلب الزوم
٢١١	٩	فما كان الله ليعذبهم
٢٨١	١٨، ١٧	فبما الله حين يفتون وحس نصحون
٢٦ ١٢٩	٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف
		النسك والقرآنكم
٢٥٩	٢٣	من آياته سأمكم بالليل والنهار
٢٦٢	٣	فأقم وجهك للدين حنيف
٣١٨	٤	الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
٣٥١	٥٠ ١٨	الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
٣٥٥	٥٩، ٥٥	ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
		ساعة
٢٦٢	٥٦	وقال الذين أوتوا العلم والإيمان

الكتاب

الصفحة

القسم

٢٥٨	٣-١	الم، تلك آيات الكتاب الحكيم
٢٦٧	١٣	إن الشر لا يظلم عظيم
١٦٦	٢٨	ولكن سألهم من حسن السماوات والأرض يقولون الله
٥٠٣	٣٤	إن الله عنده علم الساعة
٤٩٤	٢٤	وما تدري نفس ماذا تكسب غدا

المبجدة

٤٩٥	١١	فل يوفاكم ملك الموت الذي وكن بكم
٤٢٨	٢٤، ٢٣	ولقد أتينا موسى الكتاب فلا تكفر في مرة من لعاله
٤٧٨	٢٤	رحمتنا منهم أئمة يهتدون بأمرنا لعا صرنا

الأحزاب

٣٩٩	١	إلا أن نعموا بلى أوليائكم منكم ومنهم
٤٩٥	١	التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
٢٧٦	٢٤، ٢٣	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
٢٨	٢٣	وقرن في تبرمكم
٢٧٧	٢٥	إن المؤمنين والمؤمنات والمؤمنين والمؤمنات
١٧٩	٢٨	وكان أمر الله قدرا مقهورا
٤٣٧	٤٠	ولكن رسول الله وخاتم النبيين
٣٨٢	٤٦، ٤٥	أما أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
١٢٨	٥٣	لا مدخل يومئذ للبي
٤٩١	٥٣	وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
٤٤٧	٥٣	بأيها الذين آمنوا لا مدخل يومئذ للبي
٢٨٦	٥٨	والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا

الترقيم	الترقيم	الترقيم
---------	---------	---------

سبا

١٣	٥٣٠, ٤٥٩	اعملوا ان ذابوا ذكرا
١٣	٢٧٩	وقيل من عبادي الشكور

فاطر

١	٤٢٠	جعل الملائكة رسلا اولي اجنحة
١	٥٢٩	وإن يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك
٢٨	٤٤٠	إنما يحشى الله من عباده العلماء
٣٢	٥٠٤, ٤٧٣, ٤٧٢	ثم أوردنا الكتاب الذين اضطعنا من عبدا
٣٣	٤٧٢	جئات هذه يدخونها
٣٧, ٣٦	٤٧٢	والذين كفروا لهم نار جهنم
٣٧	٤٧٣	فما للظالمين من نصير
٣٩	٤٧٣	هو الذي جعلكم خلائف في الأرض
٤٥	٢٩٥	ولو لم لأحد الله الناس بما كسبوا

يس

١٢	٣٦٢	إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا
١٥	١٢٦	قالوا ما آتاكم إلا نثر متنا
١٩, ١٨	٣٦٣	قالوا إنا نظنكم بكم
٣	١٩٢	يا حسرة على العباد
٥١	٣٥٥	ونفخ في الصور
٦٠	٢٤٢	ألم أعهد إليكم يا بني آدم
٦٢	٣٤٢	والعدا أصل منكم جيد كنتم
٦٨	٣٢٨	ومن نعمة نكته في الحق
٧٧- ٨٣	٣٥٢	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة ود هو حصيم

مبين

الصفحة	المعجم	المعجم
--------	--------	--------

المصاحفات

٣٥٨	٢٤	وَمَعَهُمُ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ
٣٧٣	٣ - ٢٨	قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ سَاقُونَ عَنِ النَّبِيِّ
٣٧٥	٤٩، ٤٨	وَعَنْهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ
٣٥٤	٥٩ - ٥٠	وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
١٦٧	٥٧، ٥٦	فَالِ تَالِلهُ إِن كُذِّبَتْ لَنُؤَدِّيَنَّ
٥٣	٧١	وَمَعَهُ صَلَّ عَلَيْهِمْ أَكْثَرُ الْأَوْسِ
٥٢١	٨٤، ٨٣	وَأَن مَرَّ سَبْعَةَ لَأَتْرَاهُمْ
٢١٠، ٢٠٩، ١٦٨	٩٦، ٩٥	أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ
١٨٢	٩٩	يَا دَاهِبْ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِي
٣	٩٩	وَقَالَ إِنِّي دَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِي
٢٢١	١٧٩	وَقَالَ إِنِّي دَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِي
٤١٥	١٢	يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَرْسَلْتُ فِي الْأَنْبَاءِ أَنِّي دَاهِبٌ
١٦٧	١٢٨، ١٢٧	فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّخْضَرُونَ
١٦٦	١٦٠ - ١٤٩	فَاسْتَفْهَمُوا الرِّبَالَ اسْتِثَابًا وَبِهِمُ الْقَوْلُ
١٧٩	١٨	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

من

٤٩٤	٤٣١	٢٤ - ٢١	وَقُلْ أَنَا أَنَا الْحَقُّمُ دُؤُورُ نَحْرَابِ
٢٩٦		٢٤	فَاسْتَعْمَرُوا رَنَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
٤٥٩		٢٤	وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفِتْنَةِ قَبِيحٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
٢١٤		٢٧	دَلَّكَ طَرِيقَ الدِّينِ كَمَرُ
٣٣٨		٢٧	وَمَا حَقَّقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا طَهْلًا
٢٨١	١٢٦	٢٩	كِتَابُ أَرْسَالِهِ إِلَيْكَ مِمَّا
٤٩٦		٣٩ - ٣٤	وَلَعَدْنَا سُلَيْمَانَ وَأَنَّهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَدِ

الآية	رقمها	الصفحة
وَبِأَعْيُنِنَا رَبُّكَ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ دَعْوَاكَ	٢٥	٢٩٦
وَأَمَّا كَرِهُوا عَذَابَ النَّارِ	٤١	٣٢٣
فَلَمْ يَسْأَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُنْصَرِفِينَ	٨٨ ٨٦	٤٣٥
الزمر		
فَاسْتَدِ اللَّهَ مَخْلَصًا لَهُ الدِّينَ	٣ ٢	٢٦٦
إِنْ تَكْفُرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَمَىٰ عَنكُمُ	٧	٢٧٢
وَبَدَا عَمَىٰ الْإِنصَالِ حَرُّ دَعْوَتِهِ حَتَّىٰ آتَىٰ	٨	٢٦٢
أَنْ هُوَ ذَاكَ مَا الْبَيْتُ سَاحِدٌ وَذَلِكَ	٩	٣ ٣
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ هَمَزُوا وَلِذِينَ لَا يَمُومُونَ	٩	٤١
فَإِنَّمَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَهْلِ اللَّهِ وَمُخَلَّفِيهِ	١٢	٢٧٦
هَلْ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَمَّا لَهُ مَخْلَصٌ	١١	٢٧٦
وَعِبَادُ فَاتَقُولُوا	١٦	٤ ٦
لَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَسْمَعُونَ	٨	٥١٩
اللَّهُ رَزَقَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ	٢٢	١٢٦
فَلِأَمْرِهِمْ مَا يَنْشُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ	٣٨	١٦٨
عَذَابٌ		
وَلَكِنْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ حَقِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِعَوْنِ اللَّهِ	٣٨	١٦٦
إِنَّا نُرْقِئُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ فَتَشِيقُ بِالْحَقِّ	٤١	١٢٦
اللَّهُ يَرْفَعُ الْفَقْرَ حِينَ يَشَاءُ	٤٢	٢٥٩, ٣٣٩, ٣٥٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا كِتَابَ الْتَوْبَةِ حَتَّىٰ	٥٣	٢٢٧
فَلِأَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ	٥٤	٣٠٦
فَلِأَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ	٥٤:٥٣	٤٠١
رَأَيْتُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ	٥٤	٢٢٧
اسْمَعُوا أَحْسَنَ مَا يُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ	٥٥	٥١٩

الأبجدية

١٧٢	٥٦	ما حَسَرْنَا عَلَى مَا مَرَّطْنَا فِي حَسْبِ اللَّهِ
٥٢٧	٦٠	وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ
٢ ٩	٦٢	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
٣٩	٦٢	خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
٣٧٥	٦٧	وَالسَّارَابِ مَضُوءَاتٌ بِمِجَاهِ
٣٥٦	٦٨	وَمَعَ فِي الْقُبُورِ فَصَقَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ
٣٦٦	٧٥-٧٦	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ رُمُوا

الحاضر

٢٨٥	٤	مَا يُحَادِّثُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
٣٥٣	١١	قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلَيْسَ فِي آيَاتِنَا أَنْتَبَهُ
٢٧٦	١٢	فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
٣٦٨	١٨	مَا لِقَاطِلِينَ مِنْ جَنَمٍ
٥٢٨	٥١	بِمَا نَصَرُوا رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
٣٣٢	٥٢، ٥١	بِمَا نَصَرُوا رَسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
٢٧٩	٥٦	إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعَهُ مُنْقَلَبِينَ إِلَيْهِمْ
٥٢٩	٥٧	وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
٥٢٩	٥٩	إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
٣٣٩	٦٧	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ ثُمَّ مِنْ نَفْسٍ
٣٧٦	٦٨	هُوَ الَّذِي يُخَيِّمُ وَيُنَسِّفُ
٤١٨	٧٨	وَلَعَدْ رَسُولَنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ

فصلت

٣٨٤	٤ -	حم، تبريل من الرخصي الرحيم
٣٩	١	ثم استوى إلى السماء وهي دحان
٢٣٦	١٧	وأتى نمرود فهدبهم فاستحووا لعمى غير الهدى
١	٢١	وكانوا يفتنهم ثم شهدتم عيب
٥٢٩	٣٢ ٣	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغابوا
٤٣٨	٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً
٢٨٢	٣٢	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
٣٢٥	٣٥، ٣٤	ادفع بالتي هي أحسن
٢٤٤	٣٦	وإن يترعث من الشجر رزق
٣٨١، ١٤٠	٤٢، ٤١	وإنه لكتاب عزيز
٣٨٤	٤٤ ٤١	إن الذين كفروا بالذكر لن جازمهم
٢٧٥	٤٣	ما بقان لك إلا ما قد قيل لنرسل من نريد
٢٨٧	٤٤	والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر
٢٢٣	٤١	وما رئت مظلماً لتعبد

الشمس

٢٩٦	٥	نكاد السماوات ينقطعن من فوقهن
٥١٣	١	وما استلقم فيه من شيء فحكمته إلى الله
٥٢٦، ٣٩٠، ١٦٩	١١	بشر كمثلته شيء
٢٧٤	١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
٣٥٧	١٧	الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان
٣٠١	٢	من كان يريد حرث الآخرة رذ له في حرثه
٤٧٣	٢٢	قرى الظالمين مشغفين بما كسبو
٤٧٦، ٤٧١	٢٣	فمن لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى
٣٠٦	٢٥	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

رقمها	الصفحة	الأبي
-------	--------	-------

٢٥٥	٢٧	ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض
٣٢٥	٤٣	ومن صبر وعمر
٣٣٧	٥٠، ٤٩	بحلق ما يشاء
٤١٦	٥٢، ٥١	وما كان بسبر أن يكفبه الله إلا وحيا
٢٢٥	٥٢	وانت لتهدي إلى صراط مستقيم
٣٦٥	٥٣، ٥٢	وانت لتهدي إلى صراط مستقيم
٣٨١	٥٢	وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا

الزخرف

٢٨٤	٤-١	حم، والكتاب النبوي
١٦٧	١٩-١٥	وجعلوا له من عباده جزءا
١٦٧	١٨	أول من ينسأ من آلله وهو في الحسم عبر ميق
٢٢٥ ٢٥٢	٣٢	هم يفسقونه رحمة ربك
٢٢٥	٣٧، ٣٦	ومن معي من ذكر الرخص
٣٨١	٤٤	وانه لذكرت ولم نمل
٢٢٧	٧٤	إن المخرمين في عذاب جهنم خالدون
١٧٠، ١٢١	٨٤	وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إلهة

الدخان

٢٨٤	٦-١	حم، والكتاب النبوي
٣٧٥	٥٤	كذلك و أحاطهم بخور عيب
٣٥٣	٥٦	لا يدفون بها الموت، لا الموتى لأولى

الجنات

١٥٠	٦-٣	إن في السماوات والأرض لآيات لمن فهم
٣٨٤، ٢٧٧	٢٠	هذا صائر مدلس وهدى ورخصة
١٦٤، ٧٩، ٦١	٢٤	وعانوا ما هي إلا حات الدنيا حوت ومحبيا
٤٧٨	١٦	ولقد أنشأ بني إسرائيل الكساة وشحكهم وسوء



الأحقاف

١٦٨	٥	وَمِنْ أَصْلٍ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ أَنَّهُ يَقُولُونَ اقْتِرْأْهُ
٤٠٩	٨ - ١	وَمِنْ عِنْدِ كِتَابِ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَعَاثُوا وَأَدَّ صِرْقَانَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ النَّاسِ بَنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى
١٧٥	١٢	
٥٢٩, ٢٧٦	١٣	
١٢٥	٢٩	
١٢٥, ١٠٣	٣٠	

المحمد

٢٣٥	١-٦	وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَن يَصِلْ أَعْدِلُهُمْ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّيْلِ لَّمْ يَحْمِلْ طَعْنَةً وَمِنْهُمْ مَن يَسْمَعُ بِاللَّيْلِ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عَمَلِهِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا رِزْقَهُمْ هَاهُنَا وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ أَفَلَا يَذْكُرُونَ الْقُرْآنَ أَنَّمَا عَنَى قُبُوبِ أَفْعَاهَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْنَعُ اللَّهُ وَكَرِهُوا رَسُولَهُ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ عَرَضٌ أَن لَّا يُخْرِجَ اللَّهُ أَعْدَابَهُمْ
١٢٩	١٥	
٢٣٧	١٦	
٢٣٦, ١٨٥	١٧	
١٢٦	٢٠	
١٢٦	٢٤	
٣٠٢	٢٨	
٢١٦	٢٩-٣١	

الفتح

٢٩٦	٢ ١	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغِيرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ تَعْلَمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي قَدْ تَعَلَّمَ مِنَ قُلُوبِ إِنَّا جَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْقَحِيحَةَ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
٤٣٢	٢	
١٢١	١٨	
٢٧٥	٢٣	
١٢١	٢٦	
٤٥٠	٢٦	

الترتيب	الصفحة	الموضوع
---------	--------	---------

٤٢٥	٢٢	لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
٢٧٥, ٢٣٢	٢٩	أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ
٢٧٧	٢٩	رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ

الحجرات

٣٠٢	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
٢٣٢	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
٣٦٤, ٢٣٧, ٢٣٢	٧	وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانِ
٤٦٤	٩	وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِبَيِّنَةٍ فَتَعَوَّذْ إِلَى اللَّهِ
٤٣٨	٩	وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
٢٧٧	١	ثُمَّ الْمَوْضِعُونَ يَرْجِعُونَ
٣٠٨, ٢٣٢	١١	يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ الْقُسُوفَ بَعْدَ الْإِيمَانِ
٢٧٩	١٢	أَنْ يَغُضَّ الْعَيْنَ أَمَّا
٢٨٥	١٢	لَا يَغُضُّ عَنْكُمْ عَيْنًا
٣٢٤	١٣	يَا أَكْثَرَ مَكْرٍ عِنْدَ اللَّهِ أَعْدَاءُكُمْ
٢٣٢	١٥, ١٤	قَالُوا لَا تَمُوتُنَّ آمَنًا

ق

٣٥٢	١٥-١	قَالَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ
٤٥٩	١٣, ١٢	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنُوحٌ
٥٢٩	١٤, ١٢	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنُوحٌ
٣٦٢	١٨, ١٧	أَدَّيْنَتِي السَّيْفَانِ مِنَ الْمَعِينِ وَرَأَى الْقَوْمَ غَدًّا
٤٩٥	١٨	مَا يَنْفَعُ مَنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ
٢٢٧	٢٩	مَا يَنْفَعُ الْقَوْلُ لَدَيَّ
٥٨	٣٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
٣٥٦	٤٢, ٤١	وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ سَكَابِدِ قَرِيبٍ
٣٩٨	٤٥	وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِحَبِيرٍ

الذاريات

٨٣	٤٩	ومن كل شيء حقيقا رؤس
٢٨٣	٥٠	فقرؤا إلى الله إني لكم منه نذير مبين
٢٨٣	٥١	ولا تحقنوا مع الله إليها أحر بني لكم منه نذير
٣٠٠	٥٤	فتول عنهم فما أنت بملوم
٣١١ : ٣٣٥	٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
٢٤٧	٥٨-٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
١٧٩	٥٨	إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

الطور

١٢١	٣١	والطور، وكتاب مسطور
٢٧٣	٢٨-٢٧	وأقبل بعضهم على بعض يتساعفون
١٧٨	٣٤، ٣١	ثم يقولون نقول له لئلا يؤمنون

النجم

٢٩٧	٦٥	عنقه سديد القوى
٣٧٥	١٥ : ١٣	والله أدهأه أدهأه
٢٧٩	٢٣	إن يسمعون إلا الظن وما بهوى الأوهس
٦٦	٢٨	إن يسمعون إلا الظن
٢٢٩	٣٢	الذين يحتجبون كبائر الإثم والعواش
٤٩٥، ٤٩٣	٣٢	فلا تركوا أنفسكم

القمر

٣٥٦	٨٦	يوم يذبح القامعي إلى شيء نكير
١٧٢	١٤	بحري بأعشى
٢٣٨	٤٨، ٤٧	إن المنجمين في صلال وستر
٢٦٣	٥٣، ٥٢	وكل شيء قتلوه في الزبر

الرحمن

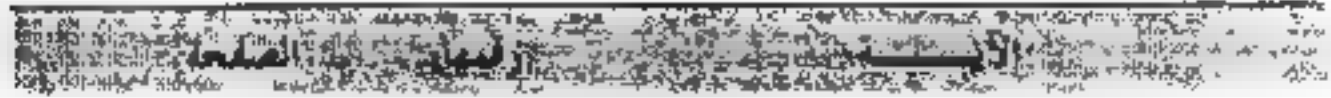
٣٥٧	٩-٧	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ
١٢٩	٢٤	وَلَهُ الْخَافِضُ الْمُنْبِتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
١٤٢	٢٦	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ
٣٢٥, ٣٢٨	٢٧, ٢٦	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ
١٧٢	٢٧	وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْإِلْحَالِ وَالْإِكْرَامِ
٣٥٨	٣٩	مُؤْتَدٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ دِينِهِ إِسْرَ وَلَا حَتَا
١٥٦	٧٨	بَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْإِلْحَالِ وَالْإِكْرَامِ

الواقعة

٣٥٩	١١ ٧	وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً
٣٧٥	٢٣, ٢٢	وَعَصَى إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ
٣٥٩	٢٤	جَرَاءً مِمَّا كَانُوا يَعْتَفُونَ
١٢٢	٢٦, ٢٥	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا
٨٣, ٨٢	٥٩, ٥٨	أُمْرَأَتُهُمْ مِمَّا يَلَهُنَّ
٣١٠	٦١, ٥٩	يَحْنُ فَذُرَّا بَيْنَكُمْ الْمَوْتِ وَمَا بَيْنَ بَيْنِهِمْ
٣٣٠	٦١, ٦	يَحْنُ فَذُرَّا بَيْنَكُمْ الْمَوْتِ وَمَا بَيْنَ بَيْنِهِمْ
٨٣	٦٤, ٦٣	أُمْرَأَتُهُمْ مِمَّا يَلَهُنَّ
٢٨١, ١٥٦	٧٤	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ

الحديد

٥٢٦, ١٨٦	٣	هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
٣ ١	٧	آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَضُوا مِمَّا حَبَّلَكُمُ مَسْتَحْلِمِينَ بِهِ
٣٠١	١١	مِنْ ذَا الَّذِي يَفْرِصُ اللَّهُ فَرَصًا حَسَنًا
٤ ٧	١٧	اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْفَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
٥٣٠, ٤٧٩	٢٦	وَبَعْدَ أَرْسَالِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
		السُّوَّةَ وَالْكَتَابَ



المجادلة

٤٠٨	٤	فَمَنْ لَّمْ يَسْتَفْضِ فِدَاعًا مِّنْكُمْ
١٨٦	٧	مَّا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
٢٦٤	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
٤٠١ ٤٠	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ
٤٠١	١٣	الْتَفِعْتُمْ أَوْ نَقَضْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ
٢٤١	١٨	يَوْمَ يَخْتَصِمُونَ لَهُ
٢٤٢	١٩	سُحُودَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ
٣٦١	٢١	كَذَلِكَ لَا عِشْرَةَ أَنْ رُسُلِي
٣٦١	٢٢	أَوْ لَيْسَ كَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِنْسَانِ
٢٧٥	٢٢	لَا مَحْدُودًا لِّبُيُوتِهِمْ بِاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَةُ يَوْمِ السَّعَةِ
		وَحَادَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
١٨٦	٨٥	وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ

الحشر

١٢١	٢	وَقَدْ هَمَّتْ فَيَقُولُ لَهُمْ الرُّعْبُ
٤٠٦، ٧٤	٧	وَمَا أَتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
٤٩٣	٢١	لَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمٍ
١٥٧	٢٤	لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

الممتحنة

٤٠٣، ٢٧٥	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
----------	---	---

رقمها	الصفحة	الآية
-------	--------	-------

الصف

٢٨٤ ٢١١	٧	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ
٤٢٤	٨	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
٤٢٦, ٢٣٥	٩	هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِنُورٍ
٣ ١	١١, ١	بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَخْرَجٍ تُخْرِكُمُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

الجمعة

٤٢٦, ٢٣٥	٤ ٢	هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ مَنِ اسْتَبَى رِسُولًا مِنْهُم
٤٠٦	٩	بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
٢٦٣	١	وَأَذِّنْ فِي الصَّلَاةِ فَاسْتَسْمِعُوا فِي الْأَسْبَاطِ

المنافقون

٢٣٦	٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
١٧٩	٨	وَلَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ رَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

التغابن

٢٢٤	٢	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ
٢٨٢	٨	فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الَّذِي آتَىٰ
٢٣٦	١١	وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ
٤٩٢	١٤	وَإِنْ يَغْفِرُوا وَيَصْفَحُوا يَغْفِرُوا
٣١١	١٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْلَاذُكُمْ هُمْ
٢٧٧, ٢٢٣	١٦	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
٣ ١	١٧	إِنْ تَقْرَضُوا مِنَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ

الترتيب	الصفحة	الموضوع
---------	--------	---------

الطلاق

٢٩٥	١	بِأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا صَلَّيْتُمُ النَّيَّاءَ فَظَلُّوهُنَّ لَعْنَتُهُنَّ
٤٧٧	١١، ١٠	قَدْ أَمَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا

التحريم

٢٩٧	١	عَنْهَا مَا لَكُمْ عِلَاطٌ شَدِيدٌ
-----	---	------------------------------------

الملوك

٣١١	٢	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَتْلُوَكُمْ أَهْلَكُمْ أَمْرًا عَمَلًا
١٦٣	٣	مَا تَرَى فِي مَخْلُوقِ الرَّحْمَنِ مِنْ قِصَاصٍ
١٢٣	٧	إِذَا أَلْفَوْا فِيهَا سَمْعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ
٩٩	١	وَقَالُوا نَوْكَثًا يُنْفَعُ أَوْ يُفْعَلُ
١١٠	١١	عَادُوا بِدِينِهِمْ
١٢٩	١١	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
١٧، ١٣١	١٦	أَلَمْ يَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بَكُمُ الْأَرْضَ
٣٨٩	١٦	أَلَمْ يَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ

القلم

٢٨٥	١١، ١	وَلَا يُطِيعُ كُلٌّ حُلَامًا مَهِيًا
٤٣١	٤٩، ٤٨	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ

الحاقة

٣٩٠، ٣٨٩	١٧	وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ
٣٦٢	٢٩-١٨	يَوْمَئِذٍ عَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ

الْأَسْبَابُ وَالْمُهَيِّجَاتُ لِلصَّحِيحَةِ

المعارج

٢٧٥, ١٨٢	٩, ٨	يَوْمَ نَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
٤٩٦, ٢٩٨	٢٨, ٢٧	وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ غَضَابِ رَبِّهِمْ يُشْفَعُونَ
٢٨١	٢٣	وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

نوح

٢٧٤	٤ ٢	قَالَ يَا نُوحُ إِنِّي جَعَلْتُكَ مَكِينًا
٤٥٩	٢٧, ٢٦	قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَهْرًا
٢٧١	٢٧	وَلَا يَلِدُوا إِلَّا عَاجِزًا كَبِيرًا
٢٩٥	٢٨	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْعَالَمِينَ

الحين

١٢٥	١	إِنَّا سَمِعْنَا مُرَادًا عَنِ
١٢٥, ١٠٢	١٢	وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ آمَنَّا بِهِ

المزمل

٤ ١	٤ ١	يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ
٤ ١	٢٠	إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي الضَّحَى
٢٨٠ - ١٧٨	٢٠	خَافُوا مَا يُهْبِئُ مِنَ الْقُرْآنِ

القدر

٣١٨	١٥ ١١	دَرَنِي وَمِنْ خَلْقٍ وَحِيدٍ
١٢٦	٢٦ ٢١	ثُمَّ بَطَرًا ثُمَّ عَرُسٌ وَسُورٌ
٣٩١	٣١, ٢	عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
٢٣٤	٣١	كَذَلِكَ يُصَلِّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
٣٩١	٣١	وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ
٢٥٨	٤٣ ٢٨	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
٣٦٨	٤٨	فَمَا تَتْلُوهُمْ شِعَارَةَ الْبَاقِيَيْنِ

الآية

القيامة

١٠٠	١٦	لا تحرك به يداك لتفعل به
٢٨٩, ١٨١, ١٧٩	٢٣, ٢٢	وَجُودَ يَوْمَئِذٍ مَاصِرَةٌ
١٨١	٢٥, ٢٤	وَوُجُودَ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَةٍ
٣٥٣	٤٠-٣٦	أَحْسِبْ الْإِنْسَانَ أَذًى يَرْبُ سُدًى

الإنسان

١٤٨	٢	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ مَسْجُورَةٍ
٢٣٥	٣	أَنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
٣٦٩	٩, ٨	وَنُظَمْنَاهُ عَلَى سَبِيلٍ

التأنيات

٤٩٥	٥ ٣	وَالْأَمْعَانِ
٢٢٤	٢٩-٢٧	وَأَمَّا مَنْ طَغَى
٢٩٤	١١, ١٠	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَعَامَرَتَهُ

عيسى

٢٢٨	٢٣ ١٧	فَلِالْإِنْسَانِ مَا كُفْرَةٌ
٣٧٢	٢٧-٢٤	يَوْمَ يَهْرُجُ الرُّجُومُ

التكوير

٣٧١	٩, ٨	وَأَرَادَ الْمُؤَدَّبُونَ سُكُوتَ
-----	------	-----------------------------------

الانقطاع

٣٧٥	١	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ
٢٦٢	١٢ ١	وَأَنْ عَلَيْكُمْ بِحَافِظِينَ
٢٢٦	١١ ١٤	وَرَبِّ الْمَحَارِبِ
٣٦٨	١٩-١٦	وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ

الترتيب	الصفحة	الترتيب	الصفحة
---------	--------	---------	--------

المطففين

كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُبُورِهِمْ

٢٣٧ ١٤

الانشقاق

إِذَا الشَّمْسُ أَرْمَضَتْ

٢٧٥ ١

هَٰذَا مِنْ أَوْسَىٰ كُنَانُهُ يَمِيحُ

٢٥٨ ٨٠٧

المزمل

فَلْيُصْحَبِ الْأَعْدُوْدُ

٥٣٢ ٩ ٤

مِنْ حَوْفَرَةٍ مُّجِيدٍ

١٤١, ١٢١ ٢٢, ٢١

الأعلى

سَجَّ مَسْمَرَاتُ الْأَعْلَىٰ

١٥٦ ١

سَمَرَاتُكَ فَلَا مَسَىٰ

٢٩٦ ٧٠٦

الغاشية

أَفَلَا نُنْظَرُونَ إِلَىٰ الْإِلَهِ كَيْفَ حَلَفَ

٢٨٨ ٢٠ ١٧

وَأَنَّهُ عَلَيْهِمْ نَاسِيطٌ

٣٩٨ ٢٢

الفجر

هَٰذَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا بَلَاهُ رُبُّهُ هَٰكَرَمَةٌ وَنَفْعَةٌ

٣١١ ١٥

وَأَمَّا إِذَا مَا نَلَّاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ

٣١٢ ١٦

وَحَاءَ رَبُّكَ وَالْمَنَكُ صَفًا صَفًا

٣٨٩ ٢٢

البلد

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ

٢٣٥ ١ ٨

الصفحة	رقمها	الأبجدية
--------	-------	----------

الليل

٢٣٠	١٦،١٥	لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى
-----	-------	----------------------------------

التين

٢٠٦	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
-----	---	--

الطلق

١٥٨	١	مَرَأًى مَا سَمِ رَتَتْ
٢٦٢	٥	عَمَّ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يَعْلَمْ

القدر

٣٤٥	٣-١	بِأَرْثَاءٍ فِي ثِيَابِ الْقَدَرِ
-----	-----	-----------------------------------

الزلزلة

٢١٠	٨-٦	يَوْمَئِذٍ يُصْفَرُ النَّاسُ تَصْفَاتٍ
٣٤١	٨،٧	مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

العارضة

١٨٢	٥،٤	يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوبِ
٣٥٦	١١-٦	قَامَ مَنْ نَعَلَ مُوَدَّرِينَ

التكاثر

٣٥٥	٢،١	الْهَافِكُمْ التَّكَثُّرُ
٤٠٧	٦ ١	الْهَافِكُمْ التَّكَثُّرُ
٣٥٨ ، ٢٩٥ ، ٢٧٢	٨	مِمَّنْ نَسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

المعصر

٤٥٩ ، ٣٤١ ، ٢٠٧	٣-١	وَالْمَعْصِرُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَعَفِ حَسِرٍ
-----------------	-----	---

الصفحة	الرقم	الاسم
--------	-------	-------

الفصل

ألم تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَيْثُ مَأْمُوحَابِ فَعَمَلِ

١ ١٨١

فريش

لَا يَلَا فُورِيشِ

٤-١ ٢١٨

الماعون

تَوَلَّى لِلْمَعُونِ

٤-٧ ٢٧٨

الإخلاص

مَنْ هُوَ إِلَهٌ أَحَدٌ

١ ١٦٤ ٥٣٦

الناس

فَلْ أَعْرِضْ بَرَبَ النَّاسِ

١ ١ ٢٤٤



مَسْجِدُ الْحَرَامِ

ثانية: فهرس لأحاديث

حرف الألف

- أخذه من ملك عوفي ١٧
- أسري يا أم العلي ٣١٣
- أثامي حميل (ص) طال ٥١٦
- أحبوا الله لما يقدمكم به من نعمة ٤٧٧
- أخوف ما أتعاف على أمتي ٣٤٠ ; ٣٢٩
- أذكروا هادم اللذات ٢٨٠
- أسرف الإيمان أن يأمنك الناس ٣٠٥
- أصحابي كالسجوم ٤٥٢, ٤٤٩
- أعصيت ما لم يُعط أحد من الأنبياء علي ١٣١
- الأعمال بالنيات ٢٧٦
- الأعمال عند الله سبعة ٣٧٧
- أفردتم عبيد ما أعتدت به ٢٩٦
- أفضل جهاد أن تقتل وتُقتل فرسك في سبيل الله ٣٦١
- أفضل المصائل أن تُعطى من حرمت ٣٠٨
- أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ٤٣٢
- ألا إن الله ربكم، ومحمدٌ بينكم ١٥٨
- ألا إنه سبيل في هذا الموضع رجلٌ من ولدي ٤٨٣
- ألا إنه سيكون أقوامٌ لا يستقيم لهم الملك إلا بالعدل ٣٢٤
- ألا إنه من رُحِد في الدنيا وقصر فيها أمتة ٢٣٨
- ألا لا وصية لو ارت ٣٩٩
- أما علمت أنه يُعز من الرضاع ما يُعز من اللب ٢٩٠
- أما هذا لو شُرع فيه لخشعت جوارحه ٢٧٦
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٣١٦
- أن تعلم بلا مثل ولا شبه ٦

١٥٧	أن حرب لم حارب علياً
١٦٨	أن حرب لم حاربهم
١٤٥	ب دحي في الدنيا والآخرة .
٢٩٣	ه هوى عن كل مكبر ومقبر .
١١١	أيها الناس لست أولى بكم من أنفسكم
٣٨٥	أيها الناس إنكم في زمان هديه
٥١٨	أيها الناس إني امرؤ مقبوض
١٤٣	أيها الناس هل أحد أصدق مني
٢١٧	إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري .
٢١٧	إذا رأيتم معاوية يطلب أذنك
٢٧٨	إذا كان يوم القيامة فأول ما يدعى رجل جمع القرآن
٣٠٣	إذا سمعت بأمر فندبر عاقبه
٣٧٨	اسألوا الله العبد
٣٠٦	إسلام حب ما عليه
١٠٤	إن أحب الناس بالصلاة الكثير
٤٢٣	إن أسأ بعبود شي سديهم عن العامة
٤٤٥	إن الجنة تشاء إلى علي
٤٧٥	إن الجنة لا عمل لعاصي ..
٦٧	إن الرجل يكره من أهل الصلاة
٢٤٤	إن الشيطان ليأني أحدكم فيصح بين إليه
٤١٩	إن الله اصطفى كرامة من بني إسرائيل
٥٢٦	إن الله لا مثل له بوجه من الوجوه
٤٠	إن الله لم يعمل شعاعكم فيما حرم عليكم
١٨٦	إن الله يعصب لعصب فاطمة
٣١٢	إن المؤمن إذا أصابه الشقم ثم عافاه الله به .
١٥	إن الميت ليصذب بكاء أهله
٤١٩	إن عبد يطلب من حساً من الناس
٣٣٣	إن هم في كل جمعة ورقة
٣٢٠	إن هذا الداق فاطمة ..

٣٠٤	إن هذا العلم دين ..
٢١٧	إن هذا يريد الأمر من يعدي
٢٤٤..	إن هذه الحشوش مختصرة ..
١٥١, ٤٤٩	إن وتبسم أما بكر وحذروه قويا في ديه ..
١٥١	إن وليم عليا ولا أراكم نغصرون
١٥٢, ٤٥٠	إنا معاشر الأبياء لا نورث
١٨٥	إنكم لن تروا الله ..
٣٤٩	إنا أهلككم في أهل من خلا من الأعم
٢٨٦	إنا جعل الإمام ليؤتم به
٦٧	إنا يبرك الخبز كله بالعمل
٤٧٧	إني نارك فيكم النقلب
٥١٨, ٥ ٤, ١٦١, ١ ٤, ١٧	إني نارك فيكم ما إن تمسكم به
١٢٦	إني رأيت في المنام كأن حبري عليه السلام عند راسي
٤٩	إني علمت فيكم ما إن تمسكم به لن تصلوا
٢٢٧	إياكم والزنا
٤٧٤	يعز الله في عظمي
٣٢٥	يعزوا الباء وانقروا العصب
٣٣٠	يذكروا الموت وكونوا من الله على حذر
٣٩٥	يستغفروا من هذه الباء

حرف الباء

٣٦٩..	بأي وأمي ما يبيك ..
٤٦٣	بشروا قائل ابن صعبة بالمار
٥٠٩ ; ١١٢	بسم تحكم.

حرف التاء

٢٢٨	أكرم الخلق على أربعة
١٧٤	مررت فيكم النعير
٦٦	تعلموا القرآن وعلموه الناس
١٣٧	تعلمكم حياة قلب البصير
٣٥٩	تقرؤوا في الله باكرام اليهان

حرف الشاء

٣٦٩	..	ملانه انه سميع هم يوم القيامة
٣٥٣	..	ملانه عني كتاب الست يوم القامة
٢٨٥	..	ملانه لا يحف مفهم الا سالف بين القما

حرف الجيم

٤٦٨	..	جاءني منك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قبل ليلتي هذه
٩٧	..	جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله

حرف الحاء

٢٤٥	..	حب الدنيا رأس كل خطيئة
٢٧٩	..	الحمد بأكل الإيمان
٤٦٩	..	الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا
٤٦٩	..	الحسن والحسين إمامان وبرهما خير منهما
١١٦	..	الحمد لله الذي وفق رسول الله له ووفى له رسول الله

حرف الخاء

٣٩٧	..	خدوهم وأبلوهم
٢٢٦	..	خرج من النار
٢٠٠	..	جس لا يقدروا جهنم أحد
١٧٣	..	جس لا يقدروا جهنم أحد

حرف الدال

٣٤٣	..	الدعاء برد القضا
٣٦٤	..	الذب دار عمل ولا حساب
٤٩٦	..	الذب دار من لا دار له

حرف الزاء

٤٥٥	..	رحمته الله يا أبا ذر
-----	----	----------------------

حرف الزاي

ويؤا العراذ باصواتكم

١٤

حرف السين

٦٩	سارون ربكم كالقصر
١٨٢	سرو ربكم كما يرون للعرس بينة البدر
١٧٩	سرو ربكم يوم القيامة
٦٦	سمنوق أمي على ثلاث وسعين هرة
٢٥٥	سلمان منا أهل البيت
٥١٨, ١٥	سكيب على كما كذب على الأنبياء من على

حرف الضمن

٣٧	سألكم بها
٣٦٢	سماعن لأهل الكناز من أمق



حرف الصاد

٣٤٣	صلة الرحم تزيد في العمر
٢٦٥	صلة الرحم تزيد في العمر

و تزييد في العمر

حرف الطاء

٢٩٣	صلى العلم فريضة على كل مسلم
-----	-----------------------------

حرف العين

٣١٣	عظم لواء على عظم اللاء
٢٩٣	العلماء ورواة الأنبياء
٤٥٨, ٤٥٥	عني انبي واني عني
٤٥٥	عني إمام المعين
٤٥٧	عني باب حطة
٤٥٧	عني نقيه من ركبها عا
٤٤٦	عني سيد المسير
٤٥٨	عني عين الله في خلقه

٤٥٥	على فائدة العرود
٤٥٦, ٦٩	على منى عمرة هارون من موسى
٣٠٣	عليب باليأس مما في أيدي الناس
٤٥٦	عمار مع الحق
٣٨٦	عمر لحال فرسخ

حرف الفين

٢٨٦	العبدة والشبهة يمتد إلى الصائم
-----	--------------------------------

حرف القاء

١٣٢	عالموا البار، وادعوا النساء
٢٨٨	العهد من العود
٣٠٥, ٢٩٣	فصل العلم من فصل العادة
١٢٧	ولا يكون حصولك أولى بالقرآن منك
٣٧٠	والحق
٦٧	في حيد ابن آدم بظلمة
٢٥٩	في كان كعب حري آخر



عنه في سنة ١٢٠٠

حرف القاف

٢٦٢	العددية حصصاء الله
٢١٢, ١٩٧	العددية غوس عهد الأمة
١٤٠	العراب يوسع في ثلاثة مواضع
٤٢٢	فم فاد الرجل حقه
٦٧	قود مرة عنه
٤٤٧	قومي يا أم سمة فاصحي المذنب

حرف الكاف

٤٦٨	كل بي امي ينسون إلى أيهم
٢٧٢	كل سب وسب منقطع يوم القيامة
٢٨٨	كل شيء اصغر من صرته في ركبته محورة
١٠٤	كيد صلاه لا يقر فيها نام الكتاب

حرف اللام

- ٤٤٥ لا تعطى الراية رجلاً جب الله ورسوله
- ٢٩١ لا تغالسوا أولاد الأعداء
- ٥٢٩, ٧٤, ٦٩ لا تجمع أمي على ضلالة
- ٧١ لا تحري الصدقة في عمر
- ٧٤ لا تستملوا القبلة لعائذ ولا لربي
- ٦٥ لا تكونوا إمة
- ٥١٢ لا تسمع من الله بشيء
- ٧ لا تسمعوا من المذبل بلعزم ولا غضب
- ٢٧٣ لا تلبث لو مت قبل
- ٦٦ لا قول إلا بعمل
- ٤٣٧ لا شيء بعدى
- ٣١٩ لا يورث أهل مفير
- ٤٤٥ لا يهلك إلا مؤمن
- ٤٣٩ لا يهل بغير نرى الله يعضى فطرف
- ٢٧٩ لا يدخل الجنة عبد في قلبه حبة حردل من كبر
- ٢٨٦ لا يدخل الجنة قتات
- ١٢١ لا يدخل الجنة من كان في فيه منقار حردل من كبر
- ٢٤٤ لا يزال يلبس حائلاً مدحوراً من المؤمن
- ٢٢٣ لا يرمى الزاني حين يرمى وهو مؤمن
- ٢٦٩ لا يعمل الجأ حتى يول
- ٢٢٨ لا يقطع رجل حق امرئ مسلم بيمينه
- ٥١٢ لا يسطع فيها عمرا
- ٣٧٤ لا ينظر الله إلى رجل ينظر إلى عرج امرأ وامسها
- ٥٩ لا يوجد في أومعين كؤوساً رجل خير
- ٤٢٤ لا، لا يلعوا بي ما لم أبلغ
- ٤٣٩ لا يمرر ما يعرفه ولا يكر
- ٦٧ لكل شيء معد
- ٣٢٢ لا يسهى سبع درجاب

٢٨٣	سواء أأحدكم في الدنيا يكلّم بكلمة يردّ بها ما طأ
٥١٨	ر. سمع أمي على صلاله
٤٤٨	المنهم اتقي يا حب الناس إليك.
٥٢٦	المنهم اتقي يا حب خلقك إليك
٤٤٥	المنهم انصرف وانصرف به
٣٤١	المنهم يا علك وصعب حتى
٧٣	يولا ان اسئل على أمي
٢١٧	يبدخس عليّ رجل يكون على غير مني
٣٩٥	القبول في النهار

حرف هـ الحيم

٢٩٣	ما سكر كسوة فضله حرام
٤٤٧	ما قيل من علي بن أبي طالب
٣٠٧	أ. حب من الرجال أربعا
٦٧	ما كسب أحد .. مرر فصر العفر
٤٧٤	ما قال أقوام من أمي إذا ذكر عدهم ان برهم ليس هو
٦٧	ما لم دين إنسان قط حتى يتم عمله
١٧٧	ما خلق الله شيئا أعظم من آية الكرسي ..
٣٤٤	ما رأيت ما فعلت عمل وديني علب لعمري جوي الأتراك صهي
٤٥٢	ما رأيكم على فامر صوره على كتاب الله
٢١٢	د. د. عطفو بالعاصي
٣٣٢	د. من أبا يدخل الجنة فيحب ان يرجع إلى الدنيا
٢١٣	ما منك أمة حتى يكون آخر قولهم
٣٩٥	منع النساء حرام
٥٠٤، ١٧٤	مثل أهل بيبي فيكم كمثل سبعة نوح
٤٣٩	مروا بالمعروف، وانها عن النكر
١٨٥	مصورون من بدخلوا الجنة .
٤٥٧	معاد الناس من كنت بينه فهذا عليّ ولله
٣٤	ممن نه ماها أمي ما بين المستين إلى السبعين .

٤٤٥	من أدى علياً بعد آذاني
٤٤٦	من أحب أن يمشك بمصيب الياقوت الأحمر
٤٦٨	من أحبهما في أخيه
١٥٣, ٧	من أخذ دية عن الصمكر في آلاء الله
٢٧١	من أودع غوماً على كره
٢٢٧	من بعث العلم ليهي به العلماء
٣٦٩	من حفظ على من أربى حديثاً
٤٣٩	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٢٨٢	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٤٤٦	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
١٨٥	من شبه الخلق بالخلق فقد كفر
٣٦٧	من صلى نحاساً ركعتين من الليل
٤٣٢	من صلى على صلاة
٥١٢	من فارق الجماعة فقد كفر
٣٠٧	من قال أستعصر الله الذي لا إله إلا هو
٣٦١	من قتل غصصاً غصاً
٢٢٧	من قتل غصصاً غصاً
٣٤	من كان يؤمن أن يمشي غداً
٢٤٤, ٢٩١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجتر بأمرأة ليست له محرم
٢٨٤	من كذب على محمد
٣٢٥	من كظم عيظاً وهو قادر على أن ينقله
٤٧٥	من مات لا يعرف إمام عصره
٧٣	من مسح بالعينه أمراً من العمل
٣٠٦	من سبي صلاة أو دم عنها
١٠٩	من هذا الذي سمعت جعفر بن محمد
٣٢٧	من بها علي لا تموت منكماً



والمعجم من العامة

حرف النون

١٠٠, ١٧	الاس يعطون الخيم ويعطون أحورهم على قدر عملهم
٢٨٩	الساء عبي وعوراء
٣٧٢	معهم يجمع الله بين أهل البيت
٢٦٦,	نعم، يا أبا بردة لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخصال
٣٩٥	لهي رسول الله (ص) عنها، وعن لحوم الحمر الأهلية

حرف الهاء

٤٥٧	هذه من النباه ما كذبني منذ أمس من
١٥٥	هذه حادثة صديروهم
٢٦٦	هذه معاني النور
١٠٩	هكذا فاصموا، ولا تعدوا بها
٥١٢	هؤلاء انعمتم بأنفسهم
٤٧٣	هم درمك ووليك
٢٢٣	هي المراد والمرحلة

حرف الواو

٤٥٢	واله ليس عليا وحدهم عذاب مهاد
٣٧	الو... الو... الو... في النار
٢٩٣	الورع صيد الأعمال
٦	وما جمع في راس الغنم حتى يسألني عن عرائنه

حرف الياء

١٠٤	يو... اليوم أمروهم لكتاب الله
٢٢٨ ٢٢٧	يؤمر بالعالم العاصي إلى النار
٤٥٦	يا أيها البشر أشرار
٤٥٧	يا أيها المكر من أحب عليا بعد الحسن
٣٩٥	يا أيها الناس إني كتب قد أمرتكم بالسمع
٤٤٥	يا أيها الذين آمنوا

٣٨٥	يا علي ان مواضع قد برز عند الله
٣٢٥, ٣ ٣	يا علي ان من البصر ان لا يرضى دجاة مسخط الله
٣٠٣	يا علي اياك والطمع
٣١٨, ٣١٢	يا علي عم العبد من الدار
٣ ٣	يا علي من الذي لا يتم صلاته كحلي حلت
٥١١	يا علي وبا فاطمة قد علم الرب ان اقواما من معدي عبد الله سيعطون الحياة
٥١١	يا علي ربا طيبة، ان الله قد جعل الله على الذين يقولون اما
٤١٣	يا علي، ما خيمت الا بأمر الله سبحانه
٤٥٩	يا عمار معتك المنة الساعية
٤١٨	يحب عبد المطلب يوم القيامة امة وحيد
٢٢٥	يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسوره
٢٥٣	اليك الدنيا خير من اليد العليا
٢٩٨	يقول الله تعالى يا بن آدم ما نسيت
٣١٢	يقول الله عز وجل انما عبد من عبادي اسبغ بلاء
٤١٣	يقول الله عز وجل يا عبادي من سرس القسم على نفسي
٥٢٣	يكون محرم هو - معبود صلاتكم مع صلاتهم
٤٨	يؤدي يوم القيامة ليحم سيد العابد
٢١٢	يؤدي عباد يوم القيامة ابي العذرية حصماء الله
١٨٠	يولد لث معدي علام

فهرس الموضوعات

المقدمة	٥
قواعد أساسية لفهم مسائل العقيدة	٨
استعمال الفعل بعشره صااا الكيف، واده بصر	٨
الاعتماد على الصحيح القرآني وإرجاع مسنده بكتاب إلى محكمة	١٠
مراجعة سياق الآيات	١٢
تحديد معنى المصطلحات	١٣
فهم الأحاديث النبوية في ضوء القرآن	١٥
ساع مهج ال محمد عليهم السلام	١٧
هذا الكتاب	١٩
معرفة بالمحظوظات التي اعتمدا عليها أحمد <u>الترجمة</u>	٢
ترجمة الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام	٢٤
سنة	٢٤
مولده وشأته	٢٤
مسانحه وإجاراته	٢٧
امداء دعوته	٢٨
صوب اليمن والإسلام	٣٠
معركة مع لمردين	٣٢
وقعة السرره	٣٢
معركة عيل جلاجل	٣٥
معركة ربد	٣٧
من أوائل الداعين إلى وحدة اليمن شمالاً وجنوباً	٣٨
دعية عدالة اجتماعية	٣٩

٤١	شعره عليه السلام
٤٦	مؤلفاته
٤٨	وفاته
٤٨	مصادر ترجمته
٥٥	ذكر تفاصيل المعارف وتسميتها
٥٧	باب معرفة النظر
٥٧	فصل في الكلام في العقل
٦٤	فصل في الكلام في الحواس
٦٥	فصل في الكلام في وجوب النظر والاستدلال
٧٥	باب حقيقة معرفة الصانع
٧٥	فصل في الكلام في الهواء
٨٥	فصل في الكلام في الأنوار واختلاف الليل والنهار
٩١	فصل في الكلام في الأرض
٩٥	فصل في الكلام في خلق الإنسان
٩٦	فصل في الكلام في الجسم والعرض
١١٠	فصل في الكلام في الألوان والطعوم والروائح
١٢١	فصل في الكلام في الروح
١٤٥	باب حقيقة معرفة الصانع
١٤٦	فصل في الكلام في أن الله تعالى شيء
١٤٧	فصل في الكلام في أن الله حي قادر
١٤٨	فصل في الكلام في أن الله عالم حكيم
١٥٠	فصل في الكلام في معرفة الصانع
١٥٤	فصل في الكلام في صفات الله و لفرق بين الأسماء والصفات
١٦٢	فصل في الكلام في أن الله تعالى قديم

باب حقيقة معرفة التوحيد	١٦٣
فصل في الكلام في أصل التوحيد وجميعته	١٦٩
فصل في الكلام فيما اتفق عليه أهل القبلة وما اختلفوا فيه من التوحيد	١٧٤
فصل في الكلام في الإرادة	١٩٠
باب حقيقة معرفة العدل	١٩٩
فصل في الكلام في اختلاف أهل القبلة في العدل وذكر ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه	٢٠٨
فصل في الكلام في الاستطاعة	٢١٧
فصل في الكلام في الوعد والوعيد	٢٢٣
فصل في الكلام في المرة بين المرلين	٢٢٩
فصل في الكلام في الهداية والإضلال	٢٣٤
باب حقيقة معرفة النعمة	٢٤٧
فصل في الكلام فيما عنيق الله من نعم	٢٤٨
فصل في الكلام في ما عطر الله عليه العبد	٢٥٨
فصل في الكلام في أن ما أمر الله به فكيف يمكنه	٢٦٣
فصل في الكلام في أن الله يهي عن فعل ما يستلحقه العقل ويهصر في الخال والخال	٢٦٧
باب حقيقة معرفة شكر المعهم	٢٧١
فصل في الكلام في حقيقة الشكر	٢٧٢
فصل في الكلام فيما يجب أن يعتد بالقلب من الشكر	٢٧٣
فصل في الكلام في واجبات السان	٢٨٠
فصل في الكلام في واجبات السمع	٢٨٦
فصل في الكلام في واجبات البصر	٢٨٨
فصل في الكلام في واجبات الهمس	٢٩٢
فصل في الكلام في واجبات النفس على الكمال	٢٩٢
فصل في الكلام في حقيقة الشكر	٢٩٥

٢٩٩	فصل في الكلام في المحررة
٣٠٠	فصل في الكلام في التحارة
٣٠٦	فصل في الكلام في التوبة
٣١١	باب حقيقة معرفة البلاء
٣١٥	فصل في الكلام في امتزاج الصفة والصفة
٣١٧	فصل في الكلام في الرق
٣٢٢	فصل في الكلام في الصبر على البلية
٣٢٦	فصل في الكلام في الموت
٣٣٠	فصل في الكلام في الآجال
٣٤٩	باب حقيقة معرفة الجزاء
	فصل في الكلام مما يختلف فيه الأمة من عذاب القبر والنسخ في الصور والميران
٣٥٣	والكتاب و لصراط والشفاعة وعذاب أطفال المشركين
٣٥٥	فصل في الكلام في تصور
٣٥٦	فصل في الكلام في غير
٣٦٢	فصل في الكلام في الكتاب
٣٦٤	فصل في الكلام في الصراط
٣٦٧	فصل في الكلام في الشفاعة
٣٧٠	فصل في الكلام في أطفال المشركين
٣٧٢	فصل في الكلام في أرواح أهل الجنة
٣٧٧	فصل في الكلام في جزاء الأعمال وذكر الخواتم
٣٨١	باب حقيقة معرفة الكتاب
٣٨٣	فصل في الكلام في فضائل القرآن
٣٨٨	فصل في الكلام في معاني القرآن
٣٩٣	فصل في الكلام في الماسح والمسحوق

فصل في الكلام في الاختلاف في الكتاب	٤٠٩
باب حقيقة معرفة النبي (ص)	٤١٣
فصل في الكلام في نبينا محمد (ص)	٤١٨
فصل في الكلام في معنى الرسالة	٤٢٦
فصل في الكلام في اختلاف الناس في النبي (ص)	٤٢٧
فصل في الكلام في خطايا الأنبياء عليهم السلام	٤٢٩
باب حقيقة معرفة الإمام	٤٣٧
فصل في الكلام في إمامه أمير المؤمنين عني بن أبي طالب عليه السلام	٤٤٠
فصل في الكلام في اختلاف الأمة في إمامة عني بن أبي طالب عليه السلام	٤٤٩
فصل في الكلام في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام	٤٦٧
فصل في الكلام في الأئمة من بعدهما	٤٧١
فصل في الكلام في إمامه زيد بن عني (ع) ومن قدم بعده من الأئمة (ع)	٤٨٠
فصل في الكلام في مروي الشيعة	٤٩٨
باب حقيقة معرفة الاختلاف	٥١١
فصل في الكلام في المعرفة الباطنية	٥١٨
المفاهيم العامة	٥٢٧
فهرس الأيات	٥٣٧
تالياً فهرس الأحاديث	٥٧٩
فهرس الموضوعات	٥٨٩



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی



مرکز تحقیقات اسلامی



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

أخي القارئ / أختي القارئة

نرجو منكم تعبئة البيانات التالية لمشاركنا في تقديم الأفضل، ولتمكيننا من إعلامكم بما يستجد من أخبارنا. والله يشكر لكم تعاونكم.

الاسم:
المهنة:
العنوان:
الهاتف:
البريد الإلكتروني:
عنوان الكتاب الذي اقتنيته:
سبب اقتناك للكتاب:
عدد الكتب التي تملكها من إصداراتنا:
عدد الكتب التي تملكها بشكل عام:
الموضوعات التي تهلك:

ملاحظات على الكتاب

أهمية الموضوع:
اللغة:
التبويب:
الخلاص:
شمول البحث:
موضوعية الطرح:
الفهارس:
الحجم:
الورق:
تعميق النص:

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ص.ب. ١٥١٢١ - طهران (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) - صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email: info@izbacf.org



مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

ملاحظات أخرى

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

هل سمعت من مؤسسة الإمام زين علي الثقافية؟

☐ نعم ☐ كيف؟

☐ كلا ☐ هل ترغب بمتابعة أخبارها؟

بعد الانتهاء من تعبئة هذه البيانات نرجو منكم التفضل بإرسالها على عنوان المؤسسة، مع العلم أن كل من يرسل هذا الاستبيان سيُدْرَج اسمه ضمن أصدقاء المؤسسة، والله يوفقكم إلى كل خير.

مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية - مؤسسة الإمام زين علي الثقافية

هاتف (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صماء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izhacf.org ; email: info@izhacf.org

مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی



۱۳۰۴۱۷۶۳۳